

۲۰۰۴
الف < ۱

۲۱۹۳۰

نمبر
۲۰۰۴
الف < ۱
۲۱۹۳۰
نمبر
۲۰۰۴
الف < ۱
۲۱۹۳۰
نمبر
۲۰۰۴
الف < ۱
۲۱۹۳۰

4483
- 51A

Checked
1987

١٧١

الجمال

في تفسير الفرائد

السيد علي عماد الدين الكوراني وغريب الألباء

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياه آمين

الجزء الثالث عشر

١٣٥٩ هـ

طبع بطبعة

مطبع في الباني الحكيم وأولاده بمصر

وحق الطبع محفوظ

بأشر طبعه - محمد أمين عمره

شوال سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكَرْنَا إِنْ لَدَّ كَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء مكية

(إلا آية - ولولنا على بعض الأعجمين - ومن قوله - ألم تر أنهم في كل واد بهيمون -

الى آخر السورة فذنية ، وهي ٢٢٧ آية)

(وهي سبعة أقسام)

(١) مقدمة في تسلية النبي ﷺ على اعراضهم عن الدين وفي الاستدلال على الله بهجاء الطبيعة

(٢) وقصة موسى وفرعون

(٣) وقصة ابراهيم عليه السلام

(٤) وقصة نوح عليه السلام

(٥) وقصة هود وعاد وثمود وصالح

(٦) وقصة قوم لوط وشعيب

(٧) خاتمة السورة في وصف القرآن بأنه نزل به جبريل وأنه شهد به علماء بني اسرائيل وأنه لا يقدر على مثله الشعراء الخ * يروي أنه ﷺ قال (أعطيت طه والطواشين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام)

(القِسمُ الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ * نَزَلَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْبَرِّ * لَمَّا بَلَغَ بَلَاحُ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *
إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ

مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَذَّبٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ • فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ • أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ • إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ •

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(طسم) تقدم تفسير البسملة في الفاتحة و - طسم - في أول آل عمران وسيأتي هنا (تلك آيات الكتاب المبين) أي هذه الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن الظاهر إعجازه المبين بإحلال والحرام والأمر والنهي (لهلك باخع نفسك) قاتلها ولفظ لعل لا شقاق أي اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحزنًا على ما فاتك من اسلام قومك وقوله (ألا يكونوا مؤمنين) أي خيفة امتناع كونهم مؤمنين والمراد بهم قريش وكان حرصا على ايمانهم محبة له ، فلا يخرج يا محمد (إن نشأ) ليعانهم (نزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان (فظلت أعناقهم لها خاضعين) متقادين لما وصفت الأعناق بصقة العقلاء أجريت مجراهم وظل للماضي في معنى المضارع كما تقول ان زرتني أكرمك أي أكرمك كما قال الزجاج (وما يأتيهم من ذكرى) طائفة من القرآن (من الرحمن) يوجه الى نبيه (محدث إلا كانوا عنه معرضين) إلا اجتدوا اعراضا عنه واصرارا على الكفر (فقد كذبوا) أي بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا في التكذيب حتى استهزؤا (فسألتهم) اذا مسهم العذاب يوم بدر أو يوم القيامة (أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) فيعرفون أحق كان فيصدق أم باطل فيكذب ويستهزؤا به (أولم يروا الى الأرض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة فإن النباتات بلغت أنواعها ٣٣ ألف نوع ولكل منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب تخالف الثاني ، والانسان الذي هو أرق المخلوقات في الأرض له في كل نبات منفعة ، فنه البواء ومنه الغذاء ومنه الروائح العطرية ومنه خشب السقف ومنه شبابيك المنزل وبعض السفن في البحر والزيت والفاكهة الزيتي منها والعطري والمائي والحضي والكسرى واللز (إن في ذلك) أي في انبات تلك الأصناف وفي كل واحد منها (آية) على ان الخالق تام الحكمة عليم صانع النعمة واسع القدرة وقد علم الله أن أكثرهم قد طبع على قلوبهم فلا يبري ايمانهم (وما كان أكثرهم مؤمنين • وإن ربك هو العزيز) في انتقامه عن كفر (الرحيم) لمن آمن منهم وتاب • انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول • وههنا لطيفتان

﴿ اللطيفة الأولى في معنى - طسم - ومعنى - كيعص - ﴾

هذا ما فتح الله به في فجر يوم الأحد ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٨ في معنى - طسم - وفي معنى - كيعص - ومعنى - كيعص - لم يخطر لي إلا في هذا الصباح ، وذلك أن المقصد من هذه الحروف توجيه النفوس الى المعاني المهمة في السورة من تعليم وتهذيب ، فترى أن الكاف تشير الى أن تذكر قصة زكريا في أول السورة وأنه دعا الله أن يجعل له وليا يكون نافعا لني اسرائيل بعد وفاته فأجيب دعاءه ، والسبب في الاجابة أن هذا السماء قصد به العموم لا الخصوص ، فليعلم المسلمون أن الانسان لاتتم إنسانيته إلا بأن يوجه همه للنافع العامة كما في أمر زكريا ، وهذه المعاني استنتجت من هذه القصة لمكان الكاف في زكريا وفي اذكر ، وأما الكاف في ربك فكانه يقول سبحانه ان ربه هو ربك أيها المسلم فلتفعل ما فعلوا فإن الله يبينك كما أعانهم وهذا هو المقصد من القصص فإن القصص إنما يراد للتذكير والقدوة

(الهاء)

قد جاء في قوله - وهزى اليك بجذع النخلة - القصد من هذا أن تكون الأم الإسلامية قائمة بأعمال الظاهر وتوجهه الباطن ، فتوجه الباطن تقدم في قصة زكريا واستجيب دعاءه واليه الاشارة بلفظ (كاف) وتوجه الظاهر هو الأعمال الظاهرة من عمارة الأرض ونظام الجمهور من الامارة والصناعة والزراعة والتجارة وهذه يشار لها بقوله - وهزى اليك بجذع النخلة - ليعتدل الناس في أعمالهم ، ومعنى هذا أن الحياة ترجع لنفوس تتوجه وأجسام عاملة ، فكما أن الحياة ترجع للروح والجسم هكذا أعمال الناس ترجع لعمل الأرواح وعمل الأجساد والأرواح عملها مقدم على عمل الأجسام كما تقدمت قصة زكريا على قصة مريم التي هزت جذع النخلة

(الياء)

هي الياء في يحيى تذكيرا بماله من المزايا الشريفة إذ هو أخذ الكتاب بحجة واجتهاد وكان رؤفاً وطاهرا وتقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وهذه الصفات أوجبت له السلام ، فليكن المسلم متصفا بهذه الأوصاف فإنه ينال عون الله له ، والقصد من هذا الاتصاف بمحاسن الأخلاق الباطنة

(العين)

وهي في عيسى وعبد الله ، ولا جرم أن أهم ما في قصة المسيح انه عبد الله وذلك هدم لما يزعمه النصارى وهذا ملخص ما ذكر في أمر عيسى وكل ما ذكر فيها من تاريخه وتاريخ الأحزاب واختلافهم بعده يرجع الى أنه عبد فني قلنا انه عبد فقد ذهبت جميع الأوهام في أمره

(الصاد)

حرف الصاد جاء في - صدقا نبيا - وفي الصلاة وفي الصالحين وفي - صليا - وهذا كله راجع للأعمال الصالحة من صلاة وصدق في علم وعمل وصلاح وتقوى ، وجاءت الصاد أيضا في أول - واسطبر عليها - فالصبر والصلاة والصدق والصالح هي التي عليها مدار دين الاسلام . إذن هذه الحروف تجمع فضائل الأعمال في هذه السورة وقد ذكرت مرتبة في الأغلب على ترتيب هذه المعاني التي رجع ملخصها الى أن التوجه للصالح العامة يستجاب الدعاء فيه مع انه لا بد من احكام الأعمال الظاهرة الدنيوية البحتة والا كان قصدا كما فعلت مريم بهز الجذع ثم لا بد من تطهير العقيدة بنقد الاسكال على المخالف كعيسى وكل تقى صالح في الأرض فانهم عباد الله . ومنى طهرت العقائد وأخرج منها التوجه لمخلوق ما من المخالقات مثل عيسى وغيره هنالك لا بد من الصلاة والصالح والصبر والصدق فهذه أهم الأعمال الظاهرة . إذن دين الاسلام يجمع بين الدعاء بتوجه القلب والعمل في الدنيا وعبادة الله وحده والقيام بالعبادات الظاهرة كالصلاة والأخلاق الباطنة كالصدق . إذن هذه الحروف في أول سورة مريم أنزلها الله تذكيرا للمسلمين في زماننا هذا ، وبيان أنهم ظنوا أن الاسلام لا يعني بأمور الدنيا فقال (ها) وظنوا أنه لأفضلية إلا في الأعمال الظاهرة فقال . كلا . الصدق والصلاة والصبر كلها من واد واحد ، فلا الصلاة وحدها كافية عن الصبر والصدق كما يظنه الجهلة من المتعبدن ولا الصدق والصبر بخفيين عن الصلاة كما يظنه الملحدون في عصرنا الذين يكتفون بالمنافع العامة وحدها ويهجرون البيانات

هذا ما ظهر لي اليوم وفتح الله به في - كهيعص - . أما - طسم - فإن الطاء قد جاءت في - لأقطع - وفي - أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين - وفي - ونطمع أن يدخلنا - ولا جرم أن هذين العيين هما أهم المقصود من قصة موسى وفرعون في هذه السورة فإن القصة مسوقة لكافر يفتني على مسلم ، وآخر عمل يصمله معه أن يقطع يديه ورجليه فما كان من المسلم وهم السحرة إلا أنهم رضوا أمر الله وطعموا في المغفرة فإن هذه الانسانية مغموسة في هذه الأرض غارقة في حثائها ، فبهذا التعذيب يطعمون في رجة ربهم وهذه هي

التي بها عمل عمار وصهيب وبلال وغيرهم عن عذابهم أهل مكة فصبوا و بعضهم مات من التعذيب كما ذكر في أمر سحرة فرعون . إذ أن الطاء تنبيه على العبرة في هذه القصة . ولاجزم أن قصة إبراهيم بعدموسى فيها هذا المعنى وإن لم يصرح به في السورة فهم أرادوا تعذيبه ولكنه صبر وطمع في رجة الله فرجه ، فالتار التي أرادوا إلقاءه فيها في سورة أخرى قد نجح الله منها وهذا الاضطهاد عرفه الغفران المفهوم من قوله - أطمع الخ - ومثله نوح أمين فطمع في رجة الله فأنالها وهود وصالح ولوط وشعيب . إذ أن الطاء التي في أقطر وأطمع وأطيعون تضمنت المقصود من هذه القصص كلها . أما الميم فهي للدلالة على الرحمة الشاملة في العوا لم كلها لأنه بعد كل قصة يقول - إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم - فذكر الرحيم المختصة بالميم (لأمرين * الأول) الإشارة إلى الفاصلة المذكورة (الثاني) الإشارة إلى أن الرحمة غالبية على العباد مع معاصيهم ، فأنه خلق الكافر والمسلم وعم الجميع بالرحمت الدنيوية فوق ما أعطى المؤمنين من المغفرة الدنيوية . وأما السين التي بين الطاء والميم فذلك للإشارة إلى أن أهل الأرض (قيمان) قسم له السلطان فيها بقوة رجائية وهم العباد المخلصون من الأنبياء وغيرهم المشار لهم بقوله - وتقبل في الساجدين - المبذورة بحرف السين ، وقسم لاسلطان له إلا بالأكاذيب كالشياطين والسحرة ورجال السياسة الذين ينشرون الأخبار الكاذبة ليستعمروا الأم ، ولاجزم أنك ترى كثيرا من دول أوروبا يتعمدون ادخال الحشيش والحقن والكوكايين والمواد المخدرة كلها وينشرون الخلاعة . ولقد شاهدت ذلك بنفسى في بلادنا المصرية فأننى كنت ليلة في عرس دعيت إليه وقد أحضر صاحب هذا العرس موسيقى الجيش فرأيت العسكر في الموسيقى ينفون بغنائهم أجهل البنات وذكر الوصل والحب وكل المغاني السافلة الذنبة غلاطيت رئيسهم وقلت له إن هذه المغاني تورث أحقر الصفات في الشعب مع أن رجال الجيش هم أهل مثل للشجاعة فأخفته العبرة وبكى بكاء مرأ وقال هكذا أمرنا رئيسنا في الجيش الانجليزي ولما عارضته عاقبوني ، وذلك حصل أيام أن كان لصهرية (برلمان) مصرية ولكن لاحول لها ولا قوة ، فهذا نوع من إلقاء السمع فلافرق بين تعليم رجال البول المستعمرة في الشرق وبين إلقاء الشيطان في قلوب الناس ولذلك يقول الله تعالى - قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس - فأنه جعل الوسواس الخناس للموسوس في صدور الناس (طائقتين) طاقة هم الجن وطائفة هم الناس ، فوسوسة الناس هي أعمال المستعمرين الذين يقولون لابد من إضلال الأمم المحكومة حتى يكونوا دائما تحت إمرتنا . إذن السين تشير إلى الساجدين والذين يلقون السمع ، فالأولون هادون والآخرون مضلون والشعراء من القسم

الثاني والمجد لله رب العالمين . كتب يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٨

(اللطيفة الثانية)

يقول الله لا تجزع يا محمد ولا تحزن لعدم إيمانهم ، أفتريد أن أنزل عليهم صواعق من السماء أو أسقط السماء عليهم كسفا حتى يظلموا خاضعين لها ويؤمنوا كما آمن فرعون عند وقوع العذاب . إن الإيمان عند وقوع العذاب لا يفيد . إني لا أفعل ذلك معهم لأننى سأخلق منهم قوما يؤمنون بى ، ومن كذبوا بآيات القرآن اليوم فسأنزل عليهم غضبي فيعرفون الحق إذ ذاك ، وكيف يكفرون بى وقد نصبت لهم الدلائل الواضحة والآيات الباهرة في النبات وأبنت هذا لهم يشاهدونه صباحا ومساء وهم عنه غافلون ، وكيف ينفلون عن العوالم المشاهدة لهم ويعيشون وهم لا يفقهون ، إن هذا القرآن نزل لارتقاء العقول فلاحاجة إلى تلك المزعجات الساجوبة والصواعق النارية لأننا أنزلناها على الأمم الغابرة والأجيال البائدة فما أغنت عنهم ولا انتفعوا بها ومات أكثرهم وهم كفرون . أما هذه الأمم المستقبلية فشايعها الحكمة والعلم ، فانظروا أيها الناس لنبات فكم خلقنا فيه من زوج بهيج أى نوع أوصف حسن ثم قال - إن في ذلك لآية - أكد بأن واللام والجمة الاسمية ونكر الآية للتعظيم

ومن المزمّن والمزّم أن يمرّ المسلم على هذه الآية وهو غافل عن النبات ، فيا لها من الذكر المطلع على هذا التفسير سألتك بالله الذى أنزل الكتاب وخلق النبات أن تكون مرشداً للمسلمين لهذا العلم ، فقد أصدقائك وأصحابك وأحرسه دراسة هذه صورتها ، وذهب إلى الحقل وقرأ هذه الآية ثم تقدم إلى أنواع النبات وانظر إلى تنوعها واختلافها ، وإياك أن تكسفي بالظواهر ، إياك أن تقول أما آمنت بالله وكفى فهذا قول العامة بل الإيمان بالله يقضى التغافل في النظر إلى عيب إقنان صنعه ، فإذا ذهبت إلى الحقل رأيت آيات

﴿ الآية الأولى . تنفس النبات ﴾

إن الانسان والحيوان يتنفسان وهكذا النبات يتنفس . إن الانسان يخرج بنفسه من غاز حامض الكربونيك كل يوم (٢٥٠٠) جراماً من الكربون الصرف ، وعلى ذلك لودام الانسان والحيوان يتنفسان على طول الزمان لازم أن الهواء الجوى ينفذ ويموت الانسان والحيوان بعد زمن وإن كان طويلاً لأن الاكسوجين الذى يمتصه الجنس البشرى فى السنة الواحدة (١٦٠٠.٠٠٠) مليون متر مكعب . ويقال إن الحيوانات الباقية تنفس أربعة أضعافه ، فإذا كان هذا هو الذى يمتصه الحيوان وكان ما يخرج من الفم بالمقدار المتقتم بحيث يكون سكان القطر المصرى وحدهم يخرجون من أفواههم فى السنة (٤٠٠.٠٠٠) طن من الفحم فى السنة ، فإذا تصورنا عموم ذلك فى كل حيوان وانسان تصورنا كيف يمكن فناء هذه الالياء بعد حين ولكن انظر إلى عجائب المنعة الإلهية . انظر إلى حكمة بدية وآية غريبة . ذلك أن النبات يحتاج فى تركيبه إلى الفحم وذلك الفحم إنما يأخذه مما لفظه الحيوان وهو حامض الكربونيك وفيه اكسوجين و كربون أى خـم ، فانظر كيف سار ذلك الحامض الكربونيك من الحيوان إلى النبات ودخل فى جسمه وحل هناك بعملية تحت تأثير الشمس ولفظه النبات إلى الجوّ . ألا تتعجب من كيف تركب الاكسوجين والكربون فى جسم الانسان والحيوان وكيف لفظه الحيوان فدخل فى جسم النبات فتحلل هناك بتأثير الشمس ومضى تحلل خرج الاكسوجين إلى الهواء فدخل فى أجسام الناس والحيوان بصفة عملية التنفس . أليست هذه آية من آيات الله وعجائبه . يارب إن الناس غافلون بل ربما يمرّ عالم النبات على هذا وهو غافل عن تركيب هذه الدنيا يعيش ونحن لا ندري أن هناك معامل تحلل لنا حامض الكربونيك وتلك المعامل فى النبات ولا ندري أن لطف الهواء بالاكسوجين والاكسوجين يأتي من النبات ونعيش ولا نعلم أن أقماسنا تخرج فى الهواء خـمًا وذلك الفحم يصير فى النبات الذى نلبسه ونوقد به النار وتتغذى به وتتداوى وغير ذلك

﴿ الآية الثانية ﴾

اعلم أن النبات لا يتنفس إلا الاكسوجين النافع لنا إلا تحت تأثير الشمس ، ألا ترى أنك لو وضعت عشباً نامياً تحت إماء زجاجي يسمونه فى علم الطبيعة (قابلة وضعية) وهذا الاماء بشكل اسطوانى فإذا وضعته مقلوباً وهو مملوء ماء فى إماء فيه ماء بحيث يبقى الماء غامراً العشب فى القابلة وعرضه للشمس فلا تلبث أن ترى فقائيع غاز صغيرة تظهر على سطوح الأوراق ثم تصعد إلى أعلى القابلة ويدفع للماء تحتها ولا يزال الغاز يجتمع هناك حتى تمتلئ القابلة منه وهذا هو غاز الاكسوجين الصرف فلما أدخلت فيه شمعة مشتعلة زادت نوراً شديداً وهذا دليل على أن هذا هو الاكسوجين . أما إذا كان ذلك بالليل فإن النبات لا يتنفس الاكسوجين بل يخرج بالليل حامض الكربون كما يفعل الحيوان لأنه لا يستخرج الاكسوجين إلا بتأثير الشمس فإذا نام الناس فى غرفة مغلقة فيها عشرة أعشاب حية فإن هواء الغرفة يفسد بنفسها كما يفسد بنفس عشرة أشخاص ، واعلم أن تنفس النبات بالليل ليس كثيراً كتنفسه بالنهار فلا يلزم من ذلك فساد الناس بينه وبين الحيوان فى التبادل فافهم

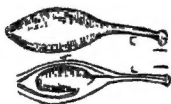
﴿ الآية الثالثة ﴾

اعلم أن النبات يتساعد منه بخار كما يتساعد من البحار والبحيرات وإليك يقول العلماء أنه كلما كثرت الشجر

في بلد زاد المطر لأن البخار يذهب إلى الجو كما يذهب من البحر ويكون سحاباً ، وقد جرب ذلك الاستاذ (موشبروك) في (ليندن) فانه غطى العشب بقبالة من الزجاج باحتراس فرأى على سطوح الأوراق قطرات من الماء وهي المسماة بالندى ، وعلى ذلك استنتج العلماء أن أكثر ما يراه الناس على النبات من الندى ليس من السماء وإنما هو من البخار المتصاعد من النبات ولذلك وجدوا انه يتصاعد من بعض النبات مضاعف وزنه ماء في اليوم واليلة ، وهناك نباتات تتقدم ذكرها في هذا التفسير تسمى (نبات الأباريق) تنتهي بأقذاح اسطوانية تمتلئ ماء به يسقي الناس ويغاثون من الهلاك فتعجب من صنع الله تعالى . انظر كيف كانت الشمس مرسلة أشعتها على البحر وعلى النبات فإذا فعلت ؟ أطارت من البحر بخاراً فصار سحاباً وحملت من النبات أكسوجينا فلفظ الجوف تنفسنا . فانظر كيف أثارت الشمس البخار من البحر والاكسوجين من النبات فكان المطر لحياتنا والاكسوجين وهم الأهم لتنفسنا ، فيألت شعري هل للإنسان دخل في تحليل الاكسوجين أو في صعود الماء بخاراً ان الانسان في الحالين يقول ما يقوله المسلم في الصلاة عند الرفع ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجند منك الجند ﴾ . يعيش الانسان ويموت وهو في جوف من الاكسوجين حالته الشمس من النبات وفي نعمة النبات والحيوان والماء بسبب خروج البخار من البحر بحرارة الشمس وبخروج البخار من النبات فيرتفع إلى أعلى فيصير سحاباً وقد تطاير بخاره من النبات الذي هو المخزن البرزخي للماء كالبحر

﴿ الآية الرابعة . الزهرة . الزهرة ﴾

قلت لك في أول هذا المقام خذ أحبابك واذهب إلى الحقول والزهر والبساتين . قلت لك ذلك ولكن لم أشرح لك شيئاً في الحقل إنما ذكرت لك أشياء عامة ، فهناك ما تدرسه وأنت في الحقل وبهذه الدراسة درست سورة الشعراء ومقصودها ودرست علوم القرآن ودرست علوم حب الله تعالى ودرست الدين ودرست التوحيد وكنت في نفس الوقت عابداً . كلا . كلا . فأنت أفضل من ألف عابد لأنك بعد هذا البرس الآتي ستكون عالماً حقيقة مطعماً على آثار جلال الله الظاهر البديع المدهش . انظر معي ألمحك الله العلم وعشقك في الحكمة وحبك في لقائه والنظر إلى وجهه الذي من مقتضاته دراسة مخلوقات بشوق ولطف وحب (انظر شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ وشكل ٥)



(شكل ٣)



(شكل ٢)



(شكل ١)



(شكل ٤)



انظر الى الشكل الأول فان الزهرة قطعة واحدة وزاه في حقولنا المصرية كثيرا وشكل ٢ ترى فيه الزهرة مفصلة أوراقها ، وفي شكل ٣ ترى عضو الاناث مكوتا من خيط ينتهي من أعلاه بجسم مفرطح يسمونه السمة وأسفله يسمونه المبيض وهذا المبيض فيه بويضات صغيرة وهي أصول البذور يتكون منها بعد التلقيح الفر وشكل ٣ عضو الذكور وأعضاءه الذكور تكون حول عضو الاناث وهي خيوط صغيرة يعاوها جسم صغير منتفخ يسمى بالاثير أوفيه مسحوق وهو الطلع ووظيفته كوظيفة المني وقد تعددت أعضاء الذكور في الزهرة حتى اذا فسد بعدها قام الباقي مقامه والذكور حول الأثي كأنها تحفظها وهذه الذكور تحيط بها أوراق التويج للحفظ وللزينة وأوراق التويج تحيط بها أوراق الكاس لحفظها من حوادث الجو والشكل الخامس هو الشكل الذي رسمناه في سورة الأنعام ونعيده هنا لزيادة الفائدة ، فلزهرة الكلمة مؤلفة من حافظ لشكلها محيط به ووسط داخل في ذلك المحيط والمحيط بها مؤلف من طبقتين والأوراق الخضر المسماة بالكاس ، والأوراق الملونة التي في داخلها المسماة بالتويج وهي ملونة بألوان بهجة تسمى الناظرين وتسمى أوراق الكاسي بسلا وأوراق التويج بتلا ، والذي هو في الوسط (قسمان) أعضاء الذكور وهي المسماة بالاسدية جمع سداة وللسداة كما رأيت في الشكل مركبة من خيوط تنتهي بجزء منتفخ فيه طلع وهذا الانتفاخ يسميه النباتيون (الاثير) والذي عليه هو الغبار أو الطلع أو البيلن ، والقسم الثاني أعضاء التأنيث وهي المسماة بالمذقات جمع مدقة كما رأيت في الرسم وهذه المذقات تنشأ من قاعدة الزهرة وهي المسماة (التخت) وأسفل المدقة يقال له مبيض وأعلاها يسمى السمة وما بينهما يسمى (الفر) ، وقد تقدم إيضاح هذا في سورة الأنعام وفي سورة طه

فاذا ذهب الى الحدائق والحقول فاقن هذه الأربعة واعرفها فان الكاس والتويج هما الحافظان والأسدية والمذقات هم المقصودات بالانث ، فانظروا تعجب ترى المذقات تقوم مقام الاناث في الحيوان والاسدية تقوم مقام الذكور وانك تجد كل أثي قد عطف على الذي يجانبها وهو قد انطف نحوها كما رأيت في الرسم وكيف يكون التزاوج بينهما ، كيف يكون ذلك وأكثر الناس لا يعلمون ، يقول الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - تناقض واختلال . انظر تجد أن الطلع وهو الغبار للمس (البيلن) يقع من الاثير على السمة في أعلى المدقة فيلقح بذورها في المبيض بأسفل المدقة . إن البيلن للذكور غبار دقيق اذا بحثناه بالآلة المعظمة وجدنا أشكاله هندسية منها الكروي والمربع واليضي والمستطيل والمثلث ومنها الأملس والمخطط والشائك واذا أمكنك بحث مدقة من ذلك الغبار وجعلتها تحت المنظار العظم وجعلتها عبارة عن حويصلة لها غلاف مزدوج وفي جوفها سائل سب . فمكيات تعد ما ملايين سموها (الاحياء الأثيرية) فالاسدية والمذقات

تجتمع في زهرة واحدة كما رأيت ويقع الغبار على السمة فيتعلق بأهداب لها هالك ثم ينزل الغبار المذكور وله تنوء يستطيل ويحترق القلم حتى يصل إلى أسفل المدقة وهو اللبض وفي هذا المبيض جراثيم البنجر فإذا لامسها ذلك التنوء النازل من الطلع تلقحت ونمت ومارت بفرا إذا بلغ وغرس في الأرض نبت وأثمر . هذا إذا كان في زهرة واحدة وهي القاعدة العامة وذلك كالورد والنفسيج والآس والرمان والشقيق والدفلة وقد تكون سلة واحدة ومدقة واحدة في الزهرة كما في نبات مائي يسمى (ذنب القرس) وقد تكون الاسدية على زهرة والمدقة على زهرة أخرى في النبتة الواحدة وذلك كالخليل واليقطين والكستنة والكوسا والقرع وقناه الحمار وقد تكون الاسدية على شجرة والمدقة على أخرى كما في الصنوبر والصفصاف والبطم والتين

(الزهرة الكاملة)

الزهرة الكاملة هي التي لها كأس وتويج وسداة ومدقة كما رأيت وان قد منها واحد فأكثر فهي غير مستوية
هي الزهرة التي تشابهت فيها أقسام الكأس والتويج كالنوخ والكروز والوزان اختلفت سميت الزهرة غير قانونية مثل (البسة) و (رأس السمك)

(الزهرة المنتظمة)

هي التي أوراق الكأس والتويج والاسدية فيها على عدد واحد أو مضروب عدد واحد . اذا فقدت الزهرة الاسدية والمدقات فهي عقيمة لا يكون لها بزور كبعض الزهور البستانية الراهرة الفتو وكالورد البستاني اذا فهمت ما ذكرته لك عرفت كيف قسموا النبات الى أجناس وأنواع ورب وفصائل الخ ذلك انقسم على حسب الزهرة منتظمة وغير منتظمة ، قانونية وغير قانونية ، كاملة وغير كاملة ، وأجزاء التويج وأجزاء الكأس أم متصلة أم منفصلة ، وهل اتصلت بالصف الذي يليها أم انفصلت عنه ، وما عدد أوراق كل من الكأس والتويج والاسديات والمدقات وما أشبه ذلك ، فهذا الاختلاف أمكن تقسيم النبات الى أنواع بلغت ألافاً وآلافاً فنحجب من العلم والحكمة

(زهر العليق)

الزهرة قانونية الكأس خمس قطع متصلة عند قواعدها ، التويج خمس كذلك لكنها متبادلة الوضع مع القطع التي في الكأس ، الاسدية كثيرة ولكنها موضوعة على التويج والمدقة مؤلفة من عدة جوفيات

(الجبازي)

الزهرة قانونية ذات خمس فصوص ، الكأس خمس قطع متصلة ، التويج خمس قطع منفصلة متبادلة مع قطع الكأس الاسدية كثيرة ، المدقة عدة جوفيات متصلة وعدة أقلام وعدة سيات مختلفة

(جمال العلم والحكمة)

اعلم أنه قد يقع على السمة الواحدة التي في أعلى المدقة ألوف ألوف من الغبار الدقيق المنتشر عليها من السداة ، ومعلوم أن الواحدة منها فيها ملايين من مخلوقات سابعة كما قدّمنا ومع ذلك هي لا تحتاج إلا الى واحد من ذلك كله ، فهذه كلها أشبه بخطاب جلاؤا الى عروس واحدة فقبل واحدا وترفض الباقين

(الآية الخامسة - اهتزاز النبات عند التلقيح)

قد لاحظ الأستاذ الفسيولوجي (بورداخ) أن النبات يهتز في أثناء التلقيح اهتزازا خاصا فتعطف السداة نحو السمة وقد تشاركها هذه فتعطف نحوها كأنهما تتعاطان ، ثم ان الحرارة تظيم في أثناء التلقيح وبعض النبات لا تعرف اشتداد حرارته عند التلقيح إلا بقياس دقيق وبعضها تظهر بالترمو متر لعتاد وبعضها ترتفع وتشتد الحرارة حتى اذا لمست الزهرة شعرت بحرارتها ونجبت كيف لا يحترق الزهرة بهذه الحرارة وذلك كزهرة

النبات المسمى (ارام) بلسان الفرنجة ومنه نوع في ايطاليا تبلغ حرارته (٦٢) يميزان سنكراد وهذا النبات أسديته في زهرة ومدقته في زهرة أخرى وكلاهما على شجرة واحدة كالخيار ، ثم ان تقيح البسات التي هي مفردة الجنس يكون بالهواء أو بالحشرات كما هو واضح في هذا التصير فيما تقدم

﴿ الآية السادسة . النبات بحسّ ويتحرك ﴾

قد ظهر لك مما تقدم أن في الحيوان مبدأ الحس ومبدأ الحركة . قال (بينا) العالم الفيلسوف لوي الفرنساوي المتوفى سنة ١٨٠٢ م « إن في النبات حسا بالسوم ففى تشله والكهربائية تميته ، وبعض النبات اذا سقى الأفيون نام نوما عميقا ، وهكذا الصلابة (جويرت) و (مقار) « إن الحامض البروسيك يسم النبات بسرعة كسرعة سم الحيوان به ، وايضا يلاحظ الناس أن النبات الحساس يشكش اذا لمسته مادة مهيجة . وقال (كلوددورى) « إنك اذا هيجت أطراف ورق الخس حررت بعض عصارته ، إن بعض النباتات التي يستنبتها الناس في القاعات تكون يافعة أثناء النهار ولكنها في الليل تطلق أزهارها وترخى أغصانها وتنام ، هكذا السنت الحساس متى لامست بعض أوراقه انطبق بعضه على بعض وذبل ، فالحس في هذا النبات تبعته الحركة كما علمت ، وهناك نبات هندي اسمه (دسوديا) اذا أشرقت الشمس عليه تحركت ررقان فيه بالتقارب والتباعد على السواء كمقرب السقاقي في الساعات ، واذا قطعت غصنا منه غلت أوراقه تتحرك بعد القطع مدة طويلة وربما كان ذلك بضعة أيام ، ومنها (مصيدة الفأر) وهو نبات له غدود اذا وقعت فيها ذبابة انطلقت أهدابها عليها ولسعتها بأشواكها ، فاذا حلوت الذبابة الفرار اقتضت الكاس عليها حتى تمخض أنفاسها ، واذا اردت فتح الكاس يديك عنوة تمزقت ولم تنفتح وانما تنفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

﴿ الآية السابعة ﴾

يشاهد في كثير من الأزهار أن السداة عضواً كبير والمدة عضواً نابت كالفهم في زمن اللقاح يهتان اهتزازا ظاهرا أحدهما نحو الآخر لاتمام اللقاح وقد تنطلق احدهما دون الأخرى وبعض الأزهار المائية تطفو نهرا على سطح الماء فاذا جاء الليل غاصت في قاع البحر

﴿ الآية الثامنة ﴾

إن العلماء رأوا أن الطلع وهو المسمى (البكن) الذي عرفته فيما تقدم قد يكون له في بعض النبات أبجعة أو أهداب يسبح بها على الماء أو يطير في الهواء لاتمام العمل الذي خلق له

﴿ الآية التاسعة . شجر المسافرين ﴾

في (مداغشكر) شجرة تسمى (شجرة المسافرين) وهذا النوع يحمل كل واحدة منه ٢٤ ورقة وطولها يختلف ما بين متر ٨٠ سنتيمترا وقد يكون مترين وخمسين سنتيمترا ، وعرضها من متر إلى متر ٨ سنتيمترات وهي أشبه بمظلات ونحت كل ورقة منه ما يشبه القارورة وفيه نحو لتر من الماء الصافي . ويكثر هذا الشجر في الصحارى وينفع المسافرين أيام القيط حيث لا يوجد ماء فيشربون تلك القارورة فيسكب منها الماء الصافي فيبري عطشه ثم يتركها تعود كما كانت أى يلتحم مكان الشق

﴿ الآية العاشرة وهي الأخيرة . شجرة اللبن ﴾

هذه الشجرة توجد في بلاد أمريكا وأهل المكسيك يستخرجون لبنها . وقد كشف هذه الشجرة (اسكندر همبولت) وقد حلل العلماء لبنها فوجدوه كاللبن الحيواني وهو أكثر شربا بالقشدة وفيه أيضا مقدار كبير من شمع يشبه شمع العسل وأشاروا بترية هذا الشجر لارتفاع شحمه وهذه الشجرة من الفصيلة الهلالية تنبت في أواسط أمريكا وتبلغ في الارتفاع ثلاثين مترا وغنى في (قزولا) حيث تقل الأمطار وقد تمز على الشجرة أشهر لاتصيبها قطرة ماء حتى ترى كأنها ميتة فاذا جرحتها بميد أنسكب منها سائل أبيض كبير الشبه

باللبن رائحته بلسمية خفيفة وطعمه يشبه القشدة الحلاة وهو مفيد يمكن تناوله بكميات كثيرة صباحا ومساء
ولا يحصل منه ضرر مطلقا وهو زوج القوام اذا عرض للهواء غشيت مائة صفراء متجمدة كالجلين . ثم ان بعض
النبات يفرز مادة مثل (سن القبل) . فانظر كيف أخرج النبات سن قیل ولبن وشعما وهو أيضا يفيء كاتنتم
في سور قبل هذه ويسقي الناس ماء في الصحراء

أيها الذكي . هذا هو المقصود من قوله تعالى - أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم -
يقول الله لجميع الناس ومنهم المسلمون لأن هذا القرآن تذكرة لنا معاشر المسلمين أجمعين أيها الناس فلم تنظروا
عجائب النبات المذكورة وذلك بعد أن أنذر بقوله - إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين - فكان الله بهذا الكلام يقول للعقلاء إن لم تفكروا في آياتي وتعلوها كالأيات التي في النبات فإني
أهلككم كما أهلكت أهل أمريكا الأصليين وكما أهلكت أهل استراليا . فإنا لا أبقي في ارضي إلا الذين
يخشون فيها عن عجائب صنئتي إن نشأ نزل عليهم من السماء بلية ولكننا أبقيناهم عسى أن يفكروا فيما
خلقنا فيصلحوا لهارة أرضنا فلانهلكهم . هذا هو مقصود القرآن على ما ينشئه الزمن . ومن العجب أن
القسم الثاني من السورة يصف هذا النجوم . ألم ترالى نأ موسى المذكور فيه كيف كانت حجة موسى لفرعون
على هذا الخط فإله لما سأله مرب العالمين لم يحبه بالعسا ولا باليد وانه قادر على ذلك بل ابتداء بما ابتداء به في أول
السورة فقال - رب السموات والأرض وما بينهما - فلما راجعه - قال ربكم ورب آبائكم الأولين - فلما
راجعه - قال رب المشرق والمغرب وما بينهما - فجعل عماد الدعوة راجعا لخلق السموات والأرض وخلق
الانسان والمشارق والمغرب التي كانت من نتائج النور وما بينهما من نبات وسوان وانسان فرجح الأمر الى
النظر في هذا العالم ، فحين من هذه الأساليب القرآنية أن هذا الدين جهله أهله وسيظهر أمرهم ويعلم شأنهم
ويرتقي المسلمون بالعلوم والمعارف والكمال

فمن هذا فليقيم المسلمون قوله تعالى في (سورة ق) - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها
من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * وزكنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات
وجب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد -

فانظر أيها المسلم الذكي كيف قال - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال - رزقا للعباد - فإذا
كان المسلمون لا يقرئ هذه العلوم فقد أعرضوا عن التبصرة والذكرى وأعرضوا عن الرزق لأنه قال - رزقا
للعباد - فهما (أمران) علم وغنى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - فهنا اعراض عن
الذكر وعن الذكرى فتكون المعيشة ضنكا

أيها الذكي قل للمسلمين هذا كلام ربكم يقول - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - أى في
الدنيا - ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حسرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - وآيات الله منها ما ذكرنا وهو إخراج النبات وما فيه من كل زوج كريم والله
يتولى انه جهله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وجهله - رزقا للعباد - فالعرضون عن هذه العلوم
والتحريض عليها أعرضوا عن ذكر ربهم وتكون لهم عيشة ضنكا ، فالعقول خاوية والنور خالية من
الثروة وهذا هو الذى حصل للسدين اليوم ، فالبعائر نائمة والأهم تريد اقتناصهم لجهلهم وتأخذ أموالهم وهم
غافلون لأنهم ليسوا مستبصرين كما أمر ربهم ولم يحافظوا ولم يعيشوا عما خلقه ربهم لهم من الرزق ظلت
العقول من العلوم والجيوب والنور من النقود ، فعليك أيها الذكي أن تعلم هذه الآراء للسدين بما وهب الله
من قوة بيان . وكيف يستنى للسلم أن يدرك قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلك تذكرن *
ففررا الى الله - وكيف يستنى له ذلك إلا اذا درس أمثال ما كتبناه ها وتذكرفيه فبص بأن دافعا يدفعه

الى ربه مشتاقا الى لقاءه أو معرفته كما أحسست في نفسك وأنت تقرأ هذه الآيات العشر وقد دهشت مما رأيت من عجائب ربك . فمن هنا فليفهم لم قال الله - فقرأوا الى الله - بعد قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - ومن هذا نفهم بعض أسرار القرآن التي عجز عنها كثير من الناس . أوليس من هذا السر أن التعبير بالزوجين يرجع الى حال الذكورة والانوثة في النبات . أوليس هذا هو الذي عليه القول عند علماء النبات في قسمه انظر الى ما كتبه العلامة (لينور) إذ شاهد أن الزهر في النبات يتميز وفي أفرقه اما غير متميز بتاتا أو متميز لكن على غير الطريقة التي يميز بها في أكثر النبات ثم أمعن النظر في التميز فترى انه إما خشن وإما ناعم وأما ذكر وإما أنثى وأن الزهر الخشن يختلف في العدد والوضع واجتماع أعضائه التذكير والتأنيث . وأن الزهر سواء أكان ذكرا أو أنثى إما أن يكون ذا مسكن واحد أو مسكنين أو كثيرا للمساكن وعلى ذلك قسم النبات الى (٢٤) رتبة

الأول أحادي أعضاء التذكير . ثنائي أعضاء التذكير . ثلاثي أعضاء التذكير والرباعي والخماسي والسداسي والسباعي والثلاثي والتساعي والعشاري وذو أحد عشر عضواً تذكير . الثاني عشر أعضاء التذكير فيه زائدة عن (١٩) مندغمة في التويج . الثالث عشر أعضاء التذكير الزائدة عن (١٩) مندغمة في أسفل المبيض . الرابع عشر له أربعة أعضاء ذكور اثنين أطول من اثنين . الخامس عشر له ستة أعضاء ذكور أربعة أطول من اثنين . السادس عشر أعضاء التذكير للجمعة خزمة بواسطة خيوط الحشفة . السابع عشر فيه أعضاء التذكير اجتمعت خزمتين بواسطة خيوط الحشفة . الثامن عشر فيه أعضاء التذكير اجتمعت خزما كثيرة بواسطة خيوطها . التاسع عشر فيه أعضاء التذكير اجتمعت خزما بواسطة (الاثني عشر) وقد عرفتها فيما تقدم . العشرون فيه أعضاء التذكير اتصفت ببعض التأنيث . الواحد والعشرون فيه أعضاء تذكير وتأنيث وخشائي في نبات واحد . الثاني والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نباتين . الثالث والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نبات واحد أو أكثر . الرابع والعشرون نباتات خفية أعضاء التناسل

هذه هي الرتب والرتب تنقسم الى أجناس عالية والجنس العالي يشتمل على أجناس والجنس على أنواع

(الحروف الهجائية والزهرة)

أفلمت ترى أن الزهرة بما فيها من كاس وتويج وعضو تذكير وعضو تأنيث واتحادها عددا واختلافها واقترانها واجتماعها وما أشبه ذلك كوّنت رباً وأجناساً وأصنافاً العلماء فبلغت (٣٢٠) ألفاً . أليس هذا العدد كله نتج من اختلاف هذه الأعضاء وجوداً وعدماً وكثرة وقلة واجتماعاً واقتراحاً على آراء بعض العلماء فأشبهت الزهرة فم الانسان فانه جمع (٢٨) حرفاً أو (٢٥) أو أقل وأكثر وبهذه الحروف كوّنت لغات فالحروف للعبادة كوّنت لغات والأعضاء المعبودة في الزهر باختلافها كوّنت رباً وأجناساً وأصنافاً في النبات - فبارك الله أحسن البركات - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

(القسم الثاني)

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ إِنَّا بِكَ لَظَاهِرٌ * قَوْمٌ فَرِيعُونَ لَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضَيِّقُ صَدْرِي وَلَا يَتَخَلَّىٰ لِي سَبِيلًا فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ * قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكُنَا فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ مُّهِمَّةٍ مِّنْ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتَنِي إِلَىٰ فَعَلْتَنِي وَأَنْتَ مِنَ

الْكَافِرِينَ • قَالَ فَمَلَأْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ • فَحَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ
 لِي رَتْنِي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ • وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ •
 قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ • قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ •
 • قَالَ لِمَنْ حَوَالَةُ آلَتِئْسَ مَعُونُ • قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ • قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ
 الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجُنُودٌ • قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ •
 قَالَ لَنْ أَمُخِّدَ إِلَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ • قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ •
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَلَمَّا هِيَ بِيَمِينِهِ لِلنَّاطِقِينَ • قَالَ لِلْإِسْلَامِ حَوَالَةُ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَلَمَّا تَأَمَّرُوا • قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ •
 يَا ثَوَكُ بِكُلِّ مَسَاحِرٍ عَلِيمٍ • لَجَّعَ السَّحَرَةُ لَيَقَاتِ يَوْمٌ مِثْلِهِمْ • وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ
 مُجْتَمِعُونَ • لَعَلْنَا تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا تُمُّ الْعَالِيِينَ • فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ
 أَئِنْ لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَخْضُ الْعَالِيِينَ • قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْقُرْآنِ • قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى أَتَقُولُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ • قَالُوا نَحْنُ أَجْبَأُ لَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بِيْرَةُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْعَالِيُونَ • فَأَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ • فَأَتَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ •
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ • قَالَ بَلِ اسْتَمْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي فَلَسَكُمْ السَّحَرُ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَانَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
 خِلَافٍ وَلَا مَصْلَبَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ • قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ • إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَشْفِيَ
 لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ • وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ
 مُتَّبَعُونَ • فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ • وَإِنَّهُمْ
 لَنَا لَنَاقِطُونَ • وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
 كَرِيمٍ • كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ • فَأَتَبَهُمُ الْمُشْرِكِينَ • فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَحْنَانِ
 قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ • قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَتَهْدِيَنِي • فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ • وَأَزَلَفْنَا فِئْمَ الْآخَرِينَ

• وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ • ثُمَّ أَفْرَقْنَا الْآخَرِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ •

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (واذ نادى ربك موسى) أى واذا ذكرى وقت ذلك (أن انت) أى انت (القوم الظالمين) بكفرهم واستعبادهم بنى اسرائيل واذلالهم ثم أبدل منهم (قوم فرعون) أى فرعون وقومه (الآيتون) أى انتهم زاجرا لهم فقد أن لهم أن يقتلوا وهذه الجثة مستأفة للحدث والاغراء (قال رب إني أخاف أن يكذبون) الخوف غم يلعق الانسان لأمر سيقم (ويضيق صدرى) يشكدهم إلى محطوف على - أخاف - (ولا يبتلع لسانى) وذلك للعدة التى كانت على لسانه (فأرسل إلى هرون) ليوازيه ويسبى (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلون) به (قال) تعالى (كلا) أى لن يقتلوك (فاذهبوا بايتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ما يقولون وما يقال لكم (فاتيا فرعون فقولوا إنا رسول رب العالمين) الرسول يكون بمعنى المرسل فىنبى ويجمع ويكون بمعنى الرسالة كما هنا وهى مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع فهو مصدر وصف به ، ومن هذا المعنى قول الشاعر

قد كذب الواشون ما فقه عندهم • بسر ولا أرسلتهم برسول

أى رسالة ، وقوله (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) بمعنى أى أرسل لأن معنى الرسول يتضمن الارسال والارسال فيه معنى القول فتكون - أن - مفسرة ، يقول خل بنى اسرائيل يذهبوا معنا إلى فلسطين فاتيا فرعون فقالا أرسل معنا بنى اسرائيل (قال) فرعون جوابا لموسى كيف تنكرنعتا عليك ونحن غديناك وربيناك وعليناك (ألم نربك فينا ولينا) أى ألم تكن صغيرا فريناك (ولبت فينا من عمره سنين) قيل ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشرين سنين ثم عاد إليهم بدعوتهم إلى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الفرق خمسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى ، قال ذلك توبيخا له بعد تعدد النعم عليه (وأنت من الكافرين) بمعنى إذ قتلت أحد خواصى ، وهذا القول من فرعون يتضمن (أمرين • الأول) المن على موسى بالترية وهو طفل (الثانى) توبيخه بأنه كفر نعمته بقتل القبطى فأجاب عن الثانى لأنه أهدم (قال فعلتها إذن وأنا من الضالين) من الجاهلين أو من المخطئين لأنه لم يعتمد قتله أو من الظالمين مما يؤول إليه الوكر لأنه أراد به التأديب بقاء القتل خطأ (فضررت منكم) إلى مدين (لما خنتكم فوهب لى ربى حكما) (وجعلنى من المرسلين) فليس ذلك قدسا فى نبوتى كما يظهر من كلامك • وأجاب عن الأول بقوله (وتلك نعمة) أى أولئك نعمة (بمنها على) وهى (أن عبدت بنى اسرائيل) وتركيتى وحذف هزة الاستهزاء هنا كتحذفها فى قول عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقتها • وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة • تركنى هكذا وتطلق • يقول وهل تلك نعمة بمنها على وهى أنك استعبدت بنى اسرائيل وتركيتى فلم تستعبدنى • وكيف تمن على بالترية وقد استعبدت قوبى ومن أهين قومه فقد ذل فاستعبادك بنى اسرائيل أحبط احسانك إلى ولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى ترينى وتكافئى ولكن لى من أهلى من يرينى ولم يلقونى فى اليم • وهذه الأجوبة الشريفة السديدة يجب أن تكون أجوبة الشريكين لأهل أوروبا فقد استعبدوا أمراءهم والأمراء يخوفون الأمم ويذلونهم بما نالوا من المال والجلاء على أبهى أهل أوروبا • فليقل كل مسلم للأوروبي الذى له عليه يد كيف تمن على وأنت أذلت أمنا ولولا اذلالك لما لم تعطى تلك النعم • فذلك الخبرات من بلادى ولافضل لك إلا كما تفضل فرعون على

موسى . إن الله ماقص هذا القصص إلا للاعتبار والذكاء وتفهم الأمم الإسلامية كيف تكون المحافظة على العشيعة وعلى الأهل . وكيف يقاوم الغاصبون الظالمون . وكيف يجب أن يقلب الناس لهم ظهر الجحش إذا أساءوا معاملة الأمم المظلومة وأن يتكبروا انعامهم فأما انعام الأمم الفاضلة كأنعام المومنين بيننا مسجد كما قال الشاعر

بنى مسجدا لله من غير حله * فكان بحمد الله غير موفق

مقطعة الأتنام من كذفرجها * فويلك لارتقى ولا تصدق

ولما سمع فرعون الجواب ورأى أن موسى لم يرجع بما خاطبه به شرع في الاعتراض على دعواه (قال فرعون وما رب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما هو؟ (قال) موسى يحيا له (رب السموات والأرض وما بينهما) طلب فرعون الحقيقة والحقيقة ان كانت للأتباع فبالترتيب وان كانت للأفراد فاتها بالتحليل والمسؤل عنه هنا لأجزاء له لأنه غير مركب فذلك أجاب بأظهر الخواص وهو انه ربي السموات والأرض وما بينهما (إن كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الأشياء بالليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلا والايقان هو العلم الذى يستفاد بالاستدلال (قال) فرعون (لن حوله) من أشرف قومه (الاستمعون) محبا قومه من جوابه يقول يقوم تحبوا من موسى سأله عن الحقيقة فأجاب بذكر الأفعال فأجاب موسى مستدلا بما هو أقرب الى أنفسهم وهو التماسل المستمر فى النبات والحيوان والانسان والجانب التى تقمت فى القسم الأول وشرحناها بما تقر به أعين أهل العلم وذكروا ما هو أهمها وما كان القصد الأكبر منها وهو الانسان وأجابه (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) ومن نظر فى علم الأجنة وعلوم الأمم وعلوم التشريع وعلوم الطب أدرك نظاما بدعا يدعش القول . ففى فرعون فى موقفه يريد الاجابة بالحقيقة بالأفعال (قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لنحون) أسأله عن شئ ويحبنى عن آخر فأجاب موسى بجواب الشمس وشرقها وغروبها وانتظام مداراتها وتنوع المشرق والمغرب كل يوم بحيث لا يحتل لحظة يشرب بذلك الى علوم الفلك وجبع العلوم الرياضية كما أشار قبله الى العلوم الطبيعية وبالأول الى العلوم العامة وهى علوم ماوراء الطبيعة ولذلك قال (إن كنتم تعلمون) أى ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لأن دراسة العلوم الطبيعية التى كان من أشرف نتائجها خلقكم وخلق آبائكم الاولين ودراسة العلوم الرياضية ومنها الفلكية لمعرفة شروق الشمس وغروبها واستكمال سائر العلوم ونظامها اجالا يعلم ما وراء المادة . كل ذلك دلالة على أن هناك إلها صور هذه العوالم كلها وأبدعها وزينها وربها وحسبها ونظمها . فلما رأى فرعون ذلك عدل عن البراهين الى استعمال القوة كما فعل القنب مع الجمل إذ شرب القنب من ماء النهر والجمل المسكين واقف فى أسفل الجرى فقال له أبها الجمل قد كسرت الماء فقال الجمل أنا فى أسفل الجرى فليس من المعقول أن يجرى الماء اليك بل هو يجرى نحوى من عندك فقال أنت كنت شتمت فى العام السابق فقال لم أخلق إذ ذاك فقال لعل أباك وأخاك هو الذى شتمنى واتقص عليه وأكله

هذه هى الحجج التى يحتج بها الأقوياء فاذا ما ضعفت الحجج استعملوا القوة . هكذا هنا فى حجة فرعون لموسى فانه لما لم تقد الحجج لبس جلد الغزو (قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) وهذه أيضا عينها منقطة الأمم القوية مع الأمم الضعيفة كأهل أوروبا مع المسلمين الذين يريدون الانقضاء عليهم ونهب بلادهم وملسكهم وتسخيرهم وقوله - من المسجونين - أل فيها للعهد أى الذين تعهدهم وهم فى أشد حالات الضنك فهذا أشد من قوله لأجعلنك مسجوننا فانظر موسى أن يترك الأدلة العقلية ويذكره بالمجازات وخوارق العادات (قال أولوجتكم بشئ مبين) أى أفعل ذلك ولوجتكم بحجة بينة لأحوالكم وزمانكم لأنكم قوم مغرمون بالسحر والمغرم بالسحر منصرف عما عداه من العلوم العقلية لأن السحر صرف النفوس عن الحقائق الى أمور اخترعها الوهم وأبرزها الخيال . فأما الحقائق فاتها مستورة محجوبة عن هذه الطاقة

لحجتي من جنس عالمكم . وإذا كان الله ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه هكذا ما أرسل رسولا إلا بحجج من جنس ما يزاوله قومه . فترى أمة العرب مغرمة بالبلاغة في القرآن مجزا لهم وكانت الأمم المصرية مغرمة بالسحر فأرسل موسى لهم ليجزهم فيما هم فيه . وليست النصاحة ولا السحر هما الأمران الجوهران بل هما عرضيان لفصل النبوات اقتضتهما حال الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل والافلاحي أولى بالبحث وأجدر بالتقريب . يقول موسى لأن أهملتهم أمور العلوم العقلية والنظر الصحيح في هذه العوالم للمشاهدة فتونكم ما اعتدتموه من السحر ونظيره في سورة البقرة قوله تعالى - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - فانظروا نهب من المخاورين محاور موسى مع فرعون ومحاور سيدنا محمد ﷺ مع قومه . فأنت ترى موسى يقول الله على لسانه لما لم يشكر فرعون في العوالم المحيطة بنا كما تقدم في هذه الآيات ولم يتذكر السموات والأرض والشرق والغروب وخلقته وخلق الآباء الأولين الذين لا يعيشون إلا بعالم الطبيعة قال له هنا - وأولو جثتك بشئ مبين - يقول له فرعون أنت أعرضت عن التفكير بعقل والرجوع للحقائق بفكرك أفنصرف عن الحقيقة ولوأيتك بشئ مقبول عندك لما انصرفت عما يقوله سائر العقلاء ألا هو العلق عليك في السحر هكذا في سورة البقرة ذكر الله القوم . ذكرهم الله بخلقهم وخلق آبائهم الأولين مثل ما هنا وذكر السماء والأرض كما ذكرنا هنا وذكر إزال الماء من السماء وهذا لا يكون إلا بحرارة الشمس التي تقرب وتشرق ولما لم يقدم ذلك قال لهم - فأتوا بسورة من مثله - . ألا تعجب أيها القاري . ألا ترى إلى ما برى إليه القرآن وما قصد به . ألا ترى أن المقامين متشابهان مقام موسى مع فرعون ومقام محمد ﷺ مع قومه . ألا ترى أن العلوم الكونية هي مقصود القرآن وأن البلاغة والسحر ليسا مقصودين . ألا ترى بعد هذا أن الله لما أنزل القرآن جعل المقامين متشابهين . أليس لماذا ؟ لأنه علم أن المسلمين سيغرمون بقولهم من عرف البلاغة عرف سر القرآن وهو المجزة الوحيدة . تقول نعم مجزة وحيدة عند من هم أهل البلاغة من العرب أو من نحا منحوم ولكن هذه البلاغة جعلها الله حجة عند طائفة مخصوصة . أما الأمم كلها وأرباب العقول فقد جعل الله الحجة القائمة عليهم هذا النظام البديع والخلق العجيب . ومن عرف اللغة العربية وبلاغتها ووقف عند هذا الحد فهو مغرور مغفل لأنه قصر القرآن على ما يعرفه العرب الجاهليون وهذا جهل فاضح فإن القرآن باب لفتح العقول وفهم العلوم وإحراز أسرار الكون . فإذا وقف البليغ عند هذا الحد فهو قائم ساه بل عليه أن يدخل العلوم من أبوابها وأن يأمر الأمم لاسلامية بمعرفة سائر العلوم لأن القرآن هو بابها . ولعمري ما البلاغة إلا حلية الكلام فأين حلية العقول إذن ؟ حلية العقول هي العلوم ، إن في مثل هذا المقام يظهر اعجاز القرآن . يذكر السحر وإطلاله بعد اليأس من فهم العوالم المحيطة بنا ، ويذكر البلاغة بعد اليأس من اعتقل إذ يقول - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله -

يمثل هذا فليدرس القرآن ، ويمثل هذا فليستيقظ المسلمون والأفاقي أنزهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فليقرؤا العلوم فقد أوضح القرآن مناهجها وأبان طرقها وأظهر مسالكها وبين أن الكلام على البلاغة وعلى السحر بعد اليأس من فهم المقولات الكونية فقال الله هنا (قال) فرعون جيا لموسى (فأنت به إن كنت من الصادقين) في أن لك بينة فإن من يدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر آياتيه * يقال أنها لما صارت حية ارتفعت في السماء فدرمى ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالآتي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى فصادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين)

حينئذ (قال) فرعون (للإي) حال كونهم مستقرين (حوله) ومقول القول (إن هذا الساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمرون ؟) وهذا التعبير الذي أفاد أن فرعون مع ادعائه الربوبية قد تشاور مع قومه ، يقصد منه في القرآن أن الشورى يجب أن تكون في الاسلام لأنه إذا قال الله لنبيه ﷺ - وشاورهم في الأمر - وزاد على ذلك أن فرعون مع ادعائه الألوهية تشاور مع قومه فإن ذلك دلالة واضحة أن الشورى أمرها جليل عظيم وأن الأمم الكافرة لما جعلت الشورى في أعمالها دالم ملكها أمدا طويلا كما نرى من الآثار المدهشة لقدماء المصريين الدالة على ملك عظيم دالم آلافا وآلافا من السنين . فالشورى إذن أمرها عظيم فلما شاورهم (قلوا أرجه وأناه) أى أخر أمرهما ولا تباهنهما بالقتل خيفة الفتنة (وابعث في المدن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (بأنوك بكل ساحر عليم) والتعبير بالسحار ليعينوا له أنهم أقوى من موسى في سحرهم (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أتمم مجتمعون) هذه الجملة قيد الاستبطاء واحت على الاسراع كما قال تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو صيرب أنا عون بن غرقا

أى ابعث أحدهما الينا سريعا . ثم قال (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا . ومعلوم أنهم على دينهم فذكروا اتباعهم على سبيل الكناية يقصد بها أنهم لا يتبعون موسى والا فهم في ذلك الوقت على دين المصريين ومنهم السحرة فكيف يتبعونهم من جديد (فلما جاء السحرة قلوا لفرعون أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم لا تؤمنون) قال لهم موسى أقولوا ما أتمم ملقون) وذلك بعد أن قالوا له إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين (فألقوا جالهم وعصيم) المدهونة بالزئبق الذى تفرقه حرارة الشمس فيطير . ويقال ان الحبال كانت فوق سبعين ألفا وكذا العصي (وقالوا بركة فرعون إنما نحن الغالبون) وهذا القسم مبنى على اعتقادهم في أنفسهم ولأنهم أتوا بأقصى ما لديهم من السحر (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف) تتلف (ما يافكون) ما يقبلونه عن وجهه بالقوة والتدوير حتى أنهم جعلوا الناس يتخيلون العصي والحبال حيات تسمى (فألقى السحرة ساجدين) لأنهم علموا أن هذا منتهى التخيل السحري . ولما ابتلع الحية ما زوره يقنوا ان هذا فوق العلوم فآمنوا وخروا ساجدين لأنهم علموا أن هذه قوة فوق قوة الناس وليس فوق الناس إلا الله وهو الذى ارسل موسى ومقتضى اللغة ان يقال خروا ساجدين ولكن عبر بالاتقاء أولا للساكنة وليلد على أنهم لم يبالوا أنفسهم من النهضة العلمية فكأنهم أخذوا فطرحوا وهذه أعجب ما يكون من جهة البلاغة اللسانية ثم أبدل من قوله - فألقى السحرة ساجدين - قوله (قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون) وذلك لشعارهم بعزل فرعون عن الربوبية وبأن سبب الايمان بأجواء الله على يدى موسى وهرون (قال آمتم له قبل أن أذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيا دون شئ أو تاملوا معكم ، وانما كان ذلك من فرعون ليلبس على قومه (فلسوف تاملون) وبال ما تعلمتم ثم بين ذلك الويل فقال (لأطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لاضرر لاضرر علينا في ذلك في الدنيا (إننا نرى ربنا متقبلون) أى لأننا نتقبل أى نصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قوله تعالى (إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج أى أسرهم حتى إذا اتبعوكم مصعبين كان لكم قدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أتركم حين تلجون البحر فيخون مدخلكم فأطبق عليهم فأغرقهم . وجاء في التوراة في سفر الخروج في الاصحاح الحادى عشر أن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل

امراة من صاحبها أمتة ذهب وأمتة فضة وأن الله سيجت كل بكر في أرض مصر من الانسان والحيوان وأمرهم أن يذبح كل أهل بيت شاة يوم الرابع عشر من شهر الخروج ويطبخون القاشتين والعتة العليا من الدار ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير وأمرهم أن يأكلوه بحجلة ويأكلون الرأس مع الأكلع والجوف . هذا هو الاسمى (فصح الرب) وهذا الاسم علامة على بيوت بني إسرائيل حتى يحفظ كل بكر من بني إسرائيل ويتخطاهم الموت الى أبكر المصريين ويكون أكل الفطير سبعة أيام ويكون هذا فريضة أبدية تذكرا بالخروج من مصر من يوم (١٤) الى (٢١) من الشهر كل سنة . وهكذا أمر موسى قومه بذلك ففعلوا كل هذا ونجا أولادهم وصار ذلك سنة أبدية . ولما مات الأبرار من الانسان والحيوان في جميع بلاد مصر نصف الليل اشتغل الناس بالأموات وبنو إسرائيل أخفوا غنهم وقرهم وأخفوا عجنتهم قبل أن يختم ومعاينهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم وفعل بنو إسرائيل ما أمرهم الرب وارحل بنو إسرائيل من رمسيس الى سكوت ستائة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد ونحووا الحجين التي اخبروه من مصر خبز ملة فطيرا . وكانت أكمة بني إسرائيل في مصر (٤٣٠) سنة فهذه الليلة هي عيد الفصح الى الأبد . وكان الخروج في شهر ايب . فهذه سبعة أيام يؤكل فيها الفطير تذكرا لخروج بني إسرائيل من مصر (فأرسل فرعون) حين اخبر يسراهم (في اللدائن حاشرين) وهم الشرط يحشرون الجيش لينبهم قال (إن هؤلاء لشزيمة قليلون) لأنهم ستائة ألف وهم قليلون بالنسبة لجيوشه (وانهم لنا لغاتلون) لفعلوا مايقضنا (وانا لجميع حانزون) او حشرون من عادات الحشر واستعمال الحزم في الامور (فأخرجناهم) اى خلقنا فيهم داهية لخروج بهذا السبب فحلتهم عليه (من جنات وعبون) وكوز ومقام كريم) وهى المنازل الحسنة والمجالس الجيلة (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجناهم (وأورثناها) أى اورثنا جنسها اى جنس الجنات والعبون والكوز والمقام الكريم (بني إسرائيل) وهى أرض للمعاد التي هم سائرثون اليها . يقول الله كما حملنا المصريين على الخروج من هذا النعم حملنا بني إسرائيل أن يرثوا نظيره في أرض للمعاد فصاروا ليلا (فأتبعوهم) أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه (مشرقين) وقت شروق الشمس ليصلا الى ما أعد لهم من أرض الموعد (فلما تراء الجبان) بحيث رأى كل منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) للمحقون (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (إن مى ربى سيدين) طريق النجاة منهم (فأوحينا الى موسى أن اضرب بصاك البحر) القلزم (فانطلق) اى فاضرب فانطلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب (وازلنا) وقرنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلمهم (وأوحينا موسى ومن معه اجصعين) يحفظ البحر على الهية للذكورة الى أن عبروا (ثم أغرقنا الآخرين) بالطافه عليهم (إن في ذلك لآية) لعبرة عجيبة لا توصف (وما كان أكثرهم مؤمنين) فلا القسط الباقون في مصر آمنوا بها ولا بنو إسرائيل فاتهم بعد ما تبجوا عبدوا الجبل وقالوا لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة ولم يؤمن إلا القليل ، فكما لم يكن أكثر العرب مؤمنين وقد رأوا ما في الأرض من النبات في القسم الأول هكذا هؤلاء لم يؤمنوا بالمهجرة التي وقعت على يد موسى وهو اتلاق البحر ، فهذا تبيين أن الالتجاء الى خوارق العادات لا يفيد إلا أولى العلم كسحرة فرعون فرجع الأمر الى ان الايمان النافع انما يكون للعلماء كعلماء الطبيعة والفلك والنبات وعلماء السحر وهم المتبحرون فيه لأنهم لم يخرجوا عن تبصرهم في أسرار الطبيعة فأصبح الأمر راجعا الى قوله تعالى - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط - فأما الذين يقلدون أو يظنون أن خوارق العادات كافية فهم غافلون (وان ربك هو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة . وههنا خسر لظاقت

(١) في قوله تعالى - ألم نربك فينا وليدا -

(٢) وفي قوله تعالى - قال فقلها لإنن وأنا من الضالين -

(٣) وفي قوله تعالى - وتلك نعمة تنها على أن عبثت بني إسرائيل -

(٤) وفي قوله تعالى - إن هذا الساحر عليم -

(٥) وفي قوله تعالى - فأخرجناهم من جنات وعيون - ولأقدم قبل هذه اللطيفة جوهرة في قصص القرآن

﴿ جوهرة في قصص القرآن من كلام الامام الشافعي رضي الله عنه ومن كلام علماء العصر الحاضر ﴾

(١) ما يقوله الامام الشافعي في قصص القرآن

جاء في الإحياء في الجزء الأول صفحة ٣٣ مانسه ﴿ روى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وذل للشافعي يوما أيما أفضل الصبر أو التحكين فقال للشافعي رضي الله عنه التحكين درجة الأنبياء ولا يكون التحكين إلا بعد المحبة فإذا امتحن صبر وإذا صبر ممكن ، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنته وامتنح موسى عليه السلام ثم مكنته ، وامتنح أيوب عليه السلام ثم مكنته ، وامتنح سليمان عليه السلام ثم مكنته وآتاه ملكا عظيما والتحكين أفضل البرجلت ، قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليعوسف في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحبة العظيمة مكنت قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية . فهذا كلام الشافعي رحمه الله يدل على بصره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله تعالى متى يكون الرجل عالما قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظرفها فانه فيها فندذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حسنة لان الافراد قاتل . فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة ﴾ انتهى بالحرف من الإحياء للإمام الفزالي أقول ان الشئ خير مهذب للنفس فانظر لمباه في كتاب تيسر الوصول لجامع الاصول ﴿ عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأسألهما عن خروجهما فقالا خرجنا الجوع فقال وما أخرجني إلا الجوع فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان فأمرهم بشعير ففعل وقام إلى شاة فذهبوا واستعذب لهم ماء ^(١) معلقا عندهم في نخلة ثم أتوا بالعلم فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال ﷺ تسألون عن نعيم هذا اليوم ﴾ أخرجه مسلم ومالك والترمذي

ومن على رضي الله عنه قال ﴿ بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ماعليه إلا بردة مرققة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ثم قال كيف بك إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة أخرى ووضعت بين يديه محفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كاسترا الكعبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خيرنا اليوم فكفي المؤنة وتفرغ العبادة فقال بل أتم اليوم خير منكم يومئذ ﴾ أخرجه الترمذي فأعجب لهذا الحديث الصحيح الذي أمط اللثام عن حال المسلمين في جميع العصور فانهم لما مالوا إلى اللذة والترف حرمهم الله الملك ولما كانوا هداة للأثم ناضعين لما مكهم الله في الأرض وهذه قاعدة علمية فإذا رأيت الله عز وجل يذكر قصص القرآن فاعلم انها رمز إلى أمثال هذا ، وترى قابس اليوناني المتقدم ذكره في (سورة البقرة) عند آية - وبشر الصابرين - يقول ان السعادة لا تكون إلا بعد معاناة الشقاء والصبر في هذه الدنيا وكذلك ما يقوله عالم آخر في كتاب ﴿ الكوخ الهندي ﴾

أقول وإنما قلت هذا ليكون نصب أعين أولى العلم عند قراءة قصص القرآن ، فهذه القصص نموذج لما يفعله الله عز وجل بالمصلحين في الأمم الاسلامية فهو يتلى بالحقمة ثم يلهم الصبر ثم يعطيهم التحكين وقيل من

(١) استعذب لهم ماء أي استقى لهم ماء عذبا

الناس من يوفق للتكهن . ان قصص الانبياء اذا لم تلاحظ فيها هذه الآراء والمعاني لم تؤثر في العقول ولم تهذب النفوس ولم تعطف فكرة . فمن هذا الباب فليج المسكون ومنه فليدخلوا لاصلاح النفوس ومداداة عقولها وأقسامها واذن يكونون خير أمة أخرجت للناس

(٢) مايقوله علماء العصر الحاضر في علم التاريخ ، فهاك ما جاء في بعض المجلات العلمية للكبتان (جون مادوكس) دكتور في الفلسفة من جامعة (بال) بأمریکا وما هوذا

سمع أحد علماء الرياضة أديبا كبيرا يتلو قصيدة (ملتون) الخالدة وهي (النعم المفقود) بصوت مرتفع ولم يكده تاليا يفرغ من انشادها حتى سأل العالم الرياضي من حوله ؟ أى شئ تجدى هذه القصيدة في عالم الحقائق ولما أخفق في الحصول على جواب بخلق في نفسه الاقتناع صرح بأن الشعر لا جدوى منه وبالتالي هو منتج لقيمة له . ولاريب في أن عقيدة العالم الرياضي في الشعر وهي عقيدة المعارضة أشبه بعقيدة رجل الأعمال في التاريخ إذ يرى ثانيهما أن قارئ أية قطعة تاريخية عمنافل الانسان في ماضي الحقب لا يخرج منها ماعا كانت متسقة الاسلوب بأية قاعدة علمية معينة يستطيع بها أن يشيد جسرا بل ولا يحصل منها على أية فائدة تجديه في مشروعاته العلمية ، وسرعان ما يصرح مؤكدا أن دراسة التاريخ لا تؤدى بصاحبها الى أى غرض نافع وأن الوقت المبدول فيها ضائع هباء . وبديهي أن اثبات القيمة العملية من قراءة التاريخ يتوقف طبعا على تفسير كلة (عمل) فان كان معناها لا يفيد إلا البنائير والبراهم والاستيلاء على الاكداش منها فيجب أن يتقرر في الأذهان أن دراسة التاريخ لا تعلم الانسان تعلما مباشرا كيف يحصل على المال . وإذا كان في معنى كلة عمل مايدل على شئ آخر غير التقيب عن الذهب فقد اختلف الحال عن سابقها . أما اذا أفاذ معناها إثارة جهود الانسان للعمل مندفعا اليه بتأثير مثل من الأمثلة السابقة النبيلة ، أوأن يكون معناها توسيع نظرات الانسان الى الحياة أو تدريبه على واجبه منها بأدق الوسائل وأحقها وأتوقية مستوى معلوماته . اذا كان هذا فان قراءة التاريخ أعلى قيمة وأجدى على الأذهان من أية دراسة أخرى . وبديهي أنني حين أبجد دراسة التاريخ فأنى أقصد بهذا تحييد التاريخ المسطور حديثا بدقة علمية ذلك لأن الاطلاع عليه يشفي مواضع البهشة منا فباختصاص بالماضي ولولا أن انسانا في العصور البائدة قد سبق في الطريق المؤدى الى تحقيق ما يدور بخاطره من الاطلاع وما يتلف الى ادراكه منها لبقينا الى اليوم على حالتنا المبهجة الأولى نعيش في المغاور ونزهدى الثياب المتخذة من جلود الحيوان وحينما صار أجدادنا على اهتمام بإيجاد أحسن الوسائل لأداء الأعمال وثارت في نفوسهم عوامل الرغبة في الوقوف على ما ابتكرته الشعوب الأخرى من الطرق لتأدية تلك الأعمال نفسها لعب التقتم دوره الحقيقي في عمران الحياة . إن في دراسة التاريخ منظرا لاغنية لنا عنه لنفهم العصر الذى نعيش فيه ولنتسكن بواسطته من التعرقى ما بين العناصر الأولية في الحياة اليومية وبين تلك العوامل العارضة الزائلة ، وإذا عرفنا التاريخ معرفة وثيقة فاننا نصبح كما يقول الكتائب الانجليزية (مورلى) أشبه كل الشعب بالطار الذى يحلق في أعلى طبقات الجو كما يستطيع أن يرى سلسلة من الجزائر بحيث تكون نظارته اليها كأنها أجزاء من سلسلة جبال واحدة قد طفت عليها الأمواه وليست كأنها قطع منفصلة كل الاتصال عن اليابسة . وإذا قارنا الحاضر بالماضي فسرعان ما نجد أن العصر الحالى يفوق سابقه في النواحي للمادية والعقلية والأدبية فقد زالت العبودية والرق وأخذت قوة الرجال الجسمية والعقلية في قواصمهم على النساء تقل وتتناقص بينما قد اتسع نطاق الشعور بمساعدة الضعفاء والعطف عليهم وسرت روح العدالة والرحمة بين كل شعب بل وبين الشعوب قاطبة بعد أن كانت لا تتجاوز قلوب الأفراد في الأسرة أو القبيلة الواحدة فكيف نستطيع وقد نفهم نواحي التقتم في هذه الحالات ؟ لا يئسنا لنا ذلك إلا بدراسة الماضي الذى تمنحس عنها

لقد كان (فون سيل) السياسى الألماني وللتورخ المحقق قبل الحرب السبعينية يقول دائما في الكلام عن

الشؤون السياسية ، إن من يعرف « من أين » لابد أن يعرف « إلى أين » ولا ريب في أن السياسة غير الواقفين على حقائق الأمور يرتكبون الأغلاط دائماً لأنهم لا يعرفون ماذا أحدث في الماضي تلك الخطط السياسية التي ينتهجونها في حاضرهم

إن دراسة التاريخ تزودنا بالمعلومات الضرورية للحصول على فهم صحيح عن الجماعات الانسانية العامة . ولا سبيل الى أن نقف على منشا أوضاع حكوماتنا ولغاتنا أو مصدر حينا للحرية وأفكارنا ومبادئنا الأدبية إلا بقرائنا للتاريخ وبغيره لا نقفه شيئاً من كل هذا وهو ثرائنا النفيس في عصرنا الحالي بل إن التاريخ ليعتد بالوسائل التي نستطيع بها التكهن عن المستقبل والتأهب للملاقاة الأيام ، ولأضرب لذلك مثلاً بمحدث وقع على مشهد من أيام الحرب العالمية فقد تساءل ذات يوم أحد الجنود قائلاً : ماذا سيكون مصير إمبراطور ألمانيا في نهاية هذه الحرب هل حقا سيشتقي ؟ أتق الجندي هذا السؤال وأردفه بالصمت برهة عرض فيها لما كثرته حوادث الماضي ثم قال كلا . انه لا يشتقي ولكن سينفي وبذلك يحال بينه وبين جلب الأذى والأخطار على العالم مرة أخرى ، مثله مثل نابليون بونابرت في خاتمة أيامه . وبدهي أن هذا الجندي ليس على موهبة النبؤ ولولا درايته بالتاريخ وما وقع فيما مضى من أمثال هذه الظروف والحالات لما تسنت له هذه المقارنة التي تضمنتها إجابة على نفس سؤاله . إن البراية بالماضي وما وقع فيه ذات جدوى عظيمة ليست في معاودتها إيانا على حل المسائل الهامة الأهمية بحسب ولكنها أيضاً تعاون الأفراد على معالجة شؤونهم الخاصة وأن الذين يحطمون سفن آمالهم حيث طاحت آمال غيرهم من قبل لا يلبثون إلا أنفسهم فقد كان واجبا عليهم محتوما أن يدرسوا تجارب سواهم من الرجال ، والتاريخ لا يعيد نفسه أبنة إعادة دقيقة إذ أن العوامل لن تكون هي نفسها في كل زمان ومكان وبذلك لا يكون تحليلها دقيقا ، ومتى ثبت هذا تجلت قيمة المقارنة ما بين الحاضر بمحادثته وبين الماضي وما فيه . وأزيد من هذا أن دراسة التاريخ تبعث من نفوسنا الهمة على أداء واجباتنا التي أنيطت بنا فان الأمثلة السامية التي تقتبسها عما فعل الأبطال في الماضي تولد النشاط لدى الناهضين بأعباء الحاضر . ولا ريب في أن مافعل (ليونيداس) ومواطنوه الاسبارتيون من أجل اليونان في مضيق (ثرمبولى) لابد وأن يحفظ على كل وطني شجاعته في الدفاع عن وطنه بل ويكون بمثابة المحرك لأعصاب خراعه بينما أن وقوفنا على كيفية نهوض الرومانيين وتفوقهم في الانتصارات التي لم يسبق لها مثل على يدي (هاننبال) . كل هذا يلهم حاسة التأديب عن اوطانهم الى النهاية . يجب أن ندرس التاريخ فاذا ما استوعبناه ووقفنا على خفاياه امتلأت أذهاننا بصورة جنة عن الفرائز والصفات وبناظر يتجسم فيها مصير الأفراد والجماعات بل والأمم وبالأفكار العظيمة عن النظام الاجتماعي وارتقائه وبذلك نشعر بأنفسنا وقد كبرت وبمقولنا وقد اتسع نطاقها . ويقول (اللورد بيكون) اقتباسا عن أحد مؤرخي اليونان « إن التاريخ فلسفة تعلمنا بالأمثلة بل أن مثله مثل كل علم جليل القيمة اذا درسناه بدقة ونظام خلق فينا ذاكرة يسهل عليها الرجوع الى الحوادث مهما يبعد بيننا وبينها الأمد وعينا دقيقة الملاحظة وقدرة على فهم العلاقات بين الأسباب والنتائج . انتهت الجوهرة

﴿ الطيف الأولى والثالثة - ألم تربك فينا ولدا - الى قوله - وتلك نعمة تمنها على - أن عبثت بني اسرائيل - ﴾ اعلم أن هذا القول قصه الله علينا ليعلمنا كيف تكون المحافظة على الأوطان وحب الاخوان فان فرعون لما من على موسى بأنه ربه قال موسى كيف تمنى على بذلك وأنت لولا استعبادك لنا ماتنى لك ذلك ، وقد وضع هذا المقال في تفسير الآية وانما جعلنا لطيفة ليتفكر فيها الأذكياء

﴿ الطيف الثانية في قوله تعالى - قل فعلتها إذن وأنا من الضالين - ﴾

اعلم أن موسى عليه السلام لم يعقه ما اتفق له من قتل القبطي خطأ عن المضي في الأعمال النافعة وانما جاء ذلك القصص لنا لضرب الفكر صرفا عما مضى من الأعمال وتوجه الى أعمالا العالية الشريفة ولا نجعل

ما اتفق لنا من الخطأ بحسب ما يظهه الناس عاتقا من الأعمال الماهرة ، فليجد المسلم في عمله وليقم بما وجب عليه وليذكر أن سيدنا موسى عليه السلام لما وكز القبطى فبات لم يحقه ذلك عن ترقية بنى اسرائيل واسعادهم ﴿ الطليقة الرابعة . السحر عند القراة ﴾

لقد ذكرت هذه القصة في القرآن مرارا وتكرارا وفيها ذكر السحر عند قهلاء المصريين وفيها أن العبر انقلب لموسى فلا سمعك ملجاء عن قهلاء المصريين من السحر لتطلع على عقائدهم وآرائهم ولتعلم أن قصة موسى وفرعون وراها من الأخبار كل عيب وغريب ، لأقل لك ما وجد على ورق البردى وفي الآثار المكتوبة على الأجر لتجب من الأم ومن عاود الأوائل ولتعلم أن الله عز وجل له في الأم عجائب وغرائب * قال المرحوم أحمد باشا كمال مملخصه ﴿ قد كان السحر له تأثير غريب قبل اليوم بخمسة آلاف سنة ولم يكن لطيب أن يداوى بالعقاقير إلا بعد أن يداوى بالعزائم السحرية ، فالعزيمة مقلدة على السواء المادى ، وقد ذكر حادثة في الأسرة التاسعة عشرة وهي أن فتاة ابنة ملك (تخت) قال ولعلها ينادى طلب أبوها من رسيس الثانى أن يرسل لها أحد المعبودات المصرية فأرسل لها المعبود (خونسو) فوصل خونسو الى الملك وطلب منه أن يخرج العفريت من ابنته المسماة (بنت رشت) فأخرج الجنى وهذا الجنى شرط قبل خروجه أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابوه لذلك وجعلوا له يوما عظيما مشهورا فأحب الملك أن يبقى المعبود المصرى عنده دائما ولكن بعد مدة مرض وحار الأطباء في أمره فجاءه (خونسو) ليلا كأنه بائس من ذهب وألغ عليه أن يرده الى بلده فلما طلع النهار أرجعه الى بلده فشفى من مرضه ﴾

(١) وكانوا يعتقدون أن الجن تنشق من البودة الوحيدة ومن رمد العين والالتهاب وغيره ، وقد دوتوا في رسائل الطب كيفية استخراج الجن المؤذية وطردهم الى أسفل سافلين لينجوا من أذاهم ، وذكر رحه الله عز وعين اشتهرتا بحسن الاجابة والقبول وكان الأطباء يتولنهما على كل مرض ولشهرتهما صسدوا بهما ورقة (ايروس الطيبة) وهما ترجمة العزيمة الاولى وهي تكرر بالذقة مرارا متى وضعت الأدوية على أى عضو مريض لكي يزول عنه سبب المرض والعين اذا كان استعمال العلاج من الظاهر ، وأنا رأيت ألا أذكرها بنصها لعدم فائدها ، وإنما أقول ان ملخصها يرجع الى الاستغاثة بالالهة (أشوريس) التى خلعت (حوريس) من الأشياء الرديئة التى فعلها أخوه (ست) حين قتل أباه (اسوريس) والاستغاثة أيضا بالالهة (اسيس) المعبودة الكبيرة يستغث بها أن تخلصه من معبود الآلام ومن معبودة الآلام ومن اللوت ومن الموت ومن المصرع والمصرعة . ويقول يا شمس تكلمى بلسانك (يا أشوريس) تشفع بتخلك ، الشمس تكلمت بلسانها وأشوريس تشفع بتدخله ، فاذن عليك أن تخلصنى من كل شئ ردى انتهى

أما العزيمة التى تتلى اذا كان السواء من الباطن فهما ملخصها ﴿ بعد شرب الأدوية يتخاطب الأدوية يقول هلمى أبنتا الأدوية ولطردى الأوجاع من قلبى ومن أعضائى ، العزيمة طيبة لأجل الأدوية والأدوية طيبة لأجل العزائم ، ثم يرجع ويقول كلاما كالسابق إذ يقول ان (موريس) و (ست) جى بهما الى البناء الكبير بعين شمس وحصلت الحكمة بينهما ففاز (موريس) لأنه كان على الأرض يفعل ما يشاء للمعبودات معه ويكرر هذا القول مرارا وهو يتعاطى الجرع ﴾

ولهم عزائم أخرى لا يباد المولود والديب وعزائم للحبة والقبول ويتولن شخصا على هيئة العلو ويتولن العزيمة ويضربون ذلك القتال بالمدية فان العلو يحصل به ما حصل بصورة الشمع على زعمهم وكانوا يتخيلون انهم يرون الشمس نصف الليل ويستحضرون الشياطين الذين يجلبون لهم ما يريدون . هذا ملخص ما ذكره الباشا في ﴿ مجلة الموسوعات ﴾

وهناك ما ترجمه أستاذنى في علم التاريخ والجغرافيا المرحوم أحمد بك نجيب عن اللغة الألمانية المترجمة عن

الورق البردى المصرى ترجمة حرفية ، إذ نقل روحه الله محادثة بين الملك (خوفو) أحد ملوك الأسرة الرابعة وهو الباني للهرم الأول بالحيزة سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد . ان هذا الملك جمع أولاده الثلاثة وأزيم كل واحد منهم أن يقص حكاية من أغرب التواريخ المصرية فاستأوا أمره ، وأتى لأخص لك حكاياتهم ، لماذا ؟ لأن هذا أغرب التواريخ فاطلاعلك عليه كالاطلاع على تاريخهم ، وأيضا ان القرآن ذكر سحرهم ، فهناك سحرهم لتقف على عجائب الدنيا وخرافات الأولين وتعلم كيف ذكر هذا السحر في القرآن ولماذا ذكر وكيف كانت هذه الدنيا ومنشؤها ، وإذا رأينا أنفسنا متعجبين من خرافاتهم التي كانوا يزعمونها حقائقي فربما جاءت أقوام بعدنا فنعنونا مخرفين - وفوق كل ذى علم علم -

(الحكاية الأولى . قال ابنه الأول)

(العجوبة حصلت أيام الملك نيقا وهو من الأسرة الثالثة ومات سنة ٣٩٠٠)

وقف الأمير خفرع الباني للهرم الثاني وقال لأبيه (خوفو) أما أقص عليك العجوبة حصلت مدة أيامك (نيقا) (ومعنى الأب هنا السلف) حينما ذهب الى معبد المعبود فتاح سيد ضئخ نوري (مكان بمدينة منفيس به المعبد) وزار أ كبر علماء السحر وكانت زوجته محب رجلا من أهل المدينة وكانت ترسل اليه خادمتها كل يوم وهو يجلس معها في البستان منتحرا مسرورا وأرسلت له يوما صنموقا فيه ملابس لطيفة فأتى مع الخادمة ومضى على ذلك جلة أيام فلمس ذلك المدينى منزلا خلويا في بستان زوجها فطلب منها أن يكونا معا فيه فأمرت أمين المنزل أن يهيئ لهما هذا المنزل في البستان لينشرا فيه ففضل وجلسا معا فيه كما يشاء أن أما الخادم الأمين فانه أخبر صاحب البستان وهو زوجها كبير القراء وهو الكاهن فقال الكاهن لهذا الأمين أحضر لي شمعا من الصندوق المصنوع من الأبنوس والقنعة المنحبة فصنع شمعا من الشمع طوله سبعة أشبار ثم طلمس عليه بالسحر ثم قال للأمين متى جاء المدينى ليغتسل كما كان يغتسل كل يوم في هذا الماء فألقى عليه التماسح الذى من الشمع ثم جاء المدينى وجلس معها على عاتقه وشربا في هناء وسرور وجاء العاشق لزوجة الكاهن ليغتسل في البركة فألقى الأمين عليه التماسح من الشمع فأقبل الى التماسح فحرق بنفس الطول ونخطف المدينى وغاص في قاع الماء وكان اسم هذا الكاهن (ويابوز) وبقي (ويابوز) الكاهن المذكور سبعة أيام مع الملك والمدينى غامس في البحر في جوف التماسح ثم طلب منه أن يريه هجيرة في رجل مدينى في زمانه فتوجه معه للبركة وتلا العزيمة على التماسح أن يحضر الرجل المدينى فأحضره فغضب الملك وقال كيف تغيب هذا الرجل بهذا التماسح فأخذ الكاهن التماسح اذا هو شمع كما كان وليس حيوانا وقص عليه قصص زوجته وهذا المدينى فغضب الملك وأمر ان يرجع الكاهن التماسح كما كان ويترك في الماء وقد تم ذلك وأمر باحراق المرأة في جانب البستان فلما أتم الأمير خفرع هذه الحكاية قال لأبيه (خوفو) هذه حكاية حصلت مدة أيامك (نيقا) فترقب الملك (خوفو) ألف رغيغ خبز ومائة قدر بوزة (الجعة) وأمر بذبح نور وكذلك أمر بمحقين من الروائع العظيمة . كل ذلك روح الملك (نيقا) وقدم أيضا الى روح أول القاريين طعاما وقدرًا عظيما من البوزة وقطعة لحم كبيرة وسقا من الروائع العظيمة

(الحكاية الثانية . العجوبة وقعت في أيام الملك (خوفو) نفسه)

(ترجمت حرفيا من اللغة الألمانية وهي مترجمة من اللغة المصرية القديمة حرفيا أيضا)

عند ذلك قام الأمير (هرد داف) ابن الملك (خوفو) وقال انك لم تسمع إلا ما كان في الزمن الماضي ولم نشاهده بأنفسنا فهو يحتمل الصدق والكذب ولكنني أخبرك عن شيخ فلاح مصرى يعيش (١١٠) سنة ويأكل كل يوم (٥٠) رغيغ ويشرب ماء قدر من الجعة ويأكل ربة نور وهو قد ران يرد رأس الانسان المقطوعة الى مكانها فهو يحيى الموتى وإذا جر حبلًا على الأرض خلفه خضع له الأسد ومشى خلفه مدة ما يجير

الحبل وأنه يعرف حساب (إبت) وفيه الأسرار المكنونة للعبود (توت) ويقال إن هذا الحساب وحدة المقاييس لتصور الحيوان والانسان فان هذه الصور الهيبة التي صنعوها والحياكل التي اخترعوها لابد لها من مقاييس فهو إذن (إبت) قاتل الملك (باهردداف) أحضره لى وكان اسمه (ددى) فركب زورقا فى النيل وسافر الى بلدة (ددى) فى إقليم (دوسنقرو) ولما وصل (هردداف) الى الجسر تركه وسار مجولا على كفة من خشب الأنوس وقوائمه من خشب أرزلنان مشبك بكلايب من الذهب فلما وصل الى منزل ددى سلم عليه بسلام لانصره الآن ، وكان (ددى) راقدًا على سرير فوق مسطبة وخادم يروح على رأسه بمروحة وآخريضمر (يكليس) رجله وهذه صورة السلام (السلام عليك حالة كل من صار فى دور الشيخوخة والهرم ، فى دور الاحتضار والموت ، فى دور النزول فى القبر ، فى دور الدفن والمولادة فى التراب التى تصير اليه عاجلا انت أيتها الفاضل المحترم وانى آيت اليك من بلاد قاصية لأناديك ومعى رسالة من أبى جلالة الملك (خوفو) وانك متى حضرت تأكل كلا فائرا يقدمه لك الملك أبى ويواليك بمثلته فتسير وأنت فى هذه العيشة الراضية حتى تلحق بآباءك المرتاحين فى قبورهم ، فقال ددى سلام سلام باهردداف يا ابن الملك ، يامن يحبه أبوه ويكافئه ويمجّله قدره ويرفع شأنه فوق الكبراء والشيخوخ وإن (كاك) حية ، ومعنى كاك معنى صورتك لخيالية بعد الموت التى كانوا يعتقدون انها تسكن فى الصورة التى يصنعونها على هيئة جسم الميت ويقنمون لها صور الخبز وكل ما كول ويزعمهم أن هذا يجعل تلك للصورة حية ، ثم إن الأمير (هردداف) ساعده على القيام وسافر معه على الجسر فقال (ددى) مرلى بزورق واحضر أولادى كلهم معك حتى فأمر له بزورقين مجهزين بجميع لوازمهما . ولما وصل الأمير هردداف هو وددى الى (منفيس) وهى ميثريهنا الآن دخل ددى على والده الملك فقال له الملك : هل مايقال انك تهيى الميت حتى قال نعم أحيى الانسان والحيوان قطع رأس اوزة أمامه فأخذ الاوزة وجعلها فى الجهة الغربية من الايوان وجعل رأسها فى الجهة الشرقية منه وأخذ يتناول العزائم السحرية فقامت الاوزة تمشى وتنبختر وكذا الرأس صار يقفز نحو الجهة فالتقيا ولما وصلت لها وقتت الاوزة وجعلت تصيح . فقال له الملك أحميخ انك تعرف حساب (إبت) فى الأسرار المكنونة للعبود توت . قال لا أعرفه ولكن أعرف مكانه انه فى علية مصنوعة من حجر ريسى (كذا) موجودة بمنزل اسمه (سبى) بمدينة الشمس (عين شمس) ولست أنا الموعود بها بل الموعود بها أكبر أولاد المرأة (ددت) امرأة الكاهن المسمى (را) الخادم للعبود وسخيو للعبود المذكور وعدها أن يعطى أولادها أكبر الوظائف فى القنطر العبرى واكبرهم يكون هو الكاهن الأعظم لمدينة الشمس وهذه المرأة تلد فى الخامس عشر من شهر ثي (طوبه) وأكرم الملك هذا السحرا كراما كثيرا ورب له كل يوم ألف رغيف من الخبز ومائة قدر من الحقة وثورا ومائة رطله من البقول والخضر انتهى

الحكاية الثالثة هى أعجوبة وقعت فى أيام الملك سنقرو

لما انتهى الأمير خضرع من كلامه قام أخوه الأمير (يوفر) وقدم للكلام أمام أبيه الملك خوفو وهذه الحكاية ملخصة فيما دلر بين اللؤف وبين تلميذ بمدرسة عالية وقد نشر هذا الحديث فى جريدة الاخلاص تحت عنوان (السحر فى وزارة المعارف) وهاك نس الحديث (س) - لقد جاء فى الكتب السجاية وفى العالوم الأثرية أن قدماء المصريين كانوا بارعين فى السحر فهل بقى من هذا العلم شئ الآن

(ج) إن السحر اليوم فى وزارة المعارف

(س) عجبا . كيف تقول هذا وأنت كنت مدرسا بها وانا تلميذ بل انا كنت تلميذا بالمدرسة الخديوية . أجدا تقول أم أنت من الهزلين ؟

(ج) اتى لا امزح وانما أقول لك حقا أن وزارة المعارف قد عمها السحر من اولها الى آخرها وهذا

السحر قد أنام العقول

(س) أوضح فاني لم أدر ما تريد

(ج) ان كل شيء يصرف العقول عن الحقائق يسمى سحرا . ألا ترى أن النورم (بالكسر) يأتي في المراسع العاتية ويضع سحرا في فم النورم (بالفتح) ويقول له هذا حنظل فيلفظه للنورم ويشره وإذا عكس الأمر استحل الحنظل وابتلعه وهو قرير العين . هذا أحد أنواع السحر فقد صرف النورم عن الحقائق حتى صار الخلوص والمرح حلا . أولست ترى أن الرجل يقول له النورم (بالكسر) أنت امرأة فيفعل فعل المرأة ويسمى نفسه باسم المرأة ثم يقول له أنت ملك فيفعل فعل الملوك وهو مصدق ذلك في كل حال والناس يشاهدونه في المراسع . إن هذا نوع من السحر بلا جدال

(س) وهل هذا التنويم يدرس في المعارف

(ج) لا ولكن التنويم في المعارف أشد وأشد . لاجرم أن كل ما صرف العقول عن الحقائق حكمه حكم التنويم فإذا رأينا فضلا يؤدي إلى هذه النتيجة عدناه سحرا وان لم يسمه العاتية ولا القاموس سحرا . إن المقام مقام حكمة وعلم . وهل لك أن أقص عليك عجيبة من مرويات قدماء المصريين السحرية المكتوبة على ورق البردي سواء كانت على الحقيقة أو خرافية . ذلك أن الأمير يوفرا وهو أخو الملك (خنفرع) قام أمام أبيه الملك (خوفو) وقص عليه أعجوبة وقعت . وقد ظهرت على يد أكبر العلماء المسمى (ززام عنخ) ذلك أن الملك (سنفرو) كان منقبض الصدر فوصف له أكبر العلماء أن يتوجه جلالة إلى بركة قصره ويجعل فيها زورقا مصفعا بالذهب جيلا فيه عشرون فتاة بكرا يجذفن فيه بمحاذيف من خشب الأبنوس المحلى بالذهب وهن محليات بالقلائد والعقود ولا يلبس ملابس (شبيكة) ففعل وركب فسرهن به في الزورق ونظر رجال الزورق ومن فيه وجمال الأشجار والأزهار حول البركة فانشرح صدره وكانت الفتيات صفيق ولكل صف قائدة فوق حجر دهنج من قرط إحدى القائدات في الماء فارتاحت لملك وتوقفت عن العمل هي ومن معها فضمن لها الملك مثل حجر قرطها فقالت لا أبني سواء وهذا الحجر أخضر زاهي اللون كل مره فتكثر الملك فأعانه أكبر العلماء المذكور وقرأ العزيمة على الماء وكان عمقه اثني عشر ذراعا فانطبق أحد نصفي الماء على النصف الثاني وصار عمقه أربعة وعشرين ذراعا وصار مكان النصف يسا فوجد حجر الدهنج في الأرض على سقف من الزجاج فالتقطه وناداه لصاحبه ثم تلا العزيمة مرة أخرى في الماء فرجع الماء لحالته وانشرح قلب الملك هو وقتيائه

(س) وما فعلت المعارف من هذا

(ج) ان أكبر العلماء أشبه بمحكاه أوروبا في كليانهم والملك سنفرو وقتيائه أشبه بملوك أوروبا وجنودهم والماء أشبه بالعلم فكلامها للحياة والحجر الواقع من قرط الفتاة هي النورم والحجرات المنقبوة في أرض مصر مثلا ومافيه من النورم . أما العزيمة فهي أن أولئك الفلاسفة والحكماء في أوروبا يسطون التعاليم للنورم سين ولولا الامور الأوروبية بين فيعلنون أهل البلاد يقولون لنفتمك لاتصلح للتعليم واخلاق آباءكم وأدابهم . كل ذلك قص وينتضون على العلوم فيحذفونها ولا يبق إلا قصورها . ألم تر أن التلاميذ قبل زمن الاحتلال وفي أوائله كانوا يدرسون علم الأشياء في الابتدائي والثانوي والحيوان والانسان والنبات في التجهيزي . ألم تحذف هذه العلوم من البلاد ؟ أليس الانسان يرى بعينه النبات ويرى الحيوان وأجسام الناس ويرى الكواكب

(س) بلى ولكن لا يدرسها لأنه ليس في منهج الدراسة

(ج) هذا هو السحر الحقيقي وما فعل سحر أكبر علماء سنفرو لم يفده إلا حجرا هو قرط ولكن سحر أوروبا الآن أعادها قطر اكيرا والقطر خير من القرط بل فيه ما يساوي الآن ألف حجر من هذا . ومن تلك العزيمة قول البول المحتلة أعطينا التلميذ الشهادة فيتمتع المتعلم بذلك وكفى بالغر وجهلا وأمال الماء الذي ارتفع عن أحد

نصفي البركة فهو هذه العلوم انتشعت من البلاد بالترجيح في زماننا والناس في مصر سامون لاهون مسحورون وأما الحجر فهو مال مصر كله وأما الآخذ فهي أوروبا قاتها لا تجرأ على نهب أموالنا ونحن علماء ، إنما تأخذنا ونحن جهلاء ، فإذا أزعجت العلم انكشفت لها كنوز مصر وأخذتها والا فلماذا تدرس هذه العلوم في مدارسها ولماذا نرى أمتنا المصرية كانت تدرس قبل قدوم الانجليز وأصبح ذلك نسيا منسيا ، بل ما بالنا نرى الكتب الانجليزية التي كانت تدرس فيها بعض هذه الأشياء غيرت وحل محلها قصص كسكيات البحار والأطفال (س) إذن الساحرون من أوروبا

(ج) نعم والناس اليوم مسحورون يسبون في الحقول وينظرون النبات والحيوان وينظرون نوع الانسان وينظرون النجوم وهم غافلون لأن المتمدن قال لهم هذه هي شهادة العلوم ففعلوا (س) وهل الوزراء المتعاقبون شاركوا الانجليز ؟

(ج) لم يكن للوزراء قبل الاستقلال أمر أما بعده فلوزراء رجالات الأمة فيغيرون ويرجعون الامور الى نصابها وما ذلك عليهم بجزء وأما اذا رجعت مصر الى عهدنا الاحتلال (لاسمع الله) فالسحر يستمر والجهالة تدوم وليس للمصريين إلا أن يفكروا جيما . انتهى الحديث وبه تم الكلام على الحكايات الثلاث

﴿ تقديس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين ﴾

جاء في كتاب ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ عند قدماء المصريين ما نصه بصفحة ١١٨ وكانت كتب السحر داخلية في العلوم المقدسة ومندرجة أيضا في علوم اليان وكتب الطب والحكمة ، وكانت هذه الكتب تحفظ في دور الكتب الملكية المجاورة للمعابد والميا كل ومن المحفوظات الآن في مدينة لندن ورقة بردية في السحر اكتشفها كاهن في القاعة الكبرى من معبد كتوس مذكور على جوانبها أن الأرض كانت مظلمة حتى ظهر القمر بجأه وأضاءت أشعته سطوحها ، فأق ذلك الكاهن بهذه الورقة الى خوفو أحد ملوك الأسرة الرابعة ، أما السحرة فكانوا ينقسمون الى ﴿ طائفتين ﴾ الواحدة قانونية والأخرى غير قانونية فاقانونيون هم الذين كانت تأذن لهم الحكومة مباشرة بالسحر وتقدم عليهم وتمول على آرائهم في الطوارئ وإنلك كان لهم النفوذ الأكبر والقام الأسى أمام الفراعة والرعية ، واشتهر في هذا العلم كثير من أبناء الملوك والأمراء كامنحبت بن حابي وزير الملك امنحبت الثالث الذي نبغ في السحر حتى أقاموا له تماثلا محفوظا اليوم بالمتحف المصري تحت (عمرة ٣) . وعن اشتهر أيضا بالنفوخ في هذا الفن الملك سيوس تريس حتى فاق جع السحرة في عصره . وكانت الفراعة يجالون هؤلاء السحرة ويثقون بهم ويلقبونهم بكتبة بيت الملك وكتبة الحياة ويدعونهم لتفسير أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم بإظهار أعاجيبهم المدهشة كما حصل في قصة سيدنا موسى عليه السلام أولعمل الألعاب السحرية لتسليتهم ورياضة أفكارهم ، وكان الساحر لا ينج في هذا العلم إلا بعد القرن الطويل ومضي مدة طويلة في حسن السيرة والسريرة ومقاومة شهوات النفس والتمسك بالطهارة والصفاء والامتناع من أكل اللحوم والأسماك والافراد والازواء في الخلوة كل أيام حياته ولا يجوز أن يعترف أبه سرقة أخرى حتى تشغله عن مهمة وظيفته وقد أقرن السحرة هذا العلم وتقنوا في أساليبه وأحكموها حتى لم يتركوا غاية جهدهم فيه ورسمت قواعده في أذهانهم حتى كان أحدهم يأتي بأكبر الخوارق التي تهر الأبالسة والباطل بدون تكلف كأنها ألوية صيدانية . وما ذكر عنهم انهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل وفضلوا عن جسده ثم أعادوه اليه بدون أن يشعر بأذى وجعلوا التماثيل والأشباح المصنوعة من الشمع تتحرك بحركات مختلفة طوع ارادتهم وكانوا يخفون عن الأبصار وهم جالوس في المجلس فلا يظنهم أحد حتى ان الداخل لا يعتقد انهم موجودون في هذا المجلس ويقرون الرسائل المطلوبة داخل طروقها فيخبرون بما فيها بدون أن

يفضوها ويحبون الناس بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . ومن أعجب أمر أتباعهم أنهم قبلوا نظام الطبيعة حتى صنع أحدهم من الشمع تمثال تمسح صغير ثم تلا عليه صيغة سحرية فتحرك هذا التمثال وسلطه على رجل زان استحق العقاب فأبطله وألقاه في البحر ، انتهى
هذا ماجاء في الكتاب بنصه ونصه وليست أذكره على أنه حقيقة ولكن أقول هكذا كان القوم يعتقدون والحمد لله رب العالمين

جمال العلم وبهجة الحكمة

اعلم أيها الذي أن ما كتبت الآن لايفيد فائدة بحسن السكوت عليها ولولا أنه قد جاء مكتوباً في الورق البردي ما كتبت فلا تترك الآن جمال العلم وبهجة الحكمة ونور الله المشرق في هذه الدنيا وسرته الظاهر ومجابهة اللهشة . اللهم أنك أنت الظاهر والباطن وأجل الأنوار وأبعد الأسرار هذه النفوس الانسانية التي سكنت أجسامنا وزينت بحواسنا وكرمتها بقولنا وأقهرتها أن تعرف الكائنات علويها وسفليها . اللهم أنك أنت الذي أبدعت أرواحا علوية أدارت الكواكب ودبرت الأشباح الأرضية وخلقت أخرى أصغر منها كالنفوس الانسانية وشوقها الى أن تطلع على كل عيب وغريب ، ذلك لأنها قسبة من نورك وسر من أسرارك فهي أبداً تحن الى الجمال والكمال وتصبو الى ادراك الأسرار ، ومن عجب اننا نحن من أجل الأسرار وأبعد الجبابرة لكننا نجعل أنفسنا ولا نقتن لما فيها من الجمال البديع والتشويق القريب . يا الله كأنك حكمت علينا بالجنس في الجهل حتى ندفع نحن علمنا بأنفسنا غالباً كما يدفع الرجل مهر عروسه ، ومما ذلك المهر إلا دراسة هذا الوجود ومجابهة وتحليل النفس بالأخلاق الفاضلة وهناك تجعل لها معانيها فتعرف انها قسبة من نورك فتطير فرحاً الى لقاءك وتموت فرحة بمشاهدتك . أملي الآن (كتابان) كنت دائماً أحفظ عليهما لأخصهما في هذه السورة المناسبة قصة سمرة فرعون . فهذه الآن طبع ولم يوقظني لذلك إلا بعض الاخوان قبل أن تصنع القرصة فقلت أن هذا الايقاظ أمر إلهي به في النفس ما كان خاملاً ، والكتابان أحدهما يسمى السحر الحلال في الألعاب السحرية وبعض فوائده صناعية مجرية ، والثاني يسمى المختار في كشف الأسرار . أما أولهما فهو مؤلف مستخرج من العلوم الحديثة وفيه فوائده فائقة وعجيبة ويظهر لي انها كلها صحيحة وأقربية من الصحة والكتاب الثاني مؤلفه يسمى الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن هجر المسمى كان في القرون الوسطى فلا سمحك أولاً ما اصطفت من كتاب السحر الحلال . ثم أفتي ببعض ما اصطفت من كتاب المختار في كشف الأسرار لترى جمال الله الخبوء في العناصر ، وتنفع بفوائده ومنافع في الحياة ولطائف فروع الحلال وتؤنس الحلال وأخرى للاعتبار والاحتراس من الناس . أما كتاب السحر الحلال فقد اصطفت منه (٣٧) فائدة وهاك ياتها (الفائدة الأولى . كيفية جعل رأس عجل مطبوخ يصع على المائدة كأنه حتى)

الطريقة في ذلك هي أن تأخذ صفدة حية وتضعها في أسفل الرأس من جهة المنجرة تحت طرف اللسان الداخلي ويكون وضعها عند استخراج الرأس من الطنجرة حالاً وهو شديد الحرارة بحيث أن حراره تذيب الصفدة فنصرخ هناك فيخرج صوتها من فم ذلك الرأس فتبرز صوت الجهل تماماً واحترز أن لا تضعها إلا عند ارادة استعمال ذلك قبل أن يبرد الرأس أو تموت الصفدة

(الفائدة الثانية كيفية إطفاء شمع شمعلة وإشعال شمعلة أخرى مطلقاً في وقت واحد)

(أولاً) ينبغي أن تكون الشمعتان كلمتين وفتاتهما جديدة لم تمسها نار (ثانياً) أن تشق طرف الفتيلة التي تريد أن تشعلها بواسطة دبوس ونحوه وتضع في ذلك الشق قطعة من الفوسفور (١) بدرجة حنطوا جعل

(١) يجب الاحتراز الكلي عند استعمال الفوسفور ، ينبغي أولاً أن لا تمسه بأصابعك لئلا يعلق بها شيء

المسافة بينها وبين الشمعة المشعلة مقدار خمس أقدام ، وخذ يدك غدارة وأطلقها على المشعلة فيقطعها البارود بمزموه ويشعل الثانية التي في رأسها الفوسفور

(الفائدة الثالثة . كيفية عمل برق في حجرة)

ينبغي أن تكون الحجرة التي تريد أن تصنع فيها البرق صغيرة ومظلمة ولا يكون فيها منفذ الى الخارج يدخل منه الهواء ثم تأخذ إزاء من نحاس أو نحوه فتشعل فيه شياً من العرق مع الكافور وتركه في غليانه حتى يحترق العرق والكافور برمتها ولا يبقى شيء في الاناء ، وحينئذ اذا دخل أحد الى تلك الحجرة ويده شمعة موقدة يرى في الحال لمعان برق شديد في المكان ، وذلك البرق لا يخشى منه ضرر لا للسان الذي يشاه البرق ولا البيت الذي يسلم فيه

(الفائدة الرابعة . كيفية اظهار شبه قوس قزح)

طريقة ذلك أن تملأ فلك ماء وتقف في باب أوفى شبك حجرة نافذ منها نور الشمس الى الداخل وتجعل ظهرك موجها الى أشعة الشمس ثم تنفخ ذلك الماء بخا بحيث يكون نور الشمس واقفا عليه فيظهر للناظرين قوس منضئ نظير قوس السحاب

(الفائدة الخامسة . جعل الورق غير قابل للاحتراق)

عليك أن تأخذ قطعة من ورق الكتابة الاعتيادي وتغمسها بماء الشب ثم تجففها وتعيد ذلك عليها مرتين أو ثلاث مرات وتجففها في كل مرة جيداً فإذا وضعتها بعد ذلك على لهب الشمعة لا تحترق أصلاً

(الفائدة السادسة . تكييف شراب حتى يضيء في الظلام)

عليك أن تأخذ قطعة من الفوسفور بقدر الخمسة الصغيرة وتقسّمها الى قطع ثم تغمسها في وعاء من طار يكون فيه مقدار ثلاثة فنانجين اعتيادية من الماء وتغاوله على نار خفيفة وخذ زجاجة طويلة يضاء لها سدادة من جنسها تكون مضبوطة وافتحها وضعها في ماء حار ثم ارفعها وأفرغ فيها مقداراً من ذلك الماء الذي كانت فيه وأضف اليه الماء المفلّح بالفوسفور حالا وانغمس السدادة في الفراء وسدّها بالقنبية بالسرعة لكي لا يدخل الهواء كلياً فيبقى هذا الماء لماعاً مضيئاً ليلاً مدة جلة أشهر . فلذا وضعها في مكان مظلم احتزن من أن تحركها ولذا كان وقت حرو وجفاف هز القنبية فترى حينئذ لمعانا أشبه بلعان البرق في وسط الماء

(الفائدة السابعة . طريقة لإبقاء الزهور محفوظة زماناً وإبرازها في غير أوانها)

خذ زهراً من أي نوع شئت بشرط أن يكون كأس الزهرة (١) سالماً ممتلئاً وتوبيجها (٢) قريب التفتح واقطعها بفراض تاركاً لها عنقا طويلاً ما أمكن وليس طرفها المقطوع بقطعة من الشمع الأحمر وعند ما تحفّ لها بقطعة ورق ناشقة وضعها في محل ناشف . فلذا أردت بعد حين أن تبرزها أخرجها واقطع منها محل الشمع الأحمر وضعها في ماء به قليل من ملح البارود أو الملح الاعتيادي واتركها حتى تفتح وتأخذ نظارتها

(الفائدة الثامنة . طريقة لفلان حامض النريك من دون نار)

ضع في زجاجة كمية قليلة من حامض النريك وزدها قليلاً من برادة النحاس الأصفر فترى الحامض في غليان شديد ضمن الزجاجة حتى انه من قوة حرارته يلتمع لنا مولداً

منه فتأخذ قطعة من الورق وتبلها بالماء وتحمكها بها لأنه سريع الالتهاب عند الضغط أو التقسيم وإذا اتفق ولصق شيء به بالأصابع والتهب يصعب جدا المطاؤه فربما آذنى أو ألم بشدة لهُبه فلا يلقفه حينئذ إلا بالقمص بالبول وغير هذه الوسيلة لا يزيد إلا الالتهاب . ولكي يؤمن خطر هذا العنصر أتما فلما عند استعمله ينبغي أن يوضع في قنبية مملوءة من الماء بحيث ان الماء يضره بجملة والأحوط أن يمسك بواسطة ملقط فلينته جيداً

(١) هو ورقاتها الخضراء المحيطة بالتويج (٢) هو الأوراق الملوّنة

﴿ القائمة التاسعة . إظهار ماء في لون ونحوه الى لون آخر بدون صباغ ﴾

الطريقة لذلك أن تأخذ قتيحة بيضاء وتفرغ فيها مقدارا من روح القلى وتحمل فيها كمية من برادة النحاس الأصفر فيزرق حينئذ السائل ، فإذا سدت القتيحة اختفى لونه فإذا أردت إظهار اللون ثانية افتح القتيحة بالتأني فيزرق وهكذا

﴿ القائمة العاشرة . طريقة لتغيير هيئة جاعة في مكان ﴾

تأخذ كمية من الملح وأخرى من الزعفران وتقلعهما في قليل من العرق وبعد أن يتم مزيجك هذا خذ قطعة من القطن وانغمسها فيه حتى يتشرب منه جيدا ثم أشعل طرفا منها وأشعل بها الصابيح الموجودة في المحل فكل شخص أبيض يقع عليه هذا الضياء يصير لونه أخضر وتستحيل حمرة الخلدود الى اللون الذي يتوفى مشرب

﴿ (١١) طريقة لتغيير لون طائر أوتويج زهره ﴾

لأجراء ذلك ينبغي أن تستحضر زجاجة واسعة يمكن أن تسم الطائر الذي تريد أن تحول لونه واستحضر لها سداة من الفلين بحموة على قدر غلظ عنق الطائر الذي ينبغي أن يكون راسه خارجا والأجود أن تكون القتيحة منقسمة الى شطرين يقع بينهما التجويف بحيث يمكن ضمهما على عنق الطائر من دون أن يتأذى أو يهرج وبعد أن تكون هيأت ذلك تأخذ الزجاجة وتلقى بأسفلها أوقية من الكلس الجديد وثلاث دراهم من ملح النشادر وعند ماري الفلين قد ابتدأ في الزجاجة تسرع بوضع السداة مركبا فيها عنق الطائر حسب التفصيل المتقدم حتى تكون جثته ضمن الزجاجة ورأسه في الهواء وينبغي أن تكون الزجاجة طويلة ثلاثة أقدام يلحق الطائر الى أسفلها فيتأذى وتبقى الطائر على هذه الحالة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق فيتغير لونه الطبيعي الى لون آخر واحترس إن بقي أكثر من ذلك فإنه يتألم وربما يموت . وكذلك تصنع اذا أردت أن تغير لون زهرة ما ولكن يكفي أن يكون في القتيحة قصب بحيث يدخل فيه عند الزهرة

﴿ (١٢) كيفية جعل صينية القهوة تدور من نفسها على الجلاس ﴾

تأخذ سلحفاة وتلصق بظهرها قطعة من الشمع الصلى إلى صفاق محكا بالتسخين ثم تأخذ الصينية فتلصقها بتلك الشمعة على ظهر السلحفاة بعد تسخين مكان الالتصاق من الصينية بحيث تتمكن جيدا وبعد ذلك تقطع الصينية بقطعة من القماش ترسلها حول أطرافها لئلا تظهر السلحفاة من تحتها وتضع عليها القناجين وتوجهها الى الجلاس ومن طبع السلحفاة ان تحور فتدور هكذا من واحد الى آخر بحيث يظهر الناظرين أن الصينية تدور من نفسها

﴿ (١٣) كيفية وضع شئ في العين وإخراجه من القم ﴾

تأخذ قطعة من الرصاص أو نحوه بطول قمتين وغلظ قبة أو أقل مستديرة من قوامها وطرفها بحيث لا يبقى لها حرف يחדش داخل العين وتأخذ قطعة أخرى على هيئتها تماما فتضع الواحدة في فك خفية ثم تأخذ الثانية فتدخلها أمام الناظرين في عينيك في (الملاقاة) أى في طرف العين الذي من جهة الأنف وهكذا تقيها تحت جفناك الأسفل بالتدريج مع الرق مفرقا بها الى الجهة الوحشية فإذا غابت باجمها أجز أصبعك من عند العين الى جهة الخد مديرا إياه بالتدريج أيضا كأنك تمنعها تحت الجلد حتى توصلها الى القم ومتى وصل أصبعك الى قرب فك ألقى منه القطعة الثانية التي وضعتها أولا فيشغل الناظر أن القطعة التي خرجت من فك هي التي وضعتها في عينك . وهكذا يمكنك العكس أيضا فتعيد تلك القطعة الى فك وتدبر أصبعك منه الى العين عكس ما فعلت أولا ومتى انتهى أصبعك الى العين تضغط به تحت الجفن ضغطا منحرفا الى جهة الأنف مرتين أو ثلاثا فتخرج القطعة وتسقط ابقى القطعة الثانية في فك ولا تخرجها إلا خفية لئلا يكشف سر الصناعة . ولكي لا يسمع لها صوت عند اصطكاكها بأسنانك أو يتغير منطقك بسببها ينبغي أن تضعها وراء

التي هما إلى الأنابيب مادامت في فك

(١٤) كيفية تحويل فصل سكين من الفولاذ إلى نحاس أصفر

خذ أوقية من صفائح النحاس الأصفر الرقيقة وطهرها على النار حتى تنقى وبعد أن تقسمها إلى قطع صغيرة ضعها في كأس زجاج وأرق عليها ثلاث أواق من حمض النريك وأتركها خمس أو ست ساعات فيذيب النحاس وينحل وبعد أن يسكن من غليانه اغمس فيه فصل السكين فيكتسى غشاء من النحاس المالحول

(١٥) طريقة يظهر بها الفولاذ كأنه سائل

تأخذ قطعة من الفولاذ أو الحديد وتحميها إلى درجة الاحمرار الكامل ثم تعسكها بملقط باليد الواحدة وتأخذ باليد الثانية عصا تضع في رأسها قطعة من الكبريت وتلقيها على قطعة الفولاذ المحمرة فيذيب الكبريت ويسيل عن قطعة الفولاذ التي يظهر لتأخر كأنها هي السائلة

(١٦) إخراج عشرين طلقة من قنبلة نظير صوت الضفادع

خذ قنبلة من الزجاج الأسود مئنة الجبران وضع فيها مقدار نصف لتر من الماء مع خمسة وتسعين جراما من برادة الحديد وستين جراما من زيت الزاج وسد القنبلة وأتركها حتى تسخن ونفى سخنت افتحها وأدن إليها من جهة فيها قطعة ورق ملتهبة فيخرج منها طلقة ثم أعد السدادة وهكذا تكرر هذه العملية فيخرج منها عشرين طلقة

(١٧) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف

خذ قنبلة اوشبها من القنطار واملأها ماء مغلوا ثم أضف إليها ثمانين جراما من ملح البارود وعشرين جراما من عرق الطيب ثم سدّها سدا محكما وأزولها في بحر عميقة وأبقها هناك نحو ثلاث أو أربع ساعات ثم أخرجها بعد ذلك وأكسر القنبلة فتجد الماء قد تجمد

(١٨) سرّ خاص في عدد ٣٧

أي عدد من الأعداد الآتية ضربت فيه عدد (٣٧) يحصل ثلاثة أرقام متشابهة أدخلت بالنسب من (١) إلى (٩) حسب نسق الأعداد المضروب فيها وهي هذه (٣-٦-٩-١٢-١٥-١٨-٢١-٢٤-٢٧) وهذه صورة العمل

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣	٦	٩	١٢	١٥	١٨	٢١	٢٤	٢٧
١١١	٢٢٢	٣٣٣	٤٤٤	٥٥٥	٦٦٦	٧٧٧	٨٨٨	٩٩٩

(١٩) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي

تأخذ مقدارا من تراب الزرنخ وتحبه بماء الحلل وتضيف عليه شيا من الماء الاعتيادي ثم تكتب به على الورق فلا يظهر له لون ، فلذا سخنت الورقة على النار ظهرت الكتابة بلون أخضر ونفى رفعت عن النار يذهب اللون وهكذا . وهناك طريقة أخرى لاظهار الحبر السرى على الورق بعد الكتابة به وهي ان تأخذ كمية قليلة من البصل الاعتيادي مع جزء من صبرا الليمون الحامض وتمزجها معا في وعاء من زجاج وتكتب مادنت على الورق وبعد أن تجف الكتابة أعرضها على الحاضرين فلا يرونها إلا ورقة بيضاء وعند ذلك يتكلم في أي وقت شئت لاظهار الحبر وذلك بعرض الورقة لحرارة النار فتظهر لك الكتابة بلون ذهبي لا يمحى

(٢٠) طريقة لأجل الكتابة بلا حبر

غسل ورق الكتابة في محلول الزاج الأخضر أي (كبريتات الحديد) وأشره على خيطان منصوبة حتى ينشف تماما ثم خذ من مسحوق الفص الناعم جدا وأفرك به الورق بكرة تصنعها من خرق نظيفة ثم أزل ما بقى

على الورق بلالتصاق بفرشة ناعمة ثم اصنع منه دفقا فان بليت قلما أوقشة بماء أو يصابق ورسمت به على هذه الورقة تظهر لك الرسم أسود كالواستعملت جبرا ، وبهذه يستخى عن النواة وقلم الرصاص

(٢١) ﴿ كيفية متديل يدل على المطر ﴾

خذ متديلا وصوّر عليه صورة رجل حامل شمسية مصبوغة بكوريد الكو بليت فان كان الطقس حسنا ناشفا ظهرت الشمسية زرقاء ، وإن اختلف صارت رمادية ، وإن أمطرماتر يضاء وإن غسّلت زال لونها تماما

(٢٢) ﴿ متديل غير قابل الاشتراق ﴾

خشبنا ونوشادرا واعجنهما بزالال ييض واطل بهما متديلا ، فاذا أقيته بالثار لا يحترق

(٢٣) ﴿ طريقة لأجل امساك النار ﴾

خذ زرينخا أصفر مورا وشبا يمانية وامزجهما بزالال البيض وادهن بهذا يملك فلذا مسكت النار لا تحرقك

(٢٤) ﴿ طريقة لجعل يضة تطير لقاتها ﴾

خذ يضة حمام واقبها وأفرغ ماضيها واملاها من الندى ثم سدّها بقليل من الرفت والعلها بلهان أيضا نظير لونها وحينا تريد تطيرها ضعها في الشمس فتراها تطير لقاتها

(٢٥) ﴿ طريقة لعمل حجر سرى ﴾

خذ من حليب التين واكتب به على الورق وبعد أن تنشف الكتابة اعرضها على حرارة النار فظهر الكتابة بلون ذهبي غامق

(٢٦) ﴿ طريقة لعمل حجر لا ينظر إلا في الليل ﴾

خذ نوشادرا وحلّه في حليب واكتب به فيظهر في الليل ولا يظهر في النهار

(٢٧) ﴿ طريقة لزع الخبر عن الثياب ﴾

خذ نوى المشمش اللوزي ودقه ناعما وافرك به القطعة الملوخة فيزيل الخبر عنها

(٢٨) ﴿ طريقة لإهلاك البراغيث ﴾

اتقح مسعوق الكبريت الأصفر في خل كاف يضره مدة ثلاثة أيام ثم رش به الموضع المطلوب فتفتر البراغيث منه ولا ترجع إليه أبدا مادامت تنشق رائحة الكبريت (عجربة)

(٢٩) ﴿ طريقة لإهلاك البق ﴾

خذ (١٦) جزأ من الصابون وجزأين من الزرينخ الأحمر وجزأ من الكافور وضع الجميع في مقدر كاف من العرق حتى يصير المزيج كالزهر وادهن به الموضع القاطن فيه البق فيجعد لاهالة (عجربة)

(٣٠) ﴿ طريقة لإهلاك المراسير ﴾

امزج قليلا من مسعوق الزرينخ بتفاحة مشوية وضعها في الخلات التي تكون فيها المراسير فهلك لاهالة . ولكن يجب الاحتراس من أن يصل إليها الأولاد فيأكلوها فيفسدوا

(٣١) ﴿ طريقة لطرد الفل الصغير القتر ﴾

امزج بمل معلقة صغيرة من الطرطير اللقي بملقتين من الدبس وضع للمزيج في ماء وحركه واجعله حيث رايت الفل وفي الصباح نجد نكلا كثيرا ميتا على وجهه والبقية قد ارتقت وهربت ثم اهرق الفل الميت عن وجه المزيج وأعد هذا العمل في كل مكان يظهر فيه الفل فهلكه بأقرب وقت

(٣٢) ﴿ ضوء الفوسفور ﴾

يمزج (١٢) قحمة من الفوسفور و(٤) دراهم من زيت الزيتون في قبة صغيرة ثم تسد هذه القبة سدا غير محكم وتضعها في وعاء فيه ماء مسخن حتى يغيب الفوسفور فتسد القبة حيث سدّا وكانهز حتى

تكاد تترك فكلما فتحت بعد ذلك أضاءت إضاءة تكفي لظهور الكتابة وتقدم أضائها هذه بضعة سنين انتهى ما أردته من الكتاب الأول

وأما الكتاب الثاني فإن مؤلفه يقول انه عمله لملك السعود ذكر فيه حيل المتنبئين والشيوخ الكاذبين والأخبار والرهبان وأصحاب الكيمياء وطلاب الكونوز وهكذا . فلا ذكر لك ما فيه فوائد للاعتبار والانتهاض

{ القصة الأولى في كشف أسرار من ادعى النبوة }

قد كان ظهر في آخر خلافة السفاح بأصفهان رجل يعرف باسمي الأخرس فادعى النبوة وتبعه خلق كثير وملك البصرة وعمان وفرض على الناس فرائض وفسر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل . وكان حديثه انه نشأ بالمغرب فطلع القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزيور وجيع الكتب للترجمة ثم قرأ الشرائع ثم حل الرموز والأقلام ولم يترك علما حتى أمته ثم ادعى انه أخرس وسافر ففزل بأصفهان وخدم قبا في مدرسة وأقام بها عشر سنين وعرف جميع أهلها وكبرائها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة فعزل له أدهانا ودهن بها وجهه حتى لا يمكن أحد النظر اليه من شدة الأنوار ثم نام في المدرسة وأغلق عليه الأبواب فلما لم الناس وهدأت الحواس قام فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أوراقرق السرج . ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم أتبعها ثانية وثالثة ثم انتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت أظيب ما يكون وبغمة أرق من النسيم فلما سمع الفقهاء نواحبوا وأشرفوا عليه وهو على تلك الحالة فحارث أفسكارهم من ذلك ثم أعلموا المدرس بذلك فأشرف عليه وهو على تلك الحال فلما رآه خرم فغشا عليه ، فلما أفاق عمد الى باب المدرسة ليفتحه فلم يقدر على ذلك فخرج من المدرسة وتبعه الفقهاء حتى انتهى الى دار القاضي والاختبار قد شاعت في المدينة فأخبر القاضي بذلك فخرج القاضي واتصل الخبر بالوزير واجتمع الناس على باب المدرسة وهو قد فتح الاقفال وترك الأبواب غير مفتحة ، فلما صار القاضي والوزير وكبراء البلد الى الباب اطلع عليه الفقهاء وقالوا له بالذي أعطاك هذه السرجة افتح لنا الباب فأشار بيده الى الأبواب وقال فتفتحي أبواب الأقفال ففسدوا وقع الاقفال الى الأرض فدخل الناس اليه وسأله القاضي عن ذلك فقال انه منذ أربعين يوما رأى في المكان أثر دليل واطلع على أسرار الخلق ورأها عيانا فلما كان في هذه الليلة أتاني ملكان فأيقظاني وغسلاني ثم سلما عليّ بالنبوة فقالا السلام عليك يا بني الله خفت من ذلك وطلبت أن أرد عليهم السلام فلم أطلق وجعلت أتملّل ردّ الجواب فلم أفسر على ذلك فقال أحدهما اتع فاك بسم الله الأزلي ففتحت في وأنا أقول في قلبي بسم الله الأزلي فجعل في في شيأ أبيض لا أعلم ماهو أبرد من الثلج وأحلى من الشهد وأذكى من السك فلما حسد لي في المعاني نطق لساني فكان أول ما قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالا وأنت رسول الله حقا . فقلت ما هذا الكلام أيها السادة . فقالا إن الله قد بعثك نبيا . فقلت وكيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا محمد انه خاتم النبيين . فقالا صدقت ولكن الله أراد بذلك انه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته فقلت اني لا أدعي بذلك ولا أصدق ولا لمهجرات . فقالا يوقع في قلوب الناس تصديقك الذي أنطقك بهدان كنت أخرس منذ خلقت ، وأما المهجرات التي أعطاك الله عز وجل فهي معرفة كتبه المنزل على أنبيائه ومعرفة شرائعه ومعرفة الألسن والأقلام ، ثم قالوا اقرأ القرآن فقرأته كما أنزل ، ثم قالوا اقرأ الانجيل فقرأته ، ثم قالوا اقرأ التوراة والزيور والصحف فقرأت الجميع كما أنزل ، ثم قالوا قم فأخبر الناس ، ثم انصرفا عني وقت أنا أسلى وهذا آخر خبري فمن آمن بالله وبمحمد ثم في قد فاز ومن كذب فقد عطل شريعة محمد وهو كافر والسلام ، فعند ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وعمان وغيرها واستفعل أمره ولم يزل كذلك حتى قتل وله شيعة بعمان الى يومنا هذا قبحهم الله تعالى

﴿ القصة الثانية ﴾

ظهر في سنة تسعين وخمسة صاحب من الاسماعيلية يقال له (سنان) وزل (عسياط) وحكم فيها وفيها لها من القلاع وكان خبيراً بالحيل والتواميس الافلاطونية وسمع به أهل تلك الجبال وأطاعوه طاعة لاحد لها حتى انه كان يقول أريد الساعة عشرة من الرجال تصعد على السور ويرمون أرواحهم فيسارعون الى تلق أرواحهم وهذا رباط لا يقتر عليه أحد وكان يعمل لهم مثل هذه الحيل كثيراً وهذا مشهور عن سنان وهي صفة عمل أهل النار ، ومن جهة حيله انه كان حفر في مجلسه المصطبة التي يجلس عليها حفيرة بمقدار ما اذا جلس الانسان فيها جاءت الى رقبته ثم حسنها وبلطها وعمل لها غطاء من الخشب الرقيق مقورا على مقدار ما يسع رقبة الرجل ثم أخذ طبق نحاس وقوره في وسطه ثم جعله مصرعين ولم يطلع عليه أحد فكان اذا أراد أن يفصل ذلك أخذ من يختاره من أصحابه بعد أن يبه الأموال العظيمة ثم يوصيه بما يقول وينزله في الحفرة ويضلي عليه ويخرج رأسه من القوارة ثم يأخذ الطبق القور فيصعله في رقبته ثم يسقط عليه السواط فلا يظهر منه شيء إلا رأسه ثم يجعل في طبق شيئا من اللحم ثم يشيع انه قد ضرب رقبته ، ثم يدعو أصحابه اليه فاذا حضروا أمرهم بالجلوس فاذا جلسوا واستقر بهم الجلوس قال لملاؤكم أكشف هذا الطبق فيكشفه فيجئون فيه رأس صاحبهم فيقول له حنت أصحابك بما عانيت ما قيل لك فيحدثهم بما أوصاه فتذهل عقولهم من ذلك ثم يقول له في آخر الكلام أيما أحب اليك الرجوع الى أمك والى ما كنت فيه من الدنيا أو السكتي في الجنة فيقول صاحبني بالرجوع الى الدنيا والله ان خروجا مما أعد لي في الجنة ما أيعها بمثل هذه الدنيا سبع مرات فأتبعوها يا أحمقائي وأنتم عليكم سلامي وأرجو أن تكونوا في جوارى في الجنة ، فاطه الله والحفر من مخالفة هذا الصاحب القبي هو خليفة الامام وهو الحاكم في الموقف كما قال لي الخالق جلت قدرته والسلام ، فاذا سمعوا ذلك صتقوا ثم ينصرفون فاذا انصرفوا عنه أطلعه من أخجرة وحجبه الى الليل فيضرب رقبته ويدفنه . فهذا الخبيث قد استعبد أهل تلك الجبال مدة حياته والى يومنا هذا الرباط باق

﴿ القصة الثالثة في كشف أسرار من ادعى النبوة أيضا ﴾

ظهر في خلافة المعزّ بالدار المصرية رجل ادعى النبوة وزل (تنيس) وكان يعرف بفارس بن يحيى السليطي وسلك مسلك عيسى ابن مريم عليه السلام وادعى إحياء الميت وإبراء الأبرص والأجنم والأعمى ، وبني له صومعة بتنيس على البحر شمالى البلدهى باقية الى يومنا هذا ثم أحيا لهم الميت أيضا ، ثم ذكر طريقتي الغش والإيهام فلانطيل به وانما نذكر بعض معجزاته التي يقول انه كشف أسرارها ، قال انه كان يمشي على الماء على ساحل البحر فيطلع السمك اليه من البحر ويقبل أقدامه وذلك انه كان يأخذ من خزء الآدى جزأ ومن البافروج جزأ ومن حب القثاء جزأ ثم يدقها ناعما ويجهنبا بدهن الياسمين ويلطخ به أقدامه ثم يمشي على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة اللواد ويلصق أقدامه فيتوهم فيه الأوهام بالنبوة وغيرها ، ولاكتف بهذا القدر في ادعاء النبوة

﴿ القصة الرابعة . الشيوخ الكاذبون ﴾

ثم ذكر الشيوخ فأتى على الجنيدي وابراهيم بن أدهم والحسن البصري وسرى السقطي ومعروف الكرخي وأبي سليمان النيراني وغيرهم ، فهذه هي الدرجة الأولى . أما الدرجة الثانية فهم أصحاب الرياضات والعلم بالأسماء مثل عبادان وبهلول والشيخ أبي العباس ، قال وقد ظهرت ثمان وثلاثمائة رجل يعرف بالحسين بن منصور الخلاج وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى علي بن عيسى الوزير فأحضره وضربه ألف عصا وقال انه كان ينشد هذا الشعر

وسومة الود الذي لم يكن * يلمع في إفساده الدهر

مانثي عند نزول البلا * جهد ولاسنى الضر
ماقتلى عضو ولا مفصل * إلا وفيه لكم ذكر

قال وأما السرجة الثالثة من المشايخ فهم أصحاب الحسن المختلفة والتباخير ، فهذه الطبقة هي المسمومة وإنما نذكرها هنا لتوقف المسلمين الى الشيوخ الكاذبين الذين يجالون الدين وسيلة للدنيا وهذا الكتاب قد جعله الله من السيوف المرفقة تقطع دابر هذه الطبقة من بلاد الاسلام وهذا مناسب للسحر في القرآن لأن ما سنسسه هنا ملحق بالسحر فليحترس للمسلمون منه

﴿ القصة الخامسة ﴾

قال . فن المشايخ أصحاب الزوايا من أهل هذه السرجة ، ختم من يتعالى النزول في التنوير وقد أقدم فيه فطر من الحطب فيزل فيه ثم يغيب ساعة ويطلع وعلى يده طابخ فيه سمك مقل أو دجاج محشو أو خروف مشوى أو ما اتفق من ذلك فيلعل الناس ويغرق عقولهم وذلك أن هذا التنوير يكون مرص (كذا) الأهل فتكون حرارة التنوير من أعلاه وأسفله بارد إلا أن هذا التنوير يكون بحكم البناء وله صاج من الحديد في أسفله وقلبك الصاج خلوا في الحائط مهتس محم بحيث أن النار جميعها تكون في الصاج وبقدر ما يذبح يده على حافة التنوير يسبح ذلك الصاج بما عليه من النار في ذلك الخلو فيبقى أسفل التنوير خاليا من النار باردا فيقعده فيه ويكون قوده بقدر ما يعلم أن الخروف مثلا قد استوى فإذا طلع أخذه معه وأطعمه لمن قد حضر ، وإذا كان هو أسفل التنوير فإن أعلى التنوير لا يعتبر أحد أن يقابله من وجه النار

﴿ القصة السادسة ﴾

ومنهم من يفعل غير ذلك قبضهم الله تعالى فيزل في النار وقد روي جميع جسد الترابيص التي تفتح من النار وفعلها ، ولذا كرا ترايص التي يعملونها لمنع النار ، فن ذلك يؤخذ الضفدع ويسلق حتى ينضج ويتفتت ولا يبقى له أثر ثم يرفع عن النار حتى يبرد فإذا برد جد الفهن على وجه الماء فيأخذ ذلك الفهن ثم ينسيف اليه شيئا من البرود التلجي ثم يقطع به جسده وجميع أعضائه ويدخل النار فلها لا تضره شيئا . ومنهم أخوانهم الله من إذا عمل السباع أخلى الزاوية من الماء فإذا رقصوا عطشوا فيشكون للشيخ ذلك فيقول ها هنا شيئا وخفوا ماء للشرب فيعطونهم إبريقا أو غيره فيأخذ يده ثم يفتح باعه ويدور في الطابق ثم يدفع لهم الوعاء ملائا ماء مبغرا بمسك فيقول هذا من نهر الكوثر (أخوه الله) فيشرب الجباعة من ذلك الماء وقد حارث عقولهم من ذلك « وكشف ذلك » انه يأخذ مصران غنم فيدفعه بعد غسله ثم ينقعه بماء الورد سبعة أيام وبعد ذلك يأخذه قبر بلا طرفه الواحد وبلا جيدا ثم يجعل في طرفه الآخر عقدة قصب ثم ينفخه في الهواء حتى ينفج فإذا جف رفعه عنده فإذا أراد العمل به أخذه ثم ملأه ماء وقد جعل فيه قليل مسك وماء ورد ثم جعله في قديمه وقد عمل له حالات من تحت قبة القميص من كنه الشمال الى كنه اليمين فإذا أراد أن يسقي الجباعة جعل رأس المصران في فم الوعاء وهو دائر من حيث لا يعلم به أحد ثم يرك رأس المصران بظفره فيزلق الماء في الوعاء ثم يدفع لهم الوعاء ويدعي ما أراد ويقع منهم غير ذلك

﴿ القصة السابعة ﴾

ومنهم من يكون في السباع ويتقدم الى الشمعة أو الى المصباح فيمد يده ويشعل أصابعه للشمعة فتشتعل كما يشعل الشمع فإذا أشعلها أطفا ما يكون من الشمع ولا يزال يرقص وأصابعه تشتعل حتى ينضج الخلق ثم يبدى الشمعة فيسعلها ويطن أصابعه وهذا ناموس عظيم ، والسر في كشف ذلك انه يأخذ من الهواء الذي ذكرناه في نزول التنوير فيلطن أصابعه جميعها الى العقد ويدعها حتى تجف ثم يأخذ النفط ويلبسه على ذلك الدهن ثم يشعله في النار فلا يزال يشعل حتى ينقد النفط ولا يترك يده شيء من الحرارة فافهم . ومنهم من يدهن يده

بالهمن ثم يعمل له عشرة قوع من اللد الأحمر الطائقي ثم يلبسها أصابعه العشرة ثم يسقيها بالنط وشعلها فتشعل ولا تنقر شيئاً . ومنهم من يكون جالساً في الزلوية وعندده جماعة فيشبهى كل واحد منهم على الشيخ شهوة فيحضر شهواتهم على الوصف الذي طلبوه وقد كنت اجتمعت في بلاد الحجاز بشيخ يعرف بسلطان وكان من أهل المغرب فكنا عنده ثمانية أثمار فاشتبهى كل واحد منا شهوة فقام إلى بيت الخلوة يسلي ويدعو ثم خرج فلم نشعر إلا والقي طلبناه قد حضر نفر من عقول الناس وشاع ذلك عنه وبعده الفتوحات من كل اقليم وكشفت عن هذا السر فوجدت للشيخ قعدة في المدينة وعندده في بيت الخلوة طائر يأتي بيت القعدة ، فإذا انتهى كل واحد ماني قلبه قام الشيخ إلى بيت الخلوة ثم كتب جيع ما طلبته الجماعة في بطاقة ثم علقها على الطير ثم أرسله فجميع ما يكون قد طلب منه ترسله القعدة فلا يشعرون إلا وقد حضر فيدخل من كان حاضراً فافهم أسرار هؤلاء القوم ودعاهم . ومنهم الذين كراماتهم أكل الحيات والنار فوالله لفضل هذا أمام اطفال لضحكوا على من يفعله ، فيا عبيان القلوب أهذه كرامات الصالحين ؟ فانتبهوا يا نيام وتيقظوا

﴿ القصة الثامنة في كشف أسرار كذبة الوعاظ ﴾

ثم تكلم عن الوعاظ فقال ومن دعاهم أن أحدهم يصعد على المنبر يخشع وسكينة فإذا شرع في الكلام وذكر أهوال يوم القيامة بكى بدموع أسر من الجبر ، فإذا أراد ذلك يأخذ المنبر فيسحقه ثم ينقعه بأبلل يوماً كاملاً ثم يسقى به للتبديل الذي يسمح به وجهه ثم يتركه حتى يجف فإذا حصل على المنبر مسح وجهه بذلك للتبديل نزل دموعه مثل المطر وهذا أول ما لمس من الدعاء ، ومن ذلك أنهم يجوزون بعض نساءهم في زى أرباب البيوت فيظهرن أنها قد أخفى عليها الزمان ولا تقدر تبذل وجهها في السؤال إلى الخلق فيصطف عليها القلوب ويردد الكلام في ذلك المضي ويورد فيه أخباراً وحكايات ثم يخلع ثوبه ويرمي عليها ويقول والله لو ملكت يدى شيئاً من التفقة لكنت أنا أحق بهذه الثوبة ولكن العذر واضح فهذا ثواب يساق اليك فإذا رأت الجماعة ذلك لم يبق أحد حتى يردفها بشئ على قدره ومكنت وما يحصل فهو للشيخ الواعظ

﴿ القصة التاسعة في كشف أسرار كذبة الرهبان ﴾

أعلم أن بعض هذه الطائفة أعظم الأم كذبا وفاقا ودعاه وذلك أنهم يلعبون بقول النصارى ويستحيون النساء وينزلون عليهم الباروك ولا يعلم أحد أحوالهم وهم أضل الخلق وأخس من غيرهم لأنهم إذا خلوا بأنفسهم يعترفون بأنهم على ضلالة وقد غيروا الأحوال والأفعال والأقوال ولم أعمال عظيمة لاتعد ولا تحصى وهم يأكلون الأموال بالباطل ويرتبون الكذب وزخارف القول وهم أكذب الخلق على كل حال ، فبعضهم من عمل لديه عبداً ويجعل له ناموساً من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى ، وهؤلاء أثبت الآن لك شيئاً من ذلك فأقول ، أعلم أن هؤلاء القوم أعظم ناموس لهم قنديل النور في كنيسة ثمامة بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليه جميع النصارى وأسباطهم وأجنادهم ، وقد كان الملك العظيم ابن الملك العادل قدس الله روحه دخل إلى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب لا أبرح حتى أجبر هذا التوريف ينزل فقال له الراهب أيما أحب اليك هذا المال الذي يتحصل من هذا الوجه أو اطلاعك عليه فأنك ان كشفت سره عصمت هذا المال فأنكره مستورا مصاناً ولربح هذا المال العظيم ، فلما سمع ذلك علم بلطن قول الراهب فتركه على حاله وخرج ، وهنا ذكر أن الراهب يضع الكبريت في حتى في رأس قبة الكنيسة والخلق معلق في سلسلة وهي تدمن بدمن اليسان وبين كيفية ذلك فلا تضل به

﴿ القصة العاشرة . أهل الكيمياء ﴾

وذكر أهل الكيمياء ، قال ومن أعظم ما وقعت عليه أن السلطان الملك العادل نور الدين بن زنكي جرى له حديث يكتب بجاء الذهب ملخصه أن رجلاً انجسما جاء إلى دمشق ومعه ألف دينار جعلها في بنادق ومصرها

في خلا وسهاها (طبرمك خراساني) وقال لطار هذه تنفع لسموم وباعها له بخمسة دراهم ثم لبس أغفر الثياب وأخذ بحسن للناس ويحاسب العلماء ويقول أنا أقدر أن أستخرج الذهب ولكن ذلك يكون لنفعة المسلمين في الجهاد وهو في ذلك الوقت ينقذ باليمن والشمال فبلغ خبره الملك فاختل به وأخذ عليه العهد لنصر المسلمين بالمال وقال له لا بد من (الطبرمك الخراساني) فبحث الجيش والوزراء في جميع الدكاكين وهو معهم إلى أن وصلا إلى المكان المعلوم فاشترها الملك منه ثم وضعها الملك بنفسه في البودقة فخرجت سيكة ذهب فأعطاه الملك مالا وجهزه بستين جلامنا شراب عمل تبتس ودمياط ومن عمل اسكندرية ومنها سكر بالأجال والأجال والجلالين ثم أعطاه خيمة ومطبخا وفرشين وثقة الطريق إلى بغداد وإلى البهم وكتب معه كتابا إلى سائر البلاد بالرعاية والخدمة والاعانة ثم خرج السلطان وأرباب الدولة إلى وداعه وراح وقد وصل هذا إلى البحر المكرم وحصل له الاكسبر الأعظم . ومن أعجب ما في هذه القضية انه كان بدمشق رجل يكتب أسماء المغفلين الخرفين فسمع بهذه القضية فكتب في رأس جريدته « السلطان نور الدين محمود رأس المغفلين » فشاغ ذلك ولم يعلم أحد بالمن القضية حتى قبل السلطان قد كتبك شخص رأس المغفلين فقال أي شيء أبصر من تغفلني حتى يكتب اسمي (هاتوه) فزلت إليه الجند وقولوا له بسم الله كلم السلطان فأخذ الجريدة في كفه ومشى معهم فلما وقف قدام السلطان قال أنت فلان الذي تكتب أسماء المغفلين ، قال نعم ، قال وكتبتي ، قال نعم وهذا اسمك ثم أظهره ، فقال وما ظهرك من تغفلي حتى كتبتي ، فقال ومن يكون منك جاءك أعجبي نصاب عمل عليك حيلة ودك عليك ألف دينار أخذ بها مال للمسلمين وراح ، فقال راح يأتي بطبرمك وكأنك به وقد جاء معه الطبرمك فعمل منه أموالا لا تحصى ، فقال له ياخوند ان رجح الأعجمي وجاء بحوت اسمك من الجريدة وكتبت اسمه وما يكون في الأرض أغفل منه . فلما سمع السلطان ذلك ضحك وقال اعطوه شيئا ينفقه عليه فأعطوه شيئا وراح . ولكن كلما أغفل أخذ الجريدة ووقف على باب القلعة فاذا ركب السلطان فتح الجريدة ويقول ما جاء وهذا اسم السلطان مكتوب فيضحك ويطلق له شيئا ، فانظر إلى هذا الذك والجسارة على بيع ألف دينار بخمسة دراهم فأقام السلطان على هذا حتى توفاه الله والطبرمك لم يأت

وأختم هذا القول بما جاء فيه من كشف أسرار الصيارف وتلاصيحهم قال ، اعلم وقك الله أن هذه الطائفة من جهة للسوم وقطاع الطرق ولهم أمور لا يعلمها إلا كل قاض وأحوال لا يطلع عليها إلا راجع القتل وهم أشد الناس أجراما وأصنعهم في أخذ أموال الناس مع أن فيهم متميزين وذوي هبة ووقار ولهم في تلك أبواب فأول ما رأيت في الهند رجلا صيرفيا له من الخشمة شيء عظيم وجميع التجار تورد إليه أموالهم ويستدينونها منه قليلا قليلا ورأيت قد صنع شيئا لم يسبق إليه وذلك اني رايت في يده خاتما بفص وعليه نقش فأدتم الجالوس عنده وأدتم النظر إلى ذلك الخاتم فرأيت اذا قبض الذهب من التاجر يجعل فص الخاتم من قدام لسان الميزان إلى ناحية الصنع . واذا دفع للتاجر الذهب حول فص الخاتم إلى قدام لسان الميزان فاذا قرب الخاتم لف لسان الميزان لعبا زائدا فعلت أن هذا الخاتم فيه شيء من الذك ولم أزل أبحث عنه وأفكر فيه . ففي بعض الأيام اتفقت لي فيه شيء فقلت هذا والله ذلك لم يسبق إليه واذا فص الخاتم من حجر المغناطيس فاذا قبض الذهب أدار الخاتم إلى ناحية الصنع فيأخذ لسان الميزان هواده ويمنع من النزول بمقدار ما يجذب من الحجر فيكون في الوزنة زيادة متقال وأكثر من ذلك . انتهى ما أردته من الكتاب الثاني

هذا ما اخترته من الكتاتين وقتله ولكني لم أجرب شيئا منه . وانما أردت بالسحر الحلال أن يعلم ما صبح منها على جمال الله وبدائع صنعه . وأما ما اخترته من الكتاب الثاني فذلك ليعلم المسلمون كيف كان الفتن والتليس في بلاد الاسلام ليحترسوا منه الآن والحمد لله رب العالمين ولما انتهيت من هذا المقام حضر إلى عالم ذك فقال ما قصد من هذه الحكايات الخرافية . فقلت لقد

أوضحه فيما مضى وهاتان أوضح للقلم فأقول إن القصد من هذه الحكايات ﴿أولاً﴾ أن نطلى التفسير حقه فنذكر السحر عند قدماء المصريين ﴿ثانياً﴾ أن نذكر ما كانوا يزعمون انهم يفلقون البحر بالعزائم فلأن ضرب سيدنا موسى البحر بصاه فهي مجزة ولكن هؤلاء يزعمون انهم يفرقون البحر بالعزيمة فيكون موسى عليه السلام أتى بمجزة تبهرهم ﴿ثالثاً﴾ ان هذا التفسير ماهو إلا روضة من رياض العلم ، فإذا كان أهل ألمانيا ينقلون عجائب قدماء المصريين ومزامعهم وقد بقيت هذه الحكايات في بطون التواريخ المصرية ألافا من السنين ثم احتفظ بها أهل أوروبا من ألمانيا وغيرها فكيف لا تذكر الناس بها لاسيما أن القرآن قد أشار إليها واعتنى بها ومدح سحرة فرعون وشرفهم بالإيمان لأنهم محققون في العلوم ﴿رابعاً﴾ ان البراعة في العلوم فرض كفاية وقد قلتمنا في (سورة البقرة) أنواع السحر ، وأن بعض السحر الآن يجب تعليمه فهو فرض كفاية (راجع ما كتبناه في البقرة) فافهم هناك كيف يقول الله - وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة - الخ ﴿خامساً﴾ ان علم السحر المذكور متوجع بعينه خوافة وبهينه له أصل ولعلنا اننا لانهم بالتفاصيل وانما نذكر كذا بما مضى في هذا التفسير في سورة البقرة فقد ذكرت لك هناك كيف يؤثرون الموت على الماتوم وقد تبين لك ذلك في الحكاية الثالثة المتقدمة ، فتأثير زيد في عمرو أمر له وجود اليوم في المسارح العاتقة يراها الناس في الشرق والغرب ، واعلم أن للنفوس الانسانية قوة كلغة اذا استكراها الانسان فتعت • قال اللورد (أفبري ان كبتنا) الشيطان العالم بالفراصة بلغ من شدة قوى عقله في قطعة واحدة أن استطاع أن ينسى جميع أوجاعه فلا يشعر بها وهذا يصدق على جميع الذين يستطيعون أن يتحكموا في ارادتهم فانهم بذلك يتمكنون من تحرر نفوسهم من رقة الأوجاع الصغرى وانتاشهم ﴿وبعارة أخرى﴾ انهم يصلون الى حيث يمتلك العقل قياد الجسم ويصبح السيد المطلق الأمر انتهى انتهى

هذا ما يقوله اللورد أفبري الانجليزى . ويقول الفلاسفة ﴿إن النفس الانسانية لها تأثير في بدننا مثل كيفيات الفرح والحزن وكالتوهم الذى يجعل للمشي على الحائط يسقط مع انه لومشى عليه وهو على الأرض سقط ومتى قوى عزيمته مشى على الحبل وعلى الحائط ولا يسقطون لأنهم أذهبوا عنهم هذا الوهم ﴾ ويقولون ﴿إن النفس الانسانية كما تؤثر في جسمها تؤثر في غيرها لأنها أرق من عالم الماديات والسحر عندهم لاجتاج الساحر فيه الى معين بوصاحب الطلسمات يحتاج الى معين كروحانية الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في العالم العنصرى والفرق بين السحر والمجزة انها قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير فالتبني مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وامداد الشياطين له في بعض الأحوال ونحن نعرف الفرق بينهما بأن المجزة لصاحب الخير والسحر لصاحب الشر •

ولبعض المتصوفة خوارق للعادات ، واذا قدر أحدكم على فصل الشر فلا يأتية لأنه مقيد بالأمر الإلهي ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حله ، ومن الطلسمات أعمال قوم قابلهم ابن خلدون بالغرب يعرفون بالعاجين وهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فيخترق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج ، هكذا قال ابن خلدون لأنهم أكثر ما ينتحلون من السحر بعج الأغنام وهم يخيفون بذلك الأغنياء فيعطونهم من أموالهم ، قال وهم لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية واشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها حقيقة عندهم تسمى (الخزيرية) قال وقد شاهدت أعمالهم الكفرية وهي حقيقة . انتهى ملخصا

أقول ، واعلم أن هؤلاء البعاجة قد أخبرني بهم أحد أبناء (طيطوان) وقال انهم يجلسون على هيئة الصوفية في جهة مرا كش ويضعون انهم على طريقة شيخ زاهد ومتى جلسوا في مكان وأخذوا يتلون أقوالا مخصوصة أمكن أحدهم أن يطير فوق القبة التي فوقهم واذا كان وحده لا يقدر ، واذا أهدى اليهم أحداشة

بقروا بطنها بأيديهم وسكاكينهم ثم شوهوا بجملدها وأكلوها ، فلما سمعت هذه الحكاية قلت انهم من أولاد أولئك البعلجة تسموا باسم الصوفية تسموا لأن هذا عمل من لادين له ، واعلم أيها الذي أن طوائف كثيرة من الذين ينتسبون للصوفية يخيفون الناس بأنهم يؤذونهم وهم في ذلك كاذبون يريدون أن الناس يطمئنونهم الطعام وهم نائمون في بيوتهم وهذا ظلم مبین فيجب إزالة هذه الطوائف من المسلمين ، وإذا وجد سحر تصرف أولشيخ في الطريق فلا تقه لم على ايداء العاملين وكفائك مجزة موسى وعصاه وكيف كانت تلقف ما يافكون واعلم أن الأمة الاسلامية يجب عليها أن تعلم هذه الحقيقة وأن لا تدع أهل الطرق يعبثون بالمسلمين ويخيفونهم فهذا ضياع للأمة ولاتأخير لأحد على أحد والرجل النافع للأمة يلب ألافا من أولئك الساحرين والذين يدعون أنهم صوفية وساهم بسادقين وقد تبينت هذا بنفسى وعلمت أن الخلداع عم الأمم الاسلامية والله لا يهدى الخائفين

{ حقيقة }

اعلم أنه لا فرق بين أولئك الذين يقاتلون الناس بالمدايع والعازات الخافقة أو يدسون لهم السم في الطعام والذين يأتون بالعقاقير الطبية ويقاتلون الناس بها سرا والصوم والسارقين وأمثالهم وبين الذين يستعملون السحر أو يصرفون في الناس أو يخبرون بالمفريات حقا أو باطلا لأجل أخذ أموال الناس بالباطل ، فكما اتنا نعت الطيب الذي عرف السم فقتل به الناس ونعت الذين يحاربون بالعازات الخافقة ويمتدون الناس أو يصومهم هكذا يجب علينا أن نقاتل السحرة والذين يجهون النعم كما قاله ابن خلدون وأولئك الذين يقرؤن أدعية ويخيفون الناس بأنهم قادرين أن يؤثروا فيهم . فهذه الطاقة من المسلمين الذين يقولون نأكل أموال الناس بطريق إغاثتهم من دعاياتهم وكرامتنا ، لا فرق بينهم وبين السحرة فكلمهم يحرقون لأن الله لم يجعل الكرامة وسيلة لجلب الطعام وإنما جعلها وسيلة للهداية ، فإذا وجدنا من يفعل هذا حرقناه ولعلنا أنه هو والساحر سواء لا فرق بينهما وهما يريدان أكل أموال الناس بالباطل

واعلم أن الله أزل هذه الآيات ليرينا أن الحق يغلب السحر لأن عصا موسى ابتلعت عصى السحرة هكذا يجب على علماء الاسلام أن يزيلوا هذه الخرافات من المسلمين ، وليعلموا أن القرآن جاء لازالة السحر لا لتقويته ، ومن عمل السحر وزعم انه كرامة فهو ملعون ، واعلم انك اذا تصدقت لرفق الأمة الاسلامية لا يؤثر فيك مؤثر ألبتة وتغلب كل من يناوئك والاسلام محتاج الى مصلحين والله هو الولي الجيد ومماثل النفوس إلا كمثل النبات فيها السام ومنها اللغذى ، فلنغفل مع النفوس السحرة والتي تصيب بالعين ما تغفل مع الحشائش الضارة بزرعنا ومع الحيوانات الصغيرة المسماة بالمكروب فانا نجتهد لا يلدتها فلا فرق بينها وبين النفوس المنحرفة

واعلم أن هذه الدنيا دار اشتب فيها الباطل بالحق . الا ترى أن أكابر العلماء يقولون انها دار خيال ويستدلون بقوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه - ويقول بعضهم - هالك - اسم فاعل وهو حقيقة في التلبس بالفعل فكان الدنيا هالكة الآن . ويقولون إن ماني هذه الدنيا من سدوات وشموس وأرضين ونبات وحيوان وضياء . كل هذا له حقائق غير هذه وإنما هذه ظلال الحقيقة والحقيقة وراءها ولقد تمادوا في ذلك حتى أوضاعوه وهذه تسمى { نظرية اينشتين } فقد جاء في بعض الجرائد المصرية يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٥ ما يأتي

{ جيايرة المقول }

{ اينشتين ونظريته . الزمان والمكان }

في عام ١٩١٥ والحرب العظمى في أشد أدوارها خطرا أعلن نايبة الألمان الدكتور اينشتين الجزء الخطير

من نظريته وهي النسبية العامة التي تبحث في هندسة خاصة بالكون ليست بالاقليدية ودخل ضمننا في هذا البحث أمر الجاذبية وظل ما يقال عن النسبية العامة والجاذبية محصورا في داخل حدود ألمانيا إذ كانت منعزلة عن العالم في هذا الأوان ، فلما وضعت الحرب أوزارها خرجت النسبية العامة خارج ألمانيا ، وحدث أن كان للكسوف الكلي للشمس عام ١٩١٩ م وهو عام الهدنة وفيه تحققت بعض آمال أينشتاين فانشرت النظرية انتشارا عظيما في هذا العلم وفي الأعوام التي تليه حتى امك قلمارى مجلة لاندكرها أوجامعة لايبقي فيها محاضرات عنها وانتشرت الكتب الانجليزية والأميركية وأعطيت جوائز مالية كبيرة لمن يشرح النظرية شرحا متما مختصرا فأنت ترى أن عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ وما بعدهما هي أعوام الثورة الفكرية في الخارج أى خارج ألمانيا والهدنة ، فحركة الاهتمام بالنظرية قائمة بين أبناء مصر الآن . ولتراجع بعد هذه الكلمة القصيرة الى النسبية العامة التي ذكرناها فقول إن أمر خطورتها يتعلق بشئ واحد وهو النظري الكون بين غير العين التي ألقنا أن ننظر بها . كنا ننظر الى الكون قبل (اينشتاين) بمنظار مجسم فنقول هذا شئ ونعني به كل ما نلسه أوزاء ، أما نابعة الألمان فيقول يا قوم ليست هذه حقيقة ، ماهي الحقيقة إذن ؟ مسألة من أخطر المسائل تلك هي السؤال عن الحقيقة ؟ هل لو قلت لك ان الشمس طالعة وهي في رابعة النهار وكان لك عينان ترى بهما تلك الفزاة ، البست هذه حقيقة ؟ يقول العلم الحديث كلا ، يالاهول . البست تلك الكلمة التارية التي أراها شمسا يقول العلم الحديث . العالم مظلما كن لاصوت فيه وانما العقل هو الذي يصنع كل ذلك فليس السرقى العالم بل السرقى هذا الذى تحمله بين عظام جججتك ، مامعنى هذا ؟ معناه في نظر فلاسفة الكون الآن ان هذا الفضاء الواسع فيه تموجات مختلفة الطول فان كانت هذه التموجات الأثرية بحالة خاصة وطول خاص أثرت على أذنيك فقلت فيها صوتا وان كانت بحالة أخرى وطول آخر غير السالفة قلت انها صوته إذ ميزتها عيناك ، فأنت ترى أن الأمواج تملأ هذا الأثير من الفضاء وهي لاتصنع صوتا ولا تملأ ضوا أشبه بأمواسماء البحيرة الزاكر كسلها وانما عقلك هو الذي اخترع كل هذه الكلمات من نور وصوت . مامعنى خور الماء لنفس الماء ، ومامعنى خفيف الريح للأغصان ان لم تكن أنت واقفا هناك بالغاب . أليس الصوت والضوء أشياء وأمورا خاصة بك دون الطبيعة وزيد العالسة اليوم على ذلك أنه قد يكون في أثير هذا الفضاء الواسع موجبات أخرى تختلف في سرعتها عن تموجات الضوء والصوت ، ولكنا لا نراها ولا نعرف عنها شيا إذ ليس لنا من الحواس غير اتس . وبذلك هذا ماهي الحقيقة ؟ ان كان العالم مظلما هامدا صامتا وان كانت كل هذه الأشياء التي نراها هي صنع أعيننا أومن صنع عقولنا كما يقولون إذ أن مركز الابصار في المخ وبه وحده نرى صور الكون على استقامتها بعد أن تكون معكوسة على شبكية العين أى ان الشمعة الموقدة ترسم على الشبكية معكوسا نورها الى اسفل ومركز الابصار في المخ هو الكفيل باعتدالها . وآلان فلنرجع الى الحقيقة وأمرها في نظراينشتاين . الحقيقة في نظره ليست كل هذه الأشياء التي نراها إذ انها مهما تجسست فهي ظواهر فقط و فرق كبير بين الظاهرة والحقيقة . نعم هذه الأشياء التي أمامنا هي ظل الحقيقة كما يقول العالم الألماني (منكوسكي) والقي من لستد (اينشتاين) آراءه في النسبية العامة فقد قال (منكوسكي) في مجمع علوم بمدينة (كولونيا) عام ١٩٠٨ قبل ظهور النسبية العامة الخاصة بالمكان والزمان ما يأتي بالحرف

(يجب علينا من الآن ان نعتبر ان الفضاء قائم بنفسه أو الزمان قائم بنفسه مظل الحقيقة التي ماهي إلا اتحاد المكان بالزمان وإيجاد عالم منهما يحدث فيهما الحوادث وهي الأشياء . فالأشياء في نظرهؤلاء الجبابرة ماهي إلا حوادث ناشئة من تقاطع أربعة إحدائيات ، ثلاثة منها للمكان وواحد للزمان فالتقوانين التي تحكم هذا الاطار المكزمضى هي الحقيقة بعينها) اه

فانظر رعاك الله كيف كان علماء هذا العصر يقولون إن هذا العالم ظل الحقيقة وأن حقيقة هذا الانسان

وهذا الثوب وهذا الحجر وهذه الشمس إن هي إلا حركات في الأثير لا أكثر ولا أقل وهذه الحركات تختلف فتختلف الآثار على حواسنا الخمس ، فحواسنا هي الشبكة التي بها اصطدنا هذا العالم فإذا متنا كان العالم في نظرنا غير هذا . انظر لأثر المشهور ﴿ من مات فقد قامت قيامته ﴾ وانظر للكاهن المصري المذكور فيما تقدم الذي صنع الشمع تسامحا والتسامح ابتلع الرجل فلما أخذه مرة أخرى صار شعما ، وكأن الله أوجد هذا في الدنيا سواء أكل خرافة أم صدق ليث فإنا فكرا جديدا . وكما أصبح التسامح الصناعي شعما هكذا أصبح هذه الشهوات والنزوات الحيوانية شيئا لا قيمة له في النظر الحقيقي بل هذه العوالم الباهية إلا حركات بالنظر الحقيقي المصري وذلك الفسك الجديد أن هذه الدنيا لو كشف عنا حجابها لوجدنا الحموم والقوموم والأحزان والطمع والمال والولد والغنى والفقر وما أشبه ذلك انما هي عوارض جاءت بها الحواس وهي التي خدعتنا ونحن بها نخدعون ألا ترى أن الناس يتعاطون المخدرات ليجيوا عن الحواس ولكن تلك سبيل ضلال والصرط المستقيم معرفة الحقائق حتى نرى الأشياء على ما هي عليه بل ليس في الوجود سوى واجب الوجود وسواء فالما هي شؤنه . فانظر كيف كانت هذه الجلة مقولة لحكام المسلمين . ثم انظر كيف جاء علماء الصرع الحاضر فقالوا ﴿ انما الوجود خداع الحواس ﴾ * قال الشاعر

فمن يعلم قبح حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ خطاب للأمم الاسلامية ﴾

(ان هذه العلوم واجبة وجوبا كفافيا)

عرفت الشر لا الشر لكن ثوبه

ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

أيها المسلمون هذه صفحة من تاريخ الشعبنة والشعوذة في الأمم الاسلامية . فالشعوذة أمثال ما ذكرناه هنا من إيهام الناس بوضع الابرة في العين وإخراجها من القم وبالعكس وهي ترجع لحقة اليد والشعبنة ترجع للعلوم الطبيعية مثل مسألة البضعة التي تطير بخاصية مبرورة الماء بخارا فيها بجمرة الشمس كما تقدم . هذه صفحة من تاريخ أولئك الذين اتخذوا الدين سائلا للمال وللك كارتون في مسألة الذي أوهم الناس أن الراس بعد قطعها أخبرت بأنه مختار من الله كما رأيت وهذه الوسائل المضلة استبدوا الأمم الاسلامية قديما وجعلوهم كالأنعام يمتطونهم بل هم أضل من الأنعام . لمثل هذا نزلت قصة السحرة في القرآن . نزلت قصة السحرة ليدكر الله المسلمين بالتفكر لئلا يضلوا فوائده لا منجى من هذا إلا بالعلوم والمعارف . ليقرأ المسلمون جميع العلوم الطبيعية والكيانية طلبا لمنافعها واحتراسا ممن يتخذونها ذريعة لطمس العقول واستغفاف الأمم الاسلامية . إن الأمم الأوروبية قد نيفت في كل علم وكل فن ولما عرفوا أمثال هذه الحجائب اتخذوها ذريعة للغلبة في الحرب فاصطنعوا الغازات الخافقة والميتة لفتح الممالك الأخرى ولم يجعلوها وسيلة للتدليس على انهم حتى يجعلوهم دواب يمتطونهم كما فعل أولئك الرؤساء المضلون الذين جعلوا أتباعهم غنيمة لهم وتركوهم في غيابة الحماية والجهالة فضاعت تلك الممالك ولم يبق لها شرف ولا غلر . هذا هو السبب في انحطاط الأمم الاسلامية اليوم قد خترها الرؤساء مخدرا دام أثره الى هذه الأجيال . ولقد تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كتب متخذ المضلين عضدا - أن حسن بن الصباح منع أتباعه من العلم تخديرا لعقولهم وتخديرا من الاطلاع على ما يكنه قلبه من اضمار تعميم الجهالة . فهاك ما قاله (سديو الفرنسي) في صفحة ١٣٧ في الكتاب المترجم بالعربية عنه قال مانسه ﴿ كان لأبي عبد الله آخو رؤساء الكرمانية التصرف المطلق في المتبعين للمذهب فنهج نهجه رجل يسمى حسن بن الصباح (انظر مذهبه في سورة الكهف وانظر مذهب أحد أتباعه في زماننا

بالهند التى قتم أتباعه عريضة فيه نشرت فى الاهرام وذكرت فى سورة ابراهيم) سافركثيرا وبصر فى العالم وعرف فرق الدين المحمدي وأخذ فى نهاية القرن الحادى عشر من الميلاد يظا الناس ويحتم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن أنه قريب من (مذهب الكرماتية) فتبعه جوع غفيرة ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصون الموت المشيد على هضبة قرب (قزوين) فلقب بشيخ الجبل وأعلن العداءة للصنارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الإله الثانى الذى شغله الاقتصار من الظالمين للظالمين وقضت أوامره فيمن معه فكان اذا أمر بقتل أحد منهم بإدرا بقاء نفسه من شاقق جبل على اسنة الرماح أو طعن بطنه بخنجر أو بقتل أحد من غيرهم بإدروا بقتله ولو وزيراً أو سلطاناً أو خليفة عباسياً . انه أخبر قومه أن شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كاليهم يسب السكر بالحشيش مستعدين لارتكاب أكبر الكبائر وقتلك سهام المؤرخون (الحشاشين) لا الحسبيين أى القتالين كما زعمه الفرنجة . كلا . وأذن لهم فى النهب فنهبوا وجالوا بأسلحتهم فى الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا فى الشام أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التى تمر بأرضهم وقطعوا الطرق وملكوا فى غرة القرن الثالث عشر من الميلاذ كثيرا من المنازل فى العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة وألف ميلادية بالعراق الفارسى فبذل (الملك شاه) عزائم فى اعدامهم ولم يباوا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذى كان الوزير الأعظم لهذا السلطان قتله أحدهم لشدة تعصبه وغيرته على مذهبه الدنى ، وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة خصائمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة . انتهى بالحرف

ولقد تقدم كما ذكرت هنا فى سورة ابراهيم أن أغا مئون بالهند الآن يقول أتباعه انهم معه أشبه بأتباع حسن بن الصباح له وانهم سائر من على منهجهم حدوا القنعة بالقنعة وأن العبادة له هولاء له ، وقد أرسله الانجليز الى الدير المصرى أيام غياب عباس باشا حلى الخديوى السابق ليكون ملكا لمصر باعتبار أن الفاطمية كانوا بها سابقا وهذا من أتباعهم فكان ذلك سببا فى أن المغفور له السلطان حسين باشا كامل رضى بتولى الملك فى مصر ، فانظر لأهم أوروبا الذين يقررون التاريخ ويأخذون منه ما يوافق سياستهم ، فليتنظر المسلمون فى ماضى تاريخنا فان قصة السحرة ملجأت للانتماس من المسلمين ولكن الجبل هو الذى أوقع أكابرا فى أيدي المضلين الماسكين ، وأنا اجد الله الذى جعل هذا التفسير كد فاصل بين زمان العرقان الآتى وبين القرون المتأخرة التى أورتنا ضلالة وملأت بلادنا بالضلن من الشيوخ الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع المال ولخوز الملك وللانتماس مع الحكام الأجانب أو غيرهم . كل هذا لأن الله يحاسب الناس على ضياع عقولهم وينذ نوره الذى وهب لهم وذكائهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وقال (سديو) أيضا فى صفحة (١٢٢) ماضى (ظهر فى زمن الأموية عدة فرق دينية تبوأت ازالها كالتوارىخ والقدرية والأزارقة والصغرية ، وفى عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية الزاعمة أن الخلفاء يعبدون كعبادة الإله وتعتبر دورهم كعبدة جديدة وقتلهم المنصور قتلوا بأعظم ما يكون من الشجاعة والبأس ليعبدوه فقرا عنه وظهرت أيضا فرقة الزيدية القائلة بحرمته أكل الحيوان وتلك الانسان شيا خاصة نفسه) اه أليس هذا سلكه من سحر القول بالتأثير والابهام والتغريز ، وليس يتجنى المسلمين من هذا إلا قراءة كل تاريخ وكل علم واتهاج لطلعة المثلى وتعميم التعلم والاحتكاك العذاب . هذا هو الذى جاءت لأجله قصة السحرة فى سور القرآن ، فانظر الى المنصور أيام صولة الدين وعزته كيف قاتل من يعبدونه ، وانظر الى حسن ابن الصباح وإلى بعض شيوخ الطرق اليوم كيف يجاملون أنفسهم فى مصاف المقتسمين كأنهم معبودون وكأنهم هم المختصون بالشفاعاة وكيف يحرم بعضهم أن ينظر أتباعه لوجهه بل لا يسلمون عليه إلا وهم مطأطئون رؤوسهم وكيف كثرت هذه الخرافات فى أمم الاسلام وخالف الناس أخلاق الصدر الأول . لهذا انحطت المدارك وذهبت

الأم الإسلامية تعالوا الجاهلة وقد أنفرت وحفرت والله هو الولي الجديد . تم الكلام على القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ)

وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَارَ إِزْهَاجٍ . إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنَظِلُّ
لَهَا مَا كَيْفَيْنِ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ كُنتُمُ
الْأَفْقَامُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْمَالِئِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ . وَاجْعَلْ لِي
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . وَاجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . وَأَغْنِنِي زُلْفَى . وَأَنْفِرْ لِي مِنْ
الضَّالِّينَ . وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْفَخُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ . وَأَنْزِلَتْ الْجَنَّةُ الْمُنْفَرَّةَ . وَرُزِّقَتِ الْجَعِيمُ الْمُنَاوِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ إِنِّ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصِرُونَ . فَكَبَّكُوا فِيهَا ثُمَّ وَالْمَوْدُونَ .
وَجُنُودُ ابْلِيسَ أَجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَأْتِيهِمْ فِي سُلَّالٍ مُبِينٍ .
إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْمَالِئِينَ . وَمَا أَصْلَكَا إِلَّا الْخِزْيُ . قَالَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ
حَسِيمٍ . قَالُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ . إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ . وَإِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِئِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ
وَاتَّبَعَكَ الْأُدْدُ . قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ .
وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ . قَالُوا لَنْ لَمْ تَكُنْ بِأَنْتُمْ تَكُونُ
مِنَ الْمُزْجَمِينَ . قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافتَحْ يَنبِيَّ وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَانْجِنَا وَمَنْ مَعَنَا فِي الْقُلُوبِ الْمَشْحُونِ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَنَدُ الْبَاقِينَ .
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ .

التفسير القليل

قال تعالى (واتل عليهم) على مشركي العرب (نبأ إبراهيم) إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون أي أي شيء تعبدون ، وهذا الاستهزاء للاستخفاف بما يعبدون وأنه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنظل لها ما كافرين) أي نقيم على عبادتها لئلا ننهارا (قال هل يسمعونكم) أي دعاءكم (إذ تدعون) هل يجيبكم الآلهة إذا دعوتهم (أو ينفعونكم) في معاشكم إذا ألمت بهم (أو يضرهم) في معاشكم إذا عصيتهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدهم مقتدين بهم (قال) إبراهيم (أفرأيت ما كنتم تعبدون) أتم وأباؤكم الأقدمون وما كان يعبد آباؤكم الأولون (فانهم عدوا لي) أي أعداء لعابديهم لأن عبادتهم أضرت على العابدين من الأعداء وانما نسب الأمر لنفسه ليكون أدعى إلى القبول وأقر العدو لأنه في الأصل مصدر أو أريد به الجنس (إلارب العللين) استثناء متقطع أي ولكن رب العللين ثم وصفه بثلاث صفات ترجع إلى إفادة الخير والنعمة على العبد فانه أولا خلقه (١) من نقطة (٢) ثم هداه لتدعي أمه ولما يبعده من أمور المعاش والعلم وصلاح نفسه (٣) وأنعم عليه بالطعام (٤) والشرب لبقاء بدنه (٥) وأنعم عليه بالشفاء إذا مرض وذلك إما بالعاقبة وإما بأجابة الدعاء حتى إذا دنا أجله (٦) أماته فإذا جاء اليوم للعلوم (٧) أحياء وإذا جاء دور حسابه غفر له خطياه وأدخله الجنة ، فليخص ذلك أن إبراهيم دعا قومه إلى الله بما دعا به موسى وبما دعا به محمد ﷺ ألا ترى أن نبينا ﷺ جاء على لسانه في أول السورة - أول يوموا إلى الأرض كم أنبتا فيها من كل زوج كريم - وإلى موسى كيف ذكر السموات والأرض وخلقهم وخلق آبائهم الأولين والمشرق والمغرب وما بينهما ، وهنا ذكر خلق الإنسان وتطوره في جميع أحواله من يوم الولادة إلى الوقوف بين يدي الله تعالى فربح الأمر إلى العلوم الطبيعية التي هي المنفذ الوحيد للسعادة في الحياة من حيث منافعها وفي الموت من حيث التكفير فيها ، فانظر كيف جعل الله سعادة الآخرة متوقفة على التفكير فيها به حياتنا من غذاء وشرب ودواء وهداية لتلك وغيره ، انظر كيف ذكر خلقنا وذلك عينه هو علم الأجنة وعلم التشريح وذكر الهداية وذلك منوط بعلوم الحكمة وعلوم الدين والشرائع وذكر طعامنا وذلك متوقف على درس الأشياء المحيطة بنا والاجتهاد في استنساخها وذكر السقي وذلك يكون بالماء وهو ينزل من السحاب الجارى بهواء المعرك بالحرارة السارية من الشمس الجارية في مدارها الجاذبة لما حولها من السيلرات المجنوبة بغيرها من الشمس وذكر المرض وهو أنواع كثيرة تختلف اختلافا كثيرا تحتاج إلى دراسة خاصة وعلما يختصون بها وذكر الشفاء منه وذلك بدرس جميع العقاقير الطبية والمناسبة بينها وبين الأمراض وأظهرها في أجسامنا واختلاف الآثار باختلاف الأقاليم والفصول والأشخاص وأن هذا تشتت الحاجة إليه في المدن وتقل في البدو لوجود الهواء وقلة أنواع الغذاء وعدم نكازها الموجب فتن الأخلاط في الجسم فهم أقرب إلى الصحة من أهل المدن كما أن الحيوانات الوحشية تقل فيها الأمراض وتكثر في الحيوانات الأهلية كما تكثر في الناس لقساد الهواء والازدحام في المدن والحياة التكيفية والأمور العارضة ، كل ذلك يستوجه ذكر الشفاء ثم إذا جاء أجل الإنسان مات ليخلو وجه الأرض لمن بعده لأنه لو بقي الناس بلاموت لآزدحوا ولعسرت الحياة فآلوت نعمة على الأموات وعلى من بعدهم من الأحياء وكراهة الموت ناشئة من جهل هذا الإنسان وعدم إلمامه بعلم الحكمة ونظام هذه الدنيا . ولو فكر العقلاء وأدركوا الحقائق لفرحوا بالموت وكيف لا يفرحون بما هو نعمة عليهم . إن النعمة والرحمة حاصلتان في حسن النظام العام والنظام العام لا يتم إلا بأن يرحل قوم من الأرض لتخلو لمن بعدهم لأنهم لو بقوا معهم لكانت الحياة لا تطاق . فبهذا الاعتبار كان الموت من النعم العاقبة كالجياة وربما كان قسما للمصريين قد أدركوا هذه الحقائق . ألا ترى إلى خطاب ابن الملك للكهنة في الحكايات المتقدمة

في هذه السورة وقوله انه بلغ الحال التي لاحياة بعدها وانك عن قريب ستوضع في القبر الى آخر ما هذا معناه فارجع اليه فيما تقدم

(٨) ثم يبعث الانسان بعد الموت لينال جزاء ما عمل في الحياة الدنيا والبعث نتيجة هذه الحياة فهذا القول استدلال على الله وعلى الآخرة بعلم الطبيعة كما فعل موسى وكما جاء في أول السورة عند دعوة رسول الله ﷺ وهذه المعاني الثمانية هي قوله (الذي خلقني) الى قوله (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ثم أخذ يدعو الله بدعوات خمس متدرجا فيه من حال الحياة الى حال الموت على منوال ما تقدم في كلامه ، فأولا طلب من الله أن يهبه (حكما) أي كالا في العلم والعمل ليستعد بذلك لخلافة الله ورياسة الخلقين وذلك هو صفة الصالحين التي تلحق الانسان بهم ولذلك أعقبها بالثانية فقال (والأخني بالصالحين) أي وفقني لكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح بحيث لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا وذلك متى حصل يقببه الصيت والذكر الحسن وهو قوله (واجعل لي لسان صدق) جلاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره (في الآخرين) الى يوم الدين ولذلك ترى جميع الأمم محيين لاراهيم عليه السلام وقد جاء من ذريته نبينا ﷺ يبعث أمم دينه ويدعو الناس الى التوحيد كما دعا اليه ، ولما كان ذلك ليس بعده إلا ثواب الآخرة قال (واجعلني من ورثة جنة النعيم) في الآخرة ، فانظر كيف طلب الكمال في العلم والعمل وذلك يلحقه بالصالحين وذلك بورثه الصيت والذكر الحسن وبعد ذلك تكون الجنة فلم يبق إلا أن يدعو لأقرب الناس اليه بعد أن أتم الدعاء لنفسه فقال (واغفر لي انه كان من الضالين) عن طريق الهدى وهذه الدعوة للوفاء بوعده أي به كما جاء في آية أخرى - وما كان استغفار ابراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - الآية ثم أتبع ذلك بدعوة يريد بها وصف أحوال الآخرة فقال (ولا تخزني يوم يبعثون) أي ولا تخزني بمعايبي على ما فرطت أو بنقص مرتبتي والضمير في يبعثون للعباد لأنهم معلومون ، ثم أخذ يبين حال يوم البعث فقال (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون) • إلا من أتى الله بقلب سليم) خالص من الذنب وحب الدنيا أي لا ينفعان أصلا إلا بخلاص سليم القلب من العيوب وكبر التذنب فان مثل هذا يجعل للمال في خلقه ويرشد البنين الى الحق ويعلمهم الخير ليكونوا مطيعين لله (وأزلفت) قربت (الجنة للثقلين) فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أي ظهرت (للكافرين) ، ثم أخذ يصف ما يعانيه هؤلاء من قذفهم في النار وطرح بعضهم على بعض وحشر الآلهة معهم والجن وتخاصمهم مع المعبودين عند ما ظهر الحق وقولهم كيف نعد لكم رب العالمين وما دعانا الى عبادتكم إلا الجرمون ثم اعلانهم اليأس من كل شافع وكل صديق قريب ثم تحسرهم وتغيبهم بعد اليأس أن يرجعوا الى الدنيا ليؤمنوا وهذا هو قوله تعالى (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون • من دون الله) في الدنيا من الأصنام (هل ينصرونكم) • ينصرونكم من عذاب الله (أو يفترون) لأنفسهم (فكذبوا) جمعوا وقذفوا وطرحوا بعضهم على بعض (فيها) في جهنم (هم والنارون) الذين أغوهم وهم الآلهة والجن (وجنود ابليس أجمعون) أتباعه (قالوا) وهم فيها يختمون مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابليس (ثاقه إن كنا) انه أي الحال والشأن كنا (لني ضلال مبين) ويخلق الله السمع في الأصنام كما يخلق النطق (إذ نسويكم رب العالمين) في استحقاق العبادة (وما أضلنا) ما صرفنا عن الإيمان (إلا الجرمون) • فالتنا من شافعين) كما للؤمنين من الملائكة والأنبياء والعلماء الذين أفاضوا عليهم العلم في الدنيا فاتبعوا بالعمل في الآخرة فكانت الشفاعة وقوله (ولا صديق حميم) ذي قرابة يمه أمرنا (فلأولنا ناكرة) لولتخني أي ياليت لنا رجعة وجواب التني (فكنون من المؤمنين) • إن في ذلك لآية) أي ان فيما ذكر من قصة ابراهيم لحجة وعظة لتبصرين فان ما جاء في هذه السورة مقو للتعقل واتباع الحكمة والعلم فقد استبان لك كيف شرح حال الحياة الانسانية من خلق وهداية وطعام وشراب ودواء وموت وحياة ووصف أحوال السعداء والأشقياء وتخاصمهم وكيف يختصمون عند ظهور الحقائق ويلي

بعضهم التبعة على بعض ، وكيف أبان أن الحياة الآخرة لاخير فيها إلا لمن أخذ المقصود منها وهو سلامة القلب من حبها ومن الكفر والتناق ثم كيف أظهر القوم اليأس وتمنوا أن يرجعوا الى الحياة كره أخرى وانظر كيف كانت الآية هنا مؤيدة لآية موسى إذ صرف العقول الى الحكمة والعلم ولم يصب إلا بالنظر في الكائنات ولم يكن لهجرة العصا واليد سبيل الى الهداية إلا عند السحرة الذين هم علماء فأصبحت قصة ابراهيم وموسى ومبدأ السورة في مستوى واحد ولم يذكر في هذه السورة من قصص ابراهيم وغير ذلك . كل هذا ينظر في السحرة ولطريق الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون بل الشعر الذي به تحسين اللفظ واحداث الصور التخيلية التي ذكرها علماء البيان والبدیع والمعاني جعلت لفتح باب الخيال فهي مقدمات لولوج باب الحكمة والعلوم الطبيعية فمن ظن من الأمة الاسلامية أن علم الشعر مقصود لذاته فقد جهل وصل - ضللا ميينا . فم علم الشعر وتاريخه من عصور الجاهلية الى عصرنا الحاضر والنظر في تطوره وتطور الأمم التي كان فيها الشعراء والاعتبار بما كان في تلك الدول من ظلم وعمل وخفض ورفع . كل ذلك نافع في اتساع عقول المسلمين كما أخذ بذلك المسلمون في مصر يدار العلوم وغيرها في هذه الأيام ، وستتم هذا البحث ان شاء الله في آخر السورة عند ذكر الشعراء ، وقوله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى أكثر قومه مؤمنين به كما حصل لموسى ولمحمد صلى الله عليهما وسلم وكل واحد منهم دعا قومه بالنظر والعلم الصحيح (وان ربك هو العزيز) القادر على تهجير الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم أو ذريتهم

﴿ جوهره في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - ﴾

اعلم أن شفاء الله للأمراض مثله كمثل الرزق ، فكما أن الرزق يعوز عن علم الانسان وعمله كذلك الطب وإذا وجدنا الناس شرقا وغربا اشتروا في أمور الرزق من حيث النظام العام هكذا نجد الأولين والآخرين من بني آدم اتحدوا وساعد بعضهم بعضا في الطب . علم بذلك العلماء ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فسأذكر لك ما حوكت أمة اليونان ومن تحاكيها في الطب ، ثم أتبعه بما أفادنا به علماء المصريين في الكشف للحديث ثم أتبعه بشروط حفظ الصحة ثم الكلام على العلاج الطبي

يقول الله عز وجل على لسان ابراهيم - وإذا مرضت فهو يشفين - نسب الشفاء لله ليفتح لنا باب البحث والنظر في أمر الشفاء وعلم الطب وقد جاء في سورة النحل عند قوله تعالى - يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - . اعلم أن العلماء لما بحثوا في أصل الطب من أين جاء تحجروا ولكن بعد التباين والى وجدوه لا يصدروا ثلاثة أحوال (الحال الأولى) التجربة (الحال الثانية) الإلهام (الحال الثالثة) المصادفة والاتفاق ، فهذه الأحوال الثلاث هي أصول الطب

﴿ الحال الأولى ﴾

(١) يقولون ﴿ ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهلم مبتلاة بأمراض كثيرة منها ضعف المعدة . ومنها امتلاء الصدر بأخلاق رديئة . ومنها احتباس حيضها فانفق أنها أكلت (الراسن) مرارا كثيرة بشهوة فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها فلما سمع به الناس استعملوه فبرؤوا من ذلك المرض ﴾ (٢) وقال حبش الأعمس ﴿ إن رجلا اشترى كبدا طرية من جزاء ومضى الى يته فاحتاج أن ينصرف في حاجة أخرى فوضع تلك الكبدة المشتراة على أوراق نبات مبسوة كانت على وجه الأرض ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبدة فوجدها قد ذابت وسالت مما فأخذ تلك الأوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواءا للتلصص حتى فطن به وأمر بقتله ﴾ قال صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء بعد ما ذكر هذه الحكاية انها كانت في زمن (جالينوس) * وروى عنه أنه قال ﴿ وأمرت أيضا في وقت مروره الى القتل أن تنفذ عيناه حتى لا ينظر الى ذلك النبات أو أن يشير الى أحد نحوه فيتعلم منه ﴾

(٣) وأيضاً قال حدثني جبال الدين النقاش السعدي أن في لحف الجبل الذي بناحية (اسعرد) عشياً كثيراً وأن رجلاً نام على نبات هناك فلم يزل نائماً حتى رآه الناس وأسلم يسبح من أنفه ومن خرج به فتعجبوا حتى ظهر لهم أن ذلك من النبات الذي نام عليه ، قال صاحب الكتاب إن جبال الدين أخبره أنه خرج إلى ذلك الموضع ورأى النبات وذكر أنه أشبه (بالمندبا) وهو من المذاق وقال له أنه شاهد كثيراً من الناس يقرّبونه من أوفهم ويستشقونه مراراً فيحدث لهم رعاف ، قال ابن أبي أمية ولم يتحقق عندي أهو الذي أشار له (جالينوس) أم غيره ، قال ابن المطران : إن النفس الفاضلة تنظر وتقول إن الهواء فعل ذلك العمل فلا بد أن يكون هناك دواء آخر يرفع هذا العضو ويثبت تأخذ في التجربة وتطلب كل يوم حيواناً فتعطيه الدواء الأول ثم الثاني وهكذا وأخذ يضرب الأمثال ، وملخصها أن أمثال هذه الحوادث تنبه الأذكاء إلى البحث والتقصي حتى يركبوا أدوية كثيرة باجتهادهم . هذا ملخص أمر التجربة في الطب

(الحال الثانية . الإلهام وذلك بالرؤيا الصادقة)

حكى جالينوس في كتابه في الفصد إذ فسد العرق الضارب لما أمر به قال : (إني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والإبهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصلت هذا العرق وتركته ولم يجرى إلى أن اضطلع من تلقاء نفسه لأني كذلك أمرت في منامي فكان ماجرى أقل من رطل فسكن عني بذلك المكان وبعثت أجدته قديماً في الموضع الذي يتصل به الكبد بالحجاب وكنت في وقت ماعرض لي هذا غلاماً

(٤) وقال جالينوس : (رأيت رجلاً عظم لسانه وانتفخ حتى لم يسعه الفم فتحاولت في مدلولاته ففي ليلة رأى قائلاً يقول له أمسك في فك عصارة الخس فاستعمل هذه العصارة كما أمر في المنام وبرأ برأ تاماً)

ثم قال جالينوس في شرحه لكتاب الإيمان لأبقراط مانصه : (وعلمت الناس يشهدون أن الله تبارك وتعالى هو الملهم لهم صناعة الطب من الأحلام والرؤيا التي تنقذهم من الأمراض الصعبة ، وذلك أنا نجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم أطعمهم الشفاء من عند الله تبارك وتعالى بمثل ذلك)

(٥) قال (أريستايوس) في كتابه الكبير : (إن رجلاً عرض له في الثالثة حجر عظيم قال وقد داوئته بكل دواء فلم ينجح فلما أشرف على الهلاك رأى في النوم إنساناً أقبل في يده طائر صغيراً فجثه فقال له هذا الطائر يكون موضع السباخات والآجام غلظه واحرقه وتناول من رواده حتى تسلم ، فلما انقضى فعل ذلك نفخ الجحور من مثانه مفتاً كل رقاد وبرأ برأ تاماً)

(٦) قال ابن أبي أصيبعة : (إن بعض خلفاء المغرب مرض مرضاً طويلاً وتداوى كثيراً فلم يتففع بها فرأى في بعض الليالي النبي ﷺ في نومه فشكاه ما يجده فقال ﷺ ادهن بلا وكل لا تبرأ . فلما انقضى نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم ما معناه ولم يعرف المبعوث عنه شيئاً إلا على بن أبي طالب القيرواني فأنه قال بأمر المؤمنين إن النبي ﷺ أمرك أن تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ لأن الله يقول - من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية - فلما استعمل ذلك صح وبرأ)

(٧) قال وقلت من خط علي بن رضوان في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب مانصه : (قد عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ففصلت فلم يسكن وأعدت الفصد مراراً وهو بان على حاله فرأيت جالينوس في النوم وقد أمرني أن أقرأ عليه حيلة ابنه فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت إلى آخر السابعة قال فنسيت ما بك من الصداع وأمرني أن أحجم (القمح مدونة) من الرأس ثم استيقظت فوجدتها فبرأت من الصداع على المكان)

(٨) وقال عبد الملك بن زهر في كتاب التيسير : (إنني كنت قد اعتل بصري من قي بحراني أفرط على

فعرض لي انتشار في الحديقين دفعة فشغل بذلك بالي فرأيت فيما يرى اللائم من كل في حياته يعني بأعماله الطيب فأمرني في النوم بالاكتحال بشراب الورد وكنت لم أزل طالبا لم يكن لي حنكة في الصناعة فأخبرت أبي فنظر في الأمر مليا ثم قل استعمل ما أمرت به في نومك فانتصت به ثم لم أزل أستعمله الى وقت وصي هذا الكتاب في قوة الابصار . هذا ايضا كثير مما يحصل بالرويا الصادقة فانه قد يعرض أحيانا لبعض الناس أن يروا في منامهم صفات أدوية عن يوجودهم إياها فيكون بها برؤهم ثم تشهر بالمدلواة بتلك الأدوية فيما بعد) انتهى الكلام على الحال الثانية

(الحال الثالثة)

أن يكون قد حصل لهم شيء بالاتفاق والمصادقة مثل ما حصل لأندروماخس وغيره فيما تقدم في آخر سورة النحل إذ ذكرت لك هناك كيف عرف الأطباء بالاتفاق كون سم الحيات يشق بلعومها . وهكذا كل سم لحيوان يمنع ضرره لم ذلك الحيوان . وهكذا يشق كل مرض مزمن قوى بلعوم الحيات كالبرص والجذام فارجع اليه إن ثبتت هناك تعرف هذه الأحوال الثلاث وهي التجربة والاحلام والمصادقات والاتفاق وإنما ذكرت لك ذلك لتفهم قوله تعالى هنا - وإذا مرضت فهو يشفين -

إن الشفاء من الله فانه إما أن يلهم الناس في أحلامهم وهذا منه تعالى وما أن يلهمهم في اليقظة فيفكرون كما في الحال الأولى وهذه هي التجربة وما أن تقع لهم الأشياء مصادقة فيفكرون فيها ف سواء أكان بالأحلام أم بالاعتبار والبصيرة فكل هذا من الله . ولعلم أن الله عز وجل لا يحب أن تكون جميع علومنا بالأحلام والروى ولا يوحى الأنبياء لأن الأحلام انما هي موقوفات فقط ثم ان الناس عليهم أن يجتنبوا بأنفسهم ليرتقوا أمال الأنبياء عليهم السلام فان الله جلهم قليلا في الأرض هكذا النابغون في الأمم والحكام . ذلك لأن الله يريد أن يجعل هؤلاء الأنبياء موقظين فيوحى اليهم قولا اجاليا ويطلب من أتباعهم أن يسكروا فيه فلأن الناس أنت لهم جميع أعمالهم بطريق الرؤى أو كان الأنبياء معطين الناس كل علم وكل حكمة بحيث لا يسكرون ولا يدرسون وإنما يعيشون على أحلامهم الصادقة وأنبيائهم الصادقين لكان ذلك وبالا . وقد لك بعد الأحلام الصادقة قليلة جدا . والأنبياء قلا والعلم التي أتوا بها تحتاج الى التحمل والتفكير حتى لا يهوت عقول الشعوب التابعة لهم بالانكسار على ماسمعوه وعلى كل فالشفاء من الله إما بالرويا والاحلام والاجتهاد والتفكير والأول مبادئ وما بعده هو الأغلب الأكثر الأعم

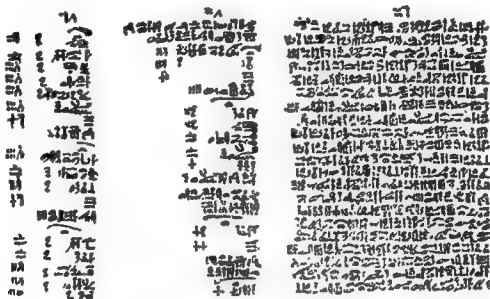
وهناك (حال رابعة) وهي ما يشاهده الناس في الحيوان مثل ما ذكره الرازي في كتاب الخواص أن الخفاف اذا وقع بفراخه البرقان مضى لجاء بحجر البرقان وهو حجر أيضا صغير يعرف لجله في عشه فييرا وأن الانسان اذا أراد ذلك الحجر طلافراخه بالزعران فيظن أنه قدأ ما بهم البرقان فيمضى فيجىء به فيؤخذ ذلك الحجر ويعلق على من به البرقان فينتفع به (هكذا يقول ابن أبي أصيبعة وانه أعلم بالحقائق) وكذلك من شأن العقاب الأثي انه اذا قصر عليها يضربها وخروجه وصعب حتى تبلغ الموت ورأى ذكرها ذلك طار وأحضر حجرا يعرف بالثقل لأنه اذا حركه ثقل في داخله فاذا كسر لم يوجد فيه شيء وكل قطعة منه اذا حركت ثققلت مثل جميعه . وأكثر الناس يعرفه بحجر العقاب ويضعه فيسهل على الأثي يضربها والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب . ومثل ذلك ايضا أن الحيات اذا أظلمت أعينهن لسكونهن في الشتاء في ظلمة بطن الأرض وخرجن من مكانهن في وقت ما يدفأ الوقت طابن (نبات الرازي باج) وأمررن عيونهن عليه فيصلح ما بها . فلما رأى الناس ذلك وجربوه وجدوا من خاصيته اذهب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه . وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن (أروودطس) أن طارأ يدهى (ايبس) هو التي دل على علم الحقن وزعم أن هذا الطير كثيرا لاغتذاءه لا يترك شيأ من اللحوم إلا أكله فيحبس بطنه لا يجتمع

الأخلاق الرديئة وكثرتها فيه فإذا اشتد ذلك عليه توجه الى البحر فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم أدخله في دبره فيخرج بذلك الماء الأخلاق المحترقة في بطنه ثم يعود الى طعمه الذي عادته للاغتذاء به

(الحال الخامسة)

ان يكون حصل شيء منها أيضا بطريق الإلهام كما هو لكثير من الحيوانات فإنه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون (ذريفوس) فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال وكما تشاهد عليه أيضا السنانير فاتها في أوقات الربيع تأكل الحشيش فان عدت الحشيش عدلت الى خوص المكاس فتأكله ، ومعلوم أن ذلك ليس مما كانت تقتذى به أولا وانما دعاها الى ذلك الإلهام لفعل ما جعله الله تعالى سببا لبعثه أبدانها فإذا أكلته تقيأت أخلاقا مختلفة قد اجتمعت في أبدانها ولا تزال كذلك الى أن تحبس بالصخرة المائوس اليها بالطبع فتسكن عن أكله ، وكذلك أيضا متى نالها أذى من بعض الحيوانات المؤذية ذوات السموم أو أكلت شيئا منها فاتها تصعد الى السرج والى مواضع الزيت فتزال منه وعند ذلك يسكن عنها سورة ماتجده • ويحكى أن السواب اذا أكلت الدفلى في ريعها أضرت ذلك بها فتسارع الى حشيشة هي بادزهر للدفلى فترقبها ويكون بها برؤما ، وما يحق ذلك حالة جرت من قريب وهي ان بهاء الدين بن فاذة الكاتب حكى انه لما كان متوجعا الى الكرك كان في طريقه بالطليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى فقتل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هذا النبات فربط الفلجان دوابهم هنالك وجعلت السواب ترمي ما يقرب منها وأكلت من الدفلى فأما دوابه فان غلمانها غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، وأما دواب الآخر فلما بقيت في موضعها لم تقدر على التحمل منه ولما أسبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الآخر قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع • وحكى (ديسقوريدس) في كتابه أن المعز البرية باقر يطس اذا رميت بالنبل وبقيت في أبدانها فاتها ترمي النبات الذي يقال له (المشكرا مشير) وهو نوع من القوتنج فيساقط عنها مارميت ولم يضرها شيء منه • وحكى القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي أن القلق يمش في أعلى القباب والمواضع المرفوعة وأن له عدوا من الطيور يقصده أبدا ويأتى الى عشه ويكسر البيض الذى للقلق فيه قال وان ثم حشيشة من خاصيتها أن عدو القلق اذا شم رائحتها يمشي فيأتى بها القلق الى عشه ويجعلها تحت بيضه فلا يقدر العدو عليها • وذكر أرواح الزمان في الاعتبار أن القنفذ ليته أبواب يستدها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه • وحكى أن انسانا رأى الجبارى تقاتل الأفي وتزهر عنها الى بقلة تتناول منها ثم تعود لقتالها وأن هذا الانسان عاينها فهض الى البقلة فقطعها عند اشتغال الجبارى بالقتال فعادت الجبارى الى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها غفرت ميتة فقد كانت تتعالج بها ، قال وابن عرس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب والكلاب اذا دودت بطونها أكلت السنبل وتقيأت واستطقلت ، واذا جوح القلق دأوى جوارحه بالصعتر الجبلى ، والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ويعرف ما يوافقه منها فيرعاه وما لا يوافقه فيتركه مع نهمه وكثرة أكله وبلادة ذهنه ومثل هذا كثير ، فإذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها ألهمت مصالحها ومنافعها كان الانسان العاقل المعيز المكلف الذى هو أفضل الحيوان أولى بذلك وهذا أكبر حجة لمن يعتقد أن الطب انما هو إلهام وهداية من الله سبحانه وتعالى • وبالجملة فإنه قد يكون من هذا وما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة أكثر مما صوره من هذه الصناعة ثم تكاثرت ذلك بينهم وعنده القياس بحسب ما شاهدوه وادّتهم اليه فطهرهم فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتفنتة المختلفة أشياء كثيرة ثم انهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عليها والمناسبات التي بينها فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يتبدأ بالتعلم والتعليم والى ما ذكره منها أولا ينتهى فعند الكمال يتدرج في التعليم من الكليات الى الجزئيات وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات الى الكليات اه

هذا ما اصطفت من كتب المتقدمين وقد ظهر منه أنه ليس لمن قبل اليونان طب ذلك لأن سلسلة التاريخ الطبي لم تظهر بين الأثنين في التاريخ فانظر ماذا جرى . التي جرى أن مدرسة الطب المصرية قدمضى لها منذ تأسيسها (١٠٠) سنة وصادف أن ذلك وقت طبع هذه السورة أى قبيله قليل والآلة المصرية كثر عددها فوجب توسعة المدرسة فهناك أخذت الحكومة تبني لها بناء جديدا واجتمع مؤتمرو طبي لهذه المناسبة ووضع الحجر الأول بحضورهم ، وبهذه المناسبة كتبت الجرائد المصرية تاريخ الطب فأريت أن ما كتبتة الآن ليس أول الطب في العالم المعروف بل ظهر أن قدماء المصريين كان الطب عندهم منذ آلاف السنين مشابه للطب الحديث الآن كل المشابهة ، فبينما نرى هؤلاء الأطباء الذين ذكروا هنا لا يزالون ينتظرون الطب من الرؤى في المنام ومن التجارب إذا قدماء المصريين قبلهم بألف السنين قد وصلوا لما وصل اليه الناس الآن ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات العلمية بتاريخ (٢٠) ديسمبر سنة (١٩٢٨ م) ٨ رجب سنة (١٣٤٧ هـ) وهذا اسمه (شكل ٦)



(شكل ٦)

{ مخطوطات هيرغليفية }

«منقولة عن ورقة البردى المعروفة بورقة (اير) التي اكتشفها العلامة (جورج اير) سنة ١٨٧٥ ويرجع تاريخها الى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد وهي تين أول أثر باذن عرف في تاريخ العالم ، قالى اليمين إحدى عشرة وصفة لعلاج التهاب القرنية المصحوب بافراز ويحتوى على مرهم (فرديجرى) ويعرف بالمرهم المصرى ، ومن محتوياته بذور خامة تثبت في الوجه القبلى واكسيد الرصاص وعسل بكميات متساوية ، وفي الوسط أربع وصفات لطرد الديدان من الامعاء تؤخذ في مدة أربعة أيام وإلى اليسار ثلاث وصفات لعلاج الاسهال تحتوى على عنب وعسل وبصل وتين ورماس أخضر (؟) ودقيق وزلال بيض ، والقراءة من اليمين إلى اليسار»

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أنه ثبت من علم الآثار أن الكهنة المصريين القدماء كانوا قسمين الأطباء والصيادلة على نحو ما هو جار الآن وأن بابل نقلت منهم هذا التقسيم واستمر الحال الى يومنا هذا حيث يصف الطبيب الدواء فيحضره الصيدلى وكلاهما يفهمان بعضهما ، ولا يمكن للغريب عن هذه الدائرة فهم مخطوطاتهم حتى يقول العامة «خط الطبيب لا يفروه سوى الصيدلى» يقول العالمى ذلك وهو

متعجب ويخفى أن يتمكن من حل هذه الألغاز ويقصد الى من يعرف القراءة جيدا ولكن على غير جدوى لأن الأخير يتعجب بدوره لعدم إمكانه قراءة الوصفة ، هكذا كان الأطباء من الكهنة القدماء يكتبون وصفاتهم على ورق البردى الى الصيادلة من الكهنة أيضا الذين يحضرون بدورهم الدواء للمريض والمريض بين الاثنين مذهول فنتشأ عن ذلك الاعتقاد بأن الكهنة يصالون بالسحر اهـ

إن الله عز وجل قد أدّن لهذا التفسير أن يال خطا عظيما . فبينما نحن نقرأ في كتبنا القديمة أن الطب كان مبتدئا في أزمان قريبة اذا بمحادثة مدرسة الطب المصرية قد فُتحت البعيد ونشرت هنا النصوص المصرية القديمة مع نصوص الأدوية . إذن علمنا أن العلم قديم وتام أيضا وهذا يفسر قوله تعالى - وكل شيء عنده بقدر - وقوله - والذى قدره - وقوله - الذى خلقنى فهو يهدين -

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يسألنى في الامور الهامة فقال هأنت ذا ذرت أقوال الأطباء المتقنين من أم اليونان والاسلام . ولما عثرت على أن الطب أقدم من ذلك أظهرته فها هذا التطويل ؟ فهل التفسير أصبح تاريخا للعلوم ؟ إن هذا لشيء عجب . اللهم إن هذه الطريقة بما يزيد القارئ في القراءة فيقول انه بأدنى مناسبة يطيل الشرح والقول ويخرج القارئ عن المقصود من الكتاب الحكيم . فقلت لتتظر ما يقول الله هنا . إنه يقول على لسان ابراهيم عليه السلام - الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطمعنى ويسقين * واذا امرت فهو يشفين - ثم أتبع هذا بالموت والبعث . فها (ستة أسوال) (الخلق . الهداية . الاطعام . السقي . المرض . الشفاء) أما الخلق فقد تقدم في أول سورة المؤمنين . يقول الله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - فكرر الخلق (٦) مرات وقال في آية أخرى - إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - فالخلق وهى الحال الأولى ملازم الابتلاء والاختبار مع الاخلاط لأن الانسان مخلوق هو والحيوان والنبات من عناصر مختلطة وكل مركب متوقع على كل جزء من أجزائه وهذه الأجزاء دائما فى القويان والتحليل . ألا ترى رعاك الله الى ما تهتم فى (سورة النور) وكيف استبان هناك أن هذه الأجسام كلها راجعة الى الجوهر الفرد والجوهر الفرد يرجع الى كبرياء سالبة وكبرياء موجبة أى ان العوالم التى نعيش فيها ومنها خلقنا ما هي إلا حبيبات مضيئة نورية كبرياء سالبة تجرى حول الموجبة وتدور كما تدور الكواكب حول الشمس وذلك بسرعة ملايين فى الثانية الواحدة فقرأه هناك محققا فأشبهت فى نورها وفى جوبها أحوال الكواكب السيارات الجاليات حول الشمس وهذه النقط الضوئية الجارية بعضها على بعض من سالبة وموجبة باختلاف أبعادها وسرعتها وكميتها تختلف العناصر المركبات منها كالحديد والنحاس والذهب والاكسجين والادروجين وهكذا مما وصل عدده الى (٨٠) فأكثر . هذه هى العناصر وهذه هى التى خلق الله فيها أجسام الحيوان والنبات وخلق الانسان من أمشاج كما خلق كل نبات وكل حيوان . إذن الانسان مكون من أشياء قد خلط بعضها ببعض والجسم والعقل فيه مرتبط بهذه البنية . لتلك ترى الله كما جعل خلقه أخلاطا وضع فيه وفى كل حيوان نوعا من الهداية والهداية مقترنة بقدره على مقتضى الحاجة . فلذا كان النبات من أخلاطه هداية تنحصر كما فى إلقاحه ونموه (انظره فى سورة الحج وغيرها) واذا كان الحيوان أرق من النبات والانسان أرق من الحيوان فأنك ترى الله ألزماهما قوى باطنة فطرية فطرهم عليها . مثال ذلك الاحساس بالجوع وبالعطش وبالمرض وبالغف من العدو وبالفيرة من القرين وبالحسد وبالبغى وبالحب وبالشبق وبالقتل وبالفخر . كل هذه عواطف خلقت مع أنواع الحيوان تقل وتكثر على حسب الحاجة ولولا هذه الاحساسات لم يبق حيوان ولا انسان على الأرض . أفلا ترى أن هذا الاحساس المنوع الى هذه الأنواع هداية . هذا هو معنى قوله تعالى هنا - الذى خلقنى فهو يهدين - فعبير بالغاء اشارة الى أن الهداية مقترنة بالخلق ملازمة له ملازمة تامة . فالخلق من المركب يلزمه هداية لحفظ هذا المركب ولذلك نجد كل حيوان يحس بألم الجوع والم

الشبق وألم العطش وألم اللرض . فلماذا هذا ؟ هذا لحفظ ذلك المركب فان لم يكن هذا الألم وهذا السوط المولم أوهذه المقامع من حديد تساق بها النفوس الى حفظها ما عاشت فهذا والله عذاب أريد به لرجة وشقاء أريد به النعيم وذلك أريد به العزّ وأهانة أريد بها الاكرام . إن العوالم التي في أرضنا ناقصة بالنسبة لعوالم أخرى والله لم يسلط عليها هذه الآلام نكابة بها ولا ذلالا لها ولكن سلطها عليها ليحفظ كيانها ويجعل لها حياة ولم يكن من الممكن بالنسبة لها أن تخاطب بخطاب ألقف من هذا تهتدى به . فهذه المؤلفات هي اللغات الإلهية التي ليست بحرف ولا صوت ركب في طباعها وغرست في قلوبها تهدي بها الى اللطام والمشارب والأدوية . هذا هو معنى قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين -

فلما سمع ذلك صاحي قال لقد والله شرحت صدرى : ما أجل العلم . هاأنذا أصبحت بعد هذا أقرأ في الحرة وفي الجبل وفي الانسان علوما هي أسمى مكشوفة ولكني لم أفك طلاسمها ولا رموزها ولكني الآن أخذت أفك رموزها وطلاسمها وقد ظهر لي أن هذه البواب وهذا الانسان فضلا عن مساعدة الجميع بعضهم لبعض هم صحائف منشورة تقرؤها نفوس أعلى من نفوس أهل الأرض فان هذا القول يظهر لي أن وراءه ما هو أعلى منه وأجلّ وأبهج وأشرف عبوه لم يظهر لنا معاشر بني آدم في الأرض فأرجو أن تتم القول فانه جبل وهو حقا في نفس القرآن وفي نفس الآيات في هذه السورة . فقلت الحمد لله الذي شرح صدرى لما أقول واني أشعر أن ما رضاه أنت يرضاه جميع أحبائي قراء هذا التفسير ويشعرون بما تشعربه أنت شعور سعادة ورحمة وسرور فلا تتم هذا المقام فأقول والله المستعان

إن الهداية في الآية على (قسمين) هداية فطرية وهداية تعليمية ، فأما الهداية الفطرية فهي ماقلت لك من الجوع والعطش وما تلاهما ، وأما الهداية التعليمية فانها تظهر أولا في الحيوان وترتقي في الانسان . وأضرب لك مثلا الغراب انه من أكلة اللحوم فان لم يجد حية أكل الرم وهو يأكل السمود والقراش والخنافس وصغار الحيوان وقد يسرق عش الطائر مع أفراخه الزغب ويخطف قطعة الخبز ولقمة النخلة وهو جبان وإذا صاح أحدها اجتمعت منها جماعات كثيرة وهو يقوم مبكرا ، كل ذلك بغريزة فيه . فانظر ماذا ترى ، تراه يعلم صغاره الطيران فهو يأخذها خارج العش ويلعب بها . ههنا أيها الذكر وصلنا الى المقصود وهو أن الحيوان ارتقى بسببه طبقا عن طبق حتى كان منه ما وصل الى درجة في بعض شؤنه استعملها الانسان . فانا نشاهد الضباط يمتنون الصكر على السكر والفرّ واستعمال السلاح والمشي والاصطفاف . فهذه هو الغراب لم يقف عند حد الهداية الفطرية بل أخذ يمتن صغاره على الطيران كما فتحت الأم في أيامنا مدارس للطيران

الجراد لا يربى صغاره والعقرب الذكر يموت غالبا قبل وضع صغاره وأبني العقرب يموت متى قويت أبنائها كما ترى شرحه في سورة المائدة عند آية الغراب . فهذه هو الغراب أخذ يعلم أي أنه انتقل من الهداية الفطرية الى الهداية التعليمية . الله يقول - ان علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى - فانه تولى هداية خلقه كلهم فالهداية الفطرية علمته أما الهداية التعليمية فهي التي جعلت خاصة ورى مثلها في الغراب . ومثلا آخر في الفيل فقد تقدم في هذا التفسير أن الفيلة الصغيرات اذا كانت في شرفتها (فياجتها) وأرادت الخروج منها عند تمام مدتها حضرت لنجدتها وأخرجها الفلتات الكيرات كأنهن الأطباء أو القابلات فيمزقن الأربعة التي تستعصى على صغارها لتخرجها من محبسها كما تساعد القابلة الأم في استخراج جنينها من رحمها

فلما سمع صاحي ذلك قال أنا الآن عرفت الفرق بين الهداية الفطرية والهداية التعليمية ولكن أرى الفرق بينهما عسرا فما المانع من أن يكون تعلم الغراب لابنه الطيران غريزة أي فطرة تعليمية . فيألت شعري ما الفرق بين الغريزة والتعليم هذا ما لا أنصفه . فقلت له ان الفرق بينهما عسر كما تفرق بين الحيوان والنبات فانظر في سورة الحج وفي غيرها تجد عند قوله تعالى - فصبيح الأرض مخضرة - أن الفرق بينهما

عسر كذلك الفرق بين الغريزة والتعليم عسردقيق وانما يمكننا أن نقول ان هناك ارتقاء عن الغريزة شيئاً كثيراً
يبتدىء ذلك في الحيوان ويرتقى في الانسان وكلما كان الانسان أرقى كان أكثر عقلًا وفعل باختياريه ولم
يتشكل على غريزته . إن الانسان كما أعطى غريزة كالحيوان ارتقى ونال هداية أعلى من الغريزة وهذه
الهداية تبتدىء في طعامه وشرابه ولباسه والهواء والضوء . فالتاس غرقوا في الهواء وفي الضياء واحتاجوا
الى الماء وإلى الغذاء وإلى الدواء فهم في ذلك كالحيوان ولكنهم لما كانوا أمم تركبوا أعطوا قوة عاقلة وهذه
القوة العاقلة سلطوها على أنواع النبات التي تعد بمئات الآلاف وعلى أنواع الحيوان التي تعد بأكثر من ذلك
فعرفوا ما ينفعهم وما يضرهم وأخذت الأمم القديمة جميعها تتعلم من المصريين وحدهم بل هناك أمم وأمم لم تصل لنا
أخبارهم وصلت إلى مالانعله . وتنحصر الهداية التعليمية عند جميع الأمم في (قسمين) قسم حفظ الصحة
وقسم مداواة المرض . فأما قسم حفظ الصحة فهو (نوعان) نوع يحرص بالطعام والشراب والهواء والماء
وهذا نقسم في (سورة طه) عند ذكر آدم فأقرأ هناك وتدبره ونوع متمثل في

- (١) مثل المحافظة على نظافة الجلد بأن يستحم مرة في الاسبوع شتاءً وصيفاً
- (٢) ومثل أن يغسل الانسان يديه بالصابون قبل الشروع في غسل عينيه ووجهه وقبل تعاطي الغذاء
- (٣) ومثل أن يغسلهما بعد الفراغ من الأكل وبعد لمس أى جسم غير نظيف وبعد الاستيقاظ من النوم
- وقبل ارادة النوم ، كل ذلك بالماء والصابون فانه يبعث في الجسم نشاطاً وانتشراحاً
- (٤) ومثل غسل القدمين بالماء والصابون صباحاً ومساءً كذلك يغسل ما بين الأصابع ويزيل ما بينها من الأقدار

- (٥) ومثل ان شعر الرأس يجب غسله كل اسبوع بالماء والصابون
- (٦) ومثل أن تقم الأطفال ثم تغسل الأقدام بعد القص بالماء مع اللينة أو نحوها لازالة (التفت) أى القدر تحتها
- (٧) ومثل غسل الأنف وتنظيفه وانه لا يجوز تنف الشعر الذي فيه أوقسه فان الله خلقه لصحة أبداننا فهو يصف تيار الهواء اذا كان شديداً

- (٨) ومثل انه لا ينبغي ادخال الأصبع في الأنف لأنها عادة رديئة وانه عند التقطع تسد إحدى فتحتي الأنف ليخرج المخاط من الأخرى عند نضح الهواء ثم يعاد ذلك بعد الثانية وفتح الأولى
- (٩) ومثل العناية بالأسنان وتنظيفها بحيث تغسل بالماء والصابون قبل الأكل وبعده ثلاثاً في بعض الفضلات فتضر وتعقب أمراضاً لا قبل لنا بها . ويستحسن التنظيف بنحو السواك (والفرجون) بعد غسه في بعض العقاقير عند السيادة ويكون ذلك التنظيف بالعقاقير مرتين في اليوم عند الاستيقاظ من النوم وعند الذهاب الى الفراش . هذا كلام الأطباء وديننا أمر بأكثر من ذلك بحيث يكون السواك عند كل وضوء وعند كل صلاة وهكذا . ويجتنب تكسير الأجسام الصلبة بالأسنان ثلاثاً وتلف ويدخلها السوس
- (١٠) ومثل تنظيف الأذن من الخارج بالماء والصابون والأفضل أن يكون الماء (دقيفاً) . ولا ينبغي استعمال أجسام صلبة في تنظيف الأذن هكذا لا يدخل جسماً غريباً كالخشب أو قطعة من الخشب
- (١١) ومثل أن يفعل بالعين ما يفعله بالأذن فيغسلان بالماء والصابون ثلاثاً يضع الثياب يصفه فيها . فليغسل الانسان وجهه ويديه كل يوم مرتين بالماء والصابون ومعلوم أن الوضوء يتكرر وهذه نعمة اسلامية عظيمة . ومن العجب أن عناية ديننا الاسلامي بالصحة أرقى من عناية الأطباء

- (١٢) ومثل أن وضع الكحل في العين مضره ومثل أن من ينام على فراش أرمد يسيبه الرمد سريعاً ومثل انه اذا دخل جسم غريب من فراء التراب في العين وجب غسلها بالماء الفاتر مرات كثيرة بعد اغلانه

فان لم يتيسر اخراجه بهذه الطريقة فليذهب الانسان حالا الى الطبيب

﴿ من بدائع عجائب الاسلام في الطب « السواك » ﴾

أيها المسلمون . هل كان منا أحد يظن اننا في القرن العشرين ترى دين الاسلام الذي ظهر في جزيرة العرب التي لاعلم فيها ولاملك ولادين ولامدنية ولاكتابة ولاقراءة قطهراً أكثره ظهوراً بينا في المستشفيات ومدارس الطب وكشف العلماء . ومن ذا الذي كان يحظره ذلك . أيها المسلمون نحن كنا في الجامع الأزهر نحضر الدروس على شيوخنا وهذه صفحة مما قرأناه من كتاب المنهج مع شرحه وحاشيته في مذهب الشافعي ملخصاً قال ماملخصه ﴿ إن الاستياك سنة لأن النبي ﷺ يقول « السواك مطهرة للقيم » . ويسن أن يكون ذلك الفعل في عرض الأسنان لقوله ﷺ « إذا استكم فاستكوا عرضاً » ويجوز أن يكون الاستياك طويلاً وهذا في الأسنان . أما اللسان فيسن فيه الاستياك طويلاً وتكون آلة السواك مادة خشنة كهودالاراك وجريد النخل والزيتون وكل ماله ربح طيب ثم بقية الأعواد وهذه يفضل فيها اليابس المنتقى بالماء ثم المنتقى بماء الورد ثم المندى بالربى ثم الربى ثم اليابس غير المندى . ويقال إن اليابس غير المندى مقدم على الرطب لأنه أقوى في إزالة التغير ﴾

﴿ فوائد السواك ﴾

انه يبيض الأسنان ويزيل قلعها ويثبثها ويطبب الكهتريش والثة ويزيل رغاوتها ويصفي الخلق ويضحح اللسان ويزيد في العقل ويذكي الفطنة ويحسن الخلق أى لون البدن ويقيم الصلب ويقطع الرطوبة من العين ويحذ البصر ويعطي الشيب ويسوى الظهر ويرهب العدو ويصلب اللحم ويضاعف الأجر ويرضى الرب ويسخط الشيطان ويزيد في ثواب الصلاة ويغنى الأموال ويقوى القلب والمعدة وعصب العين

﴿ أوقات السواك ﴾

هو مؤكد في مواضع وهي الوضوء والصلاة وقبر القم والقراءة ودخول المنزل وإرادة النوم واليقظة . ومن الأحاديث الواردة في السواك خبر ابن خزيمة ﴿ لو أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء ﴾ وحديث الشيخين ﴿ لو أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ﴾ أى أمر إيجاب . وحديث الشيخين أيضاً ﴿ كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ﴾ أى يدللك به . وحديث مسلم ﴿ كان النبي ﷺ إذا دخل البيت بدأ بالسواك ﴾ انتهى

هذا ملجاء في دين الاسلام من الحث على السواك . فلننظر الآن في الكشف الحديث ، من عادة طلاب العلم الديني في العالم أن بعضهم يعمل بأوامر دينه والأكثرين يصرفون عن بعضها كالسواك لأنه سنة والسنة لا عقاب عليها وقد كنت أنا أتساهل في أمر السواك ولا سيما لما صرت مدرسا في المدارس الأميرية ، ثم اتى يوما توجهت الى مدرسة الوعظ والارشاد التي أقامها الشيخ رشيد رضا فلما دخلتها وجدت المرحوم الدكتور صدقي يعطى درساً وفي يده كتاب باللغة الفرنسية وهو يترجم والتلايد يكتبون فسمعت يقول وهذه الشجرة تسمى شجرة محمد عليه الصلاة والسلام (يريد بذلك شجرة الاراك) وأخذ يشرح المقام شرحاً وافياً ، يقول ان مؤلف الكتاب يفضل في السواك شجر الاراك على الفرشة المعتادة ، وهذه الشجرة يسميها الترنجة شجرة محمد ﷺ لأنه أمر أمته بأن يستاكوا بأعوادها . هنالك استيقظت من غفلى وقلت يا لهيب ، علم قرأناه ثم أهملناه جهلاً بجزايه ومن ذلك الوقت أخذت أواظب على السواك ثانياً . والأهم من ذلك ملجاء اليوم في الطب الحديث فاسمعوا مايقوله الأطباء في عصرنا جاء في مقال طيب بمجلة (الجديدي) ما هذا نصه

خطر لا يظن اليه كثير

(هل للأمراض الباطنية علاقة بأمراض الفم ؟)

(للدكتور يوسف زكي)

قد يدعش القارئ إذا عرف أن بعض جباينة الطب يطلبون من بعض مرضاهم أو بالأحرى من معظمهم أن يزوروا طبيب الأسنان ويأتوا لهم بتقرير منه عن حالة فمهم وأسنانهم ، وربما زاد دهشتهم إذا عرفوا أن مريضاً يلزم استعصى علاجه على أكابر الأطباء وكاد يترك اليأس هذا المريض وأن يفقد بصره لولا أن أشار عليه بعضهم باستئصال أسنانه أو بعضها ولم يكذب فعل ذلك حتى استجاب مرضه للدواء وتال تمام الشفاء إن الفم هو أول أجهزة القناة الغذائية وهو العامل الأول في إعداد الغذاء لعملية الهضم فإذا حصل بأجزاءه أو ببعضها عطب أضر ذلك بالجهاز الهضمي أو ببعضه وأفسد عمله وربما تعدى ضرره إلى أجهزة أخرى وقد تختلف بالفم بقايا من الطعام تتعفن وتوقفها سوائها الأمراض فتسرب تلك الجراثيم إلى الأعضاء المجاورة كاللحم والحنجرة ثم إلى المعدة فتحدث بها الأضرار المختلفة المعروفة ، ثم إن نسبة سرطان الفم واللسان لتأكل الأسنان وقبح اللثة مثلاً أمر معروف مؤكداً بل قد ذهب بعض الأطباء إلى أن سرطان المعدة نتيجة لازمة للأمراض النقيصة للزئمة التي تترى اللثة أوخراجات الأسنان ، وأيد رأيه هذا بالأدلة الدامغة ثم جاء بعده كثيرون أثبتوا ذلك أيضاً . قلنا إن الأعضاء المجاورة للفم هي أول ما يتأثر بأمراضه وتأتي بعد ذلك المعدة فتؤثرها الحادة واللزومة قد تكون أيضاً من أمراض الفم ، وأول من تنبى لذلك هو الدكتور (هنتر) سنة ١٩٠١ ونشر ملاحظاته فكان منها أن صراطباء الأمراض الباطنية يفتحصون أسنان مرضاهم قبل كل شيء فإذا بدا لهم أمر ما فصاحوا هؤلاء الرضى بمعالجة فمهم قبل البدء في معالجة أمراضهم الباطنية ، وقد أكد الدكتور (جوربي) أن التهابات الحلقية النودية وقبح الأعور تنسب في الغالب من ذلك القبح المتولد في الفم وأضاف الدكتور (هنتر) على ذلك أن القبح المتولد في الفم يسبب أيضاً الخبيثات ، وإذا وجدت خراجات الأسنان سبيلاً إلى البؤرة السموية يحدث منها أمراض القلب مثل التهاب غشائه الداخلي أو غلافه المسمى (بالتامور) ولما يشق القلب من الأمراض متى تسم بالواد القبيحة أو العفة ، ولأنسى هنا أن نذكر أن مرض الرماتزم والمفاصل بنسبة ٩٠ في المائة تدخل في أسبابه أمراض الفم ، ففي إنكلترا وألمانيا يبدون في المستشفيات بعلاج أسنان كل من قتمت إليهم بمرض من أمراض الرماتزم على اختلاف أنواعها . وأخيراً نقول إن كثيراً من الضعف أو التهابات أو ارتفاع درجة الحرارة أو التحول قد لا يكون لها سبب غالباً سوى فساد أسنان المريض وفيه . ولا يذهب بعيداً إذا ذكرنا في النهاية أن مستشفيات الأمراض العقلية ارتفعت فيها نسبة من نالوا الشفاء التام من (٤٢ في المائة إلى ٨٧ في المائة) عند ما بدؤوا يعيرون أسنان المريض وفيه عناية تامة فيعالجوها بالاستئصال والنظافة التامة وما إلى ذلك مما يعرفه أرباب الصناعة . كذلك زادت نسبة الذين تحسنت عنهم في المصحات المختصة لمعالجة مرضى التدرن الرئوي (السل) عند ما أخذ الأطباء في إعارة أسنان المرضى اللاتفات المطلوب . ويجري أيضاً أن أقول بأنه من البديهي أن يكون لقلة وجود الأسنان بالفم أعنى سقوطها أسباب خطيرة لاضطراب عملية المعدة لأن المضغ يصدر إلى المعدة دون أن يكون قد طحن في الفم طحناً كافياً وبذلك يقل مجهود الغدد المعدة ويصعب عليها أداء الوظيفة على كامل هيئتها فتنتشأ التهابات البسيطة والتي لا تلبث هذه أن تنقلب إلى حادة . فعلى الإنسان إذن أن لا يهمل أمره وأسنانه بل يجب عليه أن يعرض نفسه على الطبيب إذا ما شعر بأقل شيء فإن ذلك خبر له وأبقى . فإذا تعهد الإنسان فيه بالتفصيل وأخرج ما يتعلق بأسنانه من بقايا الطعام ونظفها جيداً بالفرشة (أو السواك) عقب كل أكل آمن شر كثير من أمراض الفم

والأسنان وطرد من فم أعداء كثيرة لا يستهان بها . انتهى

هذه أهم النصائح التي أعلنها أطباء الأمم قديما وحديثا وهي متممات للحفاظ على الصحة التي تقدم بعضها في سورة طه من حيث الطعام والشراب والهواء وهكذا تقدم بعضها الآخر في سورة الأعراف عند قوله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - فقسم الحفاظ على الصحة الذي ذكرته لك بمجمله هنا لأنتفع به أنا وأنت وكل من قرأ هذا التفسير هو المذكور في قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسقين - فذكر الخلق وقد يناله سابقا وقد قلت لك ان الخلق تصاحبه الهداية وقلت ان الهداية إما فطرية وإما تعليمية ونحن الآن في الهداية التعليمية والهداية التعليمية كما قلنا ﴿ قسبان ﴾ قسم حفظ الصحة وقد تم الكلام عليها وقسم مداواة المرض . فلهذا في الطعام والشراب المذكورين في الآية قد تقدم الكلام عليها وسيأتي بعد استيفاء هذا للمقام شرح الأمراض في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين -

قد قلنا أن الحفاظ على الصحة تكون بالتعليم والتعلم على ﴿ قسبين ﴾ تعليم في تناول كل واحد معرفته وتعليم يختص بتعقله الأطباء ثم الأمة تتبعهم في ذلك

﴿ الكلام على التعليم الذي يختص بمعرفته الأطباء ﴾

فلأذكر لك هنا من ﴿ مسألتين ﴾ (المسألة الأولى) في بيان أعداء الانسان في داخل جسمه . وكيف كنا ونحن في هذه الحياة نجد في أجسامنا جنودا مجتدة داخلية خارجية تعطف صفوفا وتضطرب في داخلها كئنا ولاعلم لنا بها . إن في ذكر هذا المقال جالا وحكمة وبيانا لما جله في القرآن من ذكر حفظ الانسان وبيان الجباب فيهِ وهي دقيقة جدا وكيف يكون جسمي كأنه دولة وفيها آلاف آلاف الجيوش والجنود المجتدة وهي ﴿ فريقان ﴾ فريق مع وفريق على وهذه الجيوش لاقتنا في حوب وضرب أمد الحياة فهي في حركة دائمة ومد وجزر تشابه في سرعتها سرعة النور والكهرباء التي خلقت منها أجسامنا وأجسام نباتنا وحيواننا - إن الله بكل شيء عليم - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر - ﴿ المسألة الثانية ﴾ ما جاء في قانون الصحة من رسم السودة الوحيدة ورسم عضلات لحم الخنزير التي تحوى هذه السودة ورأس السودة الوحيدة ، وكيف عرف هذا قداماء المصريين قبل نزول القرآن فحرموا أكله بقصة اخترعوها وهذا من أعجب الجباب في أسرار ديننا الاسلامي . إن في هذا القول لحكما بديعة . اللهم إني أحمدك على نعمة العلم . أرى بنا العلم عيانا . حرمت في القرآن لحم الخنزير فتركه المسلمون وإن لم يتركوا اللحم ، وهل كان يدور بخلد أحد في العالم أن علماء الأمم الآن يرسمون لحم الخنزير والسودة الوحيدة فيه ، وهل كان يمر بخلد امرئ في الأرض اتنا نسمع أن أمما قبلنا بألاف السنين حرمت الخنزير كالأمم المصرية ، وهل كان يتخيل لأحدنا أن لله جنودا مجتدة تروح وتغدو داخل أجسامنا فتها الهلجة ومنها للدافعة . اللهم إن هذا توحيد وعلم ثم طب وبه فهم قوله تعالى - فهو يهدين - فهو كما هدى أناسا بنصيحة الأطباء فسلخوا وجوههم وأيديهم ونظفوا أسنانهم هكذا هدى الأطباء فتوغلوا في العلم وعرفوا أسرارها هي عينها أسرار الاسلام . إذن فلأذكر لك المسألة الأولى من المسألتين المذكورتين لينشرح صدرك بالعلم والحكمة والطب لحفظ الصحة ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات الطبية في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ م وهذا نصه

﴿ الرواية أفضل من المألجة ﴾

(أعداء الانسان)

الدكتور شفاشي

أما أعداء الانسان فهي المكروبات التي ان أصابت الجسم أحدث فيه مرضا يعرف نوعه من الأعراض

والتغيرات التي تبدو على الجسم بسببها ، والأمراض المعدية وأسبابها ولفرق الوقاية منها هي التي أتحدث عنها الآن ونقتل هذه الأمراض من المرض المصاب بها إلى السليم إما بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو البلاصة وأسبابها جميعا المكروبات . ولكل مرض مكروب خاص كما ان لكل شجرة فصيلة خاصة وهذه المكروبات صغيرة جدا لاتراها العين المجردة وإنما ترى آثارها ومافعلة في الأجسام من آلام وقدمير وقد يختلف عدد المكروبات في الهواء الذي تنشقه باختلاف المكان فإذا كان المكان مزدجا بالناس كان عدد المكروبات فيه كبيرا بسبب انثرتهم للتراب ولهذا السبب يكثر المكروب في هواء المدن ويقل في هواء القرى وإذا كان المكان المأهول بالسكان خاليا من معالم النظافة لاملصحة الرش والكنس والساكن فيه يئذل جهدا ولو قليلا في تنظيفه ولاشك أن المكروبات تنمويه بكثره هائلة . وتكثر المكروبات في الأماكن المنخفضة بنوع خاص لأن الهواء فيها غير طلق كما هو طلق في الأماكن العالية ولأن نور الشمس لايدخل إلى جميع أجزائها ولذلك تراكم فيها المكروبات العفنة فتحدث بحسب ميزتها التعفن والتخمر وتنبعث منها رائحة كريهة . وأما في المياه فتكثر المكروبات في الرائدة منها كالتي في البرك وفي الجداول الصغيرة ، ومن الضروري أن قتل المياه المشوبة أو المشبة في سلامتها من الأدران . وفي التراب توجد مكروبات وفي الأقدار كذلك وعلى جلد الانسان وفي فمه وأمعائه . وإذا علمنا أن المكروبات موجودة في كل مكان يقم فيه انسان أو حيوان استطعنا أن نتصور نطاق هؤلاء الأعداء الواسع ورشة حوصهم على الاشتباك بفرستهم واستعدادهم للقتل بها في كل ساعة وحزن ولكن لحسن الحظ انه ليس كل هذه المكروبات خطرة أى ليس كل هذه الأعداء تحت مرضا وإنما فيها ما هو نافع ووجوده لازم وضروري للحياة الحيوانية والنباتية ولولا هذا الأمر لانعدمت الحياة في مقاومتها والتخلص منها

يخلص لنا عما نقيم أن الانسان مهتد بأنواع من المكروبات التي تنشأ عنها الأمراض المختلفة وأن للبيئة والعناية بنظافتها شأننا عظيم الأثر في تقليل هذه الأمراض واضعافها ، ومن هذا يتبين كم هولازم أن نعمل بنص القول للأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » وأن التوقي من داء خير من التعرض له مع وجود من يدويه ، وأنت تعلم أن ماتكابه من الضاء وتبذهل من المال في سبيل الوقاية من الأمراض لهو أقل بكثير مهما عظم قدره من الاكلاف التي نخضعها على التداوى وللعالجة فضلا عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض أعضائه ، وإذا تصورت عدونا قدام عليك يريد أن يقتصب منك الذي تملكه من مال ومتاع فهل تنتظره الى أن يصل اليك ويمد يده الى متلعه فتنهض للدفاع عن ملكك وكيانك أم تعد عدتك وتستعد لقاته قبل أن يشرف عليك مقدمه ؟ وهل لآ ترى انه أسهل عليك بكثير أن تقاوم وتدفع أذاه وأنت مستعد له أكثر منك وأنت على غير استعداد . إن الحيوانات تحسن الدفاع عن نفسها ويخاف الضعيف منها القوي فيها وهي بذلك تساق لغريزتها الى الدفاع عن حياتها وناموس الطبيعة قائم على قاعدة الأخذ والبفع وبقاء الأصلح والانسان بغيرته الأولى كان يحسن الدفاع عن نفسه وفي جسمه من تقلبات الجوع وطوارئ الحداثان على قدر ما وصل اليه فهمه واختباره وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وأدرك اليوم ما لم يكن يدركه من قبل

وعلم الوقاية من الأمراض أفضل بكثير من علم العالجة والتداوى ويريد منكم هذا العلم اليوم أن ننشروا لواءه في كل مكان وترفعوا علمه في صدر كل انسان . وأمة تريد أن تحيا سعيدة وأن يكون لها المقام المحترم بين الأمم هي التي تنشئ بنيتها على قاعدة صحية سليمة الأساس فتصلح البيئة وتطهرها من جراثيم الأمراض وتقضي على أثر هذه الأمراض في وسيلة علمية معروفة ، ففي تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم من عواذي الأدواء وجيوش المكروبات مرمى سام من أسس مراميها وغرض جليل من أجل أغراضها وهي الأمة التي يحق لها أن تعيش وأن يطيب لها العيش . وأنت تعلم أن للجسم أعضاء رئيسية كبرى وثانوية

صغرى ولكل عضونها عمل خاص به كما ان لهذا العضو وظيفة يقوم بها وحده فهو من هذا الوجه حاصل على الاستقلال التام وحظه أو فوم من حظ الشعوب الصغيرة التي تنشأ الاستقلال وتختفي به ولكن لاتنس أن استقلال اعضاء الجسم إنما هو استقلال ذاتي فهي تشتمل مستقلة ولكها في مجموعها تعمل لصلحة الجسم كله وانها تعمل بمفردها لصلحتها وصلحة المجموع ولها نظام محترمه وترى ذلك أن نحترمه لأن الاخلال به يشوش على ذلك العضو عمله أولا وعلى سائر الأعضاء ثانيا . فإذا أثقلت على معدتك بالأكل الغليظ ، شلا والشراب اللذيذ وأكلت من غير نظام ولا ترتيب وبلا اعتطاع أى استمرت في الأكل والسرب من غير أن تحسب أن لهذا العضو الأمين نظاما وأن له قوة محدودة على الهضم وأن له دائرة وحجما لا يتعداهما وليس في وسعه أن يتعداهما تكون النتيجة احداث الخلل في نظام الجهاز الهضمي والارتباك في وظيفته وتشعرك المعدة بألم التضخمة وتحس بصداغ وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف وقصور من أملاك ومعارفك وتصبح كأنك بعزلة تامة عن الناس جميعا لا يشعلك عن الافتكاح بمعدتك أحد منهم

فقليل من العناية والنظام في نوع الطعام ومواعيده يهلك من هذا التعب ويدفع عك أغراض التضخمة وتظل معدتك على ولائها لك كما وجدت أن تكون (كأننا) ولو اقتصر إضرار الاخلال في نظام هذا العضو على ما تقدم فقط لمان الأمر وكانت الاساءة قصيرة المدى وانما تمتد أضراره الى ابعد من التضخمة والتلبك وفي الغالب أن من أهل القاعدة الصحية ولم يكن له نظام محي في معيشته يكون عرضة لأفراض معدية وخيمة العاقبة عليه فليك قبل أن تأكل وتشرب أن تفصل يديك ووجهك وفك وبهذا تدفع عنك أخطارا عظيمة الأثر والتي يهمل هذه القاعدة أهل النظام كله فيأكل كل ساعة ويسرب دائما لا يفضل يديه ولافه لا قبل الأكل ولا بعده ويسخر منكم ان رآك تفصل يديك قبل أن تجلس الى المائدة فتجد هذا المهمل شاكيا مريضا لأنه في عدم غسل يديه قبل أن يتناول طعامه يرسل مع الطعام بعض الميكروبات والجراثيم الى معدته ومنها تجد هذه الجراثيم طريقها الى الدم وتبدى إذ ذاك تأثيرها بعد مدة قصيرة . ومن عود نفسه على النظافة أراح جسمه وفكره من مشاق وأهوال لا يبركها غير الخير ، وأرجو أن لاتكون اختبرتها بعد ولن تختبرها في مستقبل أيامك ولا يذهب عن البال أن للجسم جنودا حراة وبيضاء متنوعة ، وهذه الجنود وظائف تقوم بها في أمانة وإخلاص لا مزيد عليهما مستزيد وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهي أشبه بالأساطيل السابحة على الماء والجنود القائمة على حراسة الأمة وربما يصدر عن هذه الجنود المسلحة بعض التواني والتلكؤ في الواجب الملقى على عاتقها . أما جنود الجسم وأساطيله السابحة في دمه فلا تعرف للتواني معنى وليس للخيانة سبيل الى عقيدتها فهي تحت السلاح في الخدمة العاملة دائما وفي كل وقت لاهذنة ولا هوادة في عملها ، ولغرض أنك أصبت بجرح في أصبعك فإذا ترى ؟ ترى أن هذه الأمانة في حركة غير عادية هي أقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم فتشاهدها حاجة على محل الإصابة خفا وسرعا تنفى أن ترم الجرح وترغم أحيانا أن كل الجرح بالغا الى الخروج منه ، ومتى تمّ هذه الجنود الكشفة الثبات في محل الإصابة تقدم الى هذه الساعة لاسعافها جنود أخرى للتأخلة والدفاع عن هذه الساحة ومقاتلة الميكروب والجراثيم التي تريد احتلال الجرح واحداث الالتهابات فيه فتنبش للمركة بين هذه الجنود والميكروبات والغلبة تكون للأقوى كما هو منتظر فإذا كنت بحالة حسنة تراعى بمحبتك النظام الصحي فلا خوف على جنودك من العلة واحراز النصر وإذا كنت تسيء الى معدتك فتأكل من غير نظم وتشرب غير الماء التي وتعرض جسمك الى متاعب غير لازمة فتصيب جنودك الفشل بالتراب

بعد هذا التمهيد الاجالى أحذركم قليلا في اجتياز عن بعض الأدوية المنسرة في القطر ولاسيا في الارباب وطرق الوقاية منها ، وأول هذه الأدوية هوداء الرهقان المنتشرا انتشارا هائلا يكاد لا يتجاوزنه بب من بيوت المدن

والقرى والكفور والعرب الرقيقة فهو عدو لسبعين رجلا وامرأة وفي وفاة طفل وطفلة من كل مائة منهم
أى ان سبعين في المائة من ساكني الأرياف مصابون به متألون ، وأسبابه ديدان تدخل الجسم من الفم مع
الماء أو مع الطعام فتستقر في الماء البقي وتكاثر فيها وتقسم للصلب دمه وغذائه وتسلب قوته بل حياته اه
فانظر في عجائب صنع الله وتفكر في الحكم الطيبة والطية ، واعلم أن التلوان بأمر الصحة ولوفي أمر
ضئيل يوجب اسراع الداء ، فانظر ما جاء عن نفس هذا الطبيب ونصه في ٢٩ مارس سنة ١٩٢٨ م

﴿ الوقاية أفضل من المعالجة أيضا ﴾

(داء الكزاز)

بينما كان أحد حسن عبده المقيم في المقياس بالروضة أخذنا بهما عملهم الذي بعش وأولاده منه عثر بمسار
اخترق باطن قممته العنقي حول الإبهام الأكبر مدى ثلاث سنتيمترات قد بدت وهو من الأشداه وانزع المسار
من قممته وظل متابرا على عمله كأنه لم يحدث له شيء إلا أنه شعر بعد مضي خمسة عشر يوما على الحادث أن
بعض فكه تيبسا وأن هذا التيبس امتد إلى عنقه فأصبح غير قادر على فتح فمه وغير قادر على تحريك عنقه
أو تحريك وجهه من ناحية إلى أخرى وعاده الطبيب ووصف له دواء وحققا ، ولما لم يزل السواء ولا الحقن مابه
من تيبس قصد في اليوم الثاني عيادة طبيب آخر فلم يجده ، وفي اليوم الثالث لظهور الأعراض عاده طبيب آخر
وكانت أعراض التيبس أو (داء الكزاز) قد ظهرت على أشدها لاني الفك والعنق فقط بل في سائر الجسم
فوصف له الحقن بالمصل المضاد لهذا المرض وحقنه بالوريد أولا وبالمفصل ثانيا ، ولكن اذا انتشر رسم الداء في
الجسم انتشرا ملك به عليه ارادته في تحريك المفاصل والأطراف فلما يجدي السواء في مغالبة الداء فقلما تعادل
قوة السواء قوة الداء اذا خسر الجسم المعركة الأولى وقد اسباب المقاومة والدفاع الكامنة فيه تقضى المرض
على أحد وذهب ضحية اهماله وعدم كثراته للجرح الوحشي الذي أحدثه المسار في باطن قدمه وذهب اهتمام
اهله وذويه واهتمام الأطباء وما استخدموه من دواء في سبيل اتهاذه ذهبت هذه الآمال والوسائل الطيبة أدرج
الرباع . والمرض اذا احتل الجسم احتلالا تاما صدد عليه منافذ الرجاء من المعالجة والمداواة وأبعدته عن امنية
الشفاء. وفن الوقاية على صواب في نظريته وصواب في الدعائم القائم عليها نظامه هو يقول لأمثال أجدد الذي
ذهب مبكيا عليه من ذويه واهله تاركا زوجه وأولاده على رحمة الأقدار ، فان أصابك جرح وحشي من مسار
أو غير مسار فلا تهملهما مهما كان في نظرك بسيطا بل اعرض نفسك على طبيب في الحال وهو يتولى أمره ويدفع
عنك خطر هذا المرض والخوف منه ، وأعني بقولي « في الحال » في الوقت الذي تصاب به بالجرح لاني اليوم
الثاني ولاني اليوم الثالث أو الرابع منه

ها أنت ذا قد رايت ما جره الإهمال على أحد من البلاد وأزل بأهله من الأثران والأكدار ، فاعمل
بمنهجتي أو بالخرى بنصيحة علم الوقاية والله يقيك شر الأمراض ويريح جسمك من أوصابها ويبعد عنك
وعن أمك غصة نتائجها والسلام . وبهذا تم الكلام على المسألة الأولى
(المسألة الثانية) وهي أن لحم الخنزير مضر وأنه يحوى البودة الوحيدة ، ويان ذلك بالرسم وأن قدماه
المصريين عرفوا ذلك ، واليك ما نقلت من تاريخ مصر القديم عنه

(صفحة من تاريخ مصر القديم)

(تحريم الخنزير . أصله من الأساطير المصرية)

قال كاتب وجدت الأسطورة التي أرجحها خيال في ورقة مما يسميه علماء الآثار « كتاب الموتى » ومع انها تصف

إحدى المعارك التي حى وطيسها بين (حورس وست) لم يرد ذكرها فيما كتب عن تلك الحرب على جدران معبد حورس في (ادفو) ولا في موضع آخر خلا هذه الورقة ، على أن الفريضة التي ترسمها هذه الاسطورة كانت تمارس في هذا المعبد فيؤتى بخنزير فيقتل في نهاية احتفال كان يقام هناك لإحياء ذكرى انتصار حورس على ست وقته ، ويؤخذ من قنوس فيه أن العادة كانت قبل هذه الفريضة أن تمثل في هذا الاحتفال معارك الحرب فيمثل الملك دور (حورس) ويمثل (ست) رجل من العامة كان يقتل في ختانه

وواضح أن هذه الاسطورة قد وضعت إذن لابطال هذه الفريضة البشرية وكان وضعها في زمن متأخر عن الزمن الذي وضعت فيه الاسطورة التي تضمنت سائر معارك هذه الحرب المقدسة المنقوشة على جدران معبد (ادفو) فلم تكتب معها لهذا السبب . أما كتاب الموتى الذي تؤلف هذه الاسطورة أحد فصوله فمجموعة صلوات وأناشيد وتعاويذ وشفرات من قصص الآلهة وهي في اعتقاد الأقدمين أحرزاتي من عذاب الآخرة فإذا كان لأحدهم ميت فلما أن يضع الحرز معه أو يكتبه على الكفن الذي يلف به لذه الغاية ومن ذلك تسميتها بكتاب الموتى والاسم حديث استحدثه علماء الآثار أولوا الفضل في جمع هذه الأحرار ومراجعتها وترجمتها . أما اسمها القديم فهو (فصول في التلقين نحو اليوم) أي يوم الدين ، وفي هذا الاسم إشارة غير خافية إلى فائدتها عندهم

(أسطورة الخنزير الاسود)

(حورس) و (ست) خصمان يتربص أحدهما بالآخر الدوائر من فرط العداوة والحقد وكانت الحرب بينهما سجالا يريد أن الآلهة كانت في صف (حورس) وتلك العداوة لأنهما على طرفي تقبض . أما (ست) فخب مخايل يعتمد في الحرب على الخديعة أكثر من اعتماده على الشجاعة والنجرة فتتوزع القتال فتراه يلبس لكل حالة لبوسا ويتشكل بالشكل الذي يراه قينا بأن يضلل الناس والآلهة على السواء . وأما حورس فلم يكن كذلك حاشا له أن يضئ أو يكون من الكاذبين ، انه على صراط مستقيم ، الحق والاستقامة من أخص صفاته ، عيناه الزرقاوان لوح مسطور حسب المرء أن ينظر فيهما لينكشف المستور ويعرف المستقبل . من أجل ذلك يهرع اليه الناس والآلهة جميعا ليلتمسوا عنده علم ماسيكون ، علم ست مرة أن سيجمع (رع بحورس) للتشاور في بعض الشؤون وألقى ست الفرصة قد سحت ليضرب حورس ، وكان من تدييره لذلك أن اتخذ هيئة خنزير أسود بلون الغمام ذي أنياب حادة طويلة شرس هائل المنظر يلقي الرعب في قلوب الرجال ، وأقبل (رع) على (حورس) وخاطبه فقال « دعني أقرأ في عينيك ماسيكون » ونظري عينيه اللتين لونهما كلون البحار حينما يكون الفصل صيفا والسماء صافية مشرقة بالنور وبينما هما في ذلك ظهر الخنزير ومرحاضهما لكن غم عليهما أمره فلم يظن (رع) انه إله الشرور صاح وهو مأخوذ بروعة منظره انظر هذا الخنزير الاسود أنا ملأيت قط أضخم منه جثة أو أشرس منظرا ، تلفت (حورس) ليراه فما وقع بينه هو كذلك ، أن صاحب هذه الهيئة المنكرة هو (ست) لكن حسبه خنزيرا برياً من أدغال الأرض الشجالية وفي هذه الفترة وحورس غافل عن عدوه نهياً (ست) فنفخ عليه نارا أصابت في عينه فصرخ من الألم وتلصقه القيط فصاح « قد قذف على ست نارا أصابني في عيني » وكان ست قد حل نفسه بعيدا واختفى الخنزير الاسود عن الأنظار ولعن (رع) الخنزير من أجل (ست) وقال « ليسكن الخنزير نجسا ومكروها لحورس » والناس الى هذه الأيام كلما بلغ البصر النظم يذبحون الخنزير تنفيا لأن (ست) عدو (حورس) وقاتل أوزيريس اتخذ هيئته ليلحق الأذى بالإله ذي العينين الزرقاوين ، ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير في أرض مصر نجسا لا يؤذن لهم في دخول المعابد والتقبل منهم قرايين للآلهة ولا يسمح لأولادهم أو بناتهم أن يتزوجوا من المتعبدين لله المتخلصين له العبادة

هنا ما جاء عن قسساء المصريين بالمقطي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ ما نظر ما جاء في كتاب (قانون الصحة) ونصه (الأغذية المتعفنة أو المتحللة خطرة جدا ولا تصلح في الغذاء وذلك كالحم الحيوانات المصابة بالدرن لأنها

قد تسبب الإصابة بهذا المرض عند الانسان . وكذلك لا ينبغي استعمال الخضر قبل غسلها خوفاً من أن تحمل اليها بعض بيض الديدان كبيض السودوة الوحيدة (انظر شكل ٧ وشكل ٨ وشكل ٩) والطبخ في أوان من نحاس لفترة بحيث التسمم ويكون ذلك مصحوباً بقيه ومقص واسهال . وطبخ الأغذية مع الخل في أوان من الرصاص يسبب التسمم بالرصاص) انتهى



(شكل ٨ - رأس
السودوة الوحيدة)



(شكل ٩ - « التريشين »
ديدان لحم الخنزير)

(شكل ٧ - عضلات من لحم الخنزير محتوية
على أكياس السودوة الوحيدة)

(اشراق النور الإلهي في هذا التفسير وإعانة الله تعالى فيه إذ انه نور السموات والأرض)

في هذا التاريخ نفي يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م بعد أن كتبت هذه المقالة ومعاها رسم لحم الخنزير والسودوة التي تعيش فيه خرجت من المنزل فشاهدني في نفس الشارع الذي أسكنه وهو شارع عز بن العابد بن أحد الاخوان فأسرع جرياً مشيراً إلى يناديني بإفلاق فأفلاق فوقفت وسمعت عليه فقال اسمع اسمع هنا أمر عجيب في القرآن والاسلام . فقلت وما هو رجلك الله . فقال ماذا فهم في حديث (فرتم من المجنوم فرارك من الأسد) فتذكرت أن بعض محرري الجرائد المصرية الكبرى في مصرمة قال لي (إن الفرنجة قد وجدوا أن الحيوان المكسوك في الذي يحدث الجذام في الانسان مخلوق على شكل الأسد) ولكني لم أرد أن أقول له هذا المعنى لأنني لم أراه في كتاب ولم أسمعه من طبيب مطلع ، فأجبته قائلاً وماذا أصنع بضمي في مثل هذا الحديث أنا لا أعرف فيه شيئاً . قال إذن أقص عليك قصصاً عجيباً . ذلك أن رجلاً عظيماً من صايط الجيش المصري التي هو أركان حرب فيه مع عرابي باشا أيام الحرب مع الانجليز كان له تاريخ عجيب إذ اختلف مع الضباط في الاستحكامات العسكرية وظهر صدقه وهو من أمهر الرجال العلماء العسكريين الذين تقلموا في أوروبا وقد ظهر في السلاط المصرية الطاعون بعد دخول الانجليز سكان مما استعملته الحكومات لدفع الخطر عن البلاد انها احضرت أطباء من ألمانيا ، ولما كان هذا الضابط (وهو سم بك الهلالي) ممن يعرفون لعات كثيرة قابلهم وأنس بهم وتحدثوا في أمور الطب التي هم قادمون لأجلها جرى في المجلس العدوي بمرض الجذام فقال طبيب ألماني ان حديث (فرتم من المجنوم فرارك من الأسد) لما اطلع عليه الأطباء عندنا أخذوا يبحثون لماذا عبر النبي العربي ﷺ بالأسد ولم يعبر بكلمة أخرى مثل أن يقول فرارك من النار أو من السيل أو من الفخر أو نحو ذلك فوضعوا تلك القرات التي تخلق في جسم المجنوم تحت المتظار المعظم فوجدوها على صورة الأسد فأدهش علماءنا الي العربي ﷺ فلما سمعت هذا عجت لماذا أخذت تحت هذا الحديث يناديني من بعيد

حتى استوفيتي ثم لماذا قص - على هذا القصص الآن ، ولماذا لم يكن إلا في هذا اليوم وفي هذه الساعة بعد كتابة موضوع لحم الخنزير الذي هو معجزة لنبينا ﷺ وللقرآن نبينا لقوله تعالى - حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير - فلماذا يكون النص على لحم الخنزير في القرآن دون غيره ولماذا يحرمه قدام المصريين وهنا قول أيضا كاريونا عن علماء الألمان لماذا خصص النبي ﷺ مرض الجذام بالأسد ، قرأت أن أثبت هذا هنا اعترافا بنعمة الله تعالى واعترافا من كوثر علمه وباهر حكمته وبديع تبيانه وسابغ راحته والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المسألة الثانية وبها تم القول في أمر حفظ الصحة التي هي أفضل من المعالجة في تفسير قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسمين -

فها نحن أولاء عرفنا جلال الله عز وجل وحكمته في الحيوان وأنه درجت وفي الإنسان وأنه أرق ورأينا العلم يتدنى في الحيوان وينتهي في الإنسان وأن هذا الأخير تعاطى مأسوله من نبات وحيوان وغيرهما فأكل وليس وشرب ثم ظهر فيه أطباء استخرجوا بواطن الأشياء كما عرفوا ظواهرها ، أمروه بضل جسمه والمحافظة عليه وتنظيفه ، ثم درسوا له جسمه وأجسام الحيوان فقرأوا ما تراه أم قبلنا من جيوش مدججيات بالأسلحة متقاتلات ثم أروه البودة الوحيدة في الخنزير الذي حرّم الله على الناس وبهذا ظهر أن دين الاسلام هذا وقت ظهور مجائحه بل هودين الحب العالم والعلم العالم وأن حصر أفكار المسلمين في علوم الفقه في القرون المتأخرة بعد العصر الأول يظهر أنه كان عقابا من الله لهم لما شره ملوكهم على حطام الدنيا وتركوا وصايا القرآن غيبهم الله في قضايا البيوع والبراث والمتاورات والحيف والنفاس وقالوا أيها المسلمون قد أئذنت قضائي فيكم لأني أرسلت نبي محمدا ﷺ لينقذ الناس من الضلال وتعالجه قد جاوزت حدود الصين ودخلت أوروبا والكسب القديمة ترجت ، ولما علمت أن المتأخرين منكم لا يصلحون لاصلاح عبادي أرجحتكم من أوروبا الى الأقطار الأخرى والملت الأم الأخرى أن تحمل العلم عنكم فرقوه بأمرى وأرجحت العلم الآن لكم من بلاد الغرب فطلعت شمس من مغربها فهل أتم متبون ؟

اللهم إن هذا التفسير وامثاله التي فوجئ المسلمون بها اليوم مترجع هذه الأئمة الى سيرة السلف الصالح ويحيون الأرض بعد موتها والى الله عاقبة الامور ، فلنفسر اليوم مبادئ علو الدين الاسلامي في هذا التفسير فالتفتة قائمة والأمة مستيقظة وعين الله تراه - ألم نشرح لك صدرك - ولنختم الكلام في هذا القسم أى قسم حفظ الصحة ونشرع في القسم الثاني وهو المعالجة لتفسير قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين -

فاعجب لقوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - هو يقول - فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسمين - ولم يذكر في ذلك لفظ - اذا - أما الشفاء فجعله مطلقا على الشرط وهذا من النكت اللطيفة لأن الأطباء أجعوا ان تعاطى الأدوية أمر اصطلاحي كاستعمال السلاح لطرد العدو ، ومن الخرج والجهل أن تترك أبواب الحصون في المدن حتى يلج منها العدو ويدخل ثم يحارب داخل البلاد ، فهذه هي حال المحافظة على الصحة ، فاذا حافظنا على محنتنا رأينا مرضنا لم قدر على الاحتراس منه هنالك نستعمل العقاقير ، اما ذلك الذي يشرب المسهل لكل طارئ ويتعاطى المقويات ويشرب التبغ والقهوة والشاي والككوكا كتهتم في (سورة طه) وغيرها فهؤلاء ملومون يخربون اجسامهم بأيديهم ويضعون حصون مدنهم لأعدائهم جهالة ، فهذا معنى قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - معبرا بإذا الشرطية

(الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثاني من تفسير الآية)

لقد وعدت في (سورة طه) أن أذكر لك ما استعنت بهما جمعه الزعيم الهندي (مهاتما غاندي) الذي نشره « المنار » في المجلد (٢٦) و (٢٧) من « مجلة المنار » وسرى في كتاب وحده وهذا نصه

(الباب الأول . العلاج بالهواء)

قد فرغنا الآن من البحث في أساسات الصحة وأصولها وكذلك عن طرق صياتها والحفاظة عليها ولو أن جميع الناس رجالا ونساء يخضعون لقوانين الصحة ويحسكون بالتجرد التام لاتي أي حاجة للأبواب الآتية لأنهم يكونون في مأمن من جميع الأمراض والأوصاب سواء في أجسامهم أو عقولهم ، ولكن أين نجد هؤلاء الناس ؟ وأين الذين لا يصابون بالأمراض ، وعلى كل فانا كلما اعتنينا بالنسك بالاصول التي دؤنت في هذا الكتاب فالأغلب اننا نسلم من الأمراض ولكن ان أصابنا مرض يجب أن نعالجه باهتمام والأبواب الآتية تبين كيفية العلاج بدون الاستعانة بالطبيب . إن الهواء النقي كما هو لابد منه لصيانة الصحة كذلك لاغنى عنه في معالجة الأمراض ، فالصاب بالقرص مثلا اذا عوجج بالبخار الساخن يحرق بكثرة وتلين أعضابه وتستريح مقاصله ، وهذا القسم من علاج البخار يسمى (الاستحمام التركي)

ومن كان يشكوى شديدة فليجرد من ملابسه ويلقى في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة يئنة وعند ما يصيب بالبرد يلقى في ثوب فيعرق حالا وتزول الحمى سريعا ، ولكن ما نفعه عادة هو على عكس ذلك تماما حتى لو أنمخ للمريض من البقاء في الهواء الطلق ولو أرادته بنفسه ونفلق عليه جميع أبواب محبته ونواذرها ونفلق جميع جسده مع رأسه وأذنيه واللحف والأغطية فتكون النتيجة ان المريض يبرزع فيزداد ضعفا عن مقاومة مرضه . ينبغي أن نفهم أنه ان كان سبب الحمى شدة الحر فالعلاج بالهواء الذي ذكر آنفا غير مضر أصلا ويشعر بتأثيره حالا ، فم يجب الاحتراس لئلا تأخذ المريض القشعرية في الهواء الطلق فان كان لا يستطيع البقاء عاريا يجوز تغطيته جيدا بالثقل . إن تغيير الهواء علاج مفيد للحمى المزمنة وغيرها من الأمراض فالعادة العاتية التي جرت بتغيير الهواء ليست إلا عملا بأصول العلاج الهوائي وكثيرا ما نفعه عمل أقامتنا متوهمين أن اليت التي تعاقبه الأمراض محل الأرواح الشريرة ، هذا وهم محض

إن الأرواح الشريرة الحقيقية في مثل هذه الاحوال إنما هي الهواء الفاسد في داخل البيت . إن تغيير البيت يذهب تغيير الهواء وهذا هو الذي يدفع المرض . إن العلاقة بين الصحة والهواء قوية جدا حتى إن التغيير القليل له يؤثر حالا تأثيرا رديا أوحسنا . يستطيع الاغنياء أن يفتلوا الى أماكن بعيدة وأما الفقراء فكذلك يستطيعون الانتقال من قرية الى قرية ، أو على الأقل من بيت الى بيت بل إن تغيير حجره بحجره في البيت نفسه كثيرا ما ينفع المريض ففعا محسوسا ولكن نحب مراعاة الاحوال ليكون للتغيير نفع حقيق فالمرض الذي سببه الهواء الرطب مثلا لا يمكن علاجه بالانتقال الى محل رطب . وبما أن الناس لا يهتمون بمثل هذه الاحتياطات البسيطة الاهتمام الكافي لذلك لا يبعدى تغيير الهواء ففعا في أكثر الأحيان

(الباب الثاني . العلاج بالماء)

إن الهواء غير منظور فنحن لا ندرك تأثيره الجيبي ولكن عمل الماء وتأثيره الصحي يمكن ادراكه وفهمه بسهولة . يعرف جميع الناس شيئا من استعمال البخار وسيلة محمية فكثيرا ما نستعمله في الحيات ونعالج به وحده الصداق الشديد ، وكذلك المصاب بالوجع الروماتيزمي في المفاصل يشعر بالراحة السريعة عند استعمال البخار واتباعه استعمالا باردا ، والسامل والقروح لاتبرأ بمجرد وضع المرهم أو الصمان عليها ولكنها تنشف تماما باستعمال البخار ، ثم إن الاستحمام الحار أو الاستحمام بالماء الحار يذهب مباشرة الاستحمام البارد مفيد جدا في التيب الشديد ، وكذلك النوم في الهواء الطلق بعد الاستحمام البخاري يصحبه استحمام بارد نافع جدا في الأرق . إن الماء الساخن يصح استعماله دائما كبديل للبخار . وإذا أصيب الانسان بوجع شديد في بطنه بشغبه حالا تدفئة البطن بقنبنة مملوءة بماء مغلى توضع فوق قماش غليظ على البطن . وإذا ما أريد التقيؤ يمكن ذلك بشرب كمية وافرة من الماء الساخن . إن الذين يشكون الامساك يستقبلون كثيرا بشربهم

كوبة من الماء الساخن إما وقت النوم في الليل أو بعد تنظيف الأسنان صباحا مباشرة
 أن سير (جوردن سبرنج) قد عرّض صحته الجيدة الى تعود شرب كوبة من الماء الساخن يوميا قبيل
 النوم في الليل و بعد اليقظة صباحا. إن كثيرا من الناس لاتلين معدتهم إلا اذا شربوا الشاي صباحا فيعتقدون
 حقا أن الشاي هو الذي أحدث هذا التأثير مع ان الشاي وحده مضر في الحقيقة وانما الذي أثر هذا التأثير
 هو الماء الساخن في الشاي فهو الذي يلين المعدة ويزيل الاساك

قد اخترعت أرجوحة تستعمل عادة للاستحمام البخاري ولكنها ليست ضرورية جدا بل يصح أن
 يوقد و يورمن الاسبرتو أو الفلز أو كاتون من الوقود أو الفحم تحت كرسى اعتيادي من الخيزران و يوضع فوق
 الوقود قدر مملوء بالماء مغلي يغطى بغطاء وينشر فوق الكرسي رداء أو دثار بحيث تنزل أطرافه الى الأمام لتقي المريض
 من حر النار ثم يقعد المريض على الكرسي ويلقى في رداء أو دثار وعند ذلك يرفع غطاء القدر بحيث يكون
 المريض معرضا للبخار الذي يتصاعد منه ، أما ما تعودته من تغطية رأس المريض فهو احتياط غير ضروري
 إذ حرارة البخار تتصاعد من طريق الجسم الى الرأس وتسبب عرقا كثيرا في الوجه وإن كان المريض ضعيفا
 جدا بحيث لا يستطيع القعود حينئذ يصح أن يضجع على سرر ذي فتحات وفراجات ولكن يحترس أن لا يذهب
 شيء من البخار سدى ، وكذلك كما لا ينبغي يجب الاحتياط لئلا تصل النار ملابس المريض أو دثاره ، وكذلك
 يجب المراقبة التامة لحالة صحة المريض لأن استعمال البخار بدون مبالاة يخشى منه الخطر أيضا . إن المريض
 لابد من أن يشعر بضعف بعد هذا الاستحمام البخاري ولكن ضعفه لا يلبث أن يزول . إن الأكثر من
 استعمال البخار يضعف البنية على كل حال ولعلك لا يفتني أن يستعمل إلا للضرورة شديدة والبخار كما يستعمل
 للجسد كله كذلك يصح استعماله لجزء خاص منه ، فمثلا اذا استعمل في الصداع فلا احتياج الى عرض سائر
 الجسم له بل يوضع الرأس وحده فوق قدر صغير المملوء بماء فاتر ويلقى عليه قماش ثم يستنشق البخار
 بالأف لتساعد الى الرأس ، وإذا كانت المناخر مسدودة فهي تنفتح بهذا العمل وهكذا ان تورم عضو من
 الجسم فهو وحده يعرض للبخار

قليل من الناس يعرفون القيمة الصحية للماء البارد مع انه في الحقيقة أنفع في هذا الباب من الماء الساخن
 ويمكن أن يستعمله حتى أضعف الناس بنية ، فالتلف شوب مبالغ بالماء البارد نافع جدا في الحى والجبرى
 والأمراض الجلدية ويمكن لجميع الناس استعماله بدون أدنى خطر . إن الهواء والحر (جنون الحى) يمكن
 دفعه حالا بلف ثوب مبلول في ثلج مذاب على الرأس ، والذين يشكون الاساك يتفهم جدا لف ثوب مبلول
 بثلج مذاب على البطن لحين من الزمن . وكذلك يمكن منع كثرة الاحتلام في أكثر الأحيان بهذه الطريقة
 نفسها . إن زحف الدم من أى عضو كان يمكن منعه باستعمال ثوب مبلول بماء بارد مثليج . وكذلك الرعاف
 يمنع بسبب الماء البارد فوق الرأس . إن أمراض الأنف والزكام والصداع يمكن معالجتها باستنشاق الماء
 البارد من الأنف ويمكن استنشاقه بمنخر وإخراجه بمنخر آخر أو يستنشق بمنخرين معا ويخرج من الفم ،
 ولا ضرر من وصول الماء الى المعدة إن كانت المناخر نظيفة ، إن هذه أحسن طريقة لجعل المناخر نظيفة دائما
 وأما الذين لا يستطيعون استنشاق الماء للمناخر فيجوز لهم أن يستعملوا المحن ولكنهم يتعلمون بسى قليل كيفية
 الاستنشاق بسهولة بل يجب على جميع الناس ان يتعلموها لأنها سهلة وناقصة جدا للصداع والرائحة الخبيثة في
 الأنف وكذلك لازالة الأوساخ في مجرى الأنف

يخاف كثير من الناس من استعمال المحنة بل يزعم بعضهم أن الجسم يضعف به ولكن هذه المخاوف ليست
 إلا وهمية ليس هناك طريقة للإسهال القوى أكثر تأثيرا من هذه الطريقة وقد ثبت تفعا العظيم في كثير
 من الأمراض حينما لم نجد غيرها من العلاجات ، ولا يجب فهي تنظف الأحياء تماما وتمنع تراكم المواد الساقطة

فيها ، إن الذين يتأذون من الأوجاع الروماتيزمية أو سوء الهضم أو الأوجاع من سوء حالة الأحشاء الصحية ينبغي لهم أن يحقنوا برطلين من الماء فيرون تأثيره السريع القوي ، قال أحد الكتاب في هذا الموضوع إنه كان يشكو مرة سوء هضم مزمن واستعمل جميع الأدوية سدى وعثا فتحل جسمه بذلك ، ولكن حقنة الماء ردت إليه شهية الطعام وشفته من دأبه في بضعة أيام حتى أن بعض الأمراض مثل البرقان يمكن معالجتها باستعمال حقنة الماء . إن الذي يستعمل الحقنة أحيانا كثيرة يجب أن يستعمل الماء البارد لأن الماء الحار ربما يضاعف البنية بتكراره . إن الدكتور الألماني (لويس كوهن) قد حكم أخيرا بعد التجارب المتوالية بأن العلاج المائي نافع في جميع الأمراض . وقد نالت كتبه في الموضوع قبولاً عظيماً حتى أنها ترجمت إلى جميع لغات العالم تقريباً ومن جلتها بعض اللغات الهندية . قال هذا الدكتور (إن البطن هو بيت الأوجاع كلها فإذا كثرت الحرارة في البطن كثرة زائدة تجل على الجسم في صورة الحصى والروماتيزم والقروح والبثور وغيرها من الأمراض إن منافع العلاج المائي قد عرفها قبل (كيوهن) بكثير أناس عديدون ولكنه هو أول من قال بأنه أصل مشترك لجميع الأمراض . لسا بمجبورين على أن نسل بأرائه كلها على علائها ولكن الحقيقة التي لا مره فيها هي أن أصوله وطرقه قد ثبتت نجاحها في كثير من الأمراض وإني أذكر لك مثالا واحداً من أمثلة كثيرة قد اختبرتها بنفسى وذلك في مصاب بروماتيزم شديد جداً فقد حصل له الشفاء التام بطريقة (كيوهن) بعد أن خابت جميع المعالجات الأخرى .

قال الدكتور كيوهن (إن حوارة البطن تزول باستعمال الماء البارد) وعلى ذلك أكد غسل البطن ومحاولة من الأعضاء بماء بارد جداً . ولتسهيل الفصل قد اخترع نوعاً خاصاً من المغاسل من الصفيح ولكنها ليست بلازمة إذ قصاع الصفيح المثلثية الشكل في مقادير مختلفة لأغاس مختلفة القامات التي تباع في أسواقنا تقوم مقامها تماماً . يجب أن يملأ ثلاثة أرباع من القصعة بالماء البارد ويجلس فيها المريض بحيث تبقى معها رجلاه وجسمه الأعلى خارج الماء ويبقى وسطه من الصخذ إلى مافوق البطن في داخله والأحسن أن تسند الرجلان على كرسي قصير ويجلس المريض في الماء عارياً بالمرّة وإن كان يحس بالبرد يغطي رجله وجسمه الأعلى برداء وإن لبس القميص فليبق القميص خارج الماء بالمرّة . يجب أن يكون هذا الفصل في مكان طلق حيث يكثر الهواء النقي والتورم يفرّك بطنه بنمسه أو غيره بخفة خشنة من خس إلى ثلاثين دقيقة أو أكثر فيرى نفع هذه العملية حالا في أكثر الأحوال . ففي الروماتيزم مثلاً يأخذ المريض في الخروج حالا في صورة الحشاء وغيره . أما في الحمى فتزول الحرارة درجة أو درجتين وتنظف الأحشاء بهذه العملية تماماً ويؤثر التعب وإن كان يشكو الأرق يحل محل النوم وإن كان النعاس والارتخاء يأخذ مكانه اليقظة والنشاط . لا تعجب من اختلاف النتائج لأنه ليس في الحقيقة أمراً عجيباً كما يظهر وذلك لأن قلة النوم وكثرته عليهما واحدة وكذلك البوسططاريا والإمساك اللذان هما نتيجة سوء الهضم يصالجان بنفس هذه الطريقة ، والبواسير الزمنة يمكن معالجتها أيضاً بهذا الاستحمام مع ترتيب حسن في الغذاء ، والذين يشكون كثرة البصاق الدائم يجب أن يسرعوا حالا إلى هذا العلاج ، وكذلك للمصابون بالضعف يتقوون بهذه الطريقة وقد عولج بها حتى الروماتيزم الزمن فتشفي تماماً وهو كذلك علاج مؤثر في النزف السموي والصداغ وقد قال عنه (كيوهن) أنه علاج نعين حتى السرطان والحامل التي تستحم هذا الاستحمام بنظام تجد الوضع سهلاً ، والحاصل أنه يمكن لجميع الناس بدون استثناء في الصبر والجنس الاستفادة به . وهناك نوع آخر من الاستحمام يسمى (ويت . شيت . باك) وهو علاج نافع دائماً للأمراض المختلفة وطريقته كما يأتي (يوضع سرير أو كرسي يمكن نوم المريض فيه براحة نائمة في هواء طلق وينتشر فوقه نحو أربع بطانيات كبيرة بتدل طرفاها من جانبيه أو أكثر أو أقل حسب حالة الجو وتنتشر فوقها ملاءتان يضاوان مغموستان في الماء البارد وتوضع الحقنة تحت البطانيات

في طرف من السرير وعند ذلك يجرد المريض من ثيابه إلا أزاره صغير في وسطه إن كان يريده وينام على اللادتين مع بسط يديه حذاء جنبه وعند ذلك تلف اللادتان ومن فوقهما البطانيات على جسمه مع الاعتناء برقع الأطراف النازلة جهة الرجل حتى تغطيها جيدا ، وإن كان المريض متعرضا للشمس يوضع ثوب مبلول فوق رأسه ووجهه مع ترك الأنف مكشوقا دائما فيشر المريض في أول الأمر ببعض القشعريرة ولكنها تالبت أن تزول ويحل محلها الشعور بحرارة لطيفة فيبقى في هذه الحالة من خمس دقائق إلى ساعة أو أكثر ويهدئة بتصبب العرق من جسمه ويفرق هو في النوم في أكثر الأحوال ، وعقب خروجه من هذه اللقائظ يجب أن يغسل بالماء البارد وهذا علاج ناجع للجدرى والحلي والأمراض الجلدية مثل الجرب والقوباء والنفطانات والهمامل حتى أن أقبح أنواع الحصباء والجدرى يشفى به تماما ويمكن لسائر الناس أن يتعلموا بسهولة استعمال (ويت . شيت . باك) بأنفسهم ويصفوه لغيرهم وهكذا يرون بأنفسهم تأثيره العجيب ، وبما أن الدنس كله ينقل من الجسم إلى اللادة السفلى للامعة للبشرة يتمتع أن تستعمل ثانيا بدون غسلها جيدا في ماء فاتر لا احتياج إلى التشديد بأن الفائدة التامة من هذه الاستحمامات لا يمكن أن تحصل إلا بعد مراعاة الأصول التي ذكرت في أبواب الغذاء والرياضة وغيرها مراعاة تامة فإن كان المصاب بروماتيزم مثلا لا يستحم استحمام (كيوهن) أو استحمام (ويت . شيت . باك) ولكن يأكل غذاء رديئا ويعيش في هواء قاسد ويمرض عن رياضته فلا يزال أي فائدة من الاستحمام . إن للرعاية التامة لجميع قوانين الصحة هي التي تجعل العلاج المائي نافعا ناجحا بل قريب والا فلا

﴿ الباب الثالث . العلاج بالتراب ﴾

نشرع الآن في بيان الخواص السعيدة للتراب الذي قمه أكبر من الماء في بعض الأحوال . لا ينبغي لنا أن نتعجب من خواصه لأن جسدنا قسمة مركب من عناصر أرضية وقملا نحن نستعمل التراب للتطهير فنفضل به الأرض لتزليل الروائح المحيطة منها ونغطي به الأشياء المتعفنة لنفخ فساد الهواء وننظف به أيدينا . وكذلك نستعمله لتنظيف أواني المراحيض . إن رهبان الهندوس يلمسونه بجلودهم ويعالج به بعض الناس القروح والبثور ويدفن الأموات فيه ثلاثا يفسد الجثوة . كل هذا يثبت جليا أن في التراب كثيرا من الخواص القيمة للتطهير والعلاج . وكأن الدكتور (كيوهن) بذل جهده الخاص في موضوع العلاج المائي كذلك الدكتور الألماني الآخر قد فترغ لدرس التراب وخواصه وقد توسع حتى قال بأن التراب يمكن استعماله بنجاح في معالجة جميع الأمراض حتى أشدها وأعقدها . وقد حكى عنه أنه قال ﴿ لسع أمبان رجلا فيلس الناس من حياته ولكن داوينة بأن واريته في التراب مدة من الزمن فزال السم من جسده وشفى تماما ﴾

ليس لنا أن نظعن في صدق الدكتور ولنا نعلم أن حرارة شديدة تولد في الجسم إذا دفن الإنسان في الأرض وأنا وإن كنا لا نستطيع بيان تولد التأثير عمليا لا يمكن أن ننكر أن في التراب خاصية جذب السم . أجل قد لا تتجبع هذه الطريقة في كل حادثة للسموع ولكن يجب حثا تجربتها في كل حادثة وأنا أستطيع أن أقول بتجربتي الشخصية أن استعمال الطين في مثل حوادث لسع العقرب نافع جدا

قد جربت بنفسى الأشكال الآتية للعلاج الترابي ونجحت فيها ، فالإمساك والدوسنطاريا ووجع المفاصل المتأصل قد عالجته باستعمال لبنة من الطين فوق البطن يوما مدة يومين أو ثلاثة أيام وقد تحقق النفع العاجل في حوادث الصداع باستعمال ضادة لطيفة تشد على الراس ، وكذلك قد عولجت العيون المنهجة بنفس هذه الطريقة شفتيت . إن الإصابات سواء كانت متورمة أو غير متورمة تعالج كذلك بها ، وأني قد كنت في حياتي الماضية السوداء لا أستريح بدون المواظبة على استعمال ملح الفاكهة (فروت سالت) وما شاكله من المسهلات ولكن منذ علفت في سنة ١٩٠٤ قيمة العلاج الترابي لم أستعمل أي مسهل ولا مرة واحدة إلى الآن

إن لبخة طينة فوق البطن والرأس تنفع كثيرا في الحصى الشديدة وأن الأمراض الجلدية مثل المامل والقروح والقوباء والحرق بالدار أو الماء الحار قد عولجت بالطين أيضا إلا أن القروح المتفحطة ذات الصديد لا تنشف به بسهولة وكذلك البواسير تعالج بنفس هذا العلاج ، وإذا اسحوت الأيدي والأقدام وتورمت بسبب البرد فالطين علاج نافع جدا لها وكذلك وجع المفاصل يزول به ، فهذه وغيرها من التجارب في العلاج الترابي قد علمت أن التراب عنصر مفيد للعلاج البطني للأمراض

نعم إن جميع أنواع التراب ليست بنفسه على سواء ، فالتراب الجاف الذي حفر في مكان نظيف يكون أضع بكثير من غيره . لا ينبغي أن يكون التراب لزجا جدا بل أحسن ما كان بين الرمل والأملس ويجب أن يكون خاليا من الروث والقناريص فيجدا في غراب نقيس ويجهن بماء بارد عجننا جيدا قبل الاستعمال ثم يرطى قاش نظيف غير مكوى ويستعمل كلبخة غليظة ، ويجب رفعها قبل أن يأخذ الطين في اليبس وهو لا يتجفف في الأحوال العادية من ساعتين إلى ثلاث ساعات . إن الطين الذي استعمل مرة لا يستعمل بعد ذلك أبدا ولكن الثوب المستعمل يصح استعماله ثانيا بعد أن يغسل جيدا ليتنظف من الدم وغيره من المواد الوسخة وإذا أريد استعمال اللبخة على البطن وضع فوقه قاش دفي . يجب على جميع الناس أن يبقوا عندهم صفة من التراب المجهز للاستعمال لئلا يضطروا إلى البحث عنه هنا وهناك عند الحاجة إليه وربما قوت الفرصة في حوادث مثل لمخ العرق التي تؤدي إلى التأخير فيها إلى خطر شديد

﴿ الباب الرابع . الحصى وعلاجها ﴾

لننظر الآن في بعض الأمراض الخاطئة ونبحث في طرق علاجها وأولها الحصى . نحن نطلق كلمة (الحصى) على حالة الحرارة في الجسم غير أن أطباء الأفرنج قد نوعوا هذا الداء على أنواع كثيرة وخصصوا لكل منها علاجاً ولكننا نظراً للخطأ الذي سلكناها في هذا الكتاب والأصول التي دوناها فيه نقول إن أنواع الحصى كلها يمكن معالجتها بعلاج واحد وبطريقة واحدة . لقد جربت هذا العلاج الساذج في جميع أنواع الحصى من أخفها إلى أشدها مثل الطاعون الهندى وحصلت على نتائج حسنة عامة فقد انقش هذا الطاعون سنة ١٩٠٤ بين الهنود في أفريقية الجنوبية وقد كان فظيحا للغاية حتى إن (٢٣) إصابة حدثت قد مات بها (٢١) قساً خلال (٢٤) ساعة . أما الاثنان اللذان بقيا فقد أرسلا إلى المستشفى ولكن لم يسلم منهما إلا واحد وقد كان هذا الناجي هو ذلك الذي استعمل له اللبخة الطينية . نعم ليس لنا أن نستنتج من ذلك بأن هذه اللبخة هي التي شفته ولكن بما لاشك فيه أنها لم تضره أى ضرر . كلاهما كانا مصابين بحصى شديدة كان سببها التهاب البرنوى وكانا قد أغمى عليهما وكان الرجل الذي استعمل عليه اللبخة الطينية في أخطر الأحوال فكان يبعث اليه اليأس وخلفت بعد ذلك من الدكتور بأنه كان لا يئذي إلا ببلين قليل جدا

وبما أن أكثر أنواع الحصى تكون نتيجة للارتباك في الأحشاء فأول ما ينبغي عمله هو تجويع المريض والقول بأن الضعف يزداد ضعفاً بالتجويع وهم باطل إذ علمنا بما تقدم أن الجزء الذي ينفع من الغذاء إنما هو ذلك الذي يتحلل في الدم . وأما الباقي فيبقى جلا على المعدة . وبما أن القوى الهاضمة تضعف جدا في الحصى لذلك يتوسخ اللسان وتسلب الشفاه وتجف فإن أعطى المريض طعاما في هذه الحالة فلا ينفعهم ويزيد الحصى . ولكن التجويع يعطي القوى الهاضمة وقتاً لانعام أعمالها ولذلك فإن تجويع المريض ليوم أو يومين ضرورى . وكذلك يجب عليه في الوقت نفسه أن يستحم كل يوم على الأقل مرتين على طريقة (كيوهن) فإن كان ضعيفا أو مريضا إلى درجة لا يستطيع فيها الاستحمام يجب أن تستعمل على بطنه اللبخة الطينية وأن يشك الرأس كبراً أو يحس بحرارة شديدة تستعمل اللبخة على رأسه أيضا ومهما أمكن ينبغي أن يتوهم المريض في الهواء الطلق ويغلى جيدا ويطهى وقت الطعام عصر الليمون بعد أن يغنى جيدا ويترج بماء بارد أو مغلى حار

ولا يخلط معه السكر ما يمكن . إن هذا العسر يؤثر تأثيرا نافعا جدا ويقتم وحده لمرض إن كانت أسنانه تفضل حوضه ويجوز بعد ذلك أن يقتل اليه نصف موزة أو موزة كاملة بعد أن يخرج جيذا بلعقة من زيت الزيتون وبلعقة من عصير الليمون وإن كان المريض يحس بالعطش فيعطى ماء مغليا مبردا ولا يسمح له بشرب ماء غير مغلى ويجب أن تكون ملابس المريض خفيفة وتغير كثيرا

وقد شفي بهذا العلاج السهل مجموعون كثيرون حتى الذين أصيبوا بالحمى التيفودية وأمثاله من الأمراض الخطرة وهم يتمتعون إلى الآن بصحة تامة . إن (الكينا) كذلك تؤثر وتنتفع بآدى الرأى ولكنها فى النتيجة تجلب أمراضا أخرى حتى إن الحمى المالاريا التى تعبر فيها الكينا نافعة جدا قلما رأيتها تعطى شفاء دائما ولكنها بالعكس رأيت حوادث مختلفة فى الصابين بالمالاريا قد شفوا شفاء دائما بالعلاج الذى ذكر آقا

يقتصر كثير من الناس على اللبن وحده أثناء الحمى ولكنها وجدته بتجربى مضرا فى المراحل الأولية من الحمى لأنه عسر الهضم فإن كان لابد من اللبن فأحسن أن يكون مخلوطا بقهوة القمح أو قليل من دقيق الزمائل جيذا بل ماء ولكن لا يصح أبدا أن يعطاه فى الحمى الشديدة بل ينفع فى مثل هذه الحالة عصير الليمون نفا كبيرا فإذا زالت الحمى وتنظف اللسان يصبح أن يزداد الموز فى الغذاء على الطريقة المبينة آنفا وإن كان هناك إمساك خففة من الماء الساخن والبرق (لزاق الذهب) عوضا عن المسهل يصحبها غذاء زيت الزيتون لتنظف البطن جيذا

﴿ الباب الخامس . الإمساك والموسطاريا والمفص والبواسير ﴾

يبدو لأول وهلة ذكر هذه الأمراض الأربعة المختلفة فى باب واحد عجيبا ولكن الحقيقة إنها كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا شديدا ويمكن معالجتها قريبا بطريقة واحدة لأنها إذا انضطت المعدة بفنائه غير مضموم سببت مرضا من هذه الأمراض حسب استعداد الرجل واختلاف بنيت فيحدث عند بعضهم الإمساك فلا تتحرك المعدة مطلقا أو تتحرك بعض التحرك أو يحدث رجح شديد عند قضاء الحاجة حتى أنه ينتج نزيف الدم أو المذة المخاطية أو البواسير ويحدث لبعضهم الاسهال الذى كثيرا ما ينتهى بالموسطاريا ويحدث لبعضهم المفص المعوى الشديد مصحوبا بالوجع فى البطن والمذة المخاطية فى البراز ، وفى جميع هذه الحوادث يقضى المريض أى يفقد شهوة الطعام ويصفر جسمه وضعف بنيت ويتوسخ لسانه ويتعفن نفسه ، وكذلك يتأذى كثير من الناس بالصداغ وغيره من الأمراض . إن الإمساك عام جدا حتى إن الثبات من الحبوب والمسحوقات قد أوجبت لمعالجته . إن الوظيفة الأصلية لمثل هذه الأدوية المسجلة مثل ملح الفاكهة (فروت سالت) إزالة الإمساك ، وإنما ترى ألوفا من الناس يمررون وراءها فى رجاء بلبل لينالوا فيه الشفاء . كل طبيب يخبرك بأن الإمساك وماشاكله من الأمراض إنما هو نتيجة لسوء الهضم فأحسن طريقة لمعالجتها هى إزالة سبب سوء الهضم وقد صرح أحد قديمي قولنا بأنهم قد اضطروا إلى اختراع هذه الحبوب والمسحوقات لأن المرضى لا يتركون عاداتهم القبيحة التى أقفوها فى الوقت نفسه يريدون الشفاء

إن أرباب الاعلانات عن هذه الأدوية يبالغون مبالغة عظيمة حتى أنهم يعدون الذين يشربونها بأنهم لا يحتاجون إلى مراعاة أى أصل من أصول الغذاء والوقاية بل يجوز لهم أن يأكلوا ويشربوا ما يحبون إذا استعملوا أدويتهم ، وأظن أن قرائى لا يحتاجون إلى التذكير بأن هذا كذب محض . إن جميع أنواع المسهل حتى أكثرها اعتدالا مضرة بالصحة لأنها وإن أزال الإمساك وقعت نفا بالجثة تحدث أنواعا أخرى من الأمراض فيجب على المريض أن يغير طرق معيشته تماما حتى لا يضطر إلى المسهل مرة أخرى فيقع فى مرض جديد . إن أول ما يجب عمله فى حالة الإمساك وأمثاله من الأمراض هو تقليل الغذاء لأسيا السن والسكر والقندة وماشاكلها والاحتراز التام من الخمر والنخاع والحشيش والشاى والقهوة والكافور والخبز المصنوع من

دقيق الطامن وأن يحتوى الغذاء في أكثر أجزائه على غلظية مع زيت الزيتون
يجب أن يجمع المريض قبل البدء في العلاج (٣٧) ساعة وتستعمل أثناء هذا وبعده البخة الطينية
على البطن أثناء النوم ويستعمل المريض كما ذكرنا مرة أو مرتين كل يوم على طريقة (كيوهن) ويجب أن
يكبره المريض على المشي على الأقل ساعتين كل يوم . لقد رأيت بنفسى أشد حوادث الإمساك والروستطاريا
والبواسير والمفص قد شفيت تماما بهذا الصلاح السهل . لاشك أن البواسير لا تزول كلية ولكنه يظل أذاها
حما . ثم انه يجب على المصاب بالمفص أن يحتاط فلا يأكل شيئا غير عصير الليمون في ماء حار حتى يظل نزيه
الدم أو الخلطية وإن كان وجع للمفص شديدا جدا في المعدة يمكن معالجته بشفقة البطن بضرورة من ماء
ساخن أو بالبخار ساخن جدا ، ولا احتياج الى التنبيه بأن المريض يجب أن يعيش في هواء طلق
إن الثمار مثل البرقوق والزبيب والبرتقال والعنب نافعة خاصة في الإمساك لكن ليس معنى ذلك انها تؤكل
حتى بدون الجوع ولا يجوز تناولها أصلا في حال المفص الذي يصعبه طعم ردىء في الفم انتهى بالحرف

{ فوائد صحية عامة }

(من كتاب ويلكوكس في الطب)

- (١) حسن المضغ يمنع البواسير ، وفيه فوائد كثيرة ويكفي الإنسان نصف ما يأكله عادة
- (٢) تحديد مواعيد الأكل يمنع الإمساك
- (٣) كل من غير أن تشرب واشرب من غير أن تأكل . إن الأكل من غير شرب يعلو الإمساك فلتشرب
بعد الأكل ساعتين أو ثلاث أو أربع باختلاف الأحوال ولك أن تشرب قبل الأكل ساعة أو نصف ساعة
- (٤) كل بمقدار طاقتك
- (٥) يجب تنظيف المعدة بدون دواء كل ستة لأكثر الناس مرة أو مرتين وذلك بصيام (٤) أو (٧) أو
(١٠) أو (١٣) يوما فلا تشرب إلا عصير الفواكه مثل البرتقال والليمون والعنب مع الماء ، والتين الشوكي
ينظف المعدة اذا أكلته صلبا قبل كل أكل
- (٦) لا تشغل عقب الأكل والاكنت معرضا للإمساك
- (٧) اذا مشيت كيلومترين قبل النوم فهو يمنع الإمساك
- (٨) لاتأكل الفواكه قبل نضجها ولا الخضراوات الباتية وامتنع عن الفطير والسكر الأبيض والحلاويات
ومنى كان عندك إمساك لاتتعاط إلا عصير الليمون والبرتقال
- (٩) كل طبيعي طبع مرتين قضيع قوته تقريبا
- (١٠) هذه الفواكه مرتبة حسب منفعتها (البرتقال ، اليوسف أفندي ، الليمون الافرنجى والبلدى
والتين ، والتفاح ، والعنب ، والكستوى ، والبرقوق ، والنوخ ، والزمان ، والفراولة ، والبطيخ ، والشمام ،
والجوافه) كل هذه الفواكه وكل كل قنبرها القى تقدر عليه ثم لا يزيد المتقزم في الماء عشر ساعات يقوم
مقام العنب
- (١١) اذا كان طفل عنده جوب فليعط عصير البرتقال كل يوم فانه يبرأ ، وقد ظهر للأطباء قوى ثلاثة
عليها مدار الحياة قوة (أ) و (ب) و (ج) فتقوة (ج) تساعد الهضم وتمنع الحرج وتحرس الدم وتنظفه وهي
{ أربع درجات } الدرجة الأولى { البرتقال ، الليمون ، الطماطم ، كل الخضراوات والخضراء بوقها الأخضر
{ الدرجة الثانية } البصل ، الجزر ، الكبدية اللينة ، ورق الفجل { الدرجة الثالثة } باقى الفواكه تقريبا
والخضراوات الخضراء المطبوخة مدة قصيرة والبطاطس المسلوقة واللبن الحليب الذى لم يفل والكبدية المطبوخة
مدة قصيرة { الدرجة الرابعة } الفت الأبيض البنجر . وأما قوة (ب) فهي { ثلاث درجات } الدرجة

الأولى) في الخبيرة والسِّنّ الذي في القمع (الدرجة الثانية) العسل، الفول، البصلة، الدقيق بحاله أى مع الزّدة والسِّنّ، ومعنى هذا انه لا ينخل والجوز وصغار البيض والكبد والقلب واللحمة والكلى والملح . وقوة (أ) تنفع من ضعف الأسنان (كما ان قوة (ب) تساعد في منع مرض (البرى يرى) الذى ينتج من أكل الرز للقشور وقوة (ج) تساعد على الهضم وتمنع الجرب وتحفظ السموتنظف كما تقدموهي (أربع درجات الدرجة الأولى) زيت كبد الحوت (الدرجة الثانية) بطارخ السمك، الزّيدة، صفار البيض (الدرجة الثالثة) الكبدية . الكلى . قلب الحيوان . اللحم الطازج . اللبن الحليب . جيج الخضرلات . الجزر . الطعالم (الدرجة الرابعة) جيج الطعالم المصنوع من الدقيق الذى لم ينخل أى لم يخرج منه النخالة ولا السِّنّ (جنول لأدوية طبيعية)

مرض	دواء طبيعى
الكلى	أكل البقدونس . كشك الماز . جل
الأعصاب	أكل الخس والسبانخ
مرض الرزج	أكل الطعالم والليمون
لأجل حصول النجاعة	أكل البرتقال والليمون

(لطيفة في إزالة سوء الهضم)

ابتدئ بتنظيف المعدة ثم كل من غير أن تشرب الخضرلات المطبوخة مثل (السبانخ . الخس . الجزر . البصل . الكرفس . الكرنب . البامية . الباذنجان . الخبيرة . الملوخية . أوكل الخضرلات التي لم تطبخ وإذا كانت أسنانك ضعيفة يجب أن تعقها في (هاون) وهي (الخس . الكرفس . الطعالم . الكرنب . الفجل . الخيار) خصوصاً قشره وأصغر عليها زيتاً مع ليمون . أوكل فواكه مثل (البرتقال . التين . الرمان . العنب . البرقوق) المسلوق مدة قليلة . التفاح الحمر) فهذه تبعده عن سوء الهضم . انتهى ما رده من الفوائد الطيبة

فقال صاحبي، أهذا كتاب طب حتى أنك تكثر فيه من هذه المسائل . فقلت ليس كتاب طب وإنما هو كتاب الله تعالى والله يقول على لسان نبي من أنبيائه - وإذا مرضت فهو يشفين - قوله - فهو يشفين - جلة أسية خبرها فعل مضارع تقتضى الثبات والديموم مع التجدد كقوله - هو يحيي ويميت - فهنا نستفيد (فائدتين) فائدة الطب العمل يتفقه به قرى التفسير وقائدة علمية حكمية . الأخرى وعاء الله أن الأذكاء يدهشون حيناً يقرؤن في هذا التفسير أن الكلى في جسم الانسان إذا مرضت قد زرع الله لها في حقولها البقدونس والفجل وألم الناس فنبهوا لها الكشك . وأن أعصابنا إذا مرضت خلق الله لها الخس والسبانخ وأن نفوسنا إذا أصابها الخور واللين والخوف ذهب ذلك بما أتيته هو لها في الأرض من شجر البرتقال والليمون وأن مرض الرزج أنبت الله له الطعالم والليمون . وأن مرض الجرب ومرض الاسساك وعدم نظافة الم ينعفها كلها أكل مافى قوة (ج) من الأطعمة مثل الطعالم والجزر وهكذا . وأن مرض الأسنان يزول بأكل مافى قوة (ب) وأن الجير الذى يشفى الجروح ويضدى العظم يوجد في الكرنب واللبن والجبنه التي لم ينزع زبدها والسبانخ والبصل والشمس والتين والبرقوق والطعالم والكرفس والبامية والزّدة وأن المغنسيوم الذى يساعد الفضلات ويمحى الفتق موجود في السبانخ والخس والخيار والطعالم والبرتقال والشعير والبرقوق والقمع والليمون والتين والبامية . وأن الكبريت الذى ينظف الدم وهو عدو الروماتيزم موجود في السبانخ والقرنبيط واللفت والفجل والأجرو والطعالم والقرلة وكشك الماز والجزر والكرنب والبصل والبامية . وأن الفوسفور

الذى ينفذ المخ موجود في السمك والخمس وصفار البيض والسبانخ والكشك (الماز) والقفل والقنبيط والخيار
والجزر والبسة والعسل والقمح . وأن الحديد الذى يعطى الدم حوته ويمنع فقر الدم موجود في الكرنب
الأحمر والسبانخ والبصل والزيت وصفار البيض النيء والقرن والبرقوق والبجر وكشك (الماز) والطماطم .
وأن الكالورين المساعد للهضم المنظف للعدة موجود في الكرنب وملح البحر والجزر والسبانخ والبن وسلك
البحر والملح والقفل والجبنة وجوز الهند والبنجر

وأن كبار الأطباء كاجاه في (مجلة الجديد) يقررون أن مخ الانسان تعلاه طبقة خضراء رقيقة هي
وحدها مصدر تفكيره وهي تتجدد في كل ست سنوات وتكون في كل مرة مخالفة من حيث طبيعة مادتها
للطبقة السابقة ، وذلك لعدة عوامل أهمها اختلاف الغذاء ، فإذا كان الشخص مثلاً قد وجدت عنده رغبة
وقية في أن يكثر من أكل الجزر فإن الخلايا التى تتكون في الذهن تكون (فوسفورية) وتتكون مألحة
للتفكير وتكون على العكس من ذلك اذا أكثر من أكل الطوخ . وإذا استمر الانسان مدة ثلاثة
شهورياً كل التفاح كان ذلك متبجاً لخلايا قوة التفكير . ويعرف «الشليك» بأنه من أحسن أنواع الأغذية
في هذا الشأن . وعلى ذلك يكون الذهن متغيراً حسب الفصول وما ينتج فيها من الثمار والحبوب (وأحسن
أوضاع خلاياه ما كان في شهر ديسمبر وأملرس وأسوها ما كان في أغسطس وأكتوبر) وأن الذهن وإن
يكن يتغير بأجمعه كل ست سنوات فالتغير الجزئى يحصل فيه من وقت لآخر وعلى ذلك يكون الذهن في كل حين
تفسير بشكل جديد . ويقتر عدد هذه الأشكال التى تظهر في رأس انسان عاش ثلاثين عاماً نحو (١٨٠)
شكلاً أى (١٨٠) ذمناً مختلفاً . وإذا كان هذا الشخص قد ابتدأ يفكر وله من العمر (٥) سنوات فإن
مقدار ما عرض له من الأفكار التى اشتغل بها ذهنه يبلغ (٢٠٠٠٠٠٠٠٠) فكرة . وإذا كان يشتغل
عملاً عقلياً فإن عدد أفكاره يكون ضعف ذلك . ويبلغ ذهن المرأة نحو (٥٠) أوقية وهو أخف من ذهن
الرجل ولكن أجود من حيث المادة وأشد كثافة منه . ويمتاز ذهن المرأة في الستين من عمرها بنحو ٢٠
في المئة على ذهن رجل في سنها

وأنه ليس بين الثمار ما هو أعظم نفعاً من الليمون فإن فوائده الكثيرة لا يمكن أن تقتصر فإن في استعماله
اقتصاداً للوقت والمال وتخفيفاً للعمل والشفقة ولا يمكن أن يحصى ما يستعمل فيه من الأغراض . فإذا أريد
تنظيف المباديل وقطع النيل بوضع معها عند التقى قطع من الليمون فإنها تصير بيضاء كأنها جديدة . وإذا
أريد أن يجعل النحاس بمرصة وأن يكثر بريقه ولعانه مدة طويلة فليحك بخرقة مبتلة بصبر الليمون .
ويمكن أن ينظف به الرخام الأبيض اذا تغير لونه بتأثير الأسنان أو غيره . وإذا أرادت ربة الدار أن تذهب من
يديها رائحة السمك النيء بعد أن قامت بتنظيفه فلتستعمل الليمون بدلاً من الصابون . وإذا تأملت العين من
أورامد فليقطر فيها بعض قط الليمون . وإذا ظهر في الوجه الثمن يمكن لزالته بشرب عصير الليمون في
كوب ماء في الصباح . وإذا ظهر اسوداد في الأسنان يمكن جعلها بيضاء اذا استعمل الفمغ وعصير الليمون
وهكذا من الفوائد التى يطول سردها . انتهى والله أعلم

أقول لك أيها الذكي اذا قرأ هذا القول قراء هذا التفسير يدهشون ويعجبون ويقولون هذا الجير نراه
أماناً . وهالماً اذا في مصر أراه يستخرج من جبالها وأصله وأصل جميع الجبال مخلوقات في البحر الملح برى
هناك في أجيال ودهور فهذا الجير أدخله الله في نبات الكرنب والسبانخ والبصل والشمس والتين وهكذا الخ
وأعد هذه كلها للانسان وجعلها مضادة لجراحه مقوية لعظامه . وهنا موضع البهشة . بعض الجير يدخل
في البصل والشمس مثلاً وكلاهما يشفي الجروح ويقوى العظم . فهذا عجب . ماهذه الهبات . جير يدخل في
نبات يصلح جسم الانسان . إن العفلاء إذن يولون إن الله ما فرق هذا الجير في أنواع النبات ثم أسوج

الانسان اليه إلا الأمر عجب وهو أن يمرض هذا الوجود . إذن هذه الأمراض خلقت فينا لنعلم . فن اقتصر على مجرد علم الطب فيها ونعمت ، فالطبيب عالم والمرضى يتداوى بماعلم الطبيب ولكن ليعلم الطبيب والمرضى أنهما لم يخلقا لهذه الدنيا وحدها فالداواة الجسمية لهذه الحياة ولكن الداواة العقلية هي المقصودة بالذات وهي أن النفس تتغذى بهذه العلوم وتسد وتذكر جلال هذه الدنيا وأن الحكمة التي أبدعت الجبر أولاً ثم احتالت في ادخاله في النبات ثم أبدعت الانسان وألهمت أن يتداوى ويتغذى بتلك النباتات تريدنا شيئاً أعلى من هذه الحياة وهو أن تكون سادة هذه المادّة وأن هذه المادّة لوحنا تروّاه وكتابتنا تفهمه . إذن الداواة الجسمية مقدمة للداواة العقلية . يمرّ الناس على هذه الهجائب ويحمدون ربهم انه قد شفاهم من أمراضهم والأطباء يفرحون بأنهم نجحوا في طبهم . إن الوقوف عند هذا حقارة لهذه الانسانية في الأرض ، فينظر هذا الانسان لم خالق . إن الأمر لعظيم . يمرّ الليل والنهار وتزى الكواكب ليلاً والنبات وغيره نهاراً وتعرض أجسامنا ونصح والصفحة مستحكمة في أكثر الناس وتزى الأم فترى بأنها غلبت أمماً أخرى والناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله اليوم شديد . اشتدت الحرب على الأمم والعداوة والأمراض في الأجسام وكمر الليل والنهار والناس كلهم غافلون . إلى أرى هذا الانسان محبوساً في هذه الأرض ويحلى لى انهم كلهم يجلدون ويعذبون . ذلك لجبهلهم ولقصور عقولهم ، فالليل والنهار يرجعان لعوالم جيلة والأمراض في الأجسام يراد بها فتح البصائر لما في الأرض من الهجائب

فلعمري أئى مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب ، فالقى عنده جرب يشرب هذا العصير فيذهب المرض وأئى مناسبة بين نحو البرتقال والليمون والطماطم وما أشبهها من كل أنواع قوّة (ج) وبين شفاء الجرب وكذلك ما العلاقة بينها وبين العين بحيث اذا قلت تلك القوّة مرضت العين وتنام قوّة (ج) يمنع مرض العين وهكذا تعاطى زيت كبد الحوت بشفى العين ، فما هذه المناسبات في البر والبحر والعين والجلد أقسم مطلقاًى قسماً حقاً لاحاتاً فيه ولا أتما أن هذه كلها لغات أفصح من لغات الألسنة فالمرض لغته تفهم العناصر الأرضية وقد ذكرنا بها اجالا والتور والظلمات لغتان لبحث الهجائب السايوية وهذا مما يرمز اليه قوله تعالى - يا أبت إلى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فهذه الأمراض عذاب لنا ولكسها من جهة أخرى رحة لأنها مذكرات لنا لنعم هذه العوالم فنرى الى عوالم أخرى أرقى من هذه الأرض المبرعنا بالجنات فقله تعالى - فهو شفين - معناه أن الأمراض تتجدد بتجدد الأجيال والنباتات وغيرها تتجدد بتجدد تلك الامراض وأنا الذى أدير الأفلاك وأنظر لكم في أرضكم وأصلح أحوالكم وأصنع معكم منع الأب الشفيق مع الابن الصغير أرى بكم بالخير والبشر والتأنيك كلها أردت بها الخير . والحليل على ذلك أن الاسبانيين لما دخاوا بلاد أمريكا منذ نحو أربع قرون وأوهمهم يعفرون حفراً يضعون فيها حشيشة (التبغ) الذى يدخله الناس في أفواههم فأمرؤا يقتل كل من فعل ذلك فهو وقع فقس الاسبانيين في نفس الشرك ثم قالوا الى أوروبا ومادخل التدخين أمة إلا قاله قد يسوها بالتكفير وسواسها بالتبغ ثم قلب التبغ حتى هاجم بلاد الاسلام ودخل قلعها إذ ذاك وهي بلاد الترك سنة ٩٩٩ هجرية خرّتها علماء الدين وقاؤها السّواس فتغلبت ودخلت بلاد الاسلام . إذن التبغ هاجم الأمم كلها واستحوذ عليها ولستعمرها فأصبح الناس في الشرق والغرب يدخنون لماذا ؟ لأن المتوحشين في أمريكا كانوا يدخنون . فلعمري أئى فرق بين الحيوانات التي ظهرت في اللثة فانتشرت في جميع الجسم وبين التدخين بالتبغ الذى ظهر في القارة الجديدة فانتشر في القارات كلها . إذن الانسانية كلها جسم واحد ولن تجو أمة من الذنب والعقاب في هذه الدنيا إلا بمساعدة غيرها . اللهم إن الأمم كلها أشبه بجسم واحد في الأرض كما ان عوالم السموات والأرض أشبه بحيوان واحد . وقسم اللليل على أن الصوفى الجسم يعبدى بقية الأعضاء والضعف في أمة له أثر في سائر الأمم وستكون الانسانية بعد اليوم

﴿ بهجة العلم والطب ﴾

(محاورات طيبوس الحكيم مع سقراط)

إن الله عز وجل قد ألم بهذا التفسير وجعله معروفاً لآراء الأمم ، هالانذا قد ذكرت لك آراء الأمم في علم الطب قديماً وحديثاً بحيث اصطفت اللب ونبئت اقشعر وجعلته باذن الله عنياً سائقاً عرابه سابقاً فلا ذكر لك الآن محاورات طيبوس الحكيم مع سقراط وهي المحاورات الموسومة بطيبوس ذلك انه حاور سقراط فيصت معه في السماء وقظامها وجلالها وأبان أن العالم حادث وأنه جيل وأنه نسخة لما هو أجل منه وهي عوالم جوهرية ارفع من المادة ، وذكر أن صانع هذا العالم انما صممه لأنه جواد ولولم يصنعه لم يتصف بهذا الوصف وأنه حمد الى الملائكة المضطربة فنظمها وجعلها متزنة مهتنة وإن هذا العالم كله أشبه بحيوان له عقل عام يديره وله نفس وله مادة ، فالعقل العام لا يتصرف في المادة إلا بنفس تكون واسطة بينهما . وذكر الأيام والليالي فأبان أنهما من صنع خالق العالم وبهما يحصل الزمان ولازمان بالنسبة لهانح العالم بل الزمان مقياس لنا فلما مضى والمستقبل والحال لنا نحن أما الله فلا يحكم عليه زمان لأنه هو محدث الزمان ، ويقول أيضاً ان هذه الكواكب كلها منتظمة بمعمل تدبرها مستدلاً بالنظام الكامل في دوراتها وأن الكواكب والعقول القائمة بها قد حدثوا بعد العدم . ويقول إن الأرواح الانسانية بينها وبين الأرواح التي تدبر الكواكب (وهي بلفة الشرع ملائكة) مناسبة فكما تدبر أجسامنا عقول هكذا الكواكب تدبرها نفوس كبيرة . وذكر أن الله جمع الأرواح الانسانية وشرح لها العوالم قبل نزولها الأجسام وأبان لها الآثار التي تحصل لها اذا اتصلت بالأجسام . وأن من اتبع الشهوات فانه يرجع بعد الموت الى أسوأ حال ومتى عدلت في الأرض رجعت الى حال أرقى وتسكن الأماكن الشريفة في العالم العلوى . وبين أن البصر انما خلق فينا لتعرف به الليل والنهار وبهذا نعرف الزمان ونتوجه الى الحكمة والفلسفة وهما أعظم نعمة من الله . ثم ذكر المادة بحسب زمانهم وانها عناصر أربعة الخ وأن ذكر العناصر لا معنى له لأنها كلها أمر واحد غير الظواهر فهي أمر غاب عن الحس يظهر في صور هذه العناصر إذن المادة في أصلها لا صورة لها . ثم ذكر الذرة والألم وأن المادة عبارة عن ثلاث تركب منها أشكال هندسية بسيطة ولبانها تكون الخشن واللين والبارد والحار والمؤلم والذى يحدث الذرة فلاختلاف في الأشكال يوجب الاختلاف في التأثير في اجسامنا فالتأثير الملائم لطبعنا به تكون الذرة والتأثير الذى لا يلائم طبعنا يكون به الألم وإن كان متوسطاً لم يكن ألم ولا نعمة . ثم تكلم عن الجسم الانسانى وهو الذى سقنا لأجله الكلام هنا لأننا في الكلام على حتمه ومرمضه بمناسبة الآية ولم أذكر ما تهم إلا كلقمتة لينشط الأذكىاء للقراءة ويفرحوا بما يسمعون من العلم والحكمة ولينزدلوا علماً بما جاء من الطب الجميل في كلامه . ثم قال بالحرف الواحد وشرح بعد ذلك في الكلام على تصوير الانسان على يد (الملائكة حسباً أمر به الله) فقال انهم تسلموا من الله النفس الأثرية التي خلقها للانسان وألقوا بها نفساً مائة جعلوا مركزها في الصدر . أما الجزء الغضبي منها ففي أعلى الصدر . وأما الجزء الشهوانى منها ففي أسفل البطن ثم صوروا بقية البدن بناية الاتقان نظراً الى مصالح النفس وما يحتاجه من الخدمة حتى تكون جميع أجزاء البدن متصلة بالروح مستعدة لقبول أوامره . ثم بين منافع جميع الأجزاء جزءاً جزءاً وكيفية منفعتها ثم تصوير العروق وتفرعها من الرأس الى اقاصى البدن كما تفرع السواقي في السنانين لجل الدم المركب من أجزاء الأغذية وتوصيله الى الأعضاء والمفاصل لتخلف ما يحل منها . قال فلذا كان ما يحل زائداً على ما يتغله الغذاء فان الحيوان ينقص ويذبل وإذا زاد الغذاء على ما يحل من الحيوان فقد غمر البدن ومنه يتبين نحو الحيوان في شبابه ثم تناقصه شيئاً شيئاً في الشيخوخة والمرض

الى أن ينتهي ذلك به الى الموت . وشرع في بيان الأمراض البدنية وأمراض النفس وهي تابعة للأمراض البدنية وقسمها (ثلاثة أقسام) منها ما يتبع افراط اللذة والألم للوثر في الفكر ، ومنها ما سببه افراط الحرارة والبلغم والاختلاط إذ بها يتصل سريان النفس في البدن فيكون سببا لسوء الخلق والتهور والجبن وجود الترحبة والسيان . وحاصل ما آل إليه كلامه أن الشرع غير اختياري وأن له (علتين) العلة الأولى (فساد المزاج) (والثانية) سوء التأديب ، فالتمسك بكل مرض يستحق الاشتاق عليه والعلاج لأن أغلب ما يصريه من أسباب خارجة عن قدرته . قال وإذا سأل سائل عما ينبغي فعله لتدارك الأمراض وحفظ الصحة للبدن والنفس معا ، فالجواب أنه لا طريق الى ذلك إلا الحظ المعادلة بين البدن والنفس فان النفس اذا كانت مفرطة القوة في بدن ضعيف لا تصبر على محبة ولا تزال مضطربة فيه لتجده وتعلوه أمراضا ، وبالعكس اذا غلب البدن على النفس فان العقل يجمد ويفتر ويجهز عن أعماله ، فالتاعدة أن تروض البدن والنفس معا ، أما البدن فبأنواع الرياضة والحركة البدنية ، وأما النفس فبالموسيقى وبإعطاء كل من أجزائها أى النفس العقلية والغضبية والشهوانية ما يناسبها من الحركة والرياضة حتى تبقى كل واحدة منها على ما اختصت به من العمل وتكون النفس العقلية الأزلية رتيبة على الجيع كما يوافق شرفها . وأشار في آخر المحاضرة الى منشأ الحيوان وذكر ما كانوا يعتقدونه في زمانهم (وهو يخالف الاسلام وهو أيضا لا دليل عليه) فقال ان الحيوانات كانوا من البشر ففوقوا وردوا الى رتبة أدنى مما كانوا عليها لما اقترفوه من الذنوب . أما النساء فقد كانت من قبل رجلا أظهروا في سيرتهم الجبن والجور فانصلوا عن رتبته السابقة . وأما اللهب الأرضية فهي مما كان مدة حياته مسخرا لشهواته والحيوانات فاضلها ممن كان في حياته قد استبعد لأخس الشهوات وأدناها فسخوا الى أصم الخلاق وأقصها عقلا

ثم ختم المحاضرة بأن قال ، وليكن هذا آخر كلامنا عن العالم ، وقد كانت هذه صورة تركيب هذا العالم المحتوي على الحيوانات الماتة وغير الماتة وهو الحيوان المرئي المحتوي على جميع الحيوانات المربية وهو له محسوس على مثال الإله المعلوم (أقول وهذه الجلة لا يجوز في ديننا والتعبير بها كفر ولكن هم كانوا قبل النور فأرادوا بذلك أن هذه العوالم ظهرت فيها آثار القدر الدالة على الجلال الإلهي (وبعبارة أخرى) ان الحكمة والعلم والقدر ظهرت آثارها في هذا العالم الجسم فإظهارها من العوالم عنوان الله الذي اختفى عن أبصارنا وظهر لبصارتنا بتلك الجهات) ثم قال عن العالم (فهو السماء الوحيد المنفرد والطبيعة ذوالعلم والحسن والجمال والوافر الكامل من جميع الجهات) انتهى تلخيص كلام طيماوس

هذا كله نقلته من كتاب الاستاذ (ستلانه) وهو مترجم من اليونانية الى اللغة العربية وبذلك جهدي في أن أمنع الألفاظ المنوعة شرعا أو أنه انها كفر وأشرحها اه
(هذه تذكرة ما جرت في حياتي من الأعمال الطيبة)

قبل أن أتم تفسير هذه الآية وهي قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين - الى قوله - وإذا مرضت فهو يشفين - بما عالج به نفسي لاسيا في أيام الكبر ليكون تبصرة لأحبابي قراء هذا التفسير فاني من إبان صغري وجدت في نفسي ميلا قويا الى رقي الأمم لاسلامية وهذا الميل ازداد بازدياد سني

لقد ذكرت في مواضع كثيرة من هذا التفسير وغيره اني نشأت في قرية كفر عوض الله حجازي من بلاد الشرقية واعتزاني في نحو العشرين من سني حياتي مرض جسمي وشك في هذا العالم وفي الصانع فكنت موجها قلبي الى (أمرين) صحة جسمي وهداية نفسي فالأول بالطلب والثاني بالعلم وكنت أسأل كل من أتوسم فيه الافادة ولم أجد وسيلة خيرا من توجه النفس الى مبدع هذا العالم فلا أقصر القول على أمر الطلب لأني الآن في صدد الكلام عليه . أقول أخذت إذ ذاك أمنع شرب الماء مع الطعام وعقبه وأقلل الطعام وأتخير

ما هو ألطف وأتيسر بالشفاء . ثم أتى لما بلغت الستين بدا لي أن أترك اللحم بتماما لما رأيت في الكتب الطبية ذمّه وقد كان مرض الروماتزم ملازما لي فتناقص هذا المرض الى أدنى حد ولكنني كنت أجده أثرا باقيا يخفى تارة ويظهر أخرى وذلك اتى كنت آكل الخضراوات المطبوخة التي يلبخت في مرق اللحم فكنت أعاطله مع أسرتي بالمزلق في مرقه ، ثم لما قرأت في العلم الملقى كلام العلامة (غاندي) المصلح الهندي الذي حدثك أنها الذكي عنه في سورة طه (اقرأ ما كتبت هناك في أمر الطعام عند ذكر آدم وفي سورة الحجر عند قصة آدم أيضا في أولها وما ذكرته في سورة الأعراف عند قوله تعالى - ولا تسرفوا - الخ وما ذكرته في سورة البقرة عند قوله تعالى - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - الخ) تركت الخضراوات وجعلت طعمي ما يأتي إلا نادرا

(١) آكل الخبز المصنوع من دقيق البر وفه جميع أجزائه فما يسمى (نخالة) وما يسمى (السن) يبقى فيه (وبعبارة أخرى) آكل خبز القمح بحيث لا ينخل أدنى نخل فهو إذن بحاله ، وقد تقدم في (سورة الحجر) أن أجزاء البر (١٦) جزأكلها داخله في اللحم واستراح النخالة والسن منه استراح لأهم أجزائه المانعة من الاساك المقوية للبدن والعقل

(٢) وآكل مع زيت الزيتون والقواكه مثل الفول والتفاح والبرقال والليمون وربما أكلت من الخضر الطماطم بشرط أن لاتكون مطبوخة لأن المطبوخة ضارة بالصحة بنس الأطباء وتجربتي وركت الملح اللهم إلا ما يوضع في الخبز وتركت السكر للصنوع مكتفيا بما في القواكه (وبعبارة مجملة) اقتصر على القواكه والحبوب اجالا ولكن التفصيل هو الذي ذكرته لك الآن

أقول لما اتبعت هذه الخطة زال الروماتزم بتماما وصرت أفتح شبابيك حجرة النوم ليلا ونهارا وأنا أكتب الآن ليلا وهي مفتوحة فلا أسس بذلك المرض ، وأنا أعلن جدتي لله عز وجل جدا كثيرا فقد وجدت اتى أصبح جسما وأصبح عقلا وأقوى تفكيرا من جميع أيام حياتي كالتي أجده إذ أقول في أن أكتب بعض خواص الثبات للسلعين كما كنت أمتي أيام الشباب عند مرضي ، فإذا كنت الآن في العقد السابع من سني حياتي فأتى أقول اتى لم أكن يوما ما في أيام شبابي وقهلا وبصدا منتظم الصحة والعقل والفكر مثل ما أنا عليه اليوم فأنا أقول الآن الحمد لله ولكن هذا الحمد ليس على محنتي وحدها لأن أوقات الحياة محسورة والموت لا يتوقف على حال ما فهو يأتي بفتح - وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت - ولكن جدتي لله على النعمة العاتة فالحمد على نعمتهامة جد ضئيل لا يليق بالربوبية والاخلاص لها بل لا يليق لعاقلة . وإنما جدتي لله في هذه النعمة على أنها نعمة على كل ذكي مطلع على هذا الكتاب لأن هذا القول يترك في نفسه أثرا وهذا الأثر سيفيده يقينا وكم من رجال ذوى عقل عند ما يطلعون عليه يسيرون حالا أساليب معاشهم مع ايمهم أنفسهم قد يكونون أطباء أو معلمين على الطب ولكن تجربتي هذه تشجع على ابطال عادات موروثة عن الآباء واليثة ، فهذه نعمة عاتة على قراء هذا التفسير في حياتي وبعد موتي . إذن جدتي لله على توفيق للصحة موجه لعموم النعمة للأحياء المنتفعين بهذه التجربة في كل جيل لأن الحمد إنما يكون على النعمة الواصلة من المنعم الى الحمد أو غيره وهذا سرّ قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - ولم يقل المصلح ربي وحدي فهو مربى جميع العوالم كما تقدم في محاوره (طباوس) فالإنسان يجب عليه أن يوجه وجهه لتقاء العوالم كلها . فأما سمواتها وأرضها فالتفكير والعلم والاعجاب بصفاتها . وأما نوع الانسان فيكون ذلك بالتحلف عليه وتعليمه ونشر الحكمة فيه . ولقد أثر في نفسي ما جرت به غاندي الهندي مما كتبت في (سورة طه) أن الانسان عادة يقتدى بمن يشق بقوله انه محرب وأنا تجربتي مضت لها بضعة أشهر ولا أزال في حال التجربة ولقد وجدت منافع لاحد لها في الصحة والعقل كما قلنا ولكي لا أعد هذه المدة كافية وأنا موجه وجهي جهة مبدع الكون أن يلهي

المحافظة على معنى مدة حياتي فنه أستمّد ومنه التوفيق . ولقد تبين لي من هذه التجربة معنى قوله تعالى
 - قتل الانسان ما أكفره - وقوله تعالى - وان قطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون
 إلا الظن وإن هم إلا يخرصون - ذلك أن هذا النبا علما علم به طيب مدحه وقالان هذا عمل جليل ولكنه
 لا يكاد يقدم عليه هو نفسه ولا يأمر به للمرضى وإنما اتى استهيج بعض هذه الخطة قوم آخرون - إني لا أشرب
 إلا الماء وقد تركت القهوة والشاي وما أشبه ذلك ولا أشرب شيئا إلا إذا عطشت وصرت أأدى بأن هذا الانسان
 في سجن العادات وعرفت اليوم أن الانسان منا هو الذى يضع عقله وحمته بيديه ، أليس الطعام الذى تتعاطاه
 به قولم بنيتا . إذن اقامة بنيتي وحمته عقلي راجعان لما أتيه في في يسدي فلذا لم أتخير فأتى لم أتخير بناء
 جسمي وحفظ عقلي ، ومن أكل غير حساب ولا نظام أصبح عقله تبع ما يأكل فتكون الصحة بالمصادقة والعقل
 بالمصادقة . واعلم أن هذا الانسان لما كان ضعيفا في تصرف حكم الله على أكثره بالقرآن الفقير هو الذى يمنع
 القدرة على حوز الطعام الكثير الضار بالصحة والعقل ، وفي ظني أن الناس لو كانت ارادتهم قوية لامتلات
 الأرض بالمخبرات ولكن القوى الإرادية لما كانت ضعيفة أنزل لهم المطر والأنهار والسعادة في الأرض بحساب
 لتكثر كراتهم في الطلب وحركات عقولهم في التدبير فصاح الأجسام والعقول بالركتين - ولو بسط الله الرزق
 لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إله عباده خير بصير - فهو يعلم ضعف الارادات وضعف
 التفكير فأرغمهم على العمل وعلى التفكير بهذه الوسيلة لأن العقول في علتنا هذا مبلتها وهذا هو نصيبها من
 الفكر والقوة . ومن أعاننى على تدبير الصحة قريبتى (السيدة عائشة الحسنية) من ثرية الحسن بن علي
 رضى الله عنهما فهي التى سارعت الى تدبير الخبز على الطريقة المتقدمة وأسرتها كلهم أطباء ، وما أعانها على
 ذلك انها شاهدت أهل مكة هكذا يضلون في خبزهم ، وقد خالفت بذلك عادات النساء في مصر واستفادت
 نريتي بذلك قاعدة ظاهرة في هذه الستة كما أنها خالفت أكثر النساء في انها تواظب على الصلوات والعبادات
 هذا وأذكرك بما تقدم في (سورة طه) عند مسألة الطعام وما ذكره العلامة ابن خلدون عن أهل المغرب
 وأهل فارس ومصر وشرح مضار الأطعمة المشهورة في هذه البلاد وشرح المنافع التى يعاينها الناس في الاقتصاد
 على النافع من الأغذية ، حتى قرأته نشطت للعمل ببعض ما هنا وما هناك تدريجا وبالإفرك كنه لا يفرك كنه
 وما ذكره ابن خلدون أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتخلون البقيق زهدا وهذا يجب أن
 يكون هذا الزهد هو الذى يطلبه الطب للصحة فالجيب كل الجيب من حكم ديننا ، يقول الله - أذهبتم طياتكم
 في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما
 كنتم تفسقون - ويقول عمر رضى الله عنه للربيع بن زياد لما حضره هو والأمرءاء معه وعلى رأسهم أبو موسى
 الأشعري وقد ظهر الربيع بمظهر القانع بالخشن من الطعام والثياب المرقعة ﴿ لو شئت لألأت هذه الرحاب صلائق
 وسباتك وصنايا ﴾ يريد بذلك اللحم والرقاق والزبيب المنسوج مع الحرمل ولكنى رأيت الله غير قوما فقال
 - أذهبتم طياتكم - الخ وإنما عجت لأن هذا هو الذى به سعادة الناس في نفس الدنيا فلاقلال من اللذات
 هو الذى به الصحة والعافية ، والأغرب من ذلك أن سقراط أثبت أن الذى لاعة عنه لانة له وبرهن على
 ذلك بأن من شرب الماء وعطشه قليل لانة له فيه . إذن الذى لاعة عنه لانة عنه فهو يطلبه الله
 فقدحها والغبف ترك اللذة جاءت اليه . إذن الصحابة رضوان الله عليهم برزهم في اللذات نالوها وبرزهم
 في الدنيا ملكوها ، ومن يجب أن تكون هذه الأخلاق بنفسها هى التى استتجها سقراط وأفلاطون بقولهما
 قبل النبوة بنحو تسع قرون فانك اذا قرأت ﴿ جمهورية أفلاطون ﴾ وجدت الزهد متجليا فيها والحكمة
 والعلم ومع هذا الزهد ينظم المدن ويقم للوك والأمرءاء والحكام والجند وبين مراتبهم ورياضاتهم وآدابهم
 وآداب العامة معهم ومع الأمرءاء فاللذة لله التى علمنا ما لم نعلم وأرانا العلم والدين توهمين متعدين عند

ذوى البصائر وهذه من أعجب المعجزات إذ كيف تكون نتيجة الفلسفة قرونا وقرونا ينزل بحجر منها الوحي على أمة فيدوم به ملك لم يحل بها فيلسوف ولا ملك من الملوك
وأختم هذا القول بذكر الحجة التي اتبعناها فأقول ﴿ لقد كانت عاقلتي اني اذا ارتبكت معدني أن أنعطلي زيت الخروع ويدها لا أكل بل أشرب اللبن أليما من ثلاثة أيام الى (١٤) وفي تلك المدة يضعف جسمي ثم أنعطلي الغذاء المعتاد بالتدريج وهذا فيه مافيه ، ولكنني في التدبير الجديد حصل لي منذ شهرين ارتباك في المعدة فامتنعت عن الطعام نحو يومين لم أنعطل فيهما إلا ماء (البرقال) اتباعا للنصائح الطيبة فشفيت والأطباء يأمرهم بالجوع أكثر من يومين (اقرأ في كتاب غاندي) انتهى ليلة الجمعة ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩ الساعة الثالثة بعد نصف الليل والحمد لله رب العالمين

﴿ الاستشفاء بنور الشمس ﴾

(ذكر ماخطرت لي يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩)

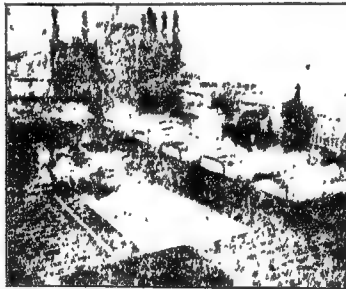
عجب لهذا الانسان يعيش ويموت وأكثره غافل ساه ، يرى المادة ويرى الكواكب والشمس والأرض وماعليها ولكن العلم يقول له هذا كله ظل الحقيقة والحقيقة غير ماثرة وفي نفس الوقت يقال له أتم أعمالك بحسب مظهر لك من الخواص ، يكون غنيا ويقول أنا اليوم نلت ما أتمناه فيرى الحوادث تكذب ظنه وتعتريه الحوادث سرورا وغما ويخطبه العلم قائلا . كلا . فالصحة والمرض والغنى والفقر والعلم والجهل كلها عوارض والنفس هي هي معرض للسعادة والشقاء . يقول الفلاح لينتي كان لي مال كثير فلأخرج الى الحقل ولا ألقب في الشمس طول يومى لزرع حقل ، إن الله غضب عليّ ، ولولا غضبه عليّ لأعطاني أرضا واسعة وأجلسني في الظل وأخذت أقابل الوفود من كل صوب بمحادثتي ، فيقول له علماء الطب كلا أنت جهول أبها الفلاح ان من اتسع ملكه في الأرض وهو لا يعلم شروط الصحة كأكثر ذوى اليسار من جهال المصريين وغيرهم يتبرهم المرض قلّة حركاتهم وعدم تعرضهم لضوء الشمس القاتل للكروبات الضارة بأجسامهم وهم لا يعلمون ، فقلّة الذي علم غفلة عباده وجهلهم هو الذي تولى قيادة الشعوب والأمم وأكثر من الفقراء وقتل جدا من ملاك الأرض الواسعة ليكون هؤلاء الأقليون أشبه بفناء للأكثرين الذين أبجّعهم فأخرجهم الجوع الى طلب الرزق والرزق يكون بالعمل في الحقول بحرثها وسقيها والوقوف في الشمس ساعات من النهار ، فهنا أمور ثلاثة طلب للرزق من الأرض . وتعرض للشمس . وحركات الأعضاء ، الفلاح يحس بالجوع فيضطر لطلب الرزق وهذا الرزق لا يعمل له إلا أن يمنع هذا الجوع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لاعمل له عند الفلاح إلا إزالة ألم نسيمه جوعا كما انه لا يتزوج إلا لطلب دفع الألم وهو الشبق هذا هو المقصد له فلما أن جسمه يقوى وامانه يلد واما أن الحركات تساعد على هضم الطعام واما أن الشمس وإلحاح ضوئها عليه طول النهار يقتل المكروبات (الحيوانات القريبة) التي هي أكبر عدو للإنسان والحيوان وهي السم القاتل لسكل حي فانه لا ذكر لهذا كله عنده ولا وزن له ولا عبرة به ولا خبر بل اذا سمعه يحقره وهكنا اذا قيل له ان الجاوس في بيتك واقبال الوفود عليك وعدم حركاتك وعدم تعرضك لضوء الشمس أواذا قيل له ان أكلك الماسكّل الدسمه وأنواع الفطير وكثرة أنواع الطعام مذهبة لصحتك مضعة لك ذاهبة بصرك فان الفلاح يحقر هذا كله ولا يصدق أن قلة المال في يده وقلة النقود هي أكبر عون له على السعادة إذ ولا ذلك لم يعمل في الحقل ولم يتعرض لحرارة الشمس . هذه حال الناس أيام جهلهم لتلك تولى الله بنفسه علاج الأمم فأكثر من الفقراء وقتل من الأغنياء وجعل ذلك الفقر هو العلاج لأجسام هؤلاء الفقراء وأسعنا ذلك في القرآن إذ قال - واذا مرضت فهو يشفين - فاذا قلت حركات الانسان لجهله أواذا قتم الظل على الشمس أواذا أحب أكل الطعام الفاخر رحم الله عباده فألجأهم الى الحركات في

طلب الرزق وعرضهم للشمس ليقتل الأمراض الداخلة بالحركات ويقتل المكروبات بضوء الشمس ثم في نفس هذه الحال يقتل المال عند أكثر الناس ثلاثا يطروا فيأكلوا ماله وطاب فذهب معهم ويكونون مرضى فلعمرى أى رافة وأى رجة أعظم من هذه ، عيال عليه لا يميزون كما لم يميز الأطفال بين الضار والنافع فيمنعهم الآباء من تعاطي ما يضرهم هكذا نظر إلى عباده فعاملهم كماعامل نحن أطفالنا فجعل السواد الأعظم فقراء لتصح أجسامهم وجعل أنل اناس أغنياء وقال هم فداء لكم أيها الأغنياء فاذا مرض أكثرهم وصحت أجسام أكثركم فاني أهتم بالإصلاح العام لأنه أولى

هذا كله في أيام جهل الأمم ، أما اذا عمّ العلم فان الجهلاء يفهمون هذه الحكم بطريق التعليم فيرضون وتسكون عندهم سعادة على قدر ما يشعرون فهم أفضل إذ ذاك من آبائهم الجهلاء ، وأما فريق الأغنياء فان العلم ينقلهم الى حظيرة الصحة ويعرضون لضوء الشمس اختيرا لا اضطرارا ، وهاك مثلا مما جاء في إحدى المجلات العلمية وهذا نصه

الاستشفاء بأشعة الشمس

« أصبحت المداواة والتقوية بأشعة الشمس أهم ظاهرات العلاج في المستشفيات والمصحات الأوروبية والأمريكية . ويقول الأخصائيون من علماء الطب ان أشعة الشمس أتبع دواء لعلاج كثير من الأمراض وأن الفتاة التي تداوم كل يوم على التعرض للأشعة ساعة من الزمن تنال الصحة التامة والجمال المشرق البهجة . وترى في هذه الصورة (انظر شكل ١٠) قسم من مستشفى الأشعة في فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا وأكثر قاصديه من الفتيات الحسنات . فهل آن لفتياتنا أن لا يخفن من التعرض لأشعة الشمس لأنها تسود وجوههن ؟ وهل من الجبال أن تبدو صفراء متمعة اللون لحرماتها من أشعة الشمس » انتهى



(شكل ١٠ - رسم قسم من مستشفى الأشعة في مصح فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا)

أقول إياك أن تظن أن معنى هذا أن هب أو تقعد في الشمس بدون علم ولا هدى ولا كتاب منبر وإنما يجب أن تستشير الطبيب الصادق والافقار ما تقسم في هذا التفسير في (سورة يونس) فانك ترى هناك ذكر الاستشفاء بنور الشمس وانه يكون بالترجى والحفاظة على الرأس وليس معنى هذا أنك تأخذ ما قبل هنا قضية مسلة بدون بحث ولا تنقيب كلا

اذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - فالفلاح الفقير يشفيه بحيلة وهي أنه يجيئه

وهذا الجوع يقوده الى الحركة والى ضوء الشمس والمتنم الفتي يشفيه بحركات المشي والعمل والتعرض لضوء الشمس بسبب العلم وهكذا . إذن الشفاء قد يكون له سبب طبيعى وهو الجوع المسبب للحركة والعلم المسبب للعمل ، فهذا من المعاني الداخلة فى قوله - وإذا مرضت فهو يشفين -

ومن أسباب الشفاء تلك الرؤى التى رآها قدماء الأطباء ومنها التجارب المذكورة وهكذا . إذن ظهور أن الشفاء من الله ولكن بالأسباب فالأسباب كلها مستنة اليه وهو الذى هدانا لها وهذا معنى قوله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم - قال الجهل (الذى يجعل الانسان كافرا بالنعمة بحيث يلجأ الى أن يتعرض للشمس والى أن يحرك أعضاء العمل قهرا بدافع الجوع وحده) حال غير مرضية عند الله أى ان الله لا يحب أن يبنى عباده جهلا بما حولهم وبما يعترى أنفسهم أى انه لا يحب أن يقولوا كالأطفال تحت مراقبة آبائهم بل هو يحب أن يعرفوا النعمة ولا سبيل لشكر النعمة غير المعرفة فذلك قال سبحانه - وان تشكروا يرضه لكم - فالفلاح لا يصدق ظهوره فى الشمس نعمة بل يقول انها نعمة ولا يصدق الحركة نعمة ويظن ان صاحب الأرض الذى هو طول النهار فى الظل وهو مريض لثقل الحركة أسعد منه حالا وذلك كله من الجهل

(تخرجنى فى هذا المقام)

أقول وأنا اليوم وقمت فيما وقع فيه الفلاح فى الحقل . ذلك أنى اليوم أكتب فى التفسير وليس لى هم فى هذه الحياة أعظم منه فأراه منية نفسى وأعظم مقاصدى قد ملك على مشاعرى بل أصبح أعظم اللذات . ولكنى ارى قواطع وقواطع من أعمال داخلية وأخرى خارجية توجب أن أقطع العمل وأجد فى تلك الأعمال وأسافر خارج القاهرة وقد خلق الله لى من يناوئنى فى أمور تافهة فى الحقل وفى أمور صغيرة جدا فأوازن ما بين السعادة التى أحس بها فى كتابة هذا التفسير وبين الشقاء الذى أحس به فى الانقطاع عن مواصلة والبحث فى مدافعة هذه القواطع فإذا أفهم فى هذا ؟ أفهم فيه أن الله عاملنى معاملة الفلاحين فى الحقوق فقال لى بلسان الحال أنت اليوم مستلذ بما تكتب وتكف عليه وهذا ربما يسبب ضررا فى صحتك وضعفا فى قواك العقلية لأن المداومة على فكر واحد تؤثر فى المنع ولست أكتفى بمعلوماتك فى الطب وهى قليلة فلا تقوى على حفظ صحتك ولا تكتفى بالرياضة الجسمية التى تقوم بها لأنك تقوم بها مختارا واختيارك وحده غير كاف فلذلك خلقت لك من يناوئوك فى الحقل لحفنة صحتك لآنى بهذا أخرجك فى الهواء الطلق فتسافروا تقابل الناس وتحدتهم فيحصل هناك تعادل فى قواك وتنوّع فى التفكير وفى الحركات وتذكر أن نبيك محمد ﷺ مع أنه نبي أوحى اليه كان يخرج للغزوات ويسافر ويقوم بأمر الأمة ولم يقطع ذلك عن الدين والعلم بل أنه فى آخر الأمر كان ينزل عليه الوحي وهو فى سفره وجهاده والحرب قائم فلست لك من ذلك موعظة وترض بما عملت . هذا مافتح الله به يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٢٩ أكتبه ذكرى لأولى الأبواب

هذا عمل الله فى الأفراد . أما عمله فى الأمم فانه علم أن أم العالم اعتراتها الجهول فى بلاد الشرق وبلاد الغرب فبلاد أمريكا كانت قد وصلت الى درجة الانحطاط بعد العز والمدنية بدليل ما وجدوا فيها هذه الأيام من آثار المدنية والحضارة والمباني العظيمة كهرام الجيزة بمصر وكانت بلاد اليابان والصين والهند كلها قد خيم عليها الجهل والخرافات والنصارى بأوروبا قد أسبحوا فى غاية الخضوع للتبسين وهم فى حال الوحشية والمهمجية فأرسل الله سيدنا محمدا ﷺ فقامت الأمة العربية بالحبية الدينية فهزّت العالم من أقصاه الى أقصاه . فبرى الدولة الأموية بلغت جبل طارق وسطت على اسبانيا وفرنسا ونزعتهم من الجرمانيين الحاكين عليها منذ ثلاثة قرون وهكذا فعلوا فى بلاد المشرق ووصلوا الى الهند والى أطراف الصين . فانظر مايقوله العلامة (سديو) صفحة ١٠٣ (خرج من عمان لفتح الهندستان أساطيل اسلامية سنة (١٩) هجرية فأخلفت جزيرة طنجاق القريبة من مدينة ممباى ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى دهمت فى خليج كامى (مدينة بارود) وخربت أساطيل

ثالثة الى مصاب نهر السند ثم اخذ عبد الله بن عامر سنة ٣٣٠ بلاد كرمان وسجستان ثم حارب والى اقليم مكران وملك السند فغلبهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك يستين قليلة (اقليم داور) ومدينة (بست) فكان ملكتا قبول والسند حدود للمالك العربية ، ثم ذكر بعد ذلك انهم وصلوا الى جبال (هماليا) ثم أخذوا بلاد (خوارزم) وماوراء النهر ومعظم مملكة التتار وأسر قوا أصنام (مدينة قرغانه) و (تخشب) و (يكنند) و (بخارى) و (سمرقند) سنة ٤٤٠ و (مدينة كشمير) و (اقصوا) و (خوكان) وبث الأمير قتيبة من قبل الحجاج اثني عشر سفيرا الى ملك الصين وهدوه بالاغرة فغمرهم بمطايا الذهب والوافرة اتقاء لشركهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق سجستان وأخذ منها الجزية فلحقه جيش في أرض مكران واقتصر في سهول مدينة (كشمير) ودافعت مدن على شواطئ السند فهزم هؤلاء وهكذا كانوا يناوئون ملوك القسطنطينية ، هذا هو الذي حصل منذ (١٣) قرنا ، لم ذلك ؟ كان ذلك لإثارة القوى الانسانية في الشرق والغرب إذ كانوا يناما ، فهاهي ذه الأمم النائمة استيقظت وهذه الحركة الصمرانية اقتشرت في الغرب والشرق والمسلمون الذين قاموا بهذه الحركة جميعا ناموا كنعين أبعين أبعين . وكأن الله يقول لنا ليس نومهم دائما ، كلا ، فكما سلطتهم على الناس فأبظروهم هكذا أنا أسلط الناس عليهم ليوقظوهم فهاهي ذه المدافع والطيرات والقازات الخاطفة وشن الغارات عليهم صباحا ومساء والجيش الاوروية تصبهم وتعيهم ، لماذا هذا ؟ كل هذا لا يفاظهم من نومهم ولقد استيقظ كثير منهم وسببهم الباقون ، ينظ الجبال من المسلمين أن هذه الحروب وهذا الاذلال قمة ، ثم هو نعمة ظاهرا ولكنه نعمة باطنا فهو أشبه بالجوع في مثال الفلاح في الحقل الذي قتمت لك في هذا المقام أبايع الله الفلاح وقلل ماله فسي لزروع فتحركت الأعضاء للعمل وأصابته الشمس وأكل الطعام فكان للجوع (ثلاث فوائد) غذاء بالطعام . ودواء بحركت الجسم . وضوء الشمس ، فالجوع ضرر واحد نتج ثلاث منافع . إذن الجوع ليس ضررا بل هو نفع بل هو نعمة يخاطب الله بها عباده بل هو أنصح من اللغات هذه لغة الجوع . أمالفة احتلال مصر وتونس والجزائر وصراكش وطرابلس وبلاد الشام وفلسطين والعراق والبلطان وفرنسا وانكلترا فهي تشبه هذه شيئا تلمأ . فقله بهذا الاحتلال يقول لنا

(١) تعلموا جميع العلوم

(٢) ويقول تعلموا جميع الصناعات

(٣) ويقول لنا أيها الناس (تعارفوا)

فهذه فوائد إذلال للمسلمين الآن . إن اذلال الأمم لمنفعتنا واذلال الأفراد لمنفعتهم . إذن الله عز وجل حكيم يعطي البواء على مقتضى الباء . الله علم ضعف هذا الانسان في الأرض فجعله ديانات مختلفات ليفعل ذلك فعل الجوع في الجهلاء . الله سلط الناس بعضهم على بعض ليستخرج قواهم بهذه العداوة . يقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها هلنا أثينا طائعين . قالت السموات والأرض أثينا طائعين . لماذا ؟ لأن المدبر لها ملائكة والملائكة تدبر حركات هذه الكواكب الكبيرة فلا تخفى . أما هذه العوالم الأرضية كالأمم الاسلامية والافرنجية فانها تسلس بطرق أخرى ولا سبيل لتلك إلا بيث البواعث في عقولهم بالديانات تارة والعداوات أخرى فسلط المسلمين على الأمم ثم أنامهم وأيقظ الأمم وهاهي ذه الأمم تحيط بأكثر المسلمين وهذه الاحاطة نعمة لأنها بشت قينا الهم ومن ثمراتها كتب كثيرة وخطب . ومنها هذا التفسير الذي جعله الله مقدمة لتهضة مصاحبة لظهور الطيارات في الشرق والغرب ومعنى ارتقى المسلمون قريبا سيتركون مع الأمم في رقي الانسانية العامة . إذن السموات والأرض أثنا طوعا . أما المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم فانهم أتوا كرها لا طوعا والاكره بالأمراض في أجسامهم وال فقر وقلة المال وجس المرط والعداوات بينهم ليجدوا في العمل فيعيشوا سعداء وهذا هو قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - فهو

الذى لما مرضت الأم بالكسل شفاها بالمقاير الاسلامية إذ حاربهم الجيوش ولما مرض المسجون بالكسل والجهل سطا عليهم الأم غاربهم وخلق لهم مؤلفين ليوقظهم ، ومن التأليف هذا التفسير الذى هو من الأدوية التى ساقها الله للمسلمين لايقاظهم ورقيم تفسيراً للإية والله هو الولي الجيد

﴿ جوهره فى قوله تعالى - إلام أنى الله قلب سليم - مع قوله تعالى - الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ والذى هو يطعنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يعينى ثم يحين - مع ملاحظة ما جاء فى أول السورة من الأمر بالنظر فى الأرض ونباتها على لسان رسولنا ﷺ ووصف السموات والأرض وخلق نبي آدم قديماً وحديثاً وخلق المشرق والمغرب على لسان موسى عليه السلام ﴿

يقول الله تعالى على لسان ابراهيم - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ فهنا ذكر الطعام والتراب والمرض والشفاء والموت والحياة كما ذكر خلق العوالم كلها وخلق الانسان خاصة ، فبالت شئرى لم خلق هذا الانسان على الأرض

﴿ ففكرنى فى خلق هذا الانسان بمناسبة هذه الآية ﴾

اعلم أن هذا الانسان لايهمه إلا المحافظة على هذا الهيكل النصب ، فكل علم وصناعة وإمارة وتجارة ترجع الى المحافظة على هذا الهيكل ، إن الله لما خلق هذا الانسان جعل له حافظاً من نفسه وواعظاً من نفس هيكله وموقظاً من جسمه ، وما هو ذلك ؟ هو الألم ، فالألم هو الناموس العام الذى نصبه الله فى الأرض برحمته فيبصرك الله ، ثم أسبغك يا الله ، أرزك عما يؤذينا ، إنك لم تجعل الألم فينا مجرد الإيذاء بل جعلته نعمة ولولا هذا الألم فى الحيوان وفى الانسان لم يعيش . إن الله عز وجل لما خلقنا فى هذه المادة لم تكن هناك وسيلة فى هذا العالم المادى لبقائنا إلا بالألم ، فنحن نرثك فى صلواتنا فنقول ﴿ سبحان ربي العظيم ﴾ فى الركوع و ﴿ سبحان ربي الأعلى ﴾ فى السجود ونسبح عقب الصلوات ، وقد مدحت يا الله يونس عليه السلام فقلت - فلو أنه كان من المسيحين لبث فى بطنه الى يوم يعثون - المسبحون هم الذين أدركوا أسرار هذا الوجود واغترفوا من بحار الحكمة فعرفوا أن كل ما فى هذا العالم من الآلام لم يقصد الله منه إلا المنفعة وأن الضرر القليل ينتج الخير الكثير وهذه طبيعة عالمنا . هذا هو القانون فالتسبيح الحقيقى هو ادراك هذه المعاني ، فإذا سمعت المسبحين صباحاً ومساءً يسبحون فإياك أن يختلج فى قلبك أن اللفظ هو كل المقصود ، إن الله لا يصل اليه إلا أناس ارتقوا عن هذه الأوساط الانسانية وعرفوا نواميس هذا الوجود بقدر طاقتهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يفهمون لم كان الطعام ولم كان الشراب ولم كان المرض ولم كان الموت الخ وينظرون الى تلك الأحوال نظر الطبيب الى الأدوية المعطاة للمريض ، إن الطبيب لا يبالى بالأم المريض لأنها عنده لا قيمة لها فى جانب منفعة ، فمن عرف هذه الأسرار عرف السر فى كثرة التسبيح والتقديس الواردة فى الكتب السماوية ، ومتى أدركت النفس سر الوجود نزهت الله عن الإيذاء قصداً بل هو ترقية وإسعاد لا اشقاء ، فنتبع إذن فى ألم الجسم ليوضح المقام وينشرح صدره لفهم العلم والحكمة فإن الذى ذكرته إنما هو مقدمة لجمال المقال . إن هذا الجسم الانسانى كما قدّمنا لحياته له ولبقاءه ولاسعادته إلا على قاعدة الألم .

وبيانه أن الألم ﴿ قسبان ﴾ ألم داخلى وألم خارجى . أما الألم الداخلى فهو الجوع والعطش والشبق لطلب الطعام والشراب والوقوع لصحة الجسم وبقاء النوع بحصول الترية ، وأما الألم الخارجى فذلك بالحرق والبرد وتظاهر الأعداء من الوحوش والحشرات والأشجار من نوع الانسان فكان لابد من اللباس والسكن والقلاء والحصون والجيوش والعدد . وهذا هو الذى حكم على هذا الانسان بالصناعات والحرف والزراعة والتجارة الخ ولهذا فتح المدارس ونظم المدن وعظمت المدنية ، إذن الأمر كله راجع لهيكل الانسان والمحافظة عليه فهذا هو

الأصل وهذا الهيكل له حامل والحامل له ﴿فرعان﴾ هما الألم الداخلي والألم الخارجي وما ألم المرض بخارج
عن هذين الفرعين لأن المرض من داخل ومن خارج

﴿ اللذة تلازم الألم ﴾

ومن عجب أن هذه الآلام مهما تتوعدت سميتها اللذة ولا لذة إلا بسابقة ألم ، فالألم واللذة كغرسى رجان
أو كالشبح وظله ، هما شيان متلازمان وعلى مقدار الألم تكون اللذة ، ومن فقد الألم فقد الحياة ، ألا ترى رعاك
الله أن الإنسان إذا لم يحس بألم الجوع حزن وذهب إلى الطبيب شاكيا له فقد هذا الألم ، وإذا لم يحس بالشبق
حزن وذهب إلى الطبيب شاكيا له هذا المرض . ذلك علما منهما أنه إذا لم يكن ألم الجوع فلا طعام وإذا لم يكن
ألم الشبق فلا دواء كأنه إذا لم يكن عطش فلا قلة في الشرب ولا شراب

الله أكبر . إذن الألم كمال لا نقص فإنا أنعم الله بالجوع نقص فالجوع كمال . فكما يقول الذي
لا يقدر على التكلم ناقص هكذا قول النبي لا يجوع ناقص لأنه لا داعية عنده لطلب الأكل . إذن الألم قوة كالية
لأنها سبب فيها به قولم أبداننا وما ألم المرض إلا كمال لأن ألم المرض احساس يؤدي إلى تعاطي الدواء كأن ألم
الجوع كذلك فالعلم نحس بالنقص في أجسامنا عند المرض لئنا . وأى فرق إذن بين من يحرق بالنار وهو
لا يحس وبين من يمرض فلا يحس فنحن لو لم نحس بأسواق النار لمات أكثر الناس وهم لا يبالون بما يصيبهم
منها ، هكذا لو أن المرض أصابنا ولم نحس به زال أكثر هذا الإنسان من الوجود . إذن ألم المرض نعمة وألم
الجوع نعمة . إذن لا يكمل دين المسلم إلا إذا عرف معنى ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ وعرف قوله تعالى
- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون -

هذا معنى - وإذا مرضت فهو يشفين - . فالخير والشر مقرونان في قرن والخير متبع والشر محذور
وهذه نفسها حال العشاق إذ يقول شاعرهم

إذا لم يكن في الحب مد ولا جفا * فأين تذاذات الرسائل والكتب

ولقد حكم (سقراط) على من لاققه عندهم بأنه لا لذة لهم . إذن علمنا حكم هذا العالم فهذا العالم فيه ليل
ونهار وظلمة ونور وحياة وموت . وبالجملة فيه كل مقابلين لذلك بنيت حياتنا على هذه القاعدة فكانت الصحة
وكان المرض كما كان الجوع والعطش وتعاطي الطعام والشراب وهكذا ملوث والحياة ، ويظهر لي أن عقولنا لو
أنها ارتقت عن هذه الحال قليلا وأدركت سر الوجود لفكرت بالوت كما فكرت بالحياة لأنها إذ ذاك تكون
قد اتصلت بالعالم العالوية التي تدرك الحقائق وأدراك الحقائق هو نفس السعادة

﴿ إيضاح الكلام على الذات ﴾

لقد علمت أنه لا لذة إلا بألم في كل شيء ، فلا شفاء إلا بعد ألم للرض وآلام تعاطي الدواء ، ولا فرج بالنفي
إلا بعد الفقر ، ولا بالنجاة إلا بعد البأساء ، ولا بالعز إلا بعد النزل ، ومن عجب أن الفرد له أعوان يتقونه
ويساعدونه والأمة لها أم تساعدها بالمعاهدة والصداقة ومع ذلك ترى القاعدة الآتية مطردة وهي أن أقرب
الإنسان هم أكثر الناس حسدا له بل كل من كان أقرب منك نسبا أو صناعة أو منزلا أو مرتبة أو علما كان
أسرع إلى كراهة نعمة الله عليك وأحقد عليك وأبغض لك بطريق المنافسة وحب العلو ، وهذه حال الأقارب
من كل أمة ودين ونحلة ، فغهم آلام ومنهم قنات وعلى مقدار الاقتراب تكون العداوات ، إذن قاعدة هذه الدنيا
واحدة - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - وأقل عليهم يا أي أتم - الخ
- قلنا اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم -
- فلا تحببكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليبتليهم بها في الحياة الدنيا - الخ هذه حال أقرب الناس إلينا
وأحبهم وأقربهم منازل منا ، ومثل هذا يقال في البوالة وحليفتها فكل منهما تاتر بص بالآخرى البوائر فإذا قلنا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وإن لم يشعروا خلم

قول أيضا

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء أكثر ما نراه * يكون من الطعام أو الشراب

إذن الألم مصحوب بالذلة لافرق في ذلك بين ما به بقاء الجسم أو النزع أو ما بين على ذلك كالأصحاب .
إذن القاعدة مطردة ، ألم فلذلة ، وغاية الأمر أن الذلة إما لشهوة كالحاصلة من الطعام والشراب والوقوع ويلحق
بهما الحاصلة بلباس الجسم لاهتاء الحر والبرد ، وأما غصبيه كالذلة الحاصلة بغير الأعداء من وحش وإنسان
فبئس ذلة أعلى من سابقتها ومنبعها ومحل آثارها فتحات القلب وهي الأذنيان والبطنيان ، فهذه الفتحات
الأربع محل تولد الألم فإليها يرد ومنها يصدر صاعدا ونزلا في الجسم من فرق الرأس إلى أخمص القدم ومعنى
أحسن الإنسان بما يحس إحساسه وصل الخبر من الحواس إلى الدماغ والسماع يرسل حالا بأعصاب الحس رسولا
عصبيا أشبه بالبريد البرقي (التلغراف) فيصل الخبر للدم في القلب فيسرع في الجريان ويضطرب ويهتز الجسم كله
ويضطرب بنار الأخذ بالتأثر ويحتم ويغلي كالرجل ، فهذه قوة أرقى من سابقتها ومعنى أخذ بالتأثر سكنت تأثرته
وهدأت حركته وأطمأنت نفسه وتكون الذلة على مقدار الألم وإنما تكون أعلى من ذلة الطعام والشراب
واللباس والمواقع ، فكل هؤلاء لذاتهم تشاركتهم فيها جميع النوايا والألغام . أما ذلة الانتصار فهي خاصة
بطبقه أرقى وهي الوحوش والأساد والفور فلذلك كانت أرقى من سابقتها ، فاقنع بهذا كله أن القوم في الحياة
بالقوم والذلة مقرونة بالألم وهذا الألم نعمة لاهمة ويشير لك قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا
بذمتهم من الرجن - فجعل العذاب بمن اتصف بالرجة ، ثم أقول إياك أن تكثر صفوا العلم هنا بأن تذكر الكافر
وعذابه فهذا المقام لاسع قصصه ولقد قدمته في مواضع كثيرة كالذي في آخر (سورة هود) عند قوله تعالى
- فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير - الخ إذن هذا الوجود كله لم يخلص فيه ذلة من ألم حتى نفس العلم
يتقدمه جهل ولولا الإحساس بنقص الجهل ما كانت ذلة العلم في هذه الأرض ، فما الحكمة في ذلك يأتري ؟
وهل الحكمة الإلهية لم يكن سبيل عندها لاسعادتنا أقرب من هذه ؟ ولماذا لم تكن الذلة خالصة ؟ اليس هذا

ألقى ببدع العالم

أقول ، اعلم اني لما فكرت في هذا أيقنت بأن صانع هذا العالم خلقنا في الأرض وهو يعلم أن هناك عالما
أرق منه فلم يشأ أن يجعلنا مطمئنين فيها بل ابتلائنا بالخير والشر وقال - ونبأكم بالشرا والخير فتنه والينا ترجعون -
يعني انه لو لم يكن عندكم إلا الخير ولم نصبكم بالشر لم تخموا الى حال أرقى من حالكم التي أنتم عليها ، لذلك قرنا
خيركم بشركم لتبشخوا عن حال تكون كلها سعادة وخيرا وارتقاء ولذلك قال - والينا ترجعون - فرجوعكم
اليلا لا يكون بشوق إلا اذا أصبناكم بالآلام فتكروهون المقام في الدنيا فلا تزالون في جوع وشبع وفقر وغنى
وحسد وقرابة وحب وبغض حتى تتشاقوا اليلا وتخلص نفوسكم ومعنى خلصت نفوسكم كانت هناك السعادة التي
لا تشاقوها معها وهذا كله معنى قوله تعالى - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - فالقلب السليم
هو الذي خلص من هذه المتناقضات وارتقى عن هذه الهرجات ولم يكن كالعالمين الذين قال الله فيهم - إن
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون - لماذا هذا ؟ لأنهم أدقمهم الخلو والمز والخير والشر فرفضوا بهذه الحال ولم يعقلوا الجمال في
هذا الوجود ، ثم قال - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم - الخ لأن هؤلاء رأوا حالا
ناقصة ففزعوا لأحسن منها وفهموا قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - إذ عرفوا
أنهم خلقوا بين آلام ولذات تحزن وفرح وخير وشر ومرض وصحة وفروا من هذا العالم يقول ولذلك أعقبه

بقوله - ففروا الى الله - إذن قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - يقصد من هذه المتناقضات الفرار الى الله لتكون - عند ملك مقتدر -

(الابداع في هذا الوجود)

قلنا إن الألم داخلا وخارجا هو الباعث على العمل ، ومن عجب أن الطعام والشراب ولذة الناس ولذة القلب مع اقترانها بالألام صاحبت ادراك الجبال ، فهذا الوجود من سموات وأرضين كما أنه غذاء ودواء وعاكة وشراب هولوح يدرسه الناس وهو علم وهو جال . فانظر للألام حفزنا الى طلب الطعام والشراب فبقيت أجسامنا حية ونفس النبات والحيوان مصنوعات صنعا دقيقا يصير دراسة لما يفرق عقولنا ومناظر النبات والحيوان في البر والبحر وكذا النجوم في السموات ، كل هذه ترىنا الجبال ، فكما عاشت بها أجسامنا ارتقت بها عقولنا علما وابتجعت أنفسنا بجمالها وبهجة أشكالها فهي الغذاء وهي الرياضة البدنية وهي الدواء وهي الجبال وهي العلوم . فهذا هو الابداع فالذين أرساوا لهذا العالم بقوا فيه أغنياء لم يبقوا علوم هذا النبات وهذه الحشرات وهذه السموات أى لم يتفكروا فيها فان هؤلاء غافلون والغفلة متى استحسنت في طائفة لم يتأهلا للقاء ربهم وهل يحال السوقة الملوك ؟ لأغنياء يكتفون من الحياة بقشورها - وفرحوا بالحياة الدنيا - مع أن الدنيا كلها كسر وكيف يفرحون بوجود ضئيل زائل - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - فهذه الألام في الدنيا كأنها مخاطبة من الله للناس بلسان الحال فمن فهم الخطاب وأدرك أن هذه الألام يراد بها استيقاظ النفس لادراك العلم والجبال والحكمة طار إلى ربها فرحاً وأحب للوت وسارع الى لقاء ربها ومن لم يفهم هذا الخطاب ولم يعقل ما يراد به بقي مسجوناً في عالم ضئيل مهان معذب على حسب مرتبته . هذا هو السر في الألام التي تحس بها إن المتأمل لأهل الشرق ولأهل الغرب يجدهم متعاونين وإن لم يفعلوا كل ينفع الآخر وإن لم يفعلوا وهم مع ذلك أعداء وهم يعلون متباينون متشاكسون . أهل الكورة الأرضية ينفع بعضهم بعضاً بالتجارة والصناعة وكل لكل مساعد . هذه الحياة كلها حيرة واضطراب . وإذا وجدنا الفرد منا يألم إذا لم يكن عنده ألم الجوع لاعتقاده أن عدم ألم الجوع قص أى ان قص الألم فينا عيب في أجسامنا فانا نجد المجموع يألم إذا لم تقم حروب الأذى ما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى العاتقة إذ كانوا يقولون (إن الأمة التي أصبحت آمنة مطمئنة يكون مصيرها الروال ومن أراد رقي أمة فليترك الحياة فيها بحرب قائمها تبعثها من مرقدتها) وانظر الى ما جاء في مواضع من هذا التفسير ان أرسطاطاليس قل لتلميذه اسكندر في الرسالة المنسوبة اليه (إن الأمة الآمنة المطمئنة اذا أصبح أفرادها غير موكول اليهم نظام ولا مجتدين في أعمال عظيمة فان هؤلاء يزلون الى الخفيض ويصبحون في ملك غيرهم يتولى أمرهم) إذن لا فرق بين الاجسام الانسانية والاجسام المجازية الاجتماعية وهي الأمة بتمامها فالفرد اذا لم يحس بالجوع مثلاً والأمة اذا لم تؤلمها الحوادث وتهذبها النوازل والكوارث فان الفرد وان الأمة يعتريهما إذ ذاك الاختلال والاحتلال . إذن ثبت بهذا أن حياة الأفراد وحياة الأمم لا تتم إلا بشر يصيبهم ومصائب تنزل بهم والا لم يرتقوا . وأذكر كرجما قديم في سورة البقرة إذ ذكرت لك (لفرقائس) اليوناني القاتل (إن الانسان الذي لم تهذب به الحوادث معرض لنواب الهدى لا يزال ذليلاً وليس يحظى بالسعادة إلا من مرت النوازل والمصائب عليه) وهكذا كتاب (الكوخ الهدى) وقد أشرت اليهما في سورة البقرة عند قوله - وبشر الصابرين - إذن العلم شيء ورأى الجمهور شيء آخر وبناء عليه تكون هذه الحياة مبناها النقص فليبحث الناس عن حياة أرقى من هذه

فقال بعض الفضلاء بعد ما اطلع على هذا . هذا كلام حسن أى اننا لا نجعل هذه الحياة هي المقصودة بدليل انها لا تكون كاملة في مرتبتها الا بالألام وما أقبح حياة يكون من شروطها الشر فأى خير فيها ؟ هذا حسن ثم ان قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - ففروا الى الله - أظهر لنا الموضوع

وبجلاؤه وجعله بهجا بديها حسنا وأصبنا لنفس مقصود حياتنا الدنيا فهي شر وخير والفرار الى الله يجعلنا في خير لا شر فيه

﴿ اعترض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني ﴾

ولكن أنت قلت ان التسييح في البيانات كتسييح بونس في بطن الحوت يهتبا أن المسيح الحقيقي من يدرك هذه المعاني ويعرف أن الله بهذه الآلام أنعم علينا بنفس الآلام وأنه بهذا مزمع عن إيدائنا ، فعلى هذا القول تكون رسالته ﷺ خاصة بأفراد عد الأصابع في كل جيل من الأجيال . إن الذين يعملون ما تقول في هذا المقام قليل . إذن المسلمون في (١٣) قرنا أى بعد العصر الأول لم يسبح لله منهم إلا أناس أقل من القليل وعليه تكون الصلوات والتسبيحات كلها لا فائدة منها . فقلت له إن التسييح اللفظي والعبادات كلها لها آثار فعلية فلا تسييح ولا تعبد إلا وآثاره ترجع الى النفس وتؤثر فيها كما يؤثر المزمع (بالكسر) في المزمع (بالفتح) ولولا هذا لألغيت العبادات من الأرض والله عز وجل لا يبق إلا النافع ، ولقد قرأنا في التاريخ وفي الألواح التي نصبها الأمم في كتبهم انهم جميعا يعملون والعبادة أقوال وأفعال وهذه كلها تؤثر بطريق الاستهواء الساقى فكل قول يلغظه جاهل أو علم مع المعنى الاجالى يؤثر في النفس تأثيرا حقا فهو نوع من تنويم الانسان نفسه إذن المنفعة عامة بالصلوات والتسبيحات لخاصة بالعلماء والحكماء . فقال هذا حسن . فقلت الحمد لله رب العالمين واعلم أيها الذكر أن كلامي هذا لا يقوله إلا قليل وهؤلاء القليلون يتأملون فيجدون اننا أشبه بكثرة يتعذبها الحزن والفرح والقرب والبعد والبكاء والضحك والجمال والتبجح حتى عرفوا ذلك يقولوا زبد حياة بحال أرق فيقال لهم - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - إذ ما بعد القص إلا الكمال ، فمن فهم هذا فهم قوله تعالى - إلا من أتى الله قلب سليم - وقوله - وزعنا مافي صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين - أما اخوان الدنيا فهم حاسدون قد شاب الضر ففهم كالطعام والشراب والنول وللمالك انتهى ليلة ٢ ابريل سنة ١٩٢٩ م (نصف الليل)

ولنرجع الى بقية التفسير اللفظي للقسم الثالث والرابع فنقول ، قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) أى جماعة قوم نوح وتكذيب نوح تكذيب للمرسلين لأنهم يدعون الى صراط مستقيم واحد والاختلاف في الطرق وفي الفروع ، وأما الاصول فهني واحدة الايمان بالله واليوم الآخر (إذ قال لهم أخوهم نوح) وقد كان منهم (الاستنوت) الله فتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول أمين) مشهور بالأمانة فيكم (فاقولوا الله وأطيعون) فبا آمرهم به من التوحيد والطاعة (وما أسألكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجر أن أجرى إلا على رب العالمين) فاقولوا الله وأطيعون) كرهه للتأكيد ولينبه على أن طاعته تجب عليهم لأمانته أولا ولأنه لا يطعم في مال منهم ثانيا وكل منهما وحده كاف في دفع الشبهة عنه وجوب طاعته فإنا لك اذا اجتمعا فأوردوا عليه شبهة (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الأقلون جاها ومالا جمع أرذل فانك وان كنت أمينا ولا تطلب منا أجرا فلا ضرر عليك من هذه الوجهة أما الشبهة الواردة عليك في اتباعك الفقراء الذين ربما أرادوا اتباعك أن تلعبهم من جوع وهذه شبهة فيهم فرد عليهم (قال وما علمي بما كانوا يعملون) انهم عملوا اخلاصا أو طمعا في مال وما علمي إلا اعتبار الظاهر (إن حسابهم إلا على ربى) ما حساب بواطنهم إلا على الله فانه هو المطلع عليها (لوتشعرون) لوعلمت ذلك ولكنكم قوم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون . ولما كان قولهم ان اتباعك هم الأرذلون يفيد انهم يريدون طردهم قال (وما أنا بطارد للمؤمنين) بنية أن تؤمنوا بي على دعواكم انهم هم للمؤمنين لكم من انبأى (ان أنا إلا نذير مبين) لا أفرق في انذارى بين عزيز وذليل فكيف يلقى في طرد الفقراء . فلما أعيتهم الحيلة (قالوا لنن كنتم يا نوح) هما تقول (لتكونن من المرجومين) من المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) في الرسالة وقتلوا من آمن بي من الغرياء (فاقنع بئني وبينهم فتحا)

فأفرض بيني وبينهم قضاء بالعدل (وينجي ومن معي من المؤمنين * فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه . وقد تضمنت هذه القصة في سورة هود مستوفاة فارجح اليها (إن في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم) انتهى تفسير القسم الثالث والرابع من السورة

(الْقِسْمُ الْخَامِسُ)

كَذَّبَتْ هَادُ لِلرَّسُلَيْنِ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُوْدٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ تُخَالِدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَصْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ لِلرَّسُلَيْنِ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَتُخَرُّونَ فِي مَا هَاهُنَا بَنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنَحَّيُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي نُتِيتَا فِيهَا رَبِّهِ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ السُّرَفِيِّ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ تَرْبُ وَلَكُمْ تَرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْمَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير النظمي

قال تعالى (كذبت عاد للرسلين) أنت باعتبار القبيلة سمو باسم أيهم (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) إلى قوله (إلا على رب العالمين) كررت هذه العبارة في دعاء الأنبياء للدلالة على أن دعوة الأنبياء لا تنفذ إلا إذا كانت مقصورة على ما يقرب إلى الله وتوابه ويعد عن عقابه وهكذا العلماء لا ينفع في الناس قلوبهم إلا إذا كانوا مخلصين في تعاليمهم كأبيائهم وبغير ذلك لا فائدة (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع . ويقال

ربع الأرض ارتفاعها وكما يطلق الربع على الشرف من الأرض يطلق على الفج وهو الطريق بين الجبلين (آية)
 علما للمارة (تعبثون) أى بمن سرت بالطريق لأنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة
 فيسبحوا منهم ويمشوا بهم (وتتخفون مصانع) قصورا مشيدة وحصونا مائنة وما أخذ الماء وهى الحياض
 (لعلكم تظلمون) أى كأنكم تبغون فيها خالدين لاتعوتون (واذا يمشتم) أخذتم وسطهم وعاقبتهم (بمشتم
 جبارين) متسلطين غاشمين بالرافة ولا تهتد تأديب ونظري العاقبة (فاقتوا الله) بترك ذلك (وأطيعون)
 فيما أَدْعُوكم اليه (واتقوا الذى أمدكم بما تعملون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) أى اخشوا الذى
 أعطاكم ثم ين ما أعطاهم فقال أعطاكم أنعاما وبنين وكرر التقوى لتفاوت المعنيين وهما ترك التنبات في
 الأول والخبر من انقطاع النعم اذا أهملوا في الثاني وقد فضل النعم في الثاني كجانبه على مساوهم بقوله - ألا تتقون -
 ثم أجل ذلك كله بقوله (إلى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة وذلك العذاب يكون لفعل المعاصي
 أول كفران النعم (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لانزعج عما نحن عليه (إن هذا
 إلا خلق الأولين) ما خلقنا هذا إلا خلقهم نجيا ونحو مثلهم ولا بحث ولا حساب (وما نحن بمعدين) على ما نحن
 عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بربهم صرصر عاتية سخرناها عليهم (إن في ذلك لآية) الى
 قوله (وان ربك هو العزيز الرحيم * كذبت قوم الرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح) الى قوله (إلا على
 رب العالمين) تقدم تفسيرها وقوله (أنتركون) انكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم (في ما ههنا آمنين) أى
 في التى استقرت في هذا المكان من النعم آمنين من العذاب والزوال وللموت ثم بين ذلك فقال (في جنات
 وعيون * وزروع ونخل) ونحو النخل الصاخلة في ضمن الجنات تقضيلا للتخل على بقية الشجر (طلعهما)
 أى ثمرها الذى يطلع منها (ههنا) لطيف بانع نضيج (وتنحتون من الجبال يوتا فارهين) بطرين أو صادقين
 من القراة وهى النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب (فاقتوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر السرافين)
 أى المشركين (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) فإن الفساد الذى غلب صلاحه على فساده يجوز
 بقاؤه فأما من غلب فساد على صلاحه أو كان فساد لا اصلاح معه فاطلاك أولى به (قالوا إنما أنت من
 الساعرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم (ما أنت إلا بشر مثنا) هذا تأكيد (فانت بأية إن
 كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) وذلك بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه (لهاشرب)
 نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي ومن القوت (ولكم شرب يوم معلوم) فلا تزعجوها في شربها
 (ولامسوها بسوء) كضرب وعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) وعظم اليوم لعظم ما جعل فيه (فمقروها)
 عقروها بعضهم برضاهم فكانهم عقروها كلهم (فأصبحوا تادمين) على عقروها خوفا من حلول العذاب
 (فاخذنهم العذاب) الموعود (إن في ذلك لآية) الى قوله (العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها انتهى التفسير
 الله على القسم الخامس

(التَّيْمَةُ السَّادِسُ)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
 أَتَأْتُونَ اللَّهَ كُرْآنًا مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ بِأَلُوطٍ تَكُونُ مِنَ الْخَارجِينَ * قَالَ إِنِّي لَمَتَّكُمْ

مِنَ الْقَالِينَ • رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْتَلُونَ • فَتَحِينَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • إِلَّا هَجُوزًا فِي
 الْغَابِرِينَ • ثُمَّ دَرَرْنَا الْآخِرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْلَىٰكَ
 الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَطِيعُونِ
 • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَالِينَ • أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا
 مِنَ الْخَاسِرِينَ • وَرَبُّوا بِالْقِسْطِ لِمُسْتَقِيمٍ • وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ • قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
 الْمُسَحَّرِينَ • وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَقُلُوكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ • فَاسْتَعْطِ عَلَيْنَا كِسْفًا
 مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ رَبِّیْ أَظْمُرُ • فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَهُمْ
 عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ •

(التفسير الفنى)

قال تعالى (كذبت قوم لوط للمرسلين • إذ قال لهم أخوهم لوط) الى قوله (من الظالمين) أى أطولون
 الذكور من أولاد آدم مع كثرة الاناث فيهم (وتقررون ما خلق لكم ربيكم) لأجل استمتاعكم (من أزواجكم)
 - من - تبين لما خلق ويحتمل أن يكون التبعيض أى انكم تقررون العضولياح منهن وتجاوزونه الى ما هو
 محرم فيهن لأن أدبار الزوجات والمملوكات محرمة (بل أنتم قوم عادون) مجاوزون الحد في الشهوة لأنكم
 تقررون ما هو محل التناسل من النساء الى غيره منهن ومن الرجال (قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ بِاللَّوْطِ) عن نهينا وتبحيح
 أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بلادنا (قال إني أعملكم من القالين) من المبغضين غاية
 البغض فأنا أحد المبغضين فلست وحدي في هذا الانكار ثم يرجع الى ربه فقال (رب نجني وأهلي مما يعملون •)
 فتجيناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينهم إذ أمرنا بإخراجهم من بيوتهم وقت حلول العذاب
 (إلا هجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) أى كائنه فيمن بقوا فى القرية فلما لم تخرج مع لوط فهلكت مع
 المالكيين (ثم دمرنا الآخرين) أهلكتهم (وأمطرنا عليهم مطرا) أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من
 السماء فأهلكهم • وقيل بل أتبع الاتفلاك مطرا من حجارة (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان فى ذلك لآية)
 الى قوله (لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا

(لطيفة فى قصة قوم لوط عليه السلام)

امم أن الله عز وجل أذن اليوم بإبراز الهجاب والحكمة فى القرآن لتقر به النواظر وتشرح به الصدور
 ولتستقر الامور ، فانظر اينك الله الى ما جاء اليوم من الكشف والعلم فى هذه القصة فى المجلات والكتب مثل
 « مجلة السياسة » الأسبوعية يوم السبت ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٨ وهذا نص ما جاء فيها

﴿ قصة سدوم وعمورة ﴾

(هل هي حقيقة أم خرافية - أحدث آراء علماء الآثار)

في الكتب الميزة ان الله أهلك مدينتي سدوم وعمورة وثلاث مدن أخرى بجوارها بأن أمطر عليها نارا وكبريتا من السماء فلم ينج من سكانها سوى ابراهيم الخليل وأهل بيته ولوط وابنتيه ، ولم يكن ابراهيم من أهل تلك المدن ، وإنما كان قد تزوج إليها من الشمال طلبا للرحى حسب عادة القبائل الرحل في ذلك الزمن ، وقد اختلف المؤرخون في قصة سدوم وعمورة فذهب بعضهم الى انها خرافة لا طائل منها ، وزعم آخرون أنها قصة رمزية ترمي الى العلة والذكرى ، وقال فريق ثالث انها حقيقة وان في آثار البلاد المجاورة للبحر الميت ما يثبت صدقها ، ولعل الدكتور (أولبرايط) المشهور بإبحاثه الأثرية في بلاد المقدس في مقالة القديس سوعا لمعرفة حقيقة قصة (سدوم وعمورة) التي قدمها عليها أربعة آلاف سنة وهي لازال من الأسرار المستعقبة على علماء التاريخ ، ويظهر من البحوث الأخيرة التي قام بها أن تلك القصة حقيقية بجميع تفاصيلها واتنا على وشك اكتشاف مأساة من أفظع المآسي التي شهدتها التاريخ

قام الدكتور (أولبرايط) بإبحاث واسعة النطاق في وادي الأردن وعلى سواحل البحر الميت وهما المكانان الوحيدان اللذان يظن أن سدوم وعمورة والثلاث المدن الأخرى كانت فيهما ، وقد انتهى من البحوث الى هذه النتيجة وهي أن القصة الواردة في الكتب الميزة ليست خرافية ولا رمزية بل هي تاريخية بجميع تفاصيلها وجزئياتها ، وخلاصة هذه القصة هي أن حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد ما بين النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط ومع كل منهما مواش كثيرة ، وفي رواية التوراة أن الأرض لم تحملهما لكثرة ما كان معهما من الثمن والبق والرعاة ، وانه حدثت خصاصة بين رعاة مواشهما فافترق لوط عن ابراهيم حفظا للسلام ، واختار لوط دائرة الأردن أي الوادي التي كانت فيه سدوم وعمورة وأقام بسدوم ، واختار ابراهيم المرتفعات التي في الشمال وضرب خيامه في موضع يقال له (بلوطات) وأقام هناك مذبحا لله لأنه كان مؤمنا ، أما لوط فيظهر أن اختلاطه بأهل سدوم أنشأ عبادة الخلق فاقنى أثرونيين (هذه يكذبها القرآن) وكان ذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي منذ نحو أربعة آلاف سنة وهذا هو العصر المعروف لدى علماء التاريخ بالصرا البرونزي ، على أن آثار فلسطين التي ترجع الى أربعة آلاف سنة تدل على أنه كان في فلسطين في ذلك الزمن حضارة راقية وليس في تفاصيل قصة ابراهيم ما يناقض آثار تلك الحضارة بل ان جميعها تنطبق على عادات القوم وطقوسهم وشعائرهم كل الانطباق ، فقد كان الناس الرحل ينتجعون المراعي النضرة ويضربون خيامهم حيث تكثر المياه وتسهل وسائل للعبث وكانت المدن تشاد في الأودية على مقربة من مجرى الأنهر كما كانت الخيام تضرب على المرتفعات وهذا عين ما فعله ابراهيم وليس في هلاك مدينتي سدوم وعمورة ما هو مدحش من الوجه العلمي أو التاريخي فقد أثبتت صروف الدهر مدن (ثروادة) و (بابل) و (بعلبك) و (قرطاج) و (بطرا) و (بومباي) و (تدمر) وغيرها ولكن لم يبق أثر إحداها محو تماما بل لازال لكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من المجد والعظمة

أما سدوم وعمورة بل المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن فقد زالت ولم يبق لها أثر قط وهذا ما جعل الكثيرين من المؤرخين يعتقدون أن قصة سدوم وعمورة خرافة لا طائل منها أو أنها حكاية رمزية كما تقدم على أن الدكتور (أولبرايط) قد اكتشف آثارا يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هناك آثار حصن قديم يحلو نحو حصنة قدم على سطح البحر الميت ويجوار هذا المذبح أي حجارة منصوبة بشكل أعمدة يرجع انها المرتفعات التي كان الوثنيون في ذلك الزمن يقدمون عليها قرايتهم ، ويسمى أهالي الأردن المكان

التي توجد فيه تلك المرتفعات (باب الفراع) وهو على الأرجح الموقع الذي كانت فيه سدوم وعمورة لأن الوثنيين كانوا ينصبون مذبحهم في المدن (في المعابد) حيث يقيمون شعائر عبادتهم فلا بد إذن أن باب الفراع كانت مركز حضارة وثنية ترجع إلى ذلك العصر ولكن أين آثار تلك الحضارة؟ أيمن أن يكون البحر الميت قد طما عليها فطمعها وأزالها؟

هذا فرض كثير الاحتمال وفي التاريخ حوادث كثيرة تشبهه ، ففي سنة ١٨٨٣ ثار بركان (كرا كاتو) بين جافا وسومطرة (وكان العلماء يظنون انه قد انطفأ منذ زمان طويل) فغير جغرافية تلك الأنحاء تغييرا فلما قلبها رأسا على عقب ، وفي سنة ١٨٨٦ أى بعدها ثلاث سنوات ثار بركان (تاراورا) بيلاد نيوزيلندا (وكان العلماء يزعمون انه من البراكين المنطفئة) فغير معالم البلاد المجاورة وأحدث بها تغييرات حتى صار أهالي تلك الأنحاء لا يعرفونها ، وعليه فمن المحتمل جدا أن يكون البحر الميت قد طما على المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن بل ان بعض علماء الجيولوجيا يؤكدون أن هذا البحر يضر اليوم بلادا كانت أهله بالناس أما المدن الخمس فهي سدوم وعمورة وأدمة وبالع وصوبيم ، وقد عثر المتقنون في (باب الفراع) على آثار يؤخذ منها أن طقوس العبادة الخاصة بالمرتفعات السابق ذكرها استمرت من سنة ٨٠٠ الى سنة ١٨٠٠ قبل التاريخ الميلادي أى ان باب الفراع كان من أمكنة القوم المقدسة مدة نحو ألف سنة ثم هجره اصحابه ولماذا؟ لسبب بسيط وهو خراب سدوم وعمورة

وليس في تسميتنا سدوم وعمورة وأخوانهما بلندن ما يدل على حقيقتها فانها لم تكن مدنا بالمعنى المعروف عندنا بل كانت على الأرجح قرى صغيرة تضم كل منها بضع عشرات أو أكثر من المنازل وكان ملوك تلك المدن أشبه بشيوخ بلد لولا ما كان لهم من الشأن عند رعيتهن ، ويؤخذ من رواية التوراة أن ملوك المدن الخمس المذكورة خرجوا لقتال أربعة ملوك من ملوك البلاد المجاورة وحدث بينهم موقعة تعرف بموقعة (عمق السديم) فهزم الملوك الأربعة أعداءهم وأخذوا لوطا وأملاكه في جلة من أغنوه من الأسرى والقبائل لأنه كان يقيم بسدوم ، فلما سمع ابراهيم بما جرى لابن اخيه خرج في (٣١٨) من رجله وهاجم الغزاة وكسرهم وأخذ لوطا وأملاكه وأهل بيته ، وفي هذه الرواية عينها أن ملكي سدوم وعمورة قتلا في (عمق السديم) حيث كانت آثار حرك كثيرة وآبار الحرك لا يخفى هي قابلة للإلتهاق وفي ذات يوم إذ كان ابراهيم جالسا ياب خيمته في حر النهار أقبل عليه ثلاثة رجال ، وفي التوراة اهم كانوا ثلاثة ملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة واحتفى بهم وفي أثناء الطعام علم انهم ذاهبون الى سدوم وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشروهم وانفاسهم في شهواتهم البهيمية ولا سيما المحرمة منها ، فلما وصل الرجال الثلاثة الى سدوم سلخوا ثيابهم الى منزل لوط ابن أخي ابراهيم ليبيتوا عنده وعلم أهل سدوم بقصدهم فأرادوا أن يرتكبوا بهم موبقا ولكن لوط دافع عنهم وعرض أن يضحي بترف ابنته لينقذهم فأبى أهل سدوم إلا أن يرتكبوا بهم الفحشاء ولكن الضيوف تمكنوا من الفرار وأقنعوا لوطا وأهل بيته بالفرار معهم ، واليك رواية التوراة بعد ذلك

• واذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط (صوفر) فأطمر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونظرا من السماء وقلب تلك المدن وكل الهادة وجيع سكان المدن ونبت الأرض ونظرت امرأة لوط الى الوراء فصارت عمود ملح ، ومعنى قوله صارت عمود ملح انها اختفت بالغازات الكثيرة المتصاعدة من آبار الحر الى التبت إما بسبب حدوث زلزلة أو بسقوط صاعقة من الجوى ، وكلا السببين يكفي لاشمال أكبر الحر وجعلها أتوا يلتم ما حوله من نبات وحيوان وانسان ، ومثل هذا الحادث غير مناض للنوليس الطبيعية بل له في التاريخ نظائر كثيرة ، وفي تاريخ الكرة الأرضية اهتلاجات جيولوجية كثيرة شبيهة بمحادثة (سدوم وعمورة) فقد ثور بركان وتدفق جمه على المدن المجاورة فطمعها ونهك أهلها وقد تنحس بلاد واسعة فطمعها البحر ونزول

هي وما فوقها من نبات وحيوان وإنسان وقد تنشق الأرض فتبتلع مدنا بأسرها ، وبما يجدر بالذكر انك اذا وضعت الخارطة أمامك ورسمت خطا من بحر الجليل مارا بوادي الأردن فالبحر الميت فالبحر الأحمر فبلاد الحبشة كان لك مايسميه علماء الجيولوجيا (منخفض ارتيريا) لاذ يقولون ان الكرة الأرضية انخفضت في زمن من الأزمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحر الجليل يعلو (٦٥٣) قدما على سطح البحر الأبيض المتوسط حالة أن البحر الميت أصبح تحت مستوى البحر الأبيض المتوسط بزهاء (١٣١٦) وهذا دليل على أن المدن الخمس التي كانت هناك غمرها البحر الميت وانخفض معها الى أسفل وقد احترقت بالقار والحجر واختفى أهلها بالغارات المتبعة عن ذلك (أقول نحن لا نقرّ من هذا إلا ماوافق القرآن) انتهى

وقد كتب كاتب في جريدة الاهرام بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ م مانه

(البحر الميت أو بحيرة لوط)

لما كان اسم هذا البحر أو البحيرة يرد كثيرا في تفرقات الاهرام الخصوصية بمناسبة امتياز استنباط أملاحه المعدنية وهو المشروع الذي تديره المناقشة عليه في البرلمان البريطاني بين حين وحين في خلال السنوات الأخيرة وكنت قد زرتة مرارا في أيام حدائق التي قضيتها في القدس الشريف رأيت أن أذكر هنا موجز تاريخ هذه البحيرة ووصفها وما أعرفه عنها فأقول

« إن موقع هذه البحيرة التي هي أكبر بحيرات فلسطين وسورية هو في الجنوب الشرق من القدس الشريف على مسربة ١٨ ميلا في منخفض من الأرض يسميه الكتاب (غور السديم) ويرجع انها تفرجنا عظميا من المدن الخمس التي أمطرها الله نارا وكبريتا كما ورد في سفر التكوين من التوراة وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب خمسين ميلا وعرضها عشرة أميال وسطحها منخفض عن سطح البحر المتوسط (١٣١٦) قدما . ولما كانت هذه البحيرة مصبا مياه غريزة وكان لا منقذ لها ظاهرا ولا يبدو فيها أثر من زيادة مائها أو نقصانها تضاربت في امرها آراء العلماء أذكرهم (رأيين) قال فريق ما خلاصته ان غور أرض هذه البحيرة وانخفاضها العظيم واكتناف الجبال التي تشد على مخنفها لها عجلة لشدة الحر التي يبعثر من مائها يوما كية تعادل الكمية التي تسب فيها ، ولا ينكر أحد أن حرارة الجو الشديدة ينشأ عنها بخار وافر وضباب كثيف متكاثر ينتشر ويغطي سطحها وضواحيها مسيرة أميال ولكن يلوح من المستحيل تحويل كل الماء الذي يصير اليها بخارا أو ضبابا على ماعله المحققون من علماء هذا الفن وقد عدلوا كمية الماء الذي يجري اليها يوميا من نهر الأردن وحده بما يرى على ستة ملايين متر مكعب ، هذا عدا مياه الفدران والجداول وبحارى الأودية التي تسب فيها أيام الشتاء من أكثر جهاتها ولاسيما (نهر الموجب) الذي يأتيها من منحدرات الجبال التي تلي شرقها فانها لعمري كمية لا سبيل الى تحويلها بخارا مهما تعاضلت شدة الحر ، وقال فريق آخر انه لا بد لها من منقذ سفلى تسب منه في عمق أحد البحور التي لا يعلم الى الآن غور لجيها تماما وراقبوا الماء الذي يحضره سنويا بالبحر وبذهابه في المنفذ المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذي يأتيها . وأما خواص مائها فليس له قتل نوعي واحد بل يختلف في الكثافة والمرارة باختلاف مواضعه منها . حيث يدخلها ماء الأنهار والسواقي يكون أقل قلا ومرارة من غيره . وعلى وجه العموم يقرر أن في كل متر جزء منه خمسة وعشرين جزءا من الأملاح المعدنية ذائبة فيها وهي لكثرة أملاحها لاجابة فيها لحيوان البتة . ومعالم أن مياه البحار الأخرى لاتعوق أملاحها أربعة في المئة . وأعظم جزء بين موادها هو (كلورور الصوديوم) وهو ملح الطعام فانه يبلغ ثلاثة أرباع المواد الأخرى التي فيها مثل (كلورور المغنيسيوم) وكبريتات الكلس والمغنيسيا وغيرها من مواد أخرقارية وزرقية وكلها توفه فيها تلك المرارة والكراهية وهي من فرط هذه المواد المعدنية وكثرة ما يتساعد عنها من الضباب والأبخرة صافية راحة تستبهج التواظر بجمال رواثها غير أن الأيدي تنجاف عن لمسها لأنها تترقبها أثرا

زيتا ولا مناص لمن خاض فيها أن يظهر بعد ذلك بماء عذب زلال وأنه لا يلبث زمنا قليلا حتى نجوس في جسمه
حكمة تهيئ فيه البشور كما جرى للكثيرين وأكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمون فيها على مقربة من
مصب الأردن في الجهة الشمالية حيث يتمكنون بعيد ذلك من الاغتسال في ماء الأردن . ولعل ماء هذه
البحيرة يطفو فوقها ما رسب في غيرها ولذا لاحذر فيها على من لا يحسن السباحة فإنه يعمد ولور بليت كلنا
يديه وراء ظهره وكل ماعليه هو أن يرفع رأسه ، ويلج عمقا نحو (٤٠٠) متر في الجهة الشمالية وستة أمتار
وما يفيضها في الجهة الجنوبية ويختلف ما بينهما باختلاف مواضع تدريجها ، وبالاجال فانها تصلح لتسيير
البواخر الصغيرة

أما أرياف هذه البحيرة فكلها بلاقع قفرة خالية من السكان والحدود والشجر ولا يقم بها إلا بعض البدو
وقبائل التعميرين الرحل وذلك في فصل الشتاء وتحيط بها الجبال الوعرة إلا في الجهة الشمالية الشرقية منها
فانها سهل فسيح الأرباء ولكنه عقيم حتى التربة تغطي قشرة ملحية جعلت أرضه سباحا لاتنت نباتا إلا حيث
تجري فيها المياه الحلوة ونباتها لا ينتمى به وهو في الغالب الحلفاء والاباة وماشا كلها من النبات المائي وقديما
كان ينبت في جوار هذه البحيرة وأريافها نوع من الشجر يعرف ثمره بالعنب السام أو العنب المرفكان ظهره
بهي المنظر إلا أن داخله كان قننا عفنا يملأ رمادا وغبارا وقد أشار إليه النبي موسى في سفر الثانية قال « من
جفة سادوم جفتهم ومن كرم همورة عنبهم عنب سم وعناقيدهم من مرارة » وإلى الآن ترى أكثر ثمار
هاتيك الأرض المجاورة لها نضرة شبة غير انك اذا ما قطفتها تحولت بيدك إلى غبار ورماد ، على أن هذه
الأرض وإن لم تصلح الآن للزراع والشجر فهي صالحة لاستخراج المعادن فانها كثيرة غنية بها كالحديد والظرون
والكبريت وزيت البترول الخ . والأسماء المشهورة بها هذه البحيرة هي ما يأتي

- (١) بحيرة لوط نسبة إلى لوط ابن أخي إبراهيم الذي أنجاه الله مع آله من سدوم
- (٢) البحر الميت لأن مياهه لا تعيش فيها الحيوانات المائية وتلبث راكمة هادئة إلا عند اشتداد العواصف
- (٣) البحيرة المننة لأنها تلبث فيها في الغالب رائحة خبيثة لوفرة موادها المعدنية
- (٤) بحيرة الملح اختارا لمائها الأجاج ووفرة الملح فيها
- (٥) بحيرة الزيت لكثرة موادها الزيتية والقارية
- (٦) البحر الشرقي لمقابلته البحر المتوسط لكونه غربيه
- (٧) بحيرة البرية والسهل لأنها في برية قاملة وشمالها الشرق سهل فسيح

(٨) بحيرة سدوم باعتبار انها عملها على الرأي الأرجح ، أما المدن الخمس التي أشرت اليها في أول هذه
المقالة ويقال انها كانت حولا وفي موضعها فهي سدوم وهمورة وصوبيم وادمه وزغر . وقد اختلف علماء
الآثار على موقعها فذهب من جهة في الجهة الجنوبية من البحيرة حيث السهل الخراب . ومنهم من زعم انه في
الجهة الشمالية حيث السهل القاحل الكبير الممتد منها إلى أريحا . على أنهم وإن اختلفوا في ذلك فهم يجمعون
رأيا على أن موقعها بجوار هذه البحيرة وأن جانا منها قنطرة مياهها الركامدة . وما يمكن قوله عن هذه المدن
انها كانت قبل أن شملها الخراب الإلهي حافلة بالسكان متردية ثوب الحضارة والمدنية . وبخبرنا الاصحاح
الرابع عشر من سفر التكوين أن كلا من هذه المدن كانت قاعدة للحوك جابرة فضلا عن أن موقعها الطبيعي
يستدعي أن تكون زاهرة غناء مزدهية بجمال موقعها بدية بجنتها وغياضها غنية بوفرة ماؤها وخيراتها
لأن نهر الأردن كان ينشعب في غورها إلى التربة سيولا فيسقي أرياضها ورياضها وحلقها التي كانت ولائك
تفوق جنت دمشق كثرة وخصبا . ويمكن القول أيضا أن تحضر هذه المدن قديما وتألب السكان فيها قد
جلا إبراهيم الخليل على أن ينتمى إلى الله العلي مسترسلا في كلامه مكررا فصرعه إليه تعالى أن يعفو عنها

(تكوين اصحاح ١٨) غير انه لما كان القصاد قد شمل سكانها وكان جميعهم قد سكروا بلذة الإثم حتى انه لم يعد فيها بار سوى لوط وآله انتم الله من أهلها بأن أمطر المدين نارا وكبريتا من السماء فأهلب ما كان هناك خزينا معدا من البراكين النارية التي عجلت دمارهم فطبق ماء الغور الزائد تحتها وجه هاتيك الأرض ففارت بهم خاسقة وظهرت البحيرة على ما نراه اليوم . انتهى والله أعلم (س . خ)

ثم قال تعالى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الأيكة غضة تبت ناعم الشجر ، يريد غضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبث الله اليهم شعبا كما بث الى مدين وكان أجنيا عنهم فلذلك قال (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل اليهم * ويقال الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم القوم (إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون) الى قوله (إلا على رب العالمين * أو فوا الكيل) أتوه (ولا تسكونوا من المفسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى لو القبان ، وإذا جعلناه عريا جعلناه من القسط وهو العدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى لا تنقصهم حقوقهم كدراهمهم ودنانيرهم قطع أطرافها وغير ذلك (ولا تشاؤوا للأرض مفسدين) بالقتل والفساد وقطع الطريق (واقفوا الذى خلقكم والجبل الأولين) أى وذوى الجبل الأولين أى الخليفة والأمم المتعاقبة (قلوا إنما أنت من المرسلين * وما أنت إلا بشر مثلنا) فقد جمع بين وصفين متنافيين للرسالة (وان ظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأستقطع علينا كسفا من السماء) قطعنا منها (إن كنت من الصادقين * قال ربى أعلم بما تعملون) من قصص الكيل والوزن وهو يجازيك بأعمالكم فعلى البلاغ وعلى الله الحساب (فكذبوه فأغضبهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) إذ أصابهم سوء شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيصلونها أسر من ذلك فيخرجون فأظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (إن فى ذلك لآية) الى قوله (الرحيم) انتهى التفسير القفلى للقصم السادس

هذه هي القصص السبع التي جاءت فى هذه السورة مختصرة وهذه القصص دالة على أن هذا روى من الله فان النتائج التي حصل عليها الأنبياء هي التي حصل عليها النبي ﷺ ولم يكن وقت نزولها ذا شوكة ولا قوة . وهذه القصص السبع نموذج لما أصيب به النبي ﷺ من التكذيب والأذى والمصعوب به القوم من الخذلان والصغار ولما منح ﷺ من النصر للدين والفتح ، وللتأمل فى هذا يجد هذا معجزة فانه أولا لم يكن من القائلين حتى يطلع على مثل هذا ، وثانيا لم يكن بدور فى خلد أحد أن تكون هذه عاقبة من لا مال بيده ولا رجال ولا جند عنده وهذا من أغرب المعجزات . واهل أن هذه القصص قد تكلمنا عنها فى سورة الأعراف وفى هود فارجع اليها إن شئت

(الْقِسْمُ السَّابِعُ)

وَإِنَّهُ لَكَزِيلٌ رَبِّ النَّامِينَ • زَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ • بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ • وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ • أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَايَةٌ أَنْ يَمْلِكَهُمْ عَلَوْا ابْنِي إِسْرَائِيلَ • وَلَوْ زَلَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ • فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ • كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ • لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ • فَأَيُّ تَيْمِيمٍ بَعَثَهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ • فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ • أَفَعِدَّائُنَا

يَسْتَجِيبُونَ • أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ • ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ • وَمَا أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ • ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ • وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ • وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ • إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوُونَ • فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَسْكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ • وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ • وَاخْضَعْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ • وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ • الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ • وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ • إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ • تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ • يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَاذِبُونَ • وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ • أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ • وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ • إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ •

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (وانه لتنزل رب العالمين) منزل منه (زل به الروح الأمين) أي جبريل لأنه أمين على الوحي والوحي فيه الحياة - وقرئ - نزل - بالتشديد أي نزل الله الروح بالنصب أي جعل الله الروح نازلا به والباء للتدنية (على قلبك) أي حفظك وفهمك إياه وأثبت في قلبه إثبات من لا ينسى كقوله - سقرتك فلا تنسى - (لتكون من المنذرين • بلسان عربي مبين) واضح المعنى فصيح ، وإنما كان نزوله على قلبه بلسان عربي مبين لأنه لو كان بلغة غير لغته لكان أول توجه نفسه إلى اللفظ ثم المعنى مهما كان ماها فيها ، فإذا كان بلغته التي نشأ عليها كان توجه نفسه إلى المعاني بدون عائق . هذه هي العادة فيمن يعرف لغات كثيرة وهذا سبب نزوله بلغة العرب وهي لغة الرسول ﷺ (وانه لنرى زبر الأولين) وإن معناه لنرى كتب الأولين أو ذكر محمد ﷺ وصفته ولغته (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) أولم يكن هؤلاء المعاندين دلالة على صدق محمد ﷺ أن يعرف هؤلاء العلماء بنمته في كتبهم فقد بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدية يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا ان هنا زمانه وأنا نجد في التوراة نمته وصفته فكان ذلك آية على صدق محمد ﷺ والذين شهدوا بذلك خمسة عبيد الله بن سلام وابن مابن وقلبة وأسد وأسيد (ولو زناهم) أي القرآن (على بعض الأعمى) جمع أعمى على التخفيف وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب (فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين • كذلك سلكناه) أي أدخلنا الكفر للدلول عليه بقوله - ما كانوا به مؤمنين - في قلوب الجرمين • لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملحق إلى الإيمان (فيأتيهم بشفة) جأة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظر) معناه أنهم يسألون الإمهال فلا يجابون ، ولما تكررا الإنذار على أهل مكة وسمعوا بعذاب الأم السابقة في مثل هذه السورة قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب وبشيء هذا العذاب ؟ فقال الله (أفبعذابنا يستجابون • أفأرأيت إن متعناهم) متعا أهل مكة (سنيين) ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) وهو العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتنون) كأنه قيل ليكن الأمر

كما يستقذرون من تبتيحهم وتصبرهم فإذا طال الأجل وتمتعوا ثم لحقهم ما أنفروا به فإذا ينفعهم من طول ذلك الأمد والتمتع بالتبعية ، يقول الله إن العذاب واقع عاجلا أو آجلا فإذا لم يكن عاجلا فإذا يفيدهم نعيم وطول عيش هو ذاهب للاحالة بوقوع العذاب ، إن النعيم المنتطح لافادة منه ولاخبر فيه • وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يبتني لقامه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية ، فقال ميمون قد وعظمت فأبلفت • وعن عمر بن عبدالعزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية إلا لهما منبرون) رسل يندرونهم لإلزاما للصحة كما هي عادتنا في اتنا هتتم المرض قبل الموت غالبا اذا رأيتا حكمة ، وكما أنفرتا الناس بإلدى قبل وقوع الكوارث والحوادث ، وهكذا اذا جاء أجل الأمة أهلكنا خطيئها وعقلاها فذكروا المستقبل المظلم الذي لها ، وإنما فعلنا ذلك (ذكرى) أى لأجل التذكرة (وما كنا ظالمين) فهلك غير الظالمين وقبل الانذار • كلا .

﴿ جوهره في قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا لهما منبرون • ذكرى وما كنا ظالمين - مع قوله تعالى في سور أخرى - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وقوله - وما كنا مهلكي القرى إلا أولها ظالمون - وقوله - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - والظلم هنا الكفر - وقوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - وقوله - حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون • لاجأوا اليوم أنكم منا لا تنصرون - وقوله - نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - ﴾

هاهنا القرآن يقول لنا أيها الناس إن الترف والتبعية والظلم مبدأ الخراب في الأمم ، ويقول إن الأمم إذا أدبر شيئا وولت أيامها وأقبل هرمها أنفروا منبروها وحذرنا المنبرون ، وهنا قول ، لماذا أنزل الله هذه الآيات في القرآن الكريم ، مجرد التلاوة والتعبد • كلا • بل للتلاوة والتعبد ومعها العمل • أم الإهلاك اليوم في حاجة شديدة الى الإصلاح والتذكير والله يقول - وذكرهم بأيام الله - إذن نحن مأمورون أمرا حقا وواجبا وجوبا كفافيا وعلى كل مشتغل بعلوم الأمم الاسلامية أن يذكرهم بما علم • فإذا هنا أذكر المسلمين عموما بأمتين أنفروا المنبرون وحذرنا المنبرون قبل سقوط دولتهما وهما أمة المصريين القدماء وأمة العرب بالاندلس • أنا أكتب هذا هنا تذكيرا للمسلمين وخروجا من الإثم بالتقصير لعلى أن ما أكتب أنا ويكتبه غيري من أهل العلم ببلاد الاسلام يرفع همهم ويوقظهم الى المستقبل كما قال تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وإذا كانت الذكرى قد نفقت الأمم الغربية وأنارت دولهم وبما لكم القوة في عصرنا فانها ستكون هنا في بلاد الاسلام أسرع أثرا وأنفذ قولاً وأبعد مدى • فهناك ما حدث بفرنسا قبل أوائل هذا القرن العشرين • ذلك انهم أعلنوا أن تحضر الفتيات عاريات في المراسم يطلع الناس على الجال بلالباس في مرقد من مراقبهم ، فأعلن أحد علمائهم أن يلقي خطبة في ذلك الأمر واستنابه ، فلما حضر واجتمع القوم رموه بالطماع حتى صارت ثيابه جيبها ملوثة بلون الطماطم فلم يزد على أن قال • ما كنت أعلم أن هذا يوم الكرفال ، الكرفال معناه يوم يلبس الناس فيه الملابس المضحكة لمجرد الفكاهة (المستخة) فضحك القوم وأنصتوا للخطبة فقص عليهم تاريخ الرومان قاتلا ﴿ إن الرومان في أواخر أيامهم قد تمادى النساء في غوايتهن حتى وقتت فتاة في الشارع وخطبت على عربة وقالت والله لاترجع عن الزينة والزخرف حتى تكون عرابتنا من ذهب وتصبح المالة وقفا على تضننا في الخلافة والزينة ، وزاد الفجور والفسوق فاحتلت تلك المدينة وذهبت ﴾ فلما سمعه القوم أعرضوا عما همزوا عليه وتمتعوا بحضور النساء عاريات ، ذلك لأن الخطيب ذكرهم بذهاب مجدهم وإحتلال ملكهم ، هكذا هنا أذكر المسلمين الآن بهاتين الأمتين وسيكون لذلك أثره إن شاء الله

والله هو الهادى الى صراط مستقيم

فلأجعل الكلام فى ﴿ أربعة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ فى انحطاط ديانة قدماء المصريين بعد ارتفاعها
﴿ الفصل الثانى ﴾ فى ورقة انسطاسى البردية أوسفرابورالنبي المصرى القديم ونبوة الفيلسوف هرمس
﴿ الفصل الثالث ﴾ فيما حلّ بالأندلس من احتجاب الخلفاء ونشبه الغنابات بالفتيان وشيوع الترف والانفاس
فى اللذات وتفرق العصبية

﴿ الفصل الرابع ﴾ فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم

﴿ الفصل الأول فى انحطاط ديانة قدماء المصريين ﴾

أنا أسوق هذا الفصل لأذكر قومنا بأيام الله حتى لا نفع فى قعرها فيه فأقول ، لابد قبل البدء فى ذكر
انحطاط هذه الديانة من ذكر ارتقاها وعلوها حتى نعرف كيف انحطت . إن المصريين استلوا على الله بقولهم
أجيالا وأجيالا حتى عرفوا اسمه وصفاته وأحبوه حبا جيا آلاف السنين ثم رجعوا التهمى ونسوا أصل الدين
وعبدوا الحيوانات فزال مجددهم ، وقد جاء فى نص فى قبر الملك (بني الأول) أنهم أولًا كانوا يقولون إن أئوم
ونزوتيه (آدم) ونزوتيه كانوا يسكنون مدينة (هليوبوليس) وأئوم هذا كانه أبو الآلهة هو رئيسهم ورئيس
الآلهة التسع المذكورة فى عقيدة هليوبوليس التى كانوا يسمونها الفردوس الأرضى (هى قرب القاهرة الآن)
وكانت هذه النزوتية الآدمية خليطا من الآلهة والبشر فى طهارة وسلام ، ثم إن (رع) كبير الآلهة انتصر على
الحية وهى إلهة الشر و (رع) هذا يحكم للأرباب والمربوين وبذلك زالت هيبة هؤلاء الآلهة الذين استبدوا
الناس ثم زالت هيبة المعبود (رع) ثم خافوا منه فهربوا للجبال فأهلكهم ثم استبقى من كان يحترمه من الناس
ثم تكبر على الناس جميعا لأنهم معطوبون على الشر وسكن السماء بعد أن نظمها واستخلف غيره من الآلهة
البشرية وهذه الآلهة جميعها تعرض وتموت كالبشر انتهى ملخصا

ثم تقور القوم فعرفوا أن آدم هذا ونزوتيه جميعا مخلوقون وأن لهم خالقا بديل لما جاء فى ﴿ كتاب الموتى ﴾
(فصل ٤٢ العدد ١ - ١١ - ١٢) ﴿ لا يعرف الإنسان اسم الخالق ﴾ وجاء فى أشودة المعبود آمون ﴿ إن
اسم الخالق خفى عن الناس ﴾ وجاء فى خصوص إهرام الملك أوناس من الأسرة السادسة ﴿ إن الخالق لا يمكن
معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول ﴾ ثم استعملوا ألفاظا عامة كاللاهية وبعض ألفاظا تدل على الخالق بطريق
الكنائية فقالوا ﴿ السيد للطلق المالك كل شئ وانه لانهاية له ولا حد له ﴾ ثم اهتموا لمحنة صفاته وربما عرفوا
اسمه من الأنبياء القدماء فقد جاء لفظ الجلالة مرارا فى أمثال وحكم (حزب) الأدب المصرى القديم منصوبة
فى كتابه الذى هو أقدم كتاب فى العالم وهذا نصه ﴿ لا توقع الفزع فى قلوب البشر فلا يضربك الله بصا
انتقامه ﴾ . قال (إلياج رينون) ﴿ إن اليونان والرومان كانوا عريقين فى الوثنية حتى لم يسمع عنهم أنهم
ذكروا اسم الله أصلا . أما قدماء المصريين فلم يرد فى تاريخهم أنهم عرفوا الوثنية ﴾ وأن الورقة البردية فى
المتحف البريطانى تضمنت ما يأتى ﴿ أنت الإله الأكبر سيد السماء والأرض خالق كل شئ ، يا لمطى وربى وخالق
قوسى وبصرى لأستشعر مجدك واجعل أذنى مصفية لقواك ﴾ فأما اتخاذهم السماء إلها أو عبادتهم الكواكب
فأما جعلوا ذلك رمزا لله الواحد الصمد . هذا وأذكر كآسيا التى بذكرته فى سورة البقرة من النشيد
الذى جاء فيه التوحيد ومحبة الله والابتهاج بأبواره التى خلقها فى الليل والنهار التى فيها أنت العالم بأسرار الحياة
تظهر بجمالك فى آفاق السماء

هذا هو ارتفاع مدنيته ، أما انحطاطها الذى سقناه هذا الفصل الذى مبدؤها سنة ١٦٠٠ ق . م الى سنة
٣٤٠ ق . م أى بعد خروج الرعاة من مصر وهذا بيان
﴿ انحطت مصر فى الدين والأدب فى السولة الحديثة بسبب الثورات العديدة التى توالى عليها واستمرت

الى العصر الروماني لاختلاطهم بالأجانب ، وقد كانت الحيوانات عند قدمائهم رمزا للاله الحق ولكن في البولة الحديثة جعلوها فوق الهياكل والمعابد وجعلوا المعبودات في المنزل الثانية من الاعتبار وكثرت الخرافات فعبدوا الطيور والسك والحيات والتماسيح والقطط والكلاب والأكباش واتخذوها آلهة لهم وحطوها ودفنها بعد موتها بالاحلال والاحترام ، وهذا كان من مبدأ الأسرة (٢٦) وامتد الى العصر الروماني ، وقد عظموا هذه الحيوانات حتى انها اذا لمستهتم أو نهشتهم واقترسهم لا يدفنونها احتراماً

وقد أخبر (ديودور الصقلي) أن رومانيا قتل خطأ قتلته الشعب المصري انتقاماً ، وذكر (بلوتارك) أن أهل (سينوبوليت) بالأقاليم الوسطى أخذوا مرة نوعاً من السمك الذي كان معبوداً عند أهالي إقليم (أكسرينيك) وأكلوه فأعلن هؤلاء عليهم حرباً عواناً وأخذوا كل ما معبوداً لهم وذبحوه انتقاماً وتقنياً . وقال (استرابون) انهم كانوا يتكفون وضع المسك للتماسيح في البحيرات المقدسة ويكابدون في ذلك تقفات عظيمة . وقال هيردوت انهم كانوا يدفنون حيواناتهم المقدسة في قبور على مقربة من قبور ملوكهم وأعيانهم وعنوا بدفنها أكثر من عنايتهم بدفن جثث آبائهم وأعراسهم ، وقد كشفوا أخيراً خفراً عميقة وأثافاً واسعة مملوءة بمئات الألوف من القطط والتماسيح المنحلة ، وقد كشفوا مع أموات البولة الحديثة كثيراً من التفاصيل الصغيرة المسماة (أوشاشي) أي الجيبيات تجيب الدعاء وتجيب عن الميت يوم الحساب أو تقوم مقامه أو تكون في بدن الميت في الأعمال التي يسخر الميت فيها (سوريس) وهكذا عبدوا الأفعى والحيات . انتهى الفصل الأول

(الفصل الثاني في نبوة الفيلسوف هرمس وفي ورقة الانسطاسي البردية أوسفر (ابور) النبي المصري القديم)

ان ديانة قدماء المصريين طال أمدها أربعة آلاف سنة ، وقد أخبر الفيلسوف هرمس بمستقبلها فقال (يجب عليكم أيها الحكماء أن تستدركوا كل شيء وتعرفوا انه سيأتي وقت يترك المصريون عبادة الله فيضرب عليهم ويترك أرضهم ويهجر مصر بدون ديانة وتهمل الأشياء المقدسة ويأتي اليها الأجانب من كل صوب فيضعون لها قوانين تحرم ممارسة العبادة الحققة والتقوى وعبادة الإله وتعاقب من يباشرها وترى في القصور والأموات بدلاً من المعابد والهياكل التي تدينست أرضها ، أواه مصر . أواه مصر . سيأتي عليك وقت لا يبقى فيه من دينك القويم إلا الخرافات وتنهصر أخبارك في بعض أحجارك ويستوطن فيك البرابرة والهنود ويسعد الإله الى السماء ويموت البشر وتصبح مصر قاعاً مضمغاً لا يقيم فيها الآلهة ولا عقلاء الناس . وأنت أيها النيل المبارك أنبتك انه سيدنس مياهك المقدسة أمواج من السم وتفيض الى شواطئك وتكثر الأموات وتقل الأحياء وان بقي من المصريين من يتكلم بلغتهم فانهم يكونون أغراباً عنها بأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم التي تسرى اليهم من الأجانب . أنت تبكي اليوم يا هرمس . سيكون في مصر أشياء عجزت كثيرة . واحسرتاه ستقع مصر في الضلال والكفر تلك الأرض التي كانت وطن الأتقياء وحيية الإله ستفسد فيها أخلاق القديسين بعدما كانت مدرسة التقوى والعبادات وستصير سرحاً للشرور والموبقات . سيكره العاقل الدنيا وما فيها ويؤثر الموت على الحياة لما يراه من قلب الحقائق وتفضيل الظلام على النور حتى يعتبر الفاسق قتيلاً والأحق عاقلاً والجبان شجاعاً والاضلال رشداً وتكون حياة الرجل التي عرضة لجميع الأخطار انتهى (منذ ٤٠٠٠ سنة)

وجد في متحف (لندن) تحت رقم (٣٤٤) ورقة بردية طولها ٣٧٨ سنتي في عرض ١٨ سنتي اشتهرت بورقة (انسطاسي) لأنه هو الذي كشفها في مدينة منفيس بقرب (سقارة) ثم باعها الى متحف لندن سنة ١٨٢٨ وهي مكتوبة من وجهتيها بالخط الهيراطيقي في مدة الأسرة الثانية عشرة . وقيل انها كتبت في الأسرة التاسعة عشرة وترجمت الى الألمانية والانجليزية واللاتينية ثم الى العربية . وفي هذه الورقة نفخ (ابور) النبي المصري القديم وهذا نصها (سيأتي على مصر زمان ينضب فيه ماء النيل وتبطل زراعة الأرض . وأطال في وصف الخراب . ثم قال ويتغلب الصعاليك على الأكابر وأكثر من الكلام في الثورة الداخلية . ثم قال ويجدد البرابرة

فرصة للاستيلاء عليها واستضعافاً لأهلها وتسود العبيد وينهبون أموال أربابهم حتى تتخذ نساؤهم عقود الذهب والفضة والعقيق بينما تكون الأميرات في الطرق بالسات الى أن قال « ثم تنتهي هذه الشرور ويعد الهناء على يد رسول يرسله الله فيعيد الحياة في أرض مصر فيسود السلام وتفيض مياه النيل وتقوم الزراعة ويسترد المصريون قنورهم عن قتلوا عليهم من العبيد واليهود والنوبيين ويحلّ العمار محلّ العمار » اه
ومعلوم أن مصر قاست الشدائد ودخلها الأجانب وقد احتلها الرعاة بقوا فيها (٥٠٠) سنة والفارسيون وأهل النوبة واليونان والرومان والله مقلب الليل والنهار

ومن العجيب أن أنبياء بني اسرائيل تنبؤوا في التوراة بمثل ما تنبأ به نبي المصريين . انتهى الفصل الثاني
وكله ملخص من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين

(الفصل الثالث فيأجل بالأندلس من احتجاب الخلفاء وقبب القتيات بالفتيان

وشيوخ الترف والانغماس في اللذات وتفرق العصابة)

لقد كثرت الترف والتعظيم وأخذ الخلفاء الأمويون في أواخر أيامهم في الملاذ والشهوات والاحتجاب في القصور وقد كان المنشدون والسفراء يكلمونهم من وراء حجاب ويقف الخاجب من دون الستر فيكروم ما يقولونه وما يحكي أن ابن مقان الأشبوقي ألقى قصيدة على مسع من الخليفة المحتجب اندريس بن يحيى الجوى قال في آخرها

أنظرونا فتنس من نوركم • إنه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الست وقابل وجهه وبوجهه وأجازه جائزة حسنة ، وبينما الخلفاء يحتجبون عن الناس كالنساء اذا النساء يتشبهن بالرجال • قال الوزير بن شهيد

ظنية دون الظباء قصمت • فأنث غيداء في شكل صبي

فتح الورد على صفحتها • وجاء صدفها بالعقرب

وقد شاعت مجالس الشتر والسباع والرقص على نفقات الأوتار . ولقد مار المرابطون الذين أسسوا ملكهم على التقوى والصلاح في أوّلها أهل خلاعة في آخرها فكثرت القصور في الأندلس وأكثروا من مجالس الطرب والله فضعت عصبيتهم ودينهم وأخلاقهم فقتل عليهم الموحدون واقتروا منهم البلاد التي بقيت في أيديهم ٩٢ سنة من سنة ٤٨١ الى سنة ٥٤١

جاء في سورة الاسراء عند قوله تعالى - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففستوا فيها حق - عليها القول فدمرناها تدميرا - من كتاب (الرحلة الأندلسية) للاستاذ البتوني بيان ما لحق بالمسلمين في الأندلس بسبب الاكثر من الاستعانة بالبربر الذين نصروا عبد الرحمن الداخل كما استعان العباسيون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين واستكثروا من الممالك - فهؤلاء الأمويون بالأندلس قلدوا العباسيين في الاستكثار من الممالك الصغالة وغيرهم حتى صارت لهم الكلمة النافذة في البلاد ثم مارحكمها في أيديهم كما صارت البلاد الشرقية التي حكمها العباسيون في حوزة الترك والفرس في أزمان مختلفة . إذن هذه قاعدة مطردة (ان الترف والتعظيم واتكال الأمم على السخاء يضيع الجهد وينهب الملك - وفيه الأمر من قبل ومن بعد -

فاقرأ ما في سورة الاسراء ثم اسمع ما جاء في نفس تلك الرحلة تحت عنوان

(للعبرة والتاريخ)

العلة الأولى لضعف العرب في أسانيها هي تفرق الجماعة وانقسام الدولة الأموية بعد أن طويت حقيقة بني عامر الى عشرين دولة صغيرة استقل بها ولاتها وهي اشبيلية . جيان . سر قطة . اثتر (ما كان منها في شمال طليطلة) طليطلة . غرناطة . قرمونه . الجزيرة الخضراء . مرسيه . بلسيه . دانيه . طرطوشه .

لارده . باجه . المويه . مالمه . بيلوس . لشبونه . جزائر البليار . قرطبة . فكان هذا الاقسام داعيا الى كثرة الاختلاف وقتال الدول بعضها مع بعض وطمع كل منهم في الآخر واشتعال نار حرب كل منهم مع جيرانه وقهر القوى للضعيف ، وقال ابن حزم « فضيحة لم يأت الدهر بثلها ، أربعة رجال كل منهم يسمى بامير المؤمنين واحد بأبيليه والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقه والرابع بسبته وأصبح العرب والبربر في خلاف مستديم والجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى وفي حروب مع الأمم الإسبانية والبرتغالية ، الى ان قال « وكثيرا ما يستظهر الابن على أبيه والأخ على أخيه بملوك النصرانية وقد استنصر للمؤمن بن الناصر من بني عبد المؤمن بملك قشتاله على أخيه يحيى وكثرت استنصار بني الأحمر بملوك النصرانية بعضهم على بعض في آخر دولتهم حتى سقطوا . وأن طليطلة ما أضعاعها صاحبها القادر بالله بن المؤمن بن يحيى بن ذي النون إلا لشهوته في الاستيلاء على بلنسية واستنصاره بملك قشتاله (الفونس السادس) لمساعدته في ذلك ، وكان الفونس لا يبرح بورطه في حربه لبني عامر حتى أضعفه واستولى هو على بلاده سنة ١٠٨٥ بعد أن بقيت مستقلة في أيدي بني ذي النون »
٧٣ سنة انتهى ملخصا

إذن ملوك النصرانية كانوا نشطين في اشتعال نار الحرب بين ملوك الطوائف وهؤلاء الملوك جاهدون ليس عندهم من علم السياسة والتاريخ ما به يعرفون مواطن خراب الأمم وضياع مجدها ، وفي اعتقادي أن المسلمين بعدنا سيكونون أرق من آباءهم الذين لم يعرفوا من التاريخ مكان العبرة ولان العلم مقام الاصلاح بل ترك العلماء الأمم الاسلامية جبلها على غارها وأمعنوا في الشعر والفول ونسوا حقا مما ذكروا به
أيها المسلمون ليقرأ التاريخ للعبرة والله كرى . وجاء في الرحلة الأندلسية أيضا ملخصه أن ملوك العرب وأمرأهم كانوا يخرجون في أول أمرهم الى معصنة الحروب بأنفسهم فيثيرون الحية في قلوب الجيوش فكانوا يفلتون فلما استناموا للترف والتعيم استعانوا بالصقالبة والمسيحيين والعبيد بل كانوا يؤجرون مرتزقة من الاسبان عن لايمهم النصر ولا يخافون من الهزيمة ، وأول من فعل ذلك للنصورين أبى عامر في زحفه على شانت ياقو وكان بنو هود (بسرقة) يستأجرون البطل سيد ورياله في حروبهم ضد اخوانهم المسلمين . ومن العجب أن المنصور كان يستخدم المرتزقة من الأسبان في حرب الأسبان أنفسهم ، فأما المنصور بن أبى عامر فانه استعان بهم على حرب اخوانه المسلمين ، وأما البطل سيد المذكور فانه هو (رودريك) الذي يسمى عند العرب (السيد قبطور) وكان مشهورا بفروسيته وهو الذي ساعد الأمير شانجه ابن الملك فرديناند الأول على أخيه الفونس ، فلما تولى الفونس عرش البلاد نكب به وصادته في أمواله فهاجم الى صحرة قريية من سرقوسة وبني بها مسكنا اجتمع عليه (٣٠٠) من المهجين به فهؤلاء كان بنو هود ملوك سرقوسة يستأجرونهم في حروبهم ، والسيد هذا حصر وهو رئيس جيوش يوسف بن أحمد بن هود بلنسية وهو مع انه دخلها صلحا أحرق قاضيا (ابن الجلف) لأنه لم يده على خزائن المقتدر بن هود صاحب بلنسية ثم أشعل النيران في المدينة حتى ألقها • وقال في ذلك ابن خضاعة

عاشت بساحتك الظبا يا دار • ومحا محاسنك البلا والنار
فلذا تردد في جنابك ناظر • طال اعتبار فيك واستبار
أرض تذاقت المخطوب بأهلها • وتخفضت بحراها الأقدار
كبت بد الحداث في عرصاتها • لا أنت أنت ولا البير ديلر

ولأكتف بهذا من فضائح الأمة العربية في الأندلس ، فنيا لحصته مقنع لقوى الأبواب بعدنا فيعلمون ويصلون واما الله واما اليه راجعون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فيا نوقحه العقلاء من زوال ملكهم ﴾

اللهم اني أحبك جدا كثيرا . اللهم إنك أنت المعلم . اللهم إنك أنت الرب الرحيم العالم المم المتفصل

اللهم اني أشكرك كثيرا على انك ألهمتني وعلمتني وأيدتني وقويتني وسهلت لي هذا التأليف وما كان ليخطر لي أن أجمع ما بين تهمرة الأمم العربية والأمم المصرية وأوازن بينهما في انحطاط شأنهما . وأن الأولين والآخرين تشابهت قلوبهم لما انحطت أخلاقهم وانغمسوا في الذات . فالأمتان تفرقتا والأمتان سقطتا من شاطئ ذلك الحد على هذه النعمة

أيتها الأمم الاسلامية . أنا لست الآن مؤرخا . كلا . بل أنا مذكركم . أذكركم بكتاب الله تعالى . لم أكتب هذه الأخبار إلا لتفسير الآية . إن الله يقول لنا نحن - وما أهلكنا من قرية إلا لما منحرون • ذكرى وما كنا ظالمين - وكيف فهم هذه الذكرى إلا بدراسة التاريخ دراسة تشبه ما نكتبه الآن . وإياكم أن تقفوا على ما أقوله بل انظروا كما يأمركم الله . سيقرا هذا القول ذوو عقول من أبناء الأمم الاسلامية فيقفون على سبب خراب الأدلس وطرد المسلمين من تلك البلاد ويخفون على تفرق الكلمة عند المصريين القدامى في دينهم وأخلاقهم فإذا يجلمون في صلورهم ؟ يجلمون انهم كانوا قبل أن يعرفوا هذا جزعين آسفين عليهم ولكن بعد هذا البيان يعلمون أن الله عدل ولا فضل إلا ما فيه المصلحة - فأما الزيد فيذهب بجاء وأما ما ينفع الناس فيحك في الأرض - فهو لا ذهب فائدتهم وأصبحوا عالة على الأمم فأخرجهم الله من بلاده لأن الملك فزعزعل وهو لا يحب إلا المصلحين - فذلك يومهم خالية بما علما - ويرون أيضا أن الأمم المصرية أصبحت بعد تفرق دينها وضياعه تستحق احتلال بلادها وقتل في عقرباها ، هذا معنى قوله تعالى - ذكرى وما كنا ظالمين - وهذا هو الذي يشق الصدر ولقد شقي صدرى ما قلت لك الآن وعرفت أن الأمم لا تموت إلا بعد المرض ثم يشتد ثم يكون الزرع ثم الموت فلكه عدل ، هو عدل حقا ، منظم بحسن النظام ، عدلت بإلله في نظام النبات والحيوان وأدنى الحشرات فرباها وفرحنا به وبجنا منه وهذا قد علمي به هذا التفسير فالحمد لله ولكن النظام والعدل في الأمم يحتاج إلى علم أوسع حتى يدرك الإنسان العدل وانحما ، وفيما نصته لك ممتع ، وفيه اعتبار ليحترس أبناء المسلمين من الوقوع فيها وقع فيه آبائهم ، وهل يفيدهم إلا الدراسة العلوم ومعرفة الحكمة والتاريخ ، وأنا واثق وقلبي مطمئن أن الله سيبحث في الأمم الاسلامية مما تناولها هم ويقوم هذه الشعوب قومة رجل واحد ذلك لأنهم يكونون على مشرب واحد لاسيا قراء هذا التفسير فأنهم هم الذين يرون الدين أمرا واحدا لا يفرقه خلاف في عدد الكلمات أو أعضاء الوضوء أو مسائل الطلاق أو شروط البيع والجاراة أو أبواب الطهارة وأنواع النجاسة أو ما أشبه ذلك مما غنه المسلمون ليس وراءه علم ولا حكمة ، ومن يجب أن تفرق أهل الأدلس إلى (٢٠) دولة وتفرق أهل مصر في عبادة الحيوانات قد حصل نظيره عند المتأخرين من المسلمين وإن لم يكن مثله من كل وجه ، تلك الأمة التي انقسمها رجال الصوفية ورجال الدين وأخذ كل بفرض ويكتفي بما لديه من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون • وفي الحديث « تتبع سنن من قبلكم الخ »

(معجزة لنبي ﷺ)

قد ذكرت في أول سورة الأنفال الحديث الآتي وهذا نصه (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ويزينها فقال رجل أو يأتي الخير بالشر ؟ فكت رسول الله ﷺ ورأينا أنه يزل عليه فأفاق يسبح عنه الرحمن وقال أين هذا السائل وكأنه حسده فقال انه لا يأتي الخير بالشر وإن مما يبت الربع ما يقتل حيا أو لم إلا كلمة الخضر فانها أكلت حتى امتدت خاضعتها • وتفسير ألفاظه هناك . والذين همنا الآن أن قولنا خوف رسول الله ﷺ علينا قد حصل فلا وهذه نبوة وإخبار بالغيب ومعجزة كبرى بل هي من أجل المعجزات في زماننا . إن الله أحل الفنائم ولقد تقم في سورة الأنفال انه ﷺ بكى عند اقتسام غنائم بدر هو وأبو بكر وسيدنا عمر لأن النبي ﷺ كان يتوقع العذاب بسبب أخذ الفنائم وقد ظهر أثر ذلك فعلا فبنا نحن فان

المسلمين ظنوا أن الغنائم بعد الصرا الأول جعلت لتحتهم بالشهوات ولم يجحدوا من الحكماء والعلماء من يرشدونهم إلى خطر الأمر كما سمعت فيما تقدم من الخطيب الفرنسي الذي ذكر الفرنسيين بخطر تبرج النساء (وإن كانوا هم أيضا وأكثر أهل أوروبا صائرين إلى ماسارايه من قبلهم من الأمم القاسية)

أقول أقليست هذه مجزة وأنى مجزة ، التي ﷺ أخبرنا بهذا الحديث الوارد في الصحيح بما وقفنا فيه الآن وهذا هو قوله تعالى - ذكرى وما كنا ظالمين - فها هو رسول الله ﷺ أئذنا بأن المال مال الله وليس معنى حل الغنائم لنا أن تلهى بها - كلا - والله بل كان ذلك لاصلاح أهل الأرض ، انظروا عجب من هذا الدين ومن النبي ﷺ . أحل الله الأسر وأحل الاسترقاق وأحل أخذ الأموال ولكنه زهد المسلمين فيه وأمرهم أن يتفخوا به الأمم وأكثر من الأمر بالعتق والصدقة والصيام والقيام إذ يقول - وما أدراك ما العتبة • فك رقة • وأطعم في يوم ذى مسغبة • بقيا ذامقربة • أو مسكنا دامتربة - الخ إذن هذا الدين لم يجد من يعرف مقصده إلا قليلا . إن هذا الدين جاء مقدمة لاصلاح عظيم أن لا يذل أحد أحدا وأن يكون النوع الانساني كلهم متعاونين متعدين شريفيهم وفقرهم فقد جرب المسلمون الاستئثار بالمال وبالنساء فكان جزاؤهم الذل لأنهم لم يفهموا ما يرى اليه نبينا الصادق ﷺ هذا هو الذي أردت أن أجعله مقدمة لدرك موقوفه العقلاء من زوال ملك الأندلس

﴿ بيان موقوفه العقلاء والمسلمون ﴾

فأولهم رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم فانه أشار إلى ذل المسلمين في الشرق وفي الأندلس وأبان أن الاستعواذ على الغنائم يكون ضررا بالأمم وبميتها إذا لم يوضع في موضعه كالمداية التي تأكل الحشائش الضارة قضرها أو تميتها وهذا هو الذي تم فعلا ، ثم إن ابن خلدون ذكر في مقدمته أن أهل الأندلس كانوا يقتلون أهل اسبانيا في ملايسهم وأخلاقهم وعوائدهم ويكتبون على حوائثهم بلغة الفرنجة ، وختم العبارة بما معناه أنهم لاحتالة صائرون إلى أن يكونوا تحت إمرتهم لأن الأمة إذا تركت أخلاقها وعوائدها اندمجت في الأم التي تقلدها ، وقد تم هذا التنبؤ فقرأه في المقدمة وقال شاعر من شعرائهم

حشا وحالك يا أهل أندلس • فما القام بها إلا من القلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى • سلك الجزيرة مشورا من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه • كيف الحياة مع الحيات في سفظ

ولقد تحققت نبوءة هؤلاء لما استولى ملوك الأسبان على غرناطة وأوقعوا بالمسلمين وطاردوهم من ديارهم ولقد تقدم في مواضع من هذا التفسير انهم لما أزالوا ملكهم منعوهم من الاغتسال من الجنابة ومن الرقص المغربي وأوجبوا عليهم أن تكون نسائهم مكشوفات الوجوه ، وأقول الآن انهم حرموا عليهم أن يستأجروا نصرانيا أو يظهر عليهم أية علامتين علامات الاسلام سرا أو جهرا - والله هو الولي الجيد - وهو حسبانوهم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الكلام في تفسير قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا الهأ مننرون • ذكرى وما كنا ظالمين -

ثم إن هذا القرآن لم يكن محفري (وما نزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أن هذا القرآن مثل ما تلقى الشياطين على الكهنة فليس من عند الله (وما ينبي لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به وكيف يصح لهم ذلك وقد جاء في الأمثال العامة ﴿ وكل إماء بالقي فيه ينضح ﴾ . إن هذه الأرواح التي سكنت أجسام الناس في الأرض وهم بنو آدم لا يصدون أحد اثنين إما شريرا وإما بارا والأرواح التي في غير عالم المادة كذلك لا تلحقهم إلا شريرة وإما صالحة وكأن السمك لا يعيش في البر والأنعام لا تعيش في البحر والانسان لا يسامر الحيوان والحيوان لا يفرح إلا بأبناء جنسه ولا يفرح إلا معها هكذا الأرواح الشريرة التي هي خارج عالم المادة

لأحداث الأرواح الفاضلة من بني آدم كالاتكلم النواب الانسان ، والأرواح الشريفة المجرّدة عن المادّة لا تأنس من بني آدم إلا بمن كان من أمثالها وأشكالها من الأرواح الشريفة ولا يتسنى لها أن تحدث الشريرة من بني آدم كما لا يتسنى للانسان في الأرض أن يكلم الحيوان ويأنس بمحادثته . وأنت أيها الذكي إذا قرأت ما كتبتناه في (كتاب الأرواح) وهتداه عن علماء هذا القرن رأيت أن هؤلاء العلماء قد عشو ودققوا وقد هتلقوا هذا التفسير سابقا بعض ذلك ، فإذا استحضرتن بروحا لاتبليه لإلروح شريفة ، وإذا استحضرتن الصالح روحا لاتبليه لإلروح صالحة . ولقد وجدوا أن الأرواح الشريرة لا تلاثم طبعها طبايع الصالحين من الناس ولا الأرواح الصالحة العالية هناك أرواح الفاسقين هنا ، وثبت هناك أن اللدرفي التخلط على المشاكة والتقارب فالصالحون والطالحون كل منهم لا يأتلف إلا أشكاه وأمثله وأن الله عز وجل وضع نظام العالم كله لتفاوت فيه ولا اضطراب ، فالتقانون العام واحد وهو أنه لا ينع الله أحدا عن شئ ولكن المانع إنما هو تفاوت الدرجات وتباعده المراتب كما أن الملك في الأرض لا يخطبون إلا المقربين اليهم ولا يبتذلون الى الشعب ، هكذا لا يخلط الملائكة من أهل الأرض إلا من كان مناسبا في طبعه لهم وسواء أكل ذلك باستحضار الأرواح الصالحى كما تفعله أهل أوروبا أو بتصفية النفس ، فترى السحرة الذين تركوا الامور المادّية وترضوا وهجرنا الطعام والشراب أياما وأياما قد تجرّدت نفوسهم من هذه المادّة واتجهت الى عالم الأرواح انجباها ملائما لها ومناسبا لمزاجها فربما أخبرت ببعض الامور الأرضية التي لا أهمية لها في رقى النوع الانسانى كقفز زيد وغنى عمرو وعلاقتهما مع بعضهما وما أشبه ذلك مما يدعيه بعض صغار النفوس عن يتمون للصوفية زورا وبهتانا وبعض المتريين لهذه الغاية وهم يدعون بأدعية اسلامية أو غير اسلامية وأسما عرية أو سريانية أو غيرها ، كل ذلك من هذا القليل . وربما توجهت الى أمر من أمور العالم كضرب عدو فافق أن أصيب به ، وترى الأنبياء الذين خلقوا مطبوعين على الكمال قد قربت نفوسهم من نفوس الملائكة فهناك أمكن التخلط ونزلت الشرائع على الأنبياء لمنفعة النوع الانسانى ، وهكذا الأولياء والصالحون والحكماء من جيع الأمم يلهمون الخير والعلم تلهمهم للملائكة ذلك لئلا ينسب بينهما ، فإذا سمع الأنبياء قولا أو أروا الملائكة وهم يخطبونهم أو ألهموا في قلوبهم العلم ، وإذا ألهم العلماء والأولياء معارف وعلموا فيها ذلك إلا للقارة والمجانسة القريبة والبعيدة ، وإذا رأينا أناسا نبغوا في الشر والفتنة وهم قادة للشر وآخرين أقل منهم فيه فذلك لأن أرواحا شريرة تتولى الوسوسة لهم وتعليمهم علوم الشر ، والأصل في ذلك كله المناسبة والمقارنة والمجانسة

هذا هو ما جادت به الأرواح وعلمته الناس وذلك لاشك مجزة للقرآن فان ما تقدم عن علماء الأرواح هو معنى قوله تعالى - وما تزلت به الشياطين - وما يتسنى لهم - أفلا تعجب أيها الذكي كيف يقول تعالى - وما يتسنى لهم - جل الله وجل هذا القرآن . أفلا يعجب المسلمون في مشارق الارض ومغاربها أن تكون هذه الآيات هي ملخص علوم الأرواح المنتشرة في أمريكا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسانتوول أوروبا ، أفلا يعجب المسلمون كيف كان إعجاز القرآن ، أفلا يعجب المسلمون كيف يقول الله - وما يتسنى لهم - (وما يستطيعون) إنهم عن السمع لمعزولون) أى وما يقدرون أنهم عن سمع كلام الملائكة لممنوعون ، لماذا ؟ لعدم المشاركة في الصفات ، لعدم التقارب في حب الخير ، وعليه اذا أحب الانسان لخير للناس وأحب العلوم ألهمت الملائكة الخير ، نعم لا يوحى اليه لأنه ليس نبيا ولكنه يلهم الخير . اللهم إني أبرأ اليك من الكتمان . اللهم انك قد أظهرت مجزة هذا القرآن . انك قد أبنت للمسلمين صدق دينهم ولقد وهتقى لتأليف (كتاب الأرواح) والكتاب جميعه مجزة للقرآن ولبنى ﷺ وهو كتفسير لهذه الآية وأمثالها

لقد قلت من (كتاب الأرواح) المذكور جلا في مواضع من هذا التفسير ولا ذكر لك منه سلا لتطلع على عجائب القرآن في العلم الحديث وتعجب كيف ظهر سر قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -

جاء في صفحة (١٣٣) من «كتاب الأرواح» المذكور قولا عن علماء الأرواح مانسه ﴿سأل هؤلاء العلماء الأرواح ، لماذا ترى بعض الوسطاء الصالحين ذوى الخصال الحميدة لا يتمكنون من مناجاة الأرواح الصالحة ؟ الجواب﴾ قد يمكن أن يكون ذلك قصاصا لهم لذنوب ارتكبوها ، وربما يكون ظاهر الفضيلة قد دفن تحت صفات باطنية كالكبر والعجب ، إن الأرض ليس فيها كمال فالكمال انما يرجع للوطن وليس يطرد الأرواح الشريرة إلا القرب من طبيعة الأرواح الشريفة الصالحة ﴿وجاء في صفحة (١٠٩) الأسئلة الآتية (س) هل من وسيلة لطرد الأرواح الشريرة

(ج) نعم وإن أحسن طريقة لطردهم هو اجتذاب الصالحة وذلك بعمل الخير واجتناب الشر واصلاح قائلكم فبذلك تهرب الأرواح الشريرة عنكم

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لازعاجات الأرواح الشريرة

(ج) ان كانوا صالحين حقا فهوهم بحسب تجربة وترويض وحث على الصلاح ولكن لاتنقوا بظواهر الفضيلة فالفضيلة شئ وذكرها شئ آخر

وجاء في صفحة (١٢١) مانسه

(س) أى وسيط يدعى كلاما

(ج) كلاما ، بالأسف إذ ليس من كمال على وجه أرضكم ولولا ذلك ماسجتم فيها ، قل وسيطا صالحا ان قدر وجوده ، على أن الوسيط الكامل لا يحسر الأرواح الناقصة أن تدنو منه لخداعه ، وأما الصالح فان الأرواح الصالحة تألفه وقلم يكون عرضة لخداع الشريرة

(س) ماهى أخص الشروط الواجبة لفوزنا بتعاليم الأرواح العالوية منزهة عن الضلال

(ج) صنيع الخير واستئصال الكبرياء والتعبد عن حب القات خاصة

ثم جاء في جواب سؤال آخر ﴿ان التورضي على كل من طلبه فن أراد أن يستبر فليستحاش الظلمة والظلمة هي نجاسة القلب ، إن الارواح العالوية لاتألف قلوبا شوقها الكبرياء والطمع وقلة المحبة فن طلب النور فليضع وبالتواضع يجتنب الارواح العالوية اليه﴾

وجاء في صفحة (١٢٤) مانسه ﴿إن الروح مع علمه قد يكون تحت سلطة الرذيلة والأوهام ، إن في عالم الارض من هم في متهى الكبرياء والحسد والتعصب فهم لا يتجردون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة والذاتل تحيط بالروح بعد الموت ملتصقة بها كالهلوه وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح الشريرة﴾

أقول أيها الذكي اقرأ ذلك الكتاب فكفى ما نقلت منه الآن ملخصا ، وأعجب كيف يكون ما ذكرته وما لم أذكره الآن فسيرا لآية وكيف يتضح الأمر انصاحا وفهم معنى قوله تعالى - إنهم عن السمع اعزلون - لأن قوسهم ليست خالصة من الرذائل (فلاتدع مع الله إلها آخر) فان التوحيد والاخلاص لله والقرب له فضل اكبر مما يدعو الى قرب الروح الانساني من الملائكة ، إن تشرك بالله ولا تخضع له تسقط مرتبتك (فتكون من المذنبين) والخطاب للنبى ﷺ والتقصير لانه معصوم (وأمر عشتريك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب • روى انه ﷺ لما نزلت معه الصفا وناداهم غفدا غفدا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتم أن يسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقين قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم • يقال خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط (فان عصوك) ولم يتبعوك (قل لى يرى عما تعملون) أى تعملونه (وتوكل على العزيز) الذى يقدر على قهر أعدائك (الرحيم) الذى ينصرك وينصر كل مخلص فى عمله النافع العام (الذى يراك حين تقوم) الى التهجيد والى كل صلاة والى كل دعاء وأيضا كنت (وتحلبك فى الساجدين) أى ترددك فى تصفح أحوال المتهجدين فانه ﷺ لما نسخ

فرض قيلم الليل طاف تلك الليلة يوت أصحابه لينظروا يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدوها كيبوت الزناير لما سمع بها من دندنتهم يذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أتمهم ، أمر الله النبي ﷺ بالتوكل عليه قائلا أنه ينصره ويخذل أعداءه وأبأن لم استحق ذلك فذكر وصفه بأنه يوم الساجدين ويتصفح حاتم فهو امام للمصلين ومن كان كذلك تولى الله أمره (إنه هو السميع) لدعائك (العليم) ببنتك وعملك

(لطيفة)

جاء في البخارى ومسلم انه ﷺ لما نزلت هذه الآية سعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى بلطون من قریش حتى اجتمعوا فقال انى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم ، ألهذا جئت فزلت - تبأ هذا أبى لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب -
وعما جاء في الصحاح أيضا انه ﷺ قال يا معشر قریش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شياً ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شياً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شياً ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنكم من الله شياً ، ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالى لا أغنى عنكم من الله شياً . انتهى ملخصا

واعلم أن النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية ضاق ذرعا وعرف انه متى بدأهم بهذا الأمر رأى ما يكره فصمت حتى جاءه جبريل فقال يا محمد إنا فعل ما تؤمر به فذلك فاصنع لهم طعاما ففقد ذلك أمر عليا أن يصنع الطعام ويأكل عسا لبنا وجع القوم وأنفروهم وحلهم الخ
انظر ، ألت ترى أن انذاره عشيرته الأقرين وتحذيرهم مع علمه أنهم يؤذونه ويغفلون معه كل مكروه عما يقرب الملائكة اليه ويحمله مستحقا لوعسى . أليس ذكر هذا الكلام بصدقوله - وما نزلت به الشياطين • وما ينبغي لهم وما يستليعون • إنهم من السمع لعزولون - ليكون كالبرهان على أن هذا القول وحى لأن الوحي يكون بالخبر وتعليم الأقرين وغير الأقرين خبر والشياطين مبعدون عن الخير لا يأقونه بل لا يستطيعونه ولو كان من الشياطين لكان الأمر خلاف ذلك فلا يندرس عشيرته الأقرين بل يفتح لهم باب الشهوات والمخاضات والعداوات . أما الانذار والتعليم فليس من الطبيعة الشيطانية بل من الطبيعة الملكية فقوله - وأنذر عشيرتک الأقرين - كالبرهان على أن هذا ليس مما نزلت به الشياطين بل هو مما يجانس طبائع الملائكة فكأنه قيل إذن كيف يكون نزل الشياطين ، هاتين أولاد عرفنا ما يكون من وحى الملائكة فكيف يكون ضده فقال لست بمن نزل الشياطين عليهم لعلم المشاكة والمجانسة (هل أنبئكم على من نزل الشياطين • نزل على كل أفاك أثيم) أى كذاب فاجر وهم الكهنة وأمثالهم للجانسة بين طبائعهم كما اتضح فيما قلناه لك قريبا ومحمد ﷺ ليس كذلك فلا يصلح لنزل الشياطين عليه ، وكيف يصلح لذلك وهم ينزلون على الكذابين الفاجرين وهوليس كذلك بل هو منزه ممل للخير صادق ، وأما أولئك الأفاكون الآثمون من الكهنة وأمثالهم فانهم (يلقون السمع) أى أسماهم الى الشياطين ويصغون اليهم ويتوجهون بقا بهم اليهم فيتلقون منهم ضنونا لنقص علمهم كما جاء في (كتاب الأرواح) المذكور فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا طائفي أكثرها • وقد ورد في الحديث « الكلمة يحفظها الجنى فيقرها في آذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة » ولا كذلك محمد ﷺ فالحقيبات التي أخبر بها طابقت كلها (وأكثرهم كاذبون) والأكثر به باعتبار أقوالهم لأنهم يسمعون شياً ويزيدون عليه ، ويصح أن ترجع الضائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملأ الأعلى فيعرفون بعض الحقيبات فيوحدون بها الى أوليائهم مشوبة بالكاذب لنقص عقولهم وقصور أفهامهم وعدم ضبطهم وكلام الحنين صحيح فالكهنة ومحضرو الأرواح في أوروبا الآن يسمعون من الأرواح الصغيرة أكاذيب كثيرة فيها

بعض الصديق لنقص تلك الأرواح لأنها لاتعرف إلا بطريق الحس والتخمين ، وهذا المعنى يؤيد رجوع الضمير للشياطين وهكذا الكهنة وأهل الرياضة قد اتصل بهم أرواح على شاكلتهم فيخبرون بأشياء ويزيدون عليها من تلقاء أنفسهم استنساخا وهذا يوافق رجوع الضمير لقوله - كل أفك أنيم - والحاصل أن الأرواح سواء أكانت في حال البرزخ أم في الدنيا متى كانت ناقصة وأرادت معرفة المغيبات فالت حظا منه فإنه يكون مخلوطا بآرائها ، فأما الأرواح العالية سواء أكانت في الدنيا كالأنبياء أم في العالم الأعلى فإنها لاتهتم بالإعجاب بنفس الناحية وهؤلاء لا يتطرق إليهم الكذب لأن الله معهم ويؤيدهم

(لطيفة)

إذا عرفت هذا فاجب كيف يظهر صدق القرآن وكيف يأتي العلم بالحديث بشرح هذه الآية شرحا وافيا وإلى لأقول لك أكثر من أن أهل اليك ماجاء في (كتاب الأرواح) المذكور وهو ينطق على ملاباة في هذه الآية وأن الأرواح الناقصة تقش الناس وتخذهم وتغيرهم بالمغيبات ، فأما الأرواح العالية فإنها لاتهتم بالأمور الجزئية ولا تخبر الناس بالأمور الدنيوية وتحب أن ينصرف الناس عن ذلك إلى العالم والمعارف وأن لا يتعلموا المستقبل أموره لأن ذلك يشغلهم ، وإليك ماجاء في الكتاب المذكور.

(الحديث الرابع عشر)

يتوهم البعض أن الروحانية واسعة سهلة وباب رجب لكشف الكنوز واستنباء المستقبل وفتح القال وحل المسائل العلمية إلى غير هذه من دواعي الطمع وحب الأرزيات ، فدفعنا هذه الأوهام رأينا أن نذكر في هذا الفصل خلاصة تعليم الأرواح في هذا الموضوع قلا عن (كتاب الوسطاء) لعلم الفيلسوف الآن كل ذلك

- (س) هل نجيب الأرواح عن كل سؤال يطرح عليها
- (ج) كلا فإن الأرواح الرصينة لانهب إلا عن أسئلة غايتها خيركم الروحي وترقيكم الأدبي
- (س) هل الأسئلة الجدية هي الوسيلة لإعادة الأرواح الطائفة
- (ج) ليست الأسئلة التي تبعد الأرواح الطائفة بل صفات من يلقي الأسئلة
- (س) أية أسئلة تكرر بها الأرواح الصالحة
- (ج) هي التي لافائدة منها أو يشتم منها رائحة الفضول أو الطمع
- (س) هل من أسئلة تكرر بها الأرواح الناقصة
- (ج) لا تكرر إلا الأسئلة التي تزج القاب عن جعلها وخذلها
- (س) ما قولك فيمن يتخفون للظاهرة الروحانية بابا للهو والهلول ولا استنباء أمورهم صوالهم الزمنية
- (ج) هؤلاء تسم بهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبهم وخذلهم
- (س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل
- (ج) كلا إذ لو عرف الإنسان المستقبل لأهمل الحاضر
- (س) أليس مع هذا من حوادث تفننا الأرواح عنها وتم في حينها ؟
- (ج) قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح الماكرة من نشر النبوءات الكاذبة
- (س) ما هي أخص دلائل النبوءات الكاذبة
- (ج) هي التي لاتأتي بفائدة عامة أو يكون مرجعها النفع الخاص
- (س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لاتعين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عدمها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمرانما زمن وقوعه يكون في الغالب متعلقا بمحدث لم تتم بعد ولا يعلما إلا الله ، أما الأرواح الثلاثة فلا يبرها أمر الحقيقة وتحدث الأيام والساعات من دون التفت إلى صحة النبوة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إثارة بصيرتكم وترقيكم الروحي لا امراته وفتح القل ، فمن أحب هذه تألفه الأرواح الماكرة ويصبح العوبة بين أيديها

(س) ماقولك فيمن تنبئ الأرواح بموته في ساعة معينة

(ج) هذه أرواح مأكرة لا تصد إلا الضحك بما تسبب من الرعب لمصدقها

(س) كيف يتفق أن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحدثون زمن وقوعه

(ج) تطلع أرواحهم على ذلك عند انقطاعها من قيود الجسد ويوق فيها ذكره عند اليقظة ، فهؤلاء لا يهولهم أمر الموت ولا يرون فيه إلا انتقالا من حالة إلى حالة أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف ، إن خشية الموت سوف تناقص وتلاشى عند اختصار الحقائق الروحية

(س) هل نستطيع الأرواح أن تطلعنا على حياتنا الماضية

(ج) نستطيع ذلك إن سمح لها الرب ولا يكون سباحة إلا لغاية جيدة مفيدة لا لفضول باطل ، وعليه لا تصدقوا نبا كهذا إلا إذا صار بدورها لغاية مفيدة . كثيرا ما تحب الأرواح الماكرة أن تهزأ بالوسطاء والمؤمنين بقولها لهم انهم من أصل سام ومرتبة رفيعة فيستقبل بعضهم ذلك بمزيد الانبهاج ولا يفقهون أن حالتهم الروحية الحاضرة لا تدل على المرتبة التي تنسبهم الأرواح إليها مع أن الأخرى بهؤلاء الساكنين تجنبا للسخرية أن يلاحظوا أن الترقى خبر لهم من الانحطاط وأن التدهور في الكمال مخالف لماوسه تعالى

(س) إن كان لا يمكن للإنسان أن يعرف شخصيته في وجود سابق فهلا يمكنه على الأقل أن يطلع على مركزه والصفات والنقائص التي ظلت عليه فيه

(ج) قد يمكن كشف أمر كهذا لكونه مفيدا لاصلاحكم ولكن لا حاجة إليه لأنكم إذا تأملتم جيدا في أنفسكم تستدلون على الصفات والنقائص التي ظلت عليكم في الحياة الماضية

(س) هل نستطيع استطلاع شيء من مستقبل حياتنا بعد الموت

(ج) كلا وإياكم وتصديقي شيء من هذا اقبيل فله إفاك وخداع محض والليل واضح وهو أن وجودكم المقبل سيكون نتيجة سيرتكم الحاضرة فكما قل الدين خف الوفاء وزددتم في المستقبل سعادة وراحة ولكن أين وكيف يتم هذا الوجود ، هذا أمر لا تعرفونه إلا بعد عودتكم إلى الحالة الروحية وتبصركم فيها

(س) هل يسوغ استشارة الأرواح في الصوالم الزمنية

(ج) قد يمكن ذلك في بعض الظروف وعلى مقتضى نية المستشير وصفات الروح الموجهة إليه الاستشارة ومن الواجب أن تتأكدوا أن الأرواح الصالحة لا تتواطأ قط على مجازاة مطالعكم ، وأما الشريرة فتهزأ بكم بمواعيد سرابية ملوؤها إلا الخيبة والحسرة ، ثم اعلوا أنه إذا قتر عليكم محنة فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحملها وتخفف عنكم وطأتها ولكنها لا تستطيع أن تقرأها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم (س) إذا توفي شخص وكانت مصلحة معرفة الأيسوغ استشارة روحه في حل بعض المشاكل وهلا يكون هذا من باب العدل

(ج) لعلكم نسيتم أن الموت باب النجاة من هموم الحياة وأن الروح الضوق من الأسر لا يعود سلامه للتدخل في أمور ما عادت تهمة وتلذذة ورتة ربما اجتجوا بموته لما نجم لهم عنه من القائمة المالية ؟ تقولون إن هذا من باب العدل والعدل قائم بخبيصة مطالعهم وهذا بدء القصاصات التي ستوبهم من تعاقبهم للقرط

(س) أنستطيع أن نستفي الأرواح من أحوالها ومراكزها في عالم الغيب؟

(ج) نعم بشرط أن يكون هذا الاستنباء ناتجا عن المحبة وطلب الفائدة الروحية

(س) هل تستطيع الأرواح أن تصف لنا نعيمها أو شقاءها

(ج) نعم لأن فوائد عظيمة تنتج لكم من ذلك أنصحبها اطلاعكم على ماهية الثواب والعقاب ورفع الأرواح المتركة على عقول بعض السذج من هذا القليل وإحياء الإيمان فيكم وتقوية رجاكم الساوي . إن الأرواح الصالحة يلذ لها وصف نعيمها والشريرة تجدر راحة في تبيان ما تقاسيه من تباريح العذاب خصوصا اذا لاقته من سامعها عواطف الاشفاق والتأسى ، لاينبغي أن غاية الروحانية هي اصلاحكم الروسى . والغرض من كل الأسئلة والمقالات التي تأتكم هو ووقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتتجهزوا من الأرضيات وتسمعوا وراء السجاويات

(س) اذا قد أحد من الوجود ولم يعرف أمر مصيره فهل يمكن استحضار روحه للوقوف على الحقيقة

(ج) قد يمكن ذلك اذا لم يكن الارياب في موته محنة قدر إحاطها على من يهيم أمره

(س) هل يجوز استشارة الأرواح في الصحة

(ج) نعم لأن الصحة شرط ضروري لحسن القيام بالعمل الذي تجسد الانسان لأجله ، وانما لاينبغي استشارة أى روح كان من الأرواح لأن الجهلاء يكثر من بينهم

(س) أحسن استشارة مشهورى الأطباء للتوفين

(ج) ليس هؤلاء المشهورون بمصومين من الغلط وقد تنصب فيهم أحيانا بعض آراء فاسدة لايتزعمها الموت عنهم بسهولة . إن العالم الارضية ليست بشئ بالنسبة الى العالم الساوية وهذه لايملكها إلا الأرواح العالوية فاليها يجب أن تلجؤا في كل أمر

(س) هل العالم يصد موته بقر بأضاليله الطعية

(ج) إن كان قد تجرد من الكبرياء وأدرك قصصه بقر بها بلاخجل والاتباق فيه بعض الأرواح التي ركبت عليه في الحياة

(س) هل يمكن للطبيب أن يحضر الموتى الذين ماتوا على يده ويستوضح منهم بعض الدلائل ليزداد بها خبرة ومعرفة

(ج) قد يصح ذلك وبإل المساعدة من الأرواح العالوية ذاتها بشرط أن يكب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء القلب لابنية حشد للمال وكسب المعارف من دون جد ولاعناء

(س) هل يمكن استرشاد الأرواح في المباحث والاكتشافات العلمية

(ج) إن العلم هو صنع العقل ولا يكتب إلا بالعمل وبالعمل وحده يتقن المرء في طريقه ، أى فضل يبقى للانسان اذا أمكنه أن يعرف كل شئ باستنباء الأرواح ، ألايصبح الغي الجاهل بهذه الطريقة علما ؟ ثم ان لكل شئ وقتا معينيا يأتى في حينه أى عند ما تكون الافكار مؤهلة لقبوله وأما تلك الطريقة فيقلب الانسان نظام الأشياء إذ يقطف الفكرة قبل نضجها

(س) ألاينال إذن العالم والمتخترع من الأرواح المعونة في مباحثه

(ج) إن العون لايقصه عند ما يكون أو ان الاختراع قد دنا فتوافقه وقتئذ الأرواح وتلقى اليه بعض الإلهامات الفكرية فيفكر فيها هو ويشغل بها الى أن ينتج منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعا اليه ، قايكم إذن والزيغ عن محبة الروحانية والتطرف الى أمر لاينوكم منه إلا الخداع والسخرية

(س) هل يمكن أن تدلنا الأرواح على الكنوز والأخايف الخفية

(ج) قد قلت لكم ان الأرواح العالوية لا تنازل الى مواضع مظلمة . وأما الماكرة فتتل دائما سائلها على أما كن لاجود لكنزها فيذهب للسكين عنقه وأدراج الرياح

(س) ماقولك في الاعتقاد بحراسة الكنوز المدعوة رسدا

(ج) إن بعض أرواح البخله يلبثون مقيمين حول الكنوز التي طمروها في اذرى وخوفهم على اكتشافها يكون عذابا مستديما لهم الى أن يتجردوا عن المذات ويدركوا بطلانها اه
حينئذ قلت ياثير محمد تأمل في هذا الحديث . ألم تجد فيه علما جديدا في فهم القرآن . قال وماذاك .

قلت قال الله تعالى - فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خروا تحت الجحيم أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - فان الجحيم أيام سليمان عليه السلام بقوا أمدا طويلا مسخرين وكان سليمان عليه السلام متكئا على عصاه فلما أكلت دابة الأرض تلك العصا خر على الأرض فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في ذلك العذاب ولعلوا أن سليمان ميت . ولاجرم أن هذه القصة ثمرتها أن لا يثق الانس بأخبار الجحيم . هذا هو المقصد الحقيقي منها ولقد تجلى واضحا في هذا الحديث . ألا ترى أنهم لما سألوا الروح « هل تستطيع الأرواح أن تكشف أمر المستقبل » فكان الجواب « كلا . إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهل الحاضر » ولما سألت الأرواح « أليس مع هذا من حوادث ينشأ الأرواح عنها ويتم في حينها » فكان الجواب « قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح الماكرة من نشر النبوءات الكاذبة » ثم أضاف أن الأرواح الرصينة قد تستشعر بأمر يكون في الغالب متعلقا بحدوث لم تتم ولا يعلمها إلا الله فلا تقطع في جوابها . أما الأرواح الطائفة فلا يهملها أمر الحقائق فتنتشر الأخبار الكاذبة . ولاجرم أن ذلك مغزى قصة سليمان عليه السلام وشرح ما اطلعت عليه من العلم وبرهان صدق لما فيها من التوقف عن تصديق ما تلقى الجن من الأكاذيب اه

ثم انظر ياثير محمد الى قول الروح « إن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحتدون زمن وقوعه وأن هؤلاء الذين انطلقت أرواحهم من قيود الجسد لا يهولهم أمر الموت ، ألست ترى ياثير محمد أن هذا مصادق قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغماوا تتزلزل عليهم الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا وأشروا بالجنة التي كنتم توعدون » نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » ومن أحسن قولنا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين - فتعجب ياثير محمد كيف يقول - تتزلزل عليهم الملائكة - ليلهموم السرور والبهجة ويحاطبهم ، وانظر الى قوله تعالى - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الذين آمنوا وكانوا يتقون » لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تدبل لكلمات الله ذلك هو القور العظيم - فقد قال ﷺ لما سئل عن البشري قال وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له . وتعجب ياثير محمد من قول الروح في هذا « ان الطبيب اذا أكب على درسه بالاستقامة لآبنة حشد المال وكسب المعارف بدون جد ولا عناء ينال مساعدة الأرواح العالوية » أوليس هذا من مساعدة الملائكة للجنين . وقد قال ﷺ (إنما العلم بالتعلم وإنما العلم بالتحمل) فاعلم بلالجد ونفس ولاسلم بالتكلف وتصبر وجد . وقال تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقال - وكل شيء عنده بقدر - وقد علمت فيما مضى أن الأرواح لا تخص من مضوا من عالم الأرض بل هناك من هم أعظم بل هم الملائكة المكرمون . ثم انظر قوله تعالى في سورة النحل - الذين توفاهم الملائكة ظلي أنفسهم فأنفثوا عليهم ما كنا نعمل من سوء بل إن الله علم بما كنتم تعملون - ثم قال - وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - ثم هل - الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون - أليس هذا ياثير محمد يوجه الى ما يقوله الروح هنا « إن

الى اللاتكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب - فانظر كيف أمر اللاتكة أن يثبتوا الذين آمنوا وأنه سيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فترى أنت مقالة الروح هنا من إطماع الأرواح الأحياء ومساعدتهم وانثرة بصائرهم موافق للآيات ومهجزة في هذا الزمان فتأمل اهـ

حـ الكلام على الشعراء

اعلم أن الشعراء والكهنة والسحرة بينهم تشابه وتجانس ، فالشاعر ينظم القول ويفخر بأن أكذب الشعر أعذبه ، وكما أوغل في التخيلات وابرز الصور المشوقة للسامع التي تجذب قلبه وتأخذ على سمعه وبصره كان معدودا من فاضل الشعراء ، فإذا خيل السامع للناس صورا لاحقة لها وابرز الامور على خلاف ما هي عليه ، وإذا كذبت الأرواح الناقصة على نبي آدم وهي في برزخها وهكذا الأرواح التي في أجسامها اذا تلقت من تلك الأرواح شيئا وزادت عليه ، فشكلها في الإفك متجانسة فليست تصلح لهداية البشر ، لذلك قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أي السفهاء والرواة فاتهم يتبعونهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقصص في الأنساب ودمج من لا يستحق المدح ، فهو لاء السفهاء والرواة هم الذين يستحسنون ذلك منهم ويفرحون به وأنباع محمد ﷺ ليسوا كذلك وقد قرّر هذا بقوله (ألم ترأنهم في كل واد من أودية الكلام يهيمون) فهم حارثون وعن طريق الحق حائذون ، والهاثم هو الذهاب على وجهه لامقصده لأن أكثر مقدماتهم خيالات لاحقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالنساء والغزل والمجاء وتمزيق الأعراض والوعد الكاذب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحق المدح والاطراء الكاذب واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون مالا يفتخرون) والقرآن ليس كذلك فتج ما تقدم أنه ليس معناه مما تنزّلت به الشياطين ولا لفظه من كلام الشعراء ، ثم استثنى الشعراء المسلمين الصالحين الذين يذكرون الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولا يهجون أحدا إلا انتصارا بمن هبّاهم فلا يتخلفون المجاء إلا آلة لمقاتلة الأعداء لا طلبا لمال فليس المجاء منهم لأغراض ذاتية بل ذلك لاصلاح الجوع بإذلال أعدائهم ، فهو لاء لما أكاهم الله قوة الشعر صرفوها للنافع العامة ولم يجعلوها أداة لكسب المال كما يفعل شعراء الجاهلية وأكث شعراء الاسلام الذين تنكسوا بالشعر في النبوة العباسية وفي البول الأندلسية ، فهو لاء هم الغاؤون الذين يقولون مالا يفتخرون إن الشعر نور من الله كاجمال وكالحرف كالصناعات بل ان غلبة الأرواح التي حدثت الآن في العالم والاستعداد لها كل ذلك جاء امتحانا للناس فان صرفوها لشهواتهم ساءت حالهم وإن استعملوها لمنفعة العموم سعدت أعمهم . فالشعر والجمال والحكمة وسائر المواهب على هذا النحو فان بذلت للعموم كانت خيرا وإن بذلت للصاحبة الخاصة كانت شرا . ظهر الحق واستبان السبيل وتبين أن المسلمين لم يظنوا هذه الآية وسار شعراؤهم في سبيل القنواة حتى كانوا هم من أهم أسباب زهاب النبوة العربية بالشرق وبلاد الأندلس كما سأوضحه لك قريبا لتجب من هذه الأمة كيف نامت أمدا طويلا ولم يظن كثير من الناس في هذا القرآن وينبؤا تعاليم حكائهم . وسيظهر في الاسلام جيل لم يحل به الأرض وأمم تكون خير من أخرجهم الله للناس . قلت إن الله استثنى الشعراء الصالحين للمسلمين وذلك قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا واتصروا من بعد ما ظنوا) فهم يعملون الشعر كالنساء يصيب الفاء أي انهم لا يجعلونه مكسبا يتكسبون به كما فعل المتنبي وأبو تمام وأمثالهما ممن سيأتي ذكرهم . كلا . بل غاية الأمر انهم ينتصرون اذا ظنوا كما اتصّر حسان بن ثابت بهبّاهم للشركيين وهم كانوا يادّين (وسيع الذين ظنوا) بالشرك وهم جوار رسول الله ﷺ (أي منقلب ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت • قال ابن عباس • الى جهنم وبئس المصير ، اهـ

واعلم أيها النكزي أن الأمة الإسلامية أصابها داء الجاهلية بل زادت عليها وعكف أذكياؤها على الشرعات الشعر والشعراء لا لاصلاح الجمهور ولا لاقامة العدل ولا لحفظ الأمة ولا لحفظ البلاد وصيانة الإرم ومقابلة الأعداء إلا قليلا فأثاروا الشهوات البهيمية والسبية وأناموا الفضائل العالية والقوى العقلية فربحت كفة الشهوات ومالت كفة المعقولات والمزايا الشرقة والأمور الرفيعة فامحلت بذلك الأمة الإسلامية ، وقد وجدت أبناء بلادى فى هذا الزمان على هذا النحو وقد تركوا الأمة حبلا على غاربها ، ولأحد تلك عمار أيت فى ذلك (١) لقد رأيت وزيرا من وزراء بلادنا يتباهى بأنه يحب للشعر وأمر مفتشا كبيرا من مفتشى اللغة العربية أن يشرح ديوان ابن الرومى ، وقد طرأ ذلك الوزير أن ارتقاء الأمة موقوف على أمثال ذلك ، وقد صدع ذلك المفتش بأمره وشرح ذلك الكتاب وأيضا كان يحقر من شأن الديانات ولا يبالى بها

(٢) قابلت شاعرا كبيرا من شعرائنا وقد اطلع على مقالة من مقالات « نهضة الأمة وحياتها » وقد كتبته فى (جريدة اللواء) التى كان بديرها المرحوم مصطفى باشا كامل وسيأتى ذكرها وتحدث معى فى أمر المقالة فقلت له أنا لا أصوِّ بشعر شاعر الا اذا كان عما ينفع العموم . فأما ما عدها فى أحقره ولا أعدّه شيأ مذكورا وقد رأيت لك قطعة فى وصف الشمس أعجبتنى فبعد ذلك رأيت لهذا الشاعر قطعة كثيرة فى المعانى الوطنية والعلمية

(٣) إن فى بلادنا المصرية شاعرا كبيرا هو (شوقي بك) رأيت له مقدمة لكتاب شعره تنص على المقالة المذكورة وأخير انه عدل رأيه وأخذ ينظم شعرا لرقى الأمة بعد ما كان على طريقة أبى تمام والمتنبى . وهالك المقالة المذكورة فى نهضة الأمة وحياتها

﴿ الشعر والتاريخ ﴾

(المقالة السابعة والأربعون)

الشعر والتاريخ فتان بينهما علاقة ونسب يجتمعان ويفترقان ، يكادان يكونان طبيعة فى الانسان ، وكأنا الكهر بله سرت فى علته الأجسام خلقت معها ركبت فى طبائعها ومقدارها يغلب فى الأجسام الحيوانية فالجواهر المعدنية ويندرفى النباتية ونحوها ، فهكذا ترى أناسا نبغوا فى الشعر وآخرون يشبهون ويتقاربون ويتكفون وقد يصلون ، إن شئت فقل الناس شعراء ومؤرخون ، قم واجلس فى مجلس فلا تسمع إلا قول الناس فى سمرهم الأسعد فلان وشقى فلان وتارة يحاولون المجالس بالشعر والمواالى أو يذكرون تخيلا شعريا غريبا ، لم ترفع هذه عن صفى الطبقات كالم تقام عنها أرقى الطبقات ثم يرى الأهم فى مبدأ أمرها تكون فى الشعر أطفالا وفى البلاغة صفارا ، يعجبهم ما كان غريبا للفظ عويص المعنى كأنهم يخشعون لما تقصر عنه طاقاتهم ، فاذا أخذوا فى الرقى قليلا ماثلوا الشان فى العقل فأحبوا الخيال والنكت البلاغية غالبا فاذا ارتقوا مالوا الى جال المعانى واعتبروا من المقذروقة ومن الخيال مبك ونظمه وغاصوا على الحكمة وجمال المعنى . هذا ما عثر لى فى درجات الشعر ، ففى رأيت الرجل ندهته نك الكلمات وغرائبها فاعلم انه عالى . الأثرى أن العلة يقولون الكلام لا يدرون معناه اذا كان معربا وإن رأيت لا يلقب الا عند الخيال ويحب به فهو فى الطبقة الثانية فان مرق من الخيال الى مذهب من حكم ووازن بينه وبين الحقيقة المقصودة من التأثير فهو فى المرتبة العليا قلنا إن الناس أجمع يميلون للشعر ويحونه ومنهم فريق استمر فى قرضه فذبح الملوك وذمهم . فباليت شعرى لم غرس هذه الطبيعة فىنا ؟ وهل مارأينا من التهم والملح لعبة الشهوات كان مقصود تلك القطرة السامة . الله أكبر وأجل أن يضع هذه القريرة لمل هذه الصفائر . وانظر كيف كان أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفى المتوفى سنة ٣٥٤ فى جهة سواد بغداد كان عظيم القدر شريف المنزلة ساهى النفس

ومع هذا يقول الشعر ارضاء لشهوات النفوس . فكم مدح سيف النبوة وكم ذم . وكم مدح كافوراً وكم ذم
يقول في مدح الثاني وذم الأول تعريضا

تجاذب فرسان الصباح أعتة * كأن على الأعناق منها أفاعيا
يعزم يسير الجسم في السرج راكبا * به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيبه * ومن قصد البحر استقل السواقيا
بلغت بنا انسان عين زمانه * وخلت بيضا خلفها وما تحبها
نجوز عليها المحسنين الى النى * نرى عندهم إحسانه والأليدا

وهذا من قصيدة يمدح بها كافورا الاخشيدي إذ ورد عليه وأكرم مثواه في جادى الآخرة سنة ٣٤٦
هجرية ، ثم ذم بقصائدها قولها

إني نزلت بكذابين ضيفهم * عن القرى وعن الترحال عهود
جود الرجال من الأبدى وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
لا يقبض للموت قسا من قوسهم * إلا وفي يده من قنبا عود
أكلنا اغتال عبد السوء سيده * وأوانه ظه في مصر تمهيد
صار الخصى إمام الآبين بها * فالحز مستعبد والعبد معبود
العبد ليس لحز صلح بأخ * لو أنه في ثياب الخبز مولود
لا تشر العبد إلا والعسا معه * إن الصيد لأتجاس منكيد
ماكنت أحسنى أحياء الى زمن * يسى في فيه عبد وهو محمود

ولنا قليل الثقل فخل هذا الشعر مع حسنه وضع في مقام غير شريف فترحم به الأهم في أول أمرها وشبابها
فاذا وصلت للحكمة أجهل بأمهم ولا يرون لهذا قيمة وهكذا كثير من قصائد أبي تمام والبحراني وأضرابهم
يعدون ويذمون تلك الشهوات . وهذا لعمر ك ما صرح به القرآن إذ قال - والشراء يبيعهم الفانرون *
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأهم يقولون ما لا يفعلون - فانظر كيف وصفهم بالهيام في كل واد من أودية
المدح والتم كاتوى اليهم الشهوات وتعددهم بالخيالات . إذن لماذا غرس الله هذه الفطرة في نوع الانسان ؟
أجمع العلماء أن كل غريزة فينا ذات حكمة شريفة والشعر منزلة سامية في النفوس ، لعل قوس كثير من
الشراء حادت عن الطريق المستقيم ، لعل هذه الفطرة تمنح الى وصف مآراء من جبال هذه العوالم وبهايتها
تصف السحاب ، تصف التجوم والشمس والقمر ، تصف الأنهار تلك الحكيم الزاهرة الباهرة الشعر كبرياء
الأرواح الانسانية تنسج منها الى النفوس فتطوف هذه العوالم المشاهدة فتستخرج النافع المادية والمعنوية
وتقود النفوس الى النضال وتبتهج بها عن الرذائل في العوالم المشاهدة عجائب وغرائب فيها حكم وبدائع وانما
يستخرجها الشعر بقرائهم . وانه ليجهنى ما يتغنى به شعراؤنا اليوم من وصف الكون وحكمه والتشويق
للعلوم وتحبيبهم للوطن والأقاة والرقى . ذلك خير أرم أولئك الذين يذمون ويعدون كأنهم لشهوات عابدين
للمدح والتم صفتان عرضتا للشراء إذ حاد الملوك عن التصد وأنوا عن الصراط السوى فاستعطفوهم
واستجسبوهم . الله أكبر . كلما مالت الحكومات عن النباية الى الاستبدادية مال الشعر الى الأشخص ووصفهم
وكما عدلت الحكومات اعتدل الشعر وصار ملكا للأمة يجرى أنبائها ويرشدهم الى المعالي . فغيرهم
بمكروم الأخلاق . واني لأرى اتنا لاختار من الشعر إلا ما يقوى ارادة الشية ويهديهم الى طرق الرشاد . أما
شعر المدح والتم فلن يزيد إلا حسن الألفاظ وجبال الخيال وهو خال من كل فائدة . هذا هو الذي أراه في تعليم
الشعر مثاله ما قال أبو الطيب في الحكم

هون على بصر ماشق منظره • فأنما يقظت العين كالحلم
يقال شق الأمر عليه صعب والمعنى هون على عينك ما يشق عليها منظره فإن ما تراه في اليقظة شبيه بما
تراه في المنام وكأن الحياة أحلام ولم الحزن على حوادثها

ولا تشك الى خلق قسمته • شكوى الجرح الى العقبان والرخم
وكن على حذر للناس تسره • ولا يفرك منهم نفر مبسم
صبحان خالق قسى كيف لذتها • فيما النفوس تراه غاية الألم •
المرحوب من حلى نوائبه • وصبر قسى على أحداثه الحطم
ومن حكم أبي تمام الطائي حبيب بن أوس المتوفى سنة ٣٣١

خطوب اذا لقيتهن رددتى • جريحا كأتى قد لقيت كتابا
ومن لم يسلم للنواب أصيحت • خلاقه طرا عليه نوابا
ومن أجل ما ينسب لعنزة

ولاحين النفس عن شهواتها • حتى أرى ذا ذقة ووقاه
فلئن بقيت لأصنعن عجائبا • ولأبكمن فصاحة اللغاه
ولأجهدن على اللقاء لى أرى • ما أرتجيه أو يحين قضائى
ومن حكم أبي العلاء وهو يشهد لما قلنا

وما شعراؤكم إلا ذئاب • تلصص فى المدايح والسباب
أأذهب فيكم أليم شبي • كما أذهب أليم الشباب

فان كان ولابد من مدح فليكن بما عرف من فضائل المدحوش واشتهر ثم يجعل ذلك قدوة لأهل وطنه
فيرجع المدح الى ترغيب الناس فى الاقتداء به وهذا كأنه حرس أخلاق وماعده فلا أفسده ولا أرضاه • الشعر
والتاريخ لا يقصدان لذتهما انما يرادان لإغناء العواطف والحض على المكرم وماعدا ذلك فنبوذ • فالشعر
الذى قصد به الشهوات يهيمون به فى كل واد • فأما الآخر فهو ما ذكره الله بقوله - إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا - الخ أراد به الشعر الذى قصد به غرض شريف ورفع علم وهكذا التاريخ أرى
أن يصطفى من حوادثه ما يقود الشبهة الى المنافع والفترات • التاريخ يراد منه إثارة الحجة والقيمة فى الرؤس •
التاريخ وصف شجاعة الشجعان وخذلان الجبان وسياسة العادل وحسب صالح الوطن ورجال الأمة وعظمائهم
سنى يكون ذلك داهية الى رقى الأمة والعمل لها • وأعجب ما رأيت تلك القصص القرآنية فما رأيت حكاية
قصيرة أو طويلة إلا وتخلها حكم ومواعظ وأمثال وترغيب أو ترهيب كأنه يريدنا كيف نعلم التاريخ كأنه يقول
ليس التاريخ فنامعبود إلا انما التاريخ آلة لنحو القرائح وإثارة العقول للفرض الذى توجه الى الأمة • ومتى
عزى عن هذه الأغراض فأنما هو من سفاسف الامور وضائع الوقت وقراءة بعض كتب الافرنج شاهد بذلك
فما يكتبون • انتهى

(لطيفة)

لقد تبين لك مقام الشعر وعرفت حقائق علمية فيه • فلا بين لك آثار الشعر فى أمة الاسلام وكيف كان
التمنادى فى الشعر سببا فى انحطاط بعض الأمم الاسلامية قلا عن العلامة (لويس فياردو) ترجمه صديق
عبد الحميد بك فهمى

جاء فى الجزء الثانى من تاريخ عرب ومغاربة اسبانيا وهو الدور الاسلامى ببلاد الأندلس تحت عنوان الشعر
مانسه (ذكر أن العرب فى الأندلس قد بالقوا فى استعمال الشعر حتى صاروا يكتبونه فى المراسلات السياسية

وعقد الصلح بل يخجل للإنسان انهم لا يكادون ينطقون إلا بالشعر قال وكان عدد الشعراء عندهم عظيما جدا وكان جاد الراوية التي كان في ابتداء القرن السابع يحفظ مائة ألف قصيدة عن ظهر قلب من قصائد الجاهلية على كل حرف من حروف الهجاء غير القطع الصغيرة وأن أبا تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطع الصغيرة والأصمعي ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان أبو مضمض يروي أشعرا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو ﴿ دقل هو عن أحد الفرنسيين ﴾ ان بلاد العرب أنبت من الشعراء أكثر من خرج من بقية بلاد العالم ﴿ ثم ذكر أن مجالس الخلفاء كهارون الرشيد ازدان بالشعراء . وذكر المتنبي وهو أبو الطيب أحد بن الحسين ابن عبد الصمد الجعفي المولود بالكوفة سنة ٩١٥ وهو ملاح سيف الدولة بن حمدان أمير حلب وكافور الأخشيدي وقد تقدم سابقا ، وذكر أبا العلاء المعري ولزومياته وأبا تمام حبيب بن أوس الطائي للمولود بالشام وكان نسابا ويسق الماء في الجلمع بالقرب قبل أن يكون أمير الشعراء والبحرّي وهو أبو عباد ، ثم ذكر أن الشعراء كان يرفع الرجل من المسكة الى الدرجة العليا ، واستدل على ذلك بأنهم يؤرخون حوادثهم كما يؤرخون للملوك ويذكرون وفاتهم باليوم والسنة والساعة كما يذكرون وفاة ملوكهم وسجائبهم ، ودخل الشعراء أسبانيا مع الفتح حين دخلها موسى بن نصير وقد كثرت الشعراء هناك ووقفوا في قرطبة وأشبيلية وغرناطة على أبواب عبد الرحمن الداخل وأبي عبد الله الصغير وغيرهما ، وقد كانت تجمع القصائد في مجلدات بالهولوين فيقال ديوان الشاعر فلان ، وقد كان الخليفة الحكم الثاني هوناشر ومنظم ديوان ابن عديريه وأحمد بن محمد بن عديريه ﴿ من شعراء قرطبة وصاحب ﴾ العقد الفريد ﴿ وبعض الهولوين يحتوى على مجموعات لشعراء مختلفين مثل مجموعة أبي بكر بن داود الأصبهاني السماعي بالأزهار ومجموعات أخرى ، ثم قال إن زمن الحكم الثاني كان زمن رقي شعري عظيم وقد اشترك أهل الأدب في المناظرة الأدبية التي قامت بينهم على أثر منافظته أحد شعراء قرطبة ﴿ محاسن الورد ﴾ ومناظرة شاعر آخر في وصف المطر فتشعبت الآراء وصار القوم فريقين ، فريق يفضل هذا وفريق يري ذلك وقد أثرت هذه المناظرة الأدبية ولدت كثيرا من النظم والنثر وقل أن يوجد مثل أشهر من المناظرة بين الورد والمطر مؤيدة برأي المصدين لها ﴾ انتهى ملخصا

﴿ نتائج الغرام بالشعر والسياسة في الأندلس ﴾

ثم قال مانصه بالحرف الواحد ﴿ غير أننا اذا فهمنا الشعر على هذه الكيفية فانه بدلا عن أن يعلى قدر الأئمة فانه يجرحها الى التل والموان ، ويدلنا دلالة كافية على انها قرية من الزوال آيلة الى الانحلال في زمن قريب بدلا من أن تمسك وتستقر ثابتة في أوج عزها ومجدها وبعد هذا الزمن بقليل استوزر ابن عباد الثالث الشاعر ﴿ عبد الله بن زيدون ﴾ واتخذ أمير بطليوس وزيرا له ﴿ أبا محمد بن عبد المجيد بن عبدون ﴾ عند ذلك كثرت قلد الشعراء وظافت الدولة وراجت سوق الأشعار فيها حتى كانت المراسلات السياسية تكتب بالشعر ، ثبت ذلك ما كتبه ابن عباد الى الأمير يوسف وإلى النفوس السادس . ولما اشتغل المسلمون بذلك ولهاهم الشعر عن النظر في أمور الدولة قام الأسبان واستردوا مدينة ﴿ طليطلة ﴾ وهدموا الأندلس ببجوشهم ولم يجدوا الأمراء ووزرائهم الشعراء خلاصا من بطش المسيحيين بهم إلا ما با واحد وهو الاحتباء بأمرأة أفريقية فاستدعوهم اليهم وسلموا الى رئيس المغاربة مابقي بأيديهم من بقايا الخلافة العربية فكأنهم قضوا بأيديهم على تمتعهم كما قضوا على دولتهم ﴾ انتهى المقصود منه

وانما ذكرت لك هذا أيها الشكر لتعرف نتيجة قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - ألم ترأنهم في كل واد يهيمون - فانظر كيف هام الأندلسيون من المسلمين في الشعر وأوديت حتى قارنوا بين المطر والورد وتركوا الأمة وراهم جاهلة لا يصلحونها نظام الحياة ولارقي البلاد ولا الاستعداد لمقاتلة الفرنجة ، فهذا هو الهاليم في كل واد من أودية الضلال ، وهذا هو الذي عناه القرآن وهو معجزة أخرى ونتيجة سياسية لهذه الآية

﴿ خاتمة السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة بدأها الله بالعلوم فذكر النظر فيها خلقه في الأرض من عالم النبات ومجائبه وذكر في قصة موسى عليه السلام ذلك النظر كما شرحناه وعجمه في الأرض وفي السماء وفي المشرق والمغرب وما بينهما وفي نوع الإنسان وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام من الأحوال الإنسانية خلقاً وهداية وشفاء الخ ثم أعقب ذلك في القصص الخمس الباقية بالعمل بعد العلم فقدم الكبرياء على الضعفاء في قصة نوح عليه السلام وذنم التعالي والتعاطم بما أنعم الله من النعم لا يذم الناس وأذلهم وأهانهم كما كانت تعمل عاد من احتقارهم للناس وبطشهم بطش الجبارين ، وذنم نوح بكفر النعم التي أنعم الله بها عليها كالسيوت المتخذة في الجبال ، وذنم قوم لوط إذ جهلوا نعم الله في النساء بالبنين وتركوهن واكتفوا بالله كور ، وهكذا قوم شعيب إذ ظلموا في كيلهم ووزنهم فرجع الأمر إلى نظام البلاد باقامة العدل في المعاملات وحفظ النسل وترك ظلم الناس وقتلهم وسفك دماهم هذا ملخص ما في القصص الخمس الأخيرة ، فالسورة ابتدأت بعلم النظر وختمت بعلم النظام الاجتماعي والحق أنه لا مساعدة لأمة إلا بالنظر في هذا الوجود أولاً وحفظ النظام وضبط القوة الشهوية والقوة الغضبية ثانياً وهذا ملخص السورة ، وختمتها ببيان أن القرآن لم يزل به على النبي شيطان وأن النبي ﷺ ليس بشاعر ثم وصف الشعراء وقد عرفت كل ما يتعلق بذلك

﴿ كيف يعلم الشرع في الاسلام ﴾

اعلم أن السورة قد ختمت بذكر الشعراء كما قلنا وكان ابتداءها بذكر الحكمة والعلم والنظر في هذا الوجود كما شرحناه ، ألا تعجب من هذا النظام ، ألا تعجب أن التعليم الحقيقي يكون على هذا التوال فقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر ماملخصه ان العلوم الأدبية والشعرية والقصص الخيالية والمخرافية تقرأ أولاً ثم يقرأ التلميذ بعد ذلك العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات والانسان والعلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك الى آخره وذلك لأن الشعراء ما فتح للعقل باب الخيال ، أما العلوم العقلية فانها تصقل العقل وتمهذه . فهكذا تعرف كيف سقطت دولة الأندلس فيما تقدم وتعرف ما يجب في المستقبل على المسلمين

﴿ في تعليم الشعر ﴾

ليقرأ الشعر بالطريقة الحديثة بحيث يذكر تواريج الشعراء ، وما السبب في هذا الشعر ، ولم كان على هذا التوال ، وكيف كان حكم القولة في تلك الأيام ، وما التي أثر في الشاعر حتى تلقى بهذا القول ، وما حال القولة في أيامه ، وما مدنيته ، وفي أي درجة كانت من الرقي حتى يخرج الطالب من ذلك وقد كسب ملكة التقدير بعرق البلاد بآرائه . ولا بد من العلوم الطبيعية كما جعل القرآن مبدأ السورة فيها في أولها وفي قصة موسى وإبراهيم . وكما ذكر بعد (سورة الشعراء) سورة النمل وهي من العلوم الطبيعية . أفلا تعجب من القرآن . ألا تعجب كيف سعى هذه السورة بالشعراء وأردفها بما هو من علوم الطبيعة ونظام الخليفة وبدائع الحكمة وهي (سورة النمل)

ثم تفسير سورة الشعراء يوم الثلاثاء ١٧ من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

سورة النمل مكية

(وهي ثلاث وتسعون آية • نزلت بعد الشعراء)

(وهي أربعة أقسام)

(القسم الأول) في مقدمة في الايمان وفي قصة موسى عليه السلام

(القسم الثاني) في قصة سليمان عليه السلام

(القسم الثالث) في قصة نوح وقوم لوط

(القسم الرابع) في حكم عامة وآيات بينات في معرفة الله واليوم الآخر . وقصة موسى ونوح وقوم لوط

أشبهه بالتمام للقصص في سورة الشعراء

(القسم الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَسَ نَكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ • هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ • الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ • إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ
أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَنْهَوْنَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ •
وَإِلَيْكَ تُلْقَى الْقُرْآنُ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ • إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ قَارَأَ سَاءَ نَبِيكُمُ
مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْءَاتِيكُمُ بِشَهَابٍ لَئِيْلَكُمُ تَصْطَلُونَ • فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ •
وَأَلْقِ قَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي
لَا يَخَافُ لَدَى الْمُسْتَلُونَ • إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَلَقِيَ غَوْرُ رَحِيمٍ • وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نَسِجِ ءَايَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ • فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَجَعَلُوا بَهَا وَأَسْتَفْتَتْهَا
أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ •

(التفسير اللفظي)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(طس) تقدم تفسيرها وتفسير جميع أمثال هذه الحروف في أول بعض السور وفي أول سورة (آل عمران)
وسقرأ قريبا ذكر ما يخصها هنا بإيضاح (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي هذه آيات القرآن وآيات كتاب
مبين فيه الحكم والأحكام والاعجاز وفي هنا الكلام عطف إحدى المصنفين على الأخرى . وقوله (هدى)

وبشرى للتؤمنين) حلان من الآيات فهي هدى من النبالة وبشرى بالجنة (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الجلة الاسمية عطف على ما قبلها (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة فأصبحت مشتبهة لهم طبعاً (فهم يعلمون) أى يتدبرون فيها متحبرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والأسريوم بدر (وهم في الآخرة هم الأسخرون) أشد خساراً لقوت الثواب واستحقاق العقاب (وانك تلتقي القرآن) تلقته وتؤثاه (من لدن حكيم عليم) فعلم القرآن (فسيان) علم وهو يشمل الجائزات والمستحبات والواجبات وهو يشمل القصص والأخبار والمواعظ ويشمل اتقان الفعل وهذا الأخير هو الحكمة وهي القسم الثانى وهذه تشمل العقائد والشرائع والأحكام ، ثم شرع في بعض العلوم فقال اذكر (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا) أى اذكر قصته وقوله (سأتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لأنه قد ضله في ذهابه من مدين الى مصرأى امكنوا مكانكم سأتيكم بخبر عن الطريق (أو أتيكم بشهاب قبس) على الاضافة بمعنى شعله نار مقبوسة وشعلة النار تكون مقبوسة وغير مقبوسة ومنونا فيكون القبس وصفا للشعلة بمعنى مقبوس (لملك مسطلون) رجاء أن تستدفئوا بها من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها) أى نودى بأن بورك من في النور الساطع الذى ظنه موسى نارا أى قدس وهو الله تعالى كقوله ابن عباس ومن حولها وهم الملائكة وموسى . ولا جرم أن الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم ويخبركم وقد خاطب موسى من ناحية الشجرة فلا خير فيما قاله ابن عباس في هذا المعنى وتقديس الله بمعنى تزيهه عن جميع النقائص وأحوال الخلق وتقديس موسى والملائكة بمعنى ترك الذنوب ومعصية الله تعالى ولا جرم أن الملائكة موكلون بهذا العالم فهم حاضرون في كل مكان . ولما كان قوله - من في النار - يوم الظرفية الحقيقية ويوم اشرارك موسى والملائكة مع الله في التقديس أو كثرة الخير من كل وجه أرفده بقوله (وسبحان الله رب العالمين) وهذا من تمام التداء أى تزيه الله مربي العالمين والمربي يتعالى عن الذين هم صرورون فلا يشاركونه في كثرة الخير ولا في التنزيه مما لا ينفى . ثم وصف الله نفسه لموسى فقال (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) القاهر الغالب ولست أقهر إلا بالحكمة فأنا قاهر هذا العالم ولكن القهر مصحوب بحكمة فأنت قلبت العصا حية فأما ذلك لأثبت قدرتي وإعجازك لما أظهرته على يديك ولكنى لا أظهر ذلك على يدى عبد من عبادى إلا بالحكمة فلا أجعل مثل هذا شائعا لأن شيوعه وتداوله ينافى الحكمة بل لى أجعله نادرا ولكن جيع ما يحصل في الطبيعة إنما يسير بنظام تام فهناك حكمة في دوام النظام وهنا حكمة في خرقه على شريطة أن يكون وقت الحاجة . ثم أبان عزته وقهره لحكمة هنا فقال (وألقى عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من في النار وأن ألقى عصاك (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع . يقال عقب المقاتل إذا كره بعد الفرار . وإنما رعب لأنه علم أن ذلك لأمر أريد به فلذلك قال الله له (يا موسى لا تخف) منى ولا من غيرى ثقة في (إني لا يخاف لدى المرسون) إذ لا يكون لهم سوء عاقبة فيخافون منه . أما الخوف الذى هو من شرط الإيمان فهو ملازم لهم . وإعلم أن الأنبياء قد يأتى بعضهم غير الأفضل وقد يأتى بالسفيرة وموسى عليه السلام قتل القبطى ثم تاب وقال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلى فغفر له وقال ابن جريج . قال الله لموسى إنما أخفكتك لتلك النفس ، ولتلك قال تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم) أو الاستثناء منقطع أى لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف فإن تاب وبتل حسنا بعد سوء فإني أغفر له وأزيل خوفه (وأدخل يدك في جيبك) أى جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) آفة كبرص . يقول الله وأدخل يدك حال كونها آتة مع تسع آيات أنت مرسل بهم (الى فرعون وقومه) فتكون الآيات إحدى عشرة المذكورتان والفق (٣) والطوفان (٤) والجراد (٥) والقمل (٦) والنفادع (٧) والدم (٨) والعلس

(٩) ولجلد (١٠) والنقصان في مزارعهم (١١) وقوله (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يصرونها (قلوا هذا) الذي زاه (سحرمين) ظاهر (ومجدوا بها) أنكروا الآيات ولم يقرؤا أنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا أنها من عند الله فهم مجدوا بها بأنفسهم واستيقنتها بقلوبهم (ظلموا) لأنفسهم (وعزلوا) ترفعا عن الإيمان وهما مفعولان لأجله قوله - مجدوا - (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فقد أغرقوا في الدنيا وأحرقوا في الآخرة . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

(لطيفة)

انظر عجائب هذه الآيات في (سورة طه) وغيرها مما هتتم كالعصا والحية وكيف قلب الله العصا حية ومأشبه ذلك قد أوضحناه في سورة طه ، فان الله يظهر هذه العجائب كأنه يقول لعباده انظروا الأرض وما عليها تليس ألوانا وألوانا ، يكون ليل ففجر ففصبح فظهر فغمر فغرب فغشاء ، ألوان وألوان وظلمة وضياء وجمال في النجوم ، وهذا كله تغير سريع متتابع وهناك تغير غير متتابع كالنبات وتتابع زهره وهكذا الحيوان فالتناس ينجبون من قلب العصا حية لجهلهم بصفة فانهم لما شاهدوا قلب النجوم والشمس والقمر وجلايب النبات على الأرض وأنسوا بذلك صباحا ومساء أصبح ذلك عاديا لا يؤثر في أنفسهم لجهالتهم وإنما ذلك يؤثر في نفوس العقلاء والحكماء ، ولكن لما رأوا العصا قد قلبت حية عجبا من فعل ربهم وذكروه . هذه هي الحكمة في ظهور أمثال هذه الخوارق

(بهجة العلم في بعض أسرار - طس -)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ذكر بعض أسرار الطاء والسين في هذه السورة)

اعلم أن الله عز وجل - الذي خلق أرواحنا من أجل الأنوار وأبهج الجبال قد أنزلنا في هذه الأرض واستقرت في الطين ولصقت به قوصمت بالجهل حتى لا تعلم فلذلك أخذ يعلمها الله ليبرجها الى مقامها الأول نقل فؤادك ما استطعت من الهوى • ما الحب إلا للعيب الأول

لهذا أخذ ينزل لها العلوم إما بالوحي ولما بالعقل والحكمة ، والوحي مبدأ والحكمة النهاية وكلاهما منه تعالى ، وهما هودا سبحانه أخذ في أمثال هذه السورة يعلمنا كما يعلم الاستاذ تلميذه بالسائط قبل المركبات وبالجزئيات قبل الكليات فابتدأ يقول لنا (طاء . سين) وهذان الحرفان لا يفهم القارئ منهما معنى لأنهما حرفان لا معنى لهما . ولقد تقدم شرح هذا اللقاع بأوفى بيان في سورة (آل عمران) فهناك تجد الحب الهب ، ولكن نحن هنا نريد ما يخص هذه السورة من المقصود من الطاء والسين . اتنا ذكرنا في سورة (آل عمران) من المعاني التي تختص بالآلف واللام وللم ما به يستيقظ المسلمون النائمون الى حوز مجدهم وشرفهم وأن هذه الحروف موقوفة هناك الى قصة اليهود المبذوة بالآلف واللام وللم وهذه القصة قيد انهم قد انكسروا على شفاعته آياتهم وعلى أنهم لا يدخلون النار إلا تحية القسم كما وعد الله يعقوب بالنسبة لأبنائه وأوامهم لا يدخلون النار إلا أربعين يوما عند أيام عبادة آياتهم الجهل ، وهذا الاتكال الذي ادعوه جعلهم يستحلون الحرمان وينكثون الأحكام الشرعية ويكتمون ما أنزل الله حتى قالوا إن التوراة ليس فيها الأمر بربح الزانية والراني ، وهذا الاتكال أوقعهم في النكال فأزال الله ملكهم وحل المسلمون بساحة بلادهم وملكوها ، وقد يتنا هناك أن هذه الحال بيننا هي التي حلت بالأمم الإسلامية اليوم سواء بسواء وأنهم انكسروا على شفاعته الشفاء من شيوخهم وعظمائهم وتأموا جهلا بمعنى الشفاعته وبدا عن معرفة الحقائق فلم يفتروا أن يفهموا ما هي الشفاعته ولا ما هو

الواجب فوقوا فيها وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وذهب مجدهم فاحتضوا الشفاعة التي هي حق وصديق لاشك فيها سببا في الجهل والكسل والنظم والنوم على فراش الراحة الوثير وهدموا الدين هتما . إذن هم ذكروا حقا وأرادوا به باطلا وأضل الله كثيرا منهم على علم . إذن - الم - في سورة (آل عمران) يراد بها ارتقاء المسلمين اليوم وخروجهم من الظلمات الى النور ومن الغرور المذكور في قوله - وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون - الى الحقائق ومعرفتها . وهناك بيان أنواع المفرورين في زماننا وبيان الطريق التي يسلكها المسلمون للخروج من هذا الغرور فقرأه هناك فانه شاف واف . هنا ملخص ما هناك مجالا

فلننظر هنا في الطاء والسين ، فهل فيها معان كالتى هناك ؟ أقول نعم فيها وفيها ، وهنا حضر صديقي العالم الذى اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة في هذا التفسير . وقال إن هذا الملخص الذى ذكرت أنه في (سورة آل عمران) لم تأت فيه بتمام الغرض هنا ولكن الاطلاع عليه في المفصل هناك يكفي لليبب انما الذى يهمنى الآن أن أعرف هل - طس - فيها معان فريد الأمم الاسلامية كالتى تهتمت في (آل عمران) فأجبت نعم تضارعها وتشرح الصدور . فقال وماهى تلك المعانى . قلت انظر وتجب . إن هذه السورة تشتمل على (١) حديث سليمان والطير والنمل وبدخل في أمر الطير مسألة بليغى وعروشها . ولا جرم أن ذلك يدعو

(لأمرين) ارتقاء العلوم وارتقاء النظم السياسي في الأمم

(٢) وعلى أن صالحا الطير به قومه فوكل الأمر لله فتصره

(٣) وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه

(٤) وعلى نتيجة ذلك كله وهو وصف الله بحمائل خلقه في قوله - قل الحمد لله وسلام على عباده - الخ ثم الأمر بالسير في الأرض وبقية النصائح

هذا ملخص السورة ، علم الله قبل أن يخلق الخلق ويزل القرآن أن المسلمين سينامون نوما عميقا . لماذا ؟ لأن العرب لما فتحوا البلاد تفرقوا فيها ولما تفرقوا نسوا مجد آبائهم لما أسكرتهم خرة الانتصار وطال عليهم الأمد وقست قلوبهم وصاروا مترفين . مع أنهم هم الذين علموا الأمم وهم الذين رفقوا بهم وهم الذين تقاعوا علم اليونان وهم الذين سلموا ذلك العلم الى أوروبا فأحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم ينامون فقال الله لهم - طس - . وهذا انظر ان أشبه بطلمس يكون يقرؤه الناس جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن وسلمه الآباء للأبناء وهذا زمان المعرفة والعالم ، هذا زمان استيقاظ المسلمين من العرب ومن تلك الأمم التي أيقظها العرب الفاتحون ، ولما نام العرب ناموا أجمعين ثم رجعت أكثر الأمم التي ليست بعربية الى أنفسها فعمقت واستبدت بعض مجدها ولكن - طس - يراد منها أن توقف أمم العرب وغير العرب بإدراك بعض سرها في هذا التفسير فقال صاحب فين لنا ما هذا السر الذى قمت له هذه اللقنمات . فقلت انظر الى (الطاء) ألست تراه في لفظ (الطير) ولفظ (أحطت) و(أحط) فهى أول كلمة طير وآخر كلمة أحط وأحيط . قال بلى . قلت انظر الى السين ألست تراه في أول لفظ سليمان . قال بلى . قلت هذا هو مفتاح العلم في هذه السورة ، فالطاء والسين هما مفتاح الرقى للأمم الاسلامية وكان الطاء قفل وكان السين مفتاح كلفاتيج المعتادة في بلادنا . قال نعم . قلت فاذا اجتمع القفل مع المفتاح وأدخل فيه فتح الباب . هكذا هنا اجتمعت السين مع الطاء ففتحت خزائن العلم . فقال صاحب أريد أن أرى هذه الخزائن . فقلت ههنا العلم (خزانتان) خزانة العلم وخزانة السياسة

اللهم إني أحمدك على نعمة العلم . اللهم لا تعلم إلا أنت . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجدة منك الجدة . اللهم إن القلوب بيدك والفتوح منك فلا حول لنا ولا قوة إلا بك أنت . أنت الذى ألهمتنى هذه المعاني فلا تقها للمسلمين . اللهم إن سليمان نبيك كالم الطير ولم يكن ذكر ذلك في كتابك لجرده كناية تحكيها عن سليمان لتفرح بها ونحن جاهلون أولئهاى بغيرنا ونحن مجرّدون . كلا

إن القرآن ذكر مبارك والذكر يبعه العكر كما قلت - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - . فهنا يفكر المؤمن في أمر سليمان وأمر الطير فيقول إن الطير يقول لسليان أحطت بما لم تحط به فوالله ما كان علمه الأعم البائدة من قنصاء المصريين والآشوريين والبابليين ولعلماء الأمم الحاضرة من الأمم العربية بأقل علما من المهدد الذي يقول لسليان - أحطت بما لم تحط به - ولا نحن بأغزر علما من أنبياء الله تعالى فليس لنا حق أن نتبرأ من علم الأمم وأن نجعله بل نضرب في كل علم بسهم ويكون منا لكل علم قوم نابضون فيه ، فلو أننا تكبرنا على علم منها لسليان أولى بالكبرياء على المهدد ، فلانعلمنا أن أنبياء الله ولعلماء الأمم بأضعف من المهدد . ولقد ذكرت هذا المعنى في سورة (يونس) عند تفسير قوله تعالى - فالقوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية - ورسمت لك هناك صورة منطقة فلك البروج المنقولة عن قنصاء المصريين المرسومة على صندوق موتاهم ، وهبت كل العجب أن يكون علم الفلك مرسوما ملخصه على صناديق أموات قنصاء المصريين ، وزى أن جميع الأمم الإسلامية من مصريين وغير مصريين لم يحطوا بها ، إن الله جل هؤلاء لنا آية ، يقول لنا هؤلاء الأموات رسمت على صناديقهم عجائب سمواتي فكيف كان أحيائهم إذن ؟ ولذا كان الأموات يشرفون بجمال سمواتي وبهجة عالمي فكيف بأحيائهم ، وهل يصح منكم ذلك يا معشر المسلمين الذين أرسلت لكم خاتم الأنبياء وبعثتكم كرامة العالمين أن تكونوا أجهل أمة في الأرض ويكون الأموات من الأمم السابقة أحسن على جل نظامي وتقوشت وبدائع كواكبي من أحيائكم وأنتم مسلمون ، ألسنا مثلا القوم المضافون الجاهلون

أهل مصر كما كثرت بلاد الإسلام ليسوا مغربين بجمال علم النجوم ولقد دفنت تحت أرجلهم أم كانوا قبلهم وهذا العلم مرسوم على صناديقهم وهالذا أبرزه لهم اليوم وأقول - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - هذا هو بعض ما جاء في (سورة يونس) مع بيان أن علماء قنصاء المصريين ليسوا أقل من المهدد بل هم أشرف منه ولأنهم بأرفع مقاماً وعلماً وقدرًا من سليمان فإذا نزل سليمان إلى سماع المهدد أقبل يسمع المسلمون كلام العلماء - فقال صاحب هذا حسن وقد تقدم ولكن هنا كله أشبه بمقدمة ويظهر أن هنا ما هو أجل من هذا وأبين . فقلت نعم هنا (أربعة فصول)

(الفصل الأول) في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الأمور وكبيراتها

(الفصل الثاني) في أن الطيور وسائر الحيوان مملعات للإنسان في الحال والاستقبال نماذج تعليمية

(الفصل الثالث) في أن هذه الحيوانات الحيوانية فيها مضار ومنافع لابد من علمها لرفق الإنسانية

(الفصل الرابع) في أن قصة بلقيس تذكرة للعرب قد دخلت في حديث المهدد وفيها تقرير لأنباء

العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم في بلاد كانت لها مدنية مع وثيتهم لم يصل لها المسلمون الخاليون مع جلالة قدر دين الإسلام

(الفصل الأول في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الأمور وكبيراتها)

اعلم أن الله عز وجل لما أطلعنا على رقه المنشور وكتابه المفتوح وهي الطبيعة التي درسناها الفتيان لم يفرق في الرحمة والعناية والحفظ بين الكواكب في مداراتها والحشرات في مخابها بل وجنتاه أعطى الخلق من الأعين وعددها ما لم يحيطه للجمل والفيل . جعل الله للكواكب مدارات منظمة بحساب متقن ولكنه لم يفر التفرات والحشرات الصغيرات الضعيفات بالاحساب ولا العناية بل أعطاهما كل ما تحتاج إليه . إن الإنسان الذي يوقن بهذا قد دخل أبواب الجنة فعلا في هذه الدنيا . هذا هو الذي رأيناه في عمل الله فانظر إلى عمل نبي من أنبيائه وهو سليمان عليه السلام ، فانظر ماذا فعل ؟ تراء بماشرا الوزراء ويدبر الملك ولكنه في الوقت نفسه لم يفل عن الفلة في مسكنها والمهدد في الهواء فهو يكلمهما ويتفقد الطير ويهدد المهدد ويستمع جوابه ويقبل منه

القول الحسن ويعمل بقوله ويسمع مخاطبة الخلق ويتبسم ضاحكاً من قولها . إذن هو كملك الوزراء وأدار الملك وقدر إلى الخلق فهو إذن في عمله نموذج لفعل ربه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يعني أنه يجب علينا نحن المقصودين من هذا القول أنه أن نلاحظ مادي كما نلاحظ ما جيل وتتفقد كل صغير وكل كبير في عملنا كما يتفقد الأب جميع أبنائه بل يتفقد الصغير أكثر مما يتفقد الكبير كما فضل الله إذ أعطى الخلق من الأعين كما سيأتي في هذه السورة مشروحاً ما يسطر الجمل والفيل وذوات الأربع عموماً . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في بيان أن الطيور وسائر الحيوان مملكات للإنسان في الماضي والحال والمستقبل ﴾

وذلك ظاهر في (سورة طه) عند قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك ترى أربع نوعاً من الصناعات استقلت بها الحيوانات قبل خلق الإنسان قطعها الإنسان كالبناء وصنع الورق والسراديب والغزل والنسيج وما أشبه ذلك فراجعته بحججه مشروحاً ، وآخر صناعة قطعها الإنسان كالبناء وصنع الورق مسألة الطيارات التي تطير في الجو ولا ترتفع إلا إلى خمسة أميال فقط مع أنها تجري مئات الأميال حول الأرض ولكن ارتفاعها محدد ، فهذه الصناعة لم يبتدئ لها الإنسان في زماننا هذا إلا من الطير كما تقدم في سورة المائدة عند ذكر الغراب وأن الله يشهه يرى الإنسان كيف يدفن موته ، إذن الإنسان تلميذ الحيوان . واعلم أن علم الحيوان وعلم النبات وعلم للمعادن وعلوم الكائنات يجب على الناس أن يقرؤها قبل قراءة جسم الإنسان وقراءة علم نفسه وعلم سياسته لأن هذه مخلوقات قبله ومقدمة عليه طبعاً فوجب تقديمها صنفاً فإن نظم الله إذا روعي ترتيبه كان أقرب إلى الرقي كما قال (اسبنسر) في تعليم اللغات ﴿ أنه يجب أن يبدأ المدرس بالتكلم ثم يتبعه بالكتابة لأن الناس هكذا تكلموا ثم كتبوا ﴾ فهكذا نقول هنا هذه العوالم خلقت قبل أن يخلق الإنسان فلتدرس قبل أن يدرس الإنسان نفسه ويدرس عقله لأن الحيوان أقل تركيماً من الإنسان فهو كجزءه والجزء يدرس قبل دراسة الجميع ، ولهذا عيّنت الأم قراءة تلك العلوم غاية ثالثة . هذا من معاني قول الطير لسليمان - أحطت بما لم تحيط به - فكل طير وكل حيوان مخلوقات قبل الإنسان فعلمها أساعد له وكل علم عرفناه عن الحيوان علم بناحية من نواحي الإنسانية العامة . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لا بد من علمها لرقى الأمم ﴾

لقد تقدم في أول (سورة الفرقان) كلام عام عند قوله تعالى - وخلق كل شيء ففقره تقديره - وما ذكره هناك السمك الكهر بائي في البحر والحيوان الصدي الذي يدرسه فيته فوق سطح البحر والعنكبوت التي تتخذ لها سقناً فوق سطح البحر بشبكها وطيارات في الجو جوارات بها تصطاد الحشرات وتسير في الجو وأن هذه الحشرات وأمثالها جعلها الله أمثالا لنا ولقلائك قال - تلك الأمثال نصير بها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في آية أخرى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين - فهذه جعلها الله آيات مفصلات ، فاقمل آيات مفصلات والدم آيات مفصلات والطوفان آيات مفصلات وقد مرّ أيضاً أكثرها ومعرفتها هناك

يجب المسلم حين يسمع أن الضفدع والدم آيتان ، وإذا جعل الله الشمس والقمر آيتين فكيف يجعل القمل مثلاً والدم آيتين . إذن الشمس والقمر كأقل الحشرات كلاهما من آيات الله

الله أكبر ، جلّ الله وجلّ العلم ، هذه من آيات الله فهي منفرات . إنك ترى في (سورة الفرقان) أن البراغيث الثلاث هن أخوات الخمل رسل وسفراء بين الغيوان وبين الإنسان فإذا حلّ الطاعون بساحة الغيوان وساء صباحها وماتت جوعها حلت البراغيث هذا الباء من تلك الأجسام المطفونة إلى أجسام الإنسان فوضعت فيها جراثيم الطاعون ثم ينتقل من زيد إلى عمرو ويسرى في الناس سرعان البرق في الظلماء . وقد تقدم هذا وكيفية الاحتراس منه فلا نعيده ، ولنا نحن هنا في مقام اللدواء من الأمراض ولكن نحن في مقام العلم

والحكمة العاتين فشرح الأمثال الجزئية تذكرة وتبiana للقواعد الكلية . إذن لابد من دراستها فهي آيات مفصلات فصلها الله بعمله قبل أن يخلق الانسان ويخلق أنبياءه ويوحى اليهم فيدل بنى آدم بالوحى للانبياء على ما كتبه في هذا اللوح المنشور فيسمع الناس القول فيبعثونه بالعمل

هذا هو السر في أن الأمم حولنا يدرسون كل حشرة وكل طير ليحترسوا من الهلاك ويحتسوا الثروات . إن الانسان لا يحظر ياله يوما ما أن البرغوث مهلك بالطاعون الانسان ولكن العلم اليوم أثبت ذلك كما أن هناك جوائيم حية لاحد لصددها تمرض الانسان بأنواع الأمراض المختلفة - وماربك بظلام للعبد - وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم بالجهل بمصنوعاتنا ، وكلما كانوا أكثر جهلا كنا أكثر اهلا كما لهم لأنهم لو درسوا ماحولهم لأجل حفظ أجسامهم ورقق منهم لانتهاوا الى ادراك جلالنا وقدرتنا وحكمتنا ، فإذا أمرنا الناس بالنظر في مصنوعاتنا لتوحيدنا وشكرنا فغناه انهم لا يصلون للحقائق المعركة بنا إلا بعد أن يكونوا قد أتوا دروس علوم الحياة التي تنفعهم في دنياهم ، فللنافع الدنيوية أشبه بجسر يمرّون عليه لمعرفة جلالنا وإعما فعلنا هذا النظم لتفيز الخبيث من الطيب والحق من البليد لأننا اذا تركنا الانسان ولم نوقظه أهلكته البطنة وسوء الملكة فيكون من المترفين والمترفون مذمومون إذ جاء في التنزيل - انهم كانوا قبل ذلك مترفين - فجعل الترف هو السبب في عذابهم في جهنم ، فمن رحمتنا أن جعلنا ماله وولده والحشرات المحيطة به عذابا له ليعمل وليحترس من الهلاك ويجتد ويجتهد فلا يحقر البرغوث والقمل ويقول ماضرهما فقول له

• أترق كرا إن النعامة في القرى •

ادرس البرغوث وادرس القمل وادرس الطير والا أدقناك أيها الانسان العذاب وساطنا عليك جنودنا فأهلكناك ، ولواتنا أتينا هذا الانسان هلاك . ألم تر الى أمة اليابان ، تلك الأمة الشرقية أنها سبقت الشرق كله الى الرقى . لماذا ؟ لأن بلادها خلقت معرضة للبراكين فهي أبدا على حذر وخوف فقلبك ارتقت قبل أهل مصر الذين اشتكروا معهم في اقتباس المدنية فسبق الأولون الآخرين واحترمتهم الأمم وأما تأخر المصريين (أهل بلادي) لأنهم آمنون عندهم ما يكفيهم من القوت والملابس ولا زلازل وبراكين عندهم فاكثفوا بما عندهم - وحق بهم ما كانوا به يستنزفون -

فإنه لم يرسل المندرات من الحشرات والجنود المجندات على هذا الانسان إلا لإيقاظه وارفاقه ، وهذا الانذار لا يعرف إلا بالعلم وهذا هو سر قوله تعالى - وتلك الأمل نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فالعلماء بهذه الحشرات والحيوانات هم الذين بهم ندرك لماذا خلقت وبماذا نخترس منها مع أن أكثر المسلمين حين يسمعون الله يذكر المدهد ويذكر الخمل ويذكر العنكبوت يقولون في أنفسهم - ماذا أراد الله بهذا مثلا - وهذا هو العجب أن يكون أسهل الأشياء عند الجهال أصعبها وأعظمها عند العقلاء • قال الشاعر

لا يعرف الشوق إلا من يكابده • ولا الصبابة إلا من يعانيها

هذا هو بعض سر الطاء والسين في أول هذه السورة ، قال ابن من سليمان والطاء من الطير ومن أحطت ومن تحط يشيران الى ما ذكرناه من هذه المعاني ، وكأنما السين كما قد اقرباها مفتاح والطاء قفل بحسب شكلهما واجتماعهما وقد أفاد أن سليمان الذي أول حروفه السين يشير للعلم لأن الله يقول في هذه السورة ولقد آتينا داود وسليمان علما - فالعلم المشاره سليمان هو المفتاح الذي يفتح به قفل الطالسم في الطير المشاره بالطاء فكأن الطير طلسم وهكذا كل الحيوانات والعلم حل له ويرمز له سليمان أو قفل ومفتاح بحسب ظاهر الشكل ، فالله الله على العلم والجدته على الإلهام والأنعام • انتهى الكلام على الفصل الثالث والجدته رب العالمين

الفصل الرابع في أن قصة بلقيس تذكرة للعرب وقد دخلت في حديث المدهد ، وفيها تزييع لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم قد ورثوا بلادا كانت لها مدنية في وفتيتهم لم يصل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام ﴿

اعلم اني اكتب هذا الآن وأنا من أبناء العرب وأحسن بأننا قد وصل دينا أطراف الأرض بمجد آياتنا وسعيهم فتفرقنا ونسنا كل علم وكل حكمة إلا قليلا فذكرنا الله برجل اعراقي يسمى ذا القرنين إذ بلغ مشرق الشمس ومغربها وقد تقدمت في (سورة الكهف) وهكذا هنا هذه ملكة في اليمن تعبد الشمس وعندها الشورى حكومتها حكومة ملكية مقيدة أشبه بملكية الانجليز الآن من حيث نظام الملك لجاء في هذه القصة هنا أن لها عرشا وأن لها ملكا ضخما وأن لها مجالس للشورى وتديرا لذلك فهل يسمع هذا أبناء العرب في اليمن فيستعدوا مع الأمراء والملوك ويرجعوا للأمة مجددا وعزها وعظمتها ويتفكرون فيما لليمن من مجد تالده وعز قديم ، وكيف كان الماء النازل من السماء لا يترك سدى بل كان له سدود تحفظه وتحبسه بعم الهندسة والحساب ونظام الدولة الجليل إذ القوم كان عندهم علم وحكمة فعمروا بلاد الله فغاش بها عباد الله فلما غفلوا أرسل الله عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتهم الجنتين المفلتين عليهم النعم بجننتين لامتعة فيهما وليس فيهما إلا الخمار المرة والعسل وقليل من النبق وربعت البلاد كما كانت جزاء تقطعهم وتدابره

هذه تذكرة للمسلمين في (سورة سبأ) وبالأخص تذكرة لأهل اليمن يقال لهم يا أهل اليمن ألسنتم ترون الأمم حولكم أقوى منكم بأسا ويزنون طياراتهم تحيط بكم وأسلحتهم وجنودهم المرسلات من أوروبا ببلادكم . إن هذا لتقصيركم وقصوركم لأنكم أعرضتم عن الحكمة والعلم ، فافروا كل علم وكل فن يا أبناء العرب عموما ويا أهل اليمن خصوصا فاجهد الذي ضاع من أبناء العرب عموما لفتنتهم عن معرفتهم جميع العلوم وهكذا أهل اليمن والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٧) أكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ سرنا من أسرار النبوة المحمدية قد ظهر في الطاء والسين ﴾

اللهم لك الحمد ، أنت النعم اللهم العلم ، سبحانه اللهم ومحمدك ، أنت أرسلت محمدا ﷺ وجعلته آخر الأنبياء وأزالت عليه هذه السورة . ومن عجب أن النمل له شبه بالإنسان في حربه وأسراره ومنازله كما ستره موصفا في يأتي . سيأتي قريبا أن سليمان يسم ضاحكا من النملة لما سمعها تنذر قومها ، وهذا دلالة على أن للنمل جماعات منظمات وهذا ستره مفصلا كما قلنا ، وبعد ذلك تفقد سليمان الطير ومنه المدهد والمدهد عرف أمة سبأ وقد جاء فيها أن ملوك الأرض ظللون وأعقب ذلك قصة أخرى تفيد أن بيوت الظالمين مخربة وهذا من أسرار النبوة . إن النبي ﷺ أنفر المسلمين وحذوهم من غوائل فتح البلدان في حديث البخاري إذ قال لهم « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » وهذا الحديث تراء موضعا في أول سورة الأنفال إذ فن فتح البلدان يستوجب نوم الأمم الفاتحة إذ يعيشون بكسب غيرهم وهذا هو الظلم ومتى ظلموا انحلت مداركهم غربت بيوتهم . ذلك هو ملخص ما يأتي ﴿ علم غراب ﴾ هذه حال الإنسان . وذلك كله جاء بعد ما تفقد سليمان الطير فتفقد الطير وأوصله الى (سبأ) وفيها جاء ذكر كل الملوك الأمم فتخوى بيوتهم بما ظلموا والتفقد المذكور من سليمان الطير وفيهما السين والطاء وهما الحرفان الأولان من الاسمين اللذين جاء بينهما التقيد للنتيجة لما ذكر كما سيأتي إيضاحه في أثناء قصير هذه السورة في إيضاح بعض أسرار هذين الحرفين فانظر لحال النمل فقد جاء في الأخبار العلمية اليوم أن الأمم الخلية التي تعيش من كسب الأسرى يستريحها الانحطاط فالأقراض . واليك ماجاء في « مجلة الجديد » بهذا النص

﴿ أكبر الجماعات في الكائنات الحية ﴾

يقتر علماء التلويح الطبيعي أن أكبر الجماعات في الكائنات الحية لا توجد إلا في النمل والجفنس البشرية

ويعتبر علماء الاجتماع أن أكبر الجماعات البشرية (ثلاث) الامبراطورية البريطانية يبلغ تعددها ٤٦٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والصين وسكانها ٤٢٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والمندوبها ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . ويقتصر علماء التاريخ الطبي أكبر جماعات الخمل بنحو ٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ غلة في الجماعات الواحدة ، وذلك لأن الخلة حيوان اجتماعي فوجد بين الخمل النظم الاجتماعية التي توجد عند الانسان بشكل يتفق مع تكوين هذه الكائنات الصغيرة فهناك الجنود والعامل من جميع الأنواع والأرقاء والأسرى . والجيب أن الرقي في أمة الخمل مثله بين الجنس البشري يؤدي إلى انحلال السادة وتدهورهم لأنهم يكفون عن العمل ويدعون أرقاءهم يقومون لهم بكل شيء فتتخط قواهم ومدايرهم انتهى

والأم لما ظلمت انحلت قواها غربت بيوتها فتشابه الخمل والانسان في الظلم والحروب وهذا من عجائب القرآن وبداهه فيجب أن يكون الناس أرقى من الخمل وأن يكونوا أمة واحدة أي متضامنين وكل له عمل ومن لا عمل له يعاقب

أقول إذن ثبت هنا أن الانسان العظيم القدر الكبير العقل لم ينل مدينة أعلى من مدينة الخمل ، فجميع الانسانية (حتى المروقة منها بالاستعمار) لم تزد على جماعات الخمل ، وأيضا اذا حكمت أمة من الناس أمة أخرى استعملتها خادمة لها وانحطت هي ، وهذه نفسها سلية الخمل وهي سلية ساقطة منسحقه . إذن ثبت أن هذه الانسانية التي نعيش فيها انسانية حقيرة يزدريها العقلاء من نوع الانسان

أيها الناس ، أيها العقلاء ، أيها الثوريون ، أيها الغربيون ، أيها الأمريكيون ، أهذه انسانيتكم ، أهذه الانسانية ، انسانية وافقه دنيئة حقيرة ، ولكن لا لوم إلا على ذوى العقول الكبيرة فيكم ، أكبر جماعة فيكم لم تزد على جماعة الخمل مع أن النمل ليست عندها طائرات ولا برید ولا تلفراف ولا خطبة بال تلفون وأتم يا أهل الأرض ينكم بكم تواصل ويعرف الشرق منكم الغربي وكل منكم محتاج إلى الآخر فاذا بقيتم على سياسة الخمل فأتم قوم أضل من الأنعام ، ثم لماذا تتكلمون على الأمم المحكومة اذا حكمت الناس فأتم بهذا تقيمون أبناءكم على سباط الراحة فينزلون بالكسل والبطالة ويميتون الأمم المحكومة بإذلالها ، صدق الله - قتل الانسان ما أكفره - إذن هذه السورة يستفاد منها ﴿أمران﴾ ثانيهما مرتب على أولهما ﴿أولا﴾ اقتران سياسة الانسان بسياسة الخمل لأنهما ذكرتا متعاقبتين ﴿ثانيا﴾ بالبحث في هذا نجد الانسان أرقى من الخمل عقلا ولم يزد عنه عملا بل صارت قسوة البلدان اتحادا لعنفه وجسمه كما في حديث «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ» إذن هذه السورة يؤخذ من خواصها استنتاجا أن الانسان عليه أن يكون أرقى من حاله الحاضرة ولا يتم ذلك إلا بأن تكون الأمم كلها متحدة يخضع بعضها بعضا وأن لا تظلم أمة أخرى فلا يفسد الملوك القرى اذا دخلوها حتى لا تخرب بيوتهم ولا يتم ذلك كله إلا بنظام علم جميع الأرض تعمير وجميع الأمم تتعلم

ونتيجة ذلك كله أن محمدا ﷺ رحمة للعالمين لا لبعضهم ، دعى للمسلمين أن يسمعوا ما أقول فيتعلموا كل علم ويعرفوا تاريخ الأمم وعلاهم ثم هم الذين يكونون واسطة عقد نظام المجتمع الانساني كله شرقا وغربا ومستحيل أن يكونوا واسطة لتلك إلا اذا كانوا أقوياء وعلماء في كل فن ويعمرون أرض الله ثم ليحجوا في رفع الانسانية من هذه الحالة ليكون الناس جميعا متعاونين في الشرق والغرب

هذا معنى وسر كونه ﷺ رحمة للعالمين - فطاء طمأنينة العالم وسين - لانه تتوهمان على تفقد المسلمين الأم أمة كما تفقد سليمان الطير وتفقد له بين الطاء والسين ويتج الطاء والسين . ومن عجب أن سليمان فيه معنى السلام وأن الطيران الحديث ربما يعقبه تواصل الأمم فتكون الطمأنينة ، ففي الطاء والسين السر العجيب . انتهى يوم الأربعاء ٢٤ إبريل سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ • وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْفَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ • وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ • حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ • وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَذَّةَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ • لَأَعَذَّبَنَّكَ عَبْدًا أَبَا شَيْدٍ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ • فَكَيْتَ فَيَرَّ بِسَيْدٍ فَقَالَ أَحْبَبْتُ مَا لَمْ يَحْطِ بِهِ وَجِشْتُكَ مِنْ سَبِّ بَنِي إِدْرِيسَ • إِنِّي وَجَدْتُ أُزْرَاءَ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ • وَجَعَلْنَاهَا قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَنَّ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ • أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْأَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ • اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ • قَالَ سَتُنْفَرُ أَسَدَتُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا قَالَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا مَا ذَا يَرْجِعُونَ • قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِيْتُ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ • إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ • قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ • قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ • قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذَنًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ • وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ • فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِيدُونَنِي بِمَا لِي فَأَنَا فِي اللَّهِ خَائِرٌ يَمَّا مَا كُنْتُمْ بِنَ أُنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ • أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ • قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْمُرُنِي بِرَمْلِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ • قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا بَاتِكُ بِه قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَعِينُ • قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ

الْكِتَابِ أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيَتْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَمْ أَغْنَأْ بِشُكْرِهِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَفِي كَرِيمٌ * قَالَ نَسْكُرْ وَلَهَا عَرْشُنَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْدَا الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَتَّبِعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) علم القضاء والسياسة ، وعلم داود تسبيح الطير والحيال ، وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقال الحمد لله الذي فضلتنا) بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) والمراد بالكثير من لم يؤت علما أو أوتي علما ليس كعلمهما (وورث سليمان داود) نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد سليمان على داود تسخير الريح والجن والشياطين (وقال) سليمان (يا أيها الناس علما منطق الطير) فانا نفهم بقوتنا القدسية الإلهية اختلاف الأصوات لاختلاف الأغراض التي جعلت لها . ولا جرم أن لكل طائر نوعا في صوته لتدل على مقام بحياه من حزن أو فرح أو حزن وهي تنوعت معبودات لأغراض معبودات ، ولقد عرف العلماء اليوم كثيرا من لغات الطيور ترى تنوع أصواتها لأغراضها المختلفة ، وفي هذا معجزة لهذا القرآن لقوله تعالى في آخر السورة - وقال الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فتجب من كلام الله كيف ظهر اليوم أن الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوانات والحشرات كالمحل والنحل وتنوع الأصوات لتنوع الأغراض فله أخبر بالغب يقول انكم لاتعرفون لغات الطيور الآن وعلمتها لسليمان ولكن سيأتي يوم ينشر فيه علم مخلوقاتي ويطلع الناس على عجائب خلقي ولعمري إن هذا المعجزة لهذا القرآن ، وستأتي معجزة ثانية وهي انتقال عرش بلقيس وهذا أمر مستغرب في كل زمان ولكن القرآن جاء فيه - وقال الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وستأتي في علم تحصيل الأرواح بما أهله لك هناك كيف تعمل الأرواح اليوم وتنقل الأشياء من أماكنها كأن الله يقول لنا إن انتقال عرش بلقيس معجزة ليست بصناعة علم الأرواح وسأريكم هذه الآية بعلم الأرواح لا بالمعجزة لأنكم لستم أنبياء وستأتي معجزة ثالثة وهي قوله تعالى - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم - وسأذكر لك فيها مبحث علم الأرواح وما ذكرته هناك من أن هذا رمز لما ظهر من عجائب هذا العلم وأن الناس بهذا العلم أيقنوا بالله ، وسأذكر لك معجزة رابعة وهي قوله - وزرى الجبال تحسبها جاملة وهي ترمز مرة السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - وتطلع هناك على ملخص علم الفلك قديما وحديثا من دوران الأرض وثبوتها وعلى محادثة جوت بيني وبين سيدة من علماء أوروبا في هذا المقام ، إن هذه أيضا سر قوله - سيريكم آياته فتعرفونها - في علم الحيوان وعلم الفلك وعلم الأرواح في هذه السورة نفسها - إن هذا زمن ظهور أسرار القرآن وعار على المسلمين أن يتركوا نعمة ربهم ، فإذا قال سليمان - يا أيها الناس علما منطق الطير - فانه يقول - وقال الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - بالتعليم لا بالقوة القدسية كالأنبياء فان ذلك لهم معجزة وأتم

مأمورون أن تعرفوا آيات الله على مقدار طاقتكم ، ثم قال سليمان (وأوتينا من كل شيء) والقصد من ذلك كثرة ما أوتي كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ، وأما خاص منطلق الطير بالذات كالتنويه بشأن العلم وحاشا لأئمة الإسلام على دراسة هذه العلوم ، وما ورد في ذلك أنه من يبلبل يسوت ويرقص فقال يقول « إذا أكلت نصف ثمرة فلي الدنيا العناء » وصاحت فاختة فقال انها تقول « ليت الخلق لم يخلقوا فالبلبل صاح عن شبع وفراغ بال والفاختة صاحت عن مقاساة الألم ، والضمير له ولأبيه أوله وحده على قواعد السياسة (إن هذا هو الفضل للملين) الذي لا يخفى على أحد (وحذر سليمان) وجمع له (جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) يحسبون يحسب أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى إذا أتوا على واد الخمل) أي أشرفوا على وادي الخمل وهو واد بالشام يكثر فيه الخمل (قالت نحلة بأبيها الخمل ادخلوا مساكنكم) أجرامهم تجري العقلاء بعد الطلب لأن القول إنما يقال للعاقل (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أي أنكم لو لم تدخلوا وظهرتم لحطموكم ولم يشعروا بكم فسمع قولها ، ولما بلغ وادي الخمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم (فتبسم ضاحكا من قولها) تنجها من حذرها وتحذرها والمداينة التي غرسها الله فيها وسرورها بما خسه الله به من فهم مقاصدها وإشعارها لقارئ القرآن أن يفرح وينشرح صدره بالعلم والحكمة لاسيما بحجاب الخمل وغرائب الحكمة التي أودعها الله فيه ، فالتن فرح سليمان عليه السلام بما أعطاه الله من العلم القدسي الرباني فأنت أيها الذكر تليذه وتلميذ الأنبياء وقد أمر نبينا ونحن تبع له أن نتقدي بهداهم فلنقتد بهدي سليمان . إن سليمان أعطاه الله علم منطلق الطير وعلمه عجائب الخمل فعرف عجائب غرائرها وطبائعها وتبسم لما خارج قلبه من الحكمة البديعة والإلهام العجيب وكيف كانت مع صغرها ملهمة من الله عارفة بمصادرها ومواردها ، فإذا كان هذا هو هدى الأنبياء فلنقتف آثارهم ولنذكر في هذه السورة عجائب الخمل التي دهش العالم كله منها والمسلم هو السالم ، يقول الله - وقل الحمد لله سبريك آياته فتعرفونها - وهذه آية من آياته أعطاه الله سليمان معجزة وسمع كلام النحلة وحذرها وأوامرها وذكرها وقد وعد الله بأن هذه الآية سنعرفها لا أنه يوحى بها لنا فسليمان علم منطلق الطير ولم يقل تعلمنا وأما نحن فلن الله قال - سبريك آياته فتعرفونها - فذكر أنه يرينا ونحن ندرس ، فالتن تعالى أخبرنا سيرنا هذه الآيات التي هي بعض ما عمله سليمان بطريق الوحي ولكن لا تظن أن علمنا كله فله معجزة ربانية ويدرك من عجائب الخمل ما لا ندرك وفرق بين من علمه الله ومن أمره الله أن يتعلم بالاجتهاد ، وأسألك عجائب الخمل ليكون ذلك معجزة لنبينا ﷺ لأن الله أرى الناس وعرف الناس ، فوالله بهذا وبأمثله يرتقي المسلمون ، وبهذه العلوم يخرج جيل في الإسلام يحدث في الأرض هزة وقوة عظيمة تنفع أهل الأرض أجمعين ، إن أوروبا تعلمت هذه العلوم ولكنها لا تزال ظالمة والمسلمون سيتعلمونها ويلتزن الأرض رحة وعدلا ، فهذا العلم فلينشرح صدره كما تبسم سليمان من قول النحلة ضاحكا (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أي ألهني أن أشكر نعمتك (التي أنعمت علي وعلى والدي) وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فاعجب لهذا النظم المدهش ، انظر كيف رب سليمان هذا كله على نعمة العلم بقول النحلة ، انظر كيف فرح سليمان وكيف تبسم فرحا بنعمة العلم والحكمة كأنه يقول « العلم غاية مطلبى وقد حصلت عليه ولم يبق بعده إلا أن أطلب الشكر على نعمة العلم بالعمل الصالح الذي ترضاه وليس بعد العلم والعمل إلا أن أدخل في ضمن عبادك الصالحين من آيائي الأنبياء وغيرهم »

ليعلم المسلمون أن علم هذه الحيوانات من طيور وحشرات وسائر الحيوان والنبات نعم عقلية ونعم ملائمة ومتى عرفها الإنسان وجب عليه أن يقوم بشكر النعمة وينفع سائر أبناء نوعه حتى يحشر مع الصالحين في الجنة فلنقرأ هذه الآيات المتأخرون من أسلافا وهم عنها غافلون ، فيا أيها المسلمون إن الله يأمركم أن تهتدوا القرآن على هذا النمط الذي توله واعلموا أن هذا زمان ارتقاء الإسلام وعلو شأنه وسيكون لهذه الآراء فوز في مشارق

الأرض ومغارها بل سقراً هذا التفسير العقلاء والأذكىاء من الشبان وسيكون هناك دول عظيمة حكيمه أرقى من دول أهل الأرض كلهم بهذه العلوم ويكونون رجة للأمم لاعذباً على الناس ، ولما دعا سليمان ربه أن يلهمه شكر النعمة وأن يوفقه للعمل الصالح ناسب أن يذوق بعدها بشئ من أعماله الصالحة ، وذلك أن من أعطاه الله العلم والقنطرة وسكت ولم يعمل شيئاً معاقب لتقصيره ، ولا جرم أن الانسان الموفق يجب عليه رقى النوع الانساني وحفظ الثغور والعطف على الحيوان ، فوائته لادولة ولاملاك إلا بحفظ الانسان ولا حفظ للانسان إلا بحفظ الحيوان ولا حفظ للحيوان إلا بحفظ النبات فلذلك أتى بمسألة واحدة من أعماله الشريفة وهي تقفده للطير . ومعالم أنه لا يتفقد الطير إلا اذا كان متفقدا للانسان الذى هو أرقى منه دلالة على أن الانسان يجب عليه أن يتفقد ما يملكه وما في حوزته . فلذلك أعقبه بما سيأتى من قصص الملهد وحديث بلقيس . وههنا لطائف فى النمل

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

أذكر فيها ما جاء فى كتاب « جلال العالم » الذى نوهت عنه فى هذا التفسير تحت العنوان الآتى

﴿ عجائب النمل ﴾

حال النمل عجيب جداً فاتها تفعل فعل الملوكة وتدبر وتسوس كما يسوس الحكام . فهذا النمل كيف يتخذ القرى تحت الأرض وليوتها أروقة ودها ليزوغرفات ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوباً ودخائر وقوتاً للشتاء . وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضة مصوباً تجري إليه المياه وبعضها يكون حولها مرتفعاً لئلا يجرى إليه ماء المطر . ومن العجيب أنها تخفى القوت فى بيوت منعطفات من مساكنها الى فوق حلقاً عليه من ماء المطر . واتى لاطن أن ما فعله قدام المصريين فى مساكنهم من المنعطفات والبهايز والأروقة إنما كان تقليداً للنمل وما أشبهه من الجردان . ولكثرة عجائب النمل وغرابه ورد قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - حتى اذا أتوا على واد النمل قالت غلة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - فانظر كيف نسب لها العقل والفهم وتداء أخواتها وأمرها لهم بالقرار من الشر ودخولها المساكن لتأويها من أن يحطمها سليمان وجنوده بلا شعور الحاطمين وفى هذه الآية نبيه على جميع غرائب النمل ليوقة العقول الى ما أعطيته من الفقه وحسن النظام والسياسة وما أوتيت من حسن الهندسة فى مساكنها ودها ليزها ، فأما مساكنها فما أت ذارأت نظامها فيما قدمناه ، وأما دأؤها لمن تحت إمرتها وجعلها لهم فانما يشير الى كيفية سياستها واجتماعها وحكمتها فى تصرف أمورها ، فمن ذلك أن الواحدة منها اذا أرادت شيئاً عظيماً لا تقوى على حمله أخذت منه قدراً يسيراً وكرت رابضة الى أخواتها ، وكلما رأت واحدة منهن أعطتها شيئاً مما معها لتدلى على ذلك ثم تمر كل واحدة من أولئك الاثني لاقينها فى الطريق التى جاءت منها تلك المبشرة ، فانظر كيف يجتمع على ذلك الشئ جماعات منها وكيف يحملونه ويمجرونه بمجد وعناء فى المعاونة ، فهذه المعاونة فى الطلب أهم منها فى الرغبة عنه كالمعاونة فى الاتحاد وفى الفرار وهو أهم من الطلب إذ التخلى أفضل من التحلية ، وانما ذكرنا ذلك ليصح للعقول مجال البحث وليغيب النفوس من رقتها

﴿ قياس نظام الأمة على نظام النمل ﴾

لم يكن قصد من تلك القصة أن تكون رواية أو حكاية أو حديثاً وانما هى أمثال تضرب لقوم يقولون فيفهمون حال هذه الكائنات وأن النمل كيف اجتمعت على الفرار كما تجتمع على طلب النافع وأن الأمة اذا لم تصل فى حكمتها الى الحيوان الأعجم فانها ضالة حقاها تائهة فى الضلال والوبال رجعت عن الانسانية والحيوانية وانتهت الى أفق الديدان والحشرات - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم -

﴿ دقة النمل في عمله وحرمه ﴾

ومن حكمة النمل أن الحبوب المخزونة عندها اذا أصيبت بجملة أيام المطر تشرها أيام الصحو وكيف كان القمح لا يثبت اذا قطع حبه نصفين وكذا الشعير والبقلا والعدس اذا قشرت والكربرة اذا قطعت أربع قطع فاذا قطعت قطعتين ثبت بخلاف القمح ، فتأمل كيف عرف النمل جميع هذه الحسكة مع دقتها فانه يقطع حبه القمح نصفين ويقشر الباقلا والعدس والشعير ويقطع حب الكربرة أربع قطع ثم انها تعلم أن أيام الصيف تقضى فتقتم مساعده الوقت فتعمل ليلا ونهارا بالتخاذ البيوت وجمع النخائر ، ثم تأمل كيف تصرف في طلب قوتها يوما شمالي القرية ويوما يمينها ثم تراها كأنها قوافل داهية جاثية غادية رائحة

﴿ موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدنية ﴾

واذا اجتمعت على شيء ورأت أن واحدة تكاسلت عن المساعدة أو راوغت اجتمعت على قتالها ورمت بها عيرة لتغيرها كما في شرائع المصريين القدماء ، وتقرب منها شرائع الانجليز على ماسمعا انهم يتكئون الجائع القادر على الكسب حتى يموت ومن يساعده يعاقب كما أخبرني بذلك هـ

﴿ حكاية عن النمل ﴾

لقد رأى رجل في زماننا هذا أن النمل يشكال على شجرة في حقله فعمد اليها - ففرسوها وملا الحفرة ماء وظن أنه نجى منها وبات ليلا خالي البال منشرح الصدر مطمئنا على شجرته وما كان يتخيل أن للنمل حيلة فوق حيلته وأن هذه الحيوانات أم أمثالنا فأصبح فرأى الورق مغلي بالنمل فعض يديه ندامة وحسرة ونظر الحفرة فوجدها كما هي مملوءة بالماء ، وبينما هو يتفقد السبب إذ رأى أوراقا متراصة على سطح البركة من شاطئها الى جنح الشجرة والنمل يمر عليها كأنها قطرة الى حيث تطلع على تلك الشجرة كنا كتبنا هذا الذي تقدم في النمل ثم عثرا في الكتب الحديثة الافرنجية على ما يأتي وترجمناه مع التلخيص في القالب العربي المبين ونهجننا نهجنا في الاستنتاج والاستدلال -

أيها الذكي ، لعلك اذا شاهدت الحقول وللزراع ونظرت ما فيها من الحشرات المختلفة الألوان والأشكال والمقادير والفرار والصفات أعجبك اختلاف مناظرها وأدهشك حسن مناهجها ، منظر لا يعا به الجاهلون الذين ينظرون مافي السموات والأرض وهم عن آياتها معرضون ، تلك الحشرات والهوام يزيد عدد أصنافها عن عشرات الالوف كما حققه ضاحل العلماء ، وأهم تلك الحشرات النمل إذ في دراستها تبصرة للإنسان وتذكرة وهدية لعقله وأنس لنفسه كيف لا وأنت اذا شاهدت جسمها رأيته مكتونا من رأس حوت السمك الذي يسبح تلك السياسات والعلوم والمعارف التي سنشرحها ووسط كمنشوق فيه الرنة وذنب أسطوانى وله ستة أرجل كباقي الحشرات بها يقدر على الجرى السريع والعلو في طلب المعيشة وجناحين بهما يمكنه الولوج من مكان الى آخر وخمسة أعين عينان مركبتان على جانبي الرأس مكتوتان من أعين بسيطة ملتصقة الوضع والترتيب بحيث ترى كأنها عين واحدة تعدل بالثلاث والثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو على هاتين ، وهذه الأنبيات أعين بسيطة لا تركيب فيها . فتأمل بعقلك واحكم بعداك وتجب من حكم لا يكاد العقل يستقها لولا اجتماع آراء العلماء في العصر الحاضر عليها ، وبالت شعري كيف تكون العين المركبة مع عدم تمكن البصر من ادراكها لشدة ضرها حاوية لما تاتي عين مثلا وكل منها لها قرنية وقزحية وزجاجية وعدسية محدة الوجهين وقوام هلامي في الوسط وأربطة وأعصاب حساسة واصله الى اللخ حتى ترسم المرئيات في السماغ عند المدير الخا كم فيه : لعمري ان هذه العجايب تحفز لها أعناق غول العلماء سجدا ويقولون - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فكما عذاب النار - نار الجحيم في الدنيا والتقهر في المدينة وتلا الآخرة التي تطلع على الأفتنة ، ومن ذا الذي يشق في دياجي الظلمات ويسمع اختلاف أصوات الحشرات ونغماتها المزجوجة فيفكر أن من بينها

ماحوت هذا الجبال البديع والعيون الظرفية التي تمثل شكل النجوم المشرقة في دياجي الظلمات ولكن عيون النمل أبديع في الاتقان وأتقن في الصنع من كواكب السموات إذ تلك العيون المرمصة في رؤس النمل دبرت تدبيراً خفياً لإلا على ذوى القلعة وبها اعتدى أحقر شيء فيما نرى وأصفه دقة الصنع وإتقانه تعظم قيم الأشياء عند العقلاء فلا تدخل لسطم الجثة وكبرالجهم ، ولها قرنان طويلان كالشعرين دقيقتان بهما تحسن الأشياء وتقوم مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحمل والحمل والترحال يسميان (الحاسنين) هذا تركيب جسم النمل وهذا وصفه

﴿ في مساكنه ﴾

لعلك أيها النكبي إذا سمعت ما ناولناه عليك وحدقت نظر بصيرتك وتأملت بفراستك تعلم أن هذا الأحكام لم يكن إلا لغاية وهذا الصنع لثمة وأعمال وسياسات والافايئة ماهذه الأعين الكثيرة ، وماهذه الأرجل ، وما تلك الأجنحة ، ولم هذان الحساسان ، أخلق عبنا ؟ أم تراه مستعداً لأعمال عظيمة تناسبه ، أجل لاغزو انك تترى ثاقبي الأمرين ، وإني أرى نفسك قد شاقستك إلى معرفة مراتب على هذا الصنع من الأعمال الجلية وقد استعنتت قريحتك لما ألقى عليك الآن فاقول إن هذه الحشرة بمقدار ما أتقن الله من جسمها أقتت من صنعها ، وعلى قدر كمال احساسها وجاله أدارت سياساتها وملكتها وسورها وزروعها ، وهل أناك نبأ البيوت التي تتخذها تحت الأرض وتجعل لها أعمدة وبهوات متبعت (صالات) في كل بهوة أبواب مفتحة إلى مجرى صفيراتها تسكن فيها وأخزنها فيها الحبوب والفلال وبينها الطرق والمساكن والشوارع بحيث تهتدي بها إلى أعلى الأرض ويجتمع من تلك البيوت ويهواها ويجرياتها وأعمدتها قرى كلمة ذات بيوت كثيرة والأغرب من هذا أنها قد تملك عدة قرى كأنها مستعمرات تصل بينها بطرق كأفضل الأمم المتعدية وتصل بين مستعمراتها بالسكك الحديدية . ومن العجيب أنها لم تقتصر على فن واحد من المهارات بل هناك نوع آخر يبنى البيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار والأغصان وقشور الخشب المتساقطة من الأشجار العتيقة وتبنى مساكن فوق الأرض كالتي تحتها وترى أمام الناظر كأنها أكلم ما بين عشرة أقدام إلى خمسة عشر قدماً ويكثر هذا تحت شجر الصنوبر ، وهناك نوع ثالث ينحط من الأشجار العتيقة بيوتاً كما يتخذها الإنسان من الجبال بيوتاً ومن يتأمل صنع قسما المصريين في السرايب تحت الأرض والمقارن والتجاويف وما بنوا فوقها من الأهرامات والبوابن وما تحتوا من الصخور في جوف الجبال كما يشاهد بين مصر وحولان وغيرها وجد أن الإنسان في تحيينه مدينته يصل إلى درجة الحيوان في صناعته فإن هذه الأنواع الثلاثة هي التي هدى إليها النمل بطورته بالتعليم والامدرسة ، وسترى صور بعض هذه البيوت قريباً

﴿ أسواله للمعيشة وزراعاته وترتيبه لما يشتهه وحربه وأسره ﴾

وهذه البيوت المنتظمة تستأجر عادة أعمالاً خارجية تناسبها وتناسب استعداد هذه الحشرة وكما اختلفت أنواعها في بناء مساكنها اختلفت في طرق معاشها واكتسابها ، فبها نوع زراع بزرع الارز في أرض صالحة ولونأملته لوجدت حقل جليل الشكل حسن الوصف وفلاحين غادين والخبين لهم طرق زراعية بهجتها الإنسان لأحكامها وحسن هدامها ، ولقد شأهت صورة رسمها السيلح في الكتب الأجنبية فوجدت للحقل الواحد أربع طرق زراعية هندسية والارز يتأيل عليها بحيث لا ترى ورقة من تلك الأوراق أصابها أدنى ضرر أروسخ وفي وسط الحقل بهو (صالة) منسقة على هيئة شكل يضاوي مشاكسة للظلم التي تسير فيه الشمس وهي الدائرة السنوية اليفضالوية وكهية أوراق الأشجار وهذا النوع كالأمة المصرية أتمت زراعية وسرى صورته ، ومنه نوع عمداً إلى الماشية فتغلب عليها أولاً بالأس والشجاعة ثم أنسها وتسمى باللسان الاقربنجي (أفد) ونسبها نحن (بقر النمل) وذلك لأن النمل بعد أن يقهرها ويغلبها ويستأنسها ويستحوذ عليها بقوة يأخذها في مرمى خصب

وهو ورق الورد واغصانه فيلاحظها وهي تنقص منه حتى تمتلئ ثم تأتي النملة الى واحدة من تلك الجاموس وتمتص مادة حلوة يستلذها النمل لأنه يميل للحلاوى حتى اذا امتص ما في واحدة ذهب الى أخرى وأخرى حتى يمتلئ ، ذلك عادة هذا النوع وقد فعل النمل فعل الانسان في استئناس الحيوان والانتفاع بألبانه وغيرها ، وهناك نوع ثالث همدالى الحرب والقتال وتقلب على حيوانات أخرى فسخرها في أعماله وشغلها في فلاحته واطعامه واطعام أولاده فيخرج في الحروب بنظام ويصدر الأحكام العسكرية الصارمة واذا غلب أخذ الأسرى وفعل كالانسان

(تربية الصغار)

وليس أعجب عند العاقل من تربية النمل لصغاره فلونظرت لرأيت الاناث وهي تضع ايضا أصفر اللون أو أبيضه في محال تقرب من مساكن كباره قد خصصت له مراضع ورميات تلاحظن ليلا ونهارا . ولا يزال في الطقس والحاررة للناسبتين له حتى يتم له أسبوعان أو أكثر الى أربع ثم ترى كل البيوض قد فتحت فأخرجت دودا صغيرا لاجناح له ولارجل يبضاويا شكله محذبات رؤسه يعتبره المروضات وتلاحظه المريات تحمله من مكان الى مكان مواظبات على اطعامه ما يناسب حاله من حارارة وبرد تارة أخرى ومزدوج منها في الدرجة المناسبة حسبما تقتضيه الحال ، كل هذا والود يشبهه في أكله ويستزيد من طعامه حتى اذا تم له بضع أسابيع أخذت حاله تتغير وينتقل الى طور آخر من الحياة هو طور النوم والسكون والاختفاء في شكل كرمي من حور يفرزله نفس البودة على نفسها كبودة الحرير فلورأيت ثم رأيت بعض البود لم يزل مكتوبا والبعض أخذ يفرز فيه كما يفرز دود الحرير والعنكبوت والبعض قد نسج على نفسه كرتة ونام في عالم البرزخ الى يوم يبعث من مرقده فيخرجها ، وترى الأثمات إذ ذاك ملاحظات متقطعات فاذاتم النسج ونلم الجيع ومضت أيام أخذت تلك العوالم تنهض من قبورها وتقوم من موتها وتنهض من رقدتها وتقطع خيوطها وتقرض حريرها المحيط بها ولذا خلقت لها الأرجل والأجنحة لتستعد حياة جديدة هي الحياة الثمانية حياة الجهاد والعمل ولورأيتها لشاهدت أثمات قد أشرفن على الأبناء وقد ربت ربتا محكما وثيقا فأخذت الأثمات يشككن الأربعة من الصغار ويطلعن الأجنحة والأرجل ويخلصن الناشئة النابتة من تلك الرباطات ويضلن العيون والوجوه ويمسحن التراب ويزلن الأوساخ لأن النمل يحب النظافة جدا مفرطا ، فانظر وتأمل كيف كان جسم النمل وخلقه مستعدة لأمور عظيمة وقد هدى اليها بفرزته ومن هنا نفهم قوله تعالى - ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه - ومنه يعلم الخشع بطريق الفراسة . وذلك أن هيئة النمل في شكله وعبونه وحواصيه وقواه تناسب هذه السياسات القربية والأعمال العظيمة فاهتدى لها . فهكذا فليكن الانسان لما سخره ما في السموات وما في الأرض وعشقت روحه العلوم والمعارف ومال بفرزته اليها وجب أن يكون روله هذا سر يناسبه والا فما هذا الاستعداد وما هذا الميل العجيب لاقتناص العلوم وحب الخير . واذا كانت النملة وهي دودة تكمل خلقتها لتناسب الحال المستقبل في الحياة ولاعلم لها بها فلهذا الانسان دبرت روحه في الحياة ويريد فلا بد لهذا من نبأ - ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون -

وهناك نكتة أخرى وهي أن من رأى في نفسه استعدادا لأمر وشوقا اليه فليعلم أن مقتضى الحكمة ينال مطلوبه لأن الاستعداد داع حيث والكائنات أطوع للاستعد من غيره وهذا صلتقاه بالبصيرة والنظر

(حكاية عجيبه عن النمل)

ففى عالم من علماء الرومان طول حياته في النظر في حال هذه الكائنات الصغيرة فشاهدنملة تشتغل طول يومها بحسب ما حفرته وبنته في ذلك اليوم ونسبه الى جسمها وشغل الانسان وجسمه فوجدانها لو كانت رجلا مشتتلا هذا الشغل لحفر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعون قدما وعمقه ربع أقدام وأخذ هذا الطين وصنع منه أجرا وبني به أربع حيطان على الأربع الجوانب للخليجين كل حائط من قديمين الى ثلاثة ارتفاعا ونحو

(١٥) بوسة سمكا وغلفا ويدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الأعمال بلا مساعدة آخر في النهار كله وذلك كله مع فرض أن الأرض مملوءة بالأعشاب الصغيرة والأخشاب والأشجار وجذوعها الهائلة والأرض وعرة المسالك فيها أكلم من الرجم ، فلذا فعل هذا رجل كان أمجوبة زمانه وهو عادى بسيط عند الفحل - فبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات لقوم ينفلون -

﴿ الطبقة الثانية ﴾

في ذكر ما كتبت في كتابي « نظام العالم والأسم » تحت العنوان الآتي

﴿ الجمهوريات في الحيوان ﴾

(ترجتها عن الورد أفيرى)

الحيوان خلق عظيم فيه من دقائق الحكمة وصنوف الجبال ما يبهر العقول ، فنه ما يبهج العين بمحاسنه وينعش القواد بمنظره كآني دقيق وغيره من الحشرات والطيور ، ومنه ما يهولنا بعظمته ويهزنا بعظيم جثته كالقيل والهيكل العظيم والخلق الكبير في كل جبل ألا وهو (القيطس) ومنه ما يسحر العقل ببجماله ويحلب القواد بسحر حاله ويرسل للفكرة مغناطيس أخطابه ويسلب الب لدقة صنعة وحكمة خلقت ذلك هو الحيوان الذي توارى عن الأبصار فلا يرى إلا بالمتظار ، وأجل الحيوانات لفة وأعظمها فائدة ما ألق الشركات وعاش جماعات ، وهل أريد بما أتاه عليك ما مجتمع أليها معدودات في فصل من السنة كالغناطيف أو تلك التي لها جمهوريات ثابتة خاصة المكان . كلا . فالأولى يجمعها خاصة الزمان والثانية يؤلفها المكان وإنما أردت تلك الدول النظامية والأسم الدستورية والجماعات الشورية كالفران و كلاب البحر فانها تهب لعقولنا حكما ولأرواحنا حيا ولنفوسنا علما ونظامنا دستورا ولأخلاقنا حكما على أنها مع عظم أمرها لن تبلغ عشر معشار ما وهب النحل من الحكمة في تقدير بيوته وتأسيس أشكاله وما أبدع في نظامه وهنئسته ، ومنح الإنسان هبة العسل ونصب نفسه ناطورا الأزهار وقيم البستان فلو أن بالوان جيلة يشقها ونحن له مدينون وهو لا يشعر فقد زينت وقشقت لمنظره وهو غافل . على أن هذه ربما كانت أقل مهارة من النحل كما يشهد بذلك فطاحل العلماء مثل (هبرولر) و (كوك) و (وسبان) وغيرهم من الفحول إذ قالوا إن نظم جمهورية النحل في أصناف جنسها وأفرادونها وفي دستورها الشامل لطوائف الأمم الخاضعة للستعبدة لرقها والنواميس العامة على أنواع المخالقات من الأنعام المناسبة لها لانظر له في الأمم فيما ذكرنا . ثم ذكر المؤلف كلاما عن نحل بلاده فقال ﴿ إن النحل تبلغ أصنافه ألفا وتزيد ، كل نوع يتألف من غيره بصفة وقد لاحظت النحل الشغل فعاش سبع سنين والملكة عاشت ١٥ سنة ، وكل جمهورية من الجمهوريات لها ملكة أو أكثر ذات جناح قبل أن تطير لملها فإذا جلت كسرت الأجنحة إذ تعلم انها ستلزم المكان والجناح شغل لاقادة فيه في الجرات وفيها ذكران من النحل لاشغل لها والعمله لاجناح لها والصبيه الصغار يتبع في السير تحضر الجرات وتشكل السرايب وتمسكس الدهاليز وللنحل طفات وتموهي فيها ، وترتيب في المساكن على درجات السن كما قصف صفوف التلاميذ بالنسبة لأسنانهم . ومن النحل ما عظم جنة وكبر قامة وامتار قوة . وهل يقوم ذلك برهانا على أنهم جنود وقوامون على الأمة . ذلك ما يعضو النبل ﴾ وقال دابتن ﴿ إن النحل لتي كبرت رؤسها وعظمت خرطومها تتمازج من الصفوف في سيرها قسيرا بجانبها كضباط العسكريين وإذا احتملت تلك الغلات قوتها رجعت تلك الضباط غير حاملات فرما كان ذلك دليلا على أن أولئك ضباط وذلك محتمل ﴾

﴿ ومن العجيب أن العملة من النحل والنحل لافتا أتمه العمل تنظر إلى الملكة كأنها تستمر الرجات بمنظرها أو تستروح السرور بمشهدها . ولقد شاهدت جماعات النحل وهي خوارج من عش دواخل غيره قد اتخذن

ذلك المشهد مهربانا للملكة فحدث بدى لعمل أهله طق فأصلب القضاء للملكة فقلت حقها فرأيتهم اجتمعن حولها ورفعتها حتى أدخلتها أوسع مكان في القرية التي أعدتها لهن ولم يعاملنها معاملة مايموت منها وينبذه بالعراء فجلسن حولها فلورأيتن قلت انهن باقيات خزائن أوراجيات يشوق عظيم حياتها أو كأنهن يظان انها حية متسلى ، وقد تركب القرية من خمسمائة ألف نخلة ﴿

﴿ ومن العجيب أن لا ترى غنيتين من قرية واحدة تتافران على أنهن لا يتعرجن عن مهاجة اخواتهن في الصنف فضلا عن النوع ، فضلا عن كل حيوان ، ولكم حاولت ادخال نخلة من نفس الصنف في عش اخواتها فلم تسكد قطأ أرض العش بأرجلها حتى فاجأتها فأخرجنها من رجلها فليس بكم لديها إلا اخواتها المشاركات لها في مرافق الحياة وماعداها من الصنف فنبوذ مطروح ، ولقد فصلت القرية الى قريتين وبقيت على ذلك سنة وعشرة أشهر ، فلمعرك ما التقي الجمعان إلا وهما متعارقان يتصالحان وبهاجان ماعداهما بمجرد التقائهما ، بهذا أثبتت المعرفة والتمييز في الأشخاص ، ولن نعرف أكان بسلامة أم لا إلا بتجربة ففريت على (الكورورفرم) فثقت أن بيتها فصعدت الى العمار فأسكرتها وما كادت تسكر لولا أن غصت رؤسها فما كان إلا دقائق حتى سكرن وهن إذ ذاك خمسون خمس وعشرون منها من عش وخمس وعشرون من آخر وهما بمشهد من جاعات من إحدى القريتين وهن يطعنن على مائة أحيط بماء ثلاثينزق الخمل شذر منرفا كادت تشعر بالسكوى إلا وأقبلت من كل صوب وأدهشت كما ندهش لسكرانا فأخذن اللاتي من غير قريتها ووضعنها لدى طرف الماء وأغرقتن ، أما اللاتي من قريتهن فخلتهن برقى الى العش . فن هذه ترى أن الخمل تعرف بعضها بفير علامة ولا طريق . وهذه عاطقة في الخمل عدت في الذئب وغيره فلذا جرح أحدها أومرض طرده أصحابه أوقتاوه . ولقد رأيت نخلة كسرت رجلها إذ قست يضتها فقامت على ظهرها ثلاثة أشهر والخمات يطعننها ويسقينها ، وأخرى جرحت بشمل ذلك فقامت أيلما ثم خرجت فهاجها الأعداء من كل صوب فوقعت مضطبا عليها فرأ عليها الخمل لا تبدي حراكا حتى اذا جاءت نخلة وحركتها وجست نبضها ثم حلتها برقى الى عشها . فهذه دلائل العطف في هذا الخلق الضعيف . الخمل والنحل لهما علم بسياسة المدينة ونظام الجمعية ولكنه علم محدود ونظام محدود . وترى النخلة اذا عثرت على طعام أسرعت البقية اليه ورأيت الرائد اذا دخل العش خرجوا معه وان لم يكن في فم شئ فمن الحق انه أفهمهم بفير رؤية الشئ ﴿

﴿ من الخمل ما يكون له أسرى وهؤلاء يقمن بخدمة السادة حتى اذا رحلن من قرية الى أخرى حل العبيد السادة من الأولى الى الثانية . ولقد رأيت الصواحب من الخمل اذا حوب عشها بحثن عن غيره فلذا سقت مكانا ورائته لإحداهن أحضرت أخرى فخلتها ثم أرتهما المكان ورجعا فأخذوا غيرها ثم رجعن فخلن غيرهن وهكذا بالتضعيف حتى تجتمع القرية جميعا ، وهذه ترىنا أن ذكاء الخمل محدود ، وبدلا على ذلك ما نرى من أن بعض السادة لا يأكل إلا اذا ساعدهن العبيد على احضار الطعام فلذا قسم الغذاء بينهم وأفرد كل بكان وبقى السادة يوما أو بضه مات إذ لا ترى من يضع الطعام في أفواهها . وكمن حشرات اتخذتها لها أنعاما زينة لها وجبالا وساما . تتخذ ألبانها العملية طعاما تسومها كالأنعام على غصون الأشجار أو ترعاها في الكلاء والحشائش والاب أو تحبسها في بيوتها وتؤتيها أكلها كل حين بتقدير فتمتص الأنعام من النبات فتعال العسارة في بطونها عسلا فتمسه الخمل . وأنتج تلك النمل حيوان اسمه (فيس) كأنه بقرها تكلوها بحمايتها وتحميا برعايتها ولم تكن رعايتها قاصرة على نفس الحيوان فقد تجمع بيوضا في الخريف وتكولها في الشتاء وتر بص الربيع المقبل ومن الحشرات اتخذته الخمل دواب تحت الأرض فتبقى أمدا طويلا فتختصر عينيها وتبقى عمياء أنا لا أليل الكلام في هذا للمقام إذ هذا للموضوع أوضحته في مكان آخر انما أقول أسألك أيها العاقل اذا رأيت الخمل وهي في قريتها تستقل بحركتها وكيف تترك بفريتها واذا رأيت هضبة سكنها الخمل وهي آلاف

مؤلفة تحفر الحجرات وتشكل السحاب وتهندس الطرق وتحفر الأماكن وتجمع القوت وتعلم الأبناء وتصف صفوف المدارس فيها وترقى بحيواناتها كل منها موكل بما يناسبه من العمل قائم به ، فلا جرم أن هذه هبة عقلية ولئن قلنا انها غريزة وسليقة فمن ذا الذى يضع حدا فاصلا بين الغريزة والعقل ؟ انه ليس

فهذه المناظر تهدينا الى أن هذه هبة عقلية مشتقة من عقل الانسان تشبهه كيفا وتقص سنه كما (المؤلف) أقول هأنذا ذا أنها الذكي القارئ لكتابتى هذا نظرت مقال أكابر حكماء العصر الحاضر وفلاسفتهم فتأمل كيف تراهم يتقبون عن أسرار الحكمة الإلهية ويعتنون ونحن غافلون ، وهنا بدائع وملاحظات

(أولا) إن الله جلت حكمته لم يشأ أن يدمع مخلوقا إلا وأعطاه حكمة وعلما لمعاشه وبقائه . قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . كما ترى فى لون الحشرات والطيور والحيات وأشكال وسياسات الحيوانات (ثانيا) ان علماء أوروبا يعتقدون عن عجائب الجزئيات ويطمعون فى استقصائها ونحن نقول لامطمع فى استقصائها ولكن لا يرجح الأفتدة إلا تعقل الكليات ولن يعرف العقل إلا بعض الجزئيات إذ استقرأها لامطمع فيه وكليات المسائل عجبية صادقة وكلها ناطقة بالعدل ، أما الجزئيات فترى المرء يضل فيها . فهاهو (اللورد آفبرى) يضل من عداء فى لون السمك فقد كانوا يحسبونه بلا حكمة فظهر له أنه بحكمة ونحن زدن أن عظام الحيوان والأحجار لحكمة

(ثالثا) يقول الحكماء فى القواعد المعلقة « ان لكل مخلوق علة ومادة وصورة وغاية » فعلة اللون غير مادته غير صورته غير غايته وهى مطردة فى كل شئ فقولوا ألوان المعادن والأحجار اتفاق كلام غير مسلم إذ له علة وهى التمازج بحيث خاصة وصورة ومادة وله غاية وهو منفعة الانسان فالتعصير بما قلوه قاصر ،

(رابعا) هذا يفيد حكمته تعالى إذ يقول . وما كنا عن الخلق غافلين . (خامسا) قصة النمل وقول الله تعالى . وحشر سليمان جنوده من الجن والإانس والطيور فهم يوزعون حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . الى آخر الآية بما معهم منه اهتمام الأنبياء يعلم الحيوان ونعلم أن المسلمين مأمورون بالبحث عن هذه الحشرات والله أعلم انتهى ما ذكرته فى كتابى « نظام العالم والأمم »

وقد جاء فى جرائدنا المصرية يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٦ م ما يأتى

(حرب بين قبيلتين من النمل)

فى الشهر الثالث جرت معركة هائلة بين قبيلتين من النمل فى حديقة الحيوانات فى لندن اشترك فيها نحو ألف نملة من الجانبين ودامت أربعة أيام وانتهت بمقتل والجرح وشهد فيها المشاهدون انتظام الجيشين وهجوماتهما وخنادقهما وكشافتهما وأسراهما وخططهما الحربية وهدتهما الى غير ذلك من أسرار الحرب مما يدهش الناظرين وحلل العالم الطبيعى (السير جون لوبوك) أن يقول (إن النمل أقرب الحيوانات الى الانسان فى أفعاله) ونحوه راغباً أن أحد المولوظفين فى إدارة تلك الحديقة ألقي خشبة على ستتقع صغير فى الحديقة المذكورة يفصل بين قبيلتين من النمل الواحدة قديمة فيها منذ (٣) سنين والأخرى جدد بها حديثا فكانت تلك الخشبة كجسر (كوبرى) يعبر عليه من المستعمرة النمل الواحدة الى المستعمرة الأخرى ، وحدث أن نملة من القبيلة القديمة عبرت الجسر الى القبيلة الجديدة ودخلت الى عشاها ولم ترجع فكان ذلك سببا لإثارة الحرب فقررت القبيلة القديمة الحرب ولكنها لم تضع صوابها وتستسلم لتضيها وحدثتها وتدفع بلا نظام لكي تقع فى كين الأخرى بل اختارت عشرة من أبطالها وأرسلتها للاستكشاف والتجسس فالتفت هذه العشرة على الجسر الى المستعمرة الأخرى ولكنها لم تر واحدة من غلاتها بل فهمت أن هذه كلمته فى عشاها غير دارية بما يجوز

في خاطرك فادت الكشافة وأبلغت ما علمت ، والظاهر أن القبيلة القديمة عقدت مجلسا وقررت الهجوم لأنه بعد بضع دقائق خرجت جنودها صفوا متراصة كصفوف الألمان والفرنسيين في معركة المارن و بعض الخلات خرجت الى جهة أخرى حيث الرمل الأبيض فأقامت مناريس من الرمل وتحصنت فيها ثم هجمت الصفوف على الجسر وجعلت تعبره ، وكان حينئذ أن غلة من القبيلة الجديدة خرجت قرأت كصفوف الأخرى قائمة تتدفق على الجسر فأُسْرعت الى حشا وأبلغت الخبر الى قبيلتها لما لبثت هذه أن خرجت أيضا صفوا للقتال وجرت المعركة الهائلة التي لا يصدق هولها إلا شاهد العيان ، دامت المعركة (٤) أيام بلياليها وفي خلالها حدثت هذنة واحدة مدة بضع ساعات ، والظاهر أن غلة لم تستطع ضبط غضبها غرقت شروط الهدنة واستؤثقت المعركة ثانيا أشد احتداما من الأول وشوهد عدد عديد من الجرحى تنقض في مصارعها وبعضها وقعت في الوحل وأما القتيلات فكانت مطروحة في مصارع مختلفة بلا حراك وأما القتال فكان أن القوية تحلف بالضعيفة الى المستنقع وان لم تستطع ذلك كانت تقطع رجلها وترتكها لرجة الطبيعة ، وفي اليوم الرابع بعد الظهر انكسرت القبيلة القديمة أي انكسار إذ اندسرت على الجسر وقبعت عن آخرها قريبا وحصونها لم تفدها لأن الطريق بقي مفتوحا لعبوتها وأما القبيلة الجديدة المنتصرة فأُسْرعت جانبها من حيلوتها لتسعيدها وقتلت البقية وأهملت العائلات غير المحاربات قتلت القتيلات الى مكان آخر ونظفت حيا منها وعاد السلام الى نصابه

وقد ظهر أن ذكاء الخمل ونظامه في مدة الحرب لا يقلان عنهما في مدة السلم . ليس هذا الحيوان الاجتماعي الحبيب جنبا حريا فبقا قديرا فقط بل فيه المهندس الفنان والحاسب والمرضى والجراح والطبيب والزراعت وهو يدفن موته باحترام ، وظهر انه يحب المرح والمرح واللعب والسباق حتى السكر ، ويؤكد الدكتور (هرمن ايدمان) العالم المشهور في مونيخ (ألمانيا) أن النمل لغة للتفاهم ، أما ان الخمل مهندس فنان فغالوم من أبراج الطين التي يبنها الخمل الأبيض في شرقي أفريقيا إذ يبلغ ارتفاع بعضها عشرين قدما ومع ذلك ليست ضخمة فهي بنسبة تخافتها الى ارتفاعها كما لو بنى المصريون (١٢) حرما الواحد فوق الآخر . ولا يخفى أن الخمل ليس له الآلات والعدد التي كانت للمصريين ومع ذلك ترى أبراجه هذه في غاية الدقة والاحكام الهندسين

في جبال بنسلفانيا إحدى الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مدن الخمل في العالم ومعظمها مبنية تحت الأرض وأكبرها يشغل ثلاثين فدانا ، تأمل في (٣٠) فدانا من الأرض وقد حفر فيها منازل الخمل تتخللها الشوارع والمعاير والطرق وكل غلة تعرف طريقها الى بيتها باحساس غريب وشعور بالجهت

يعد الخمل أعظم بناء على الأرض وأدواته وبعض موادّه في جسمه (مثال ذلك) انه يصنع بعض مواد البناء بمخضع نوع من النباتات وجعلها ملتصحة بعضها ببعض بواسطة عصارة لزجة يفرزها من غدة فيه وأغرب دليل على ذكاء الخمل أنه يصنع سقفا من أغصان الشجر بخياطة أوراقها بعضها ببعض هكذا الغلة البالغة لا تستطيع أن تفرل خيوطا ولكن الطفلة تستطيع لأنها تصنع فيلجة (شرقة) ولذلك تصعب الخلات العائلات طفلانها للغزاة فيالجها وتدفي الغلة العالمة ورقى الشجرة حافة لحافة وهي حاملة الطفلة ضمها وتقرب رأسها لحافتي الورقتين فتشعر الطفلة تنزل سرورها أي خيوطا وتعلقها بالحافتين وفي أثناء ذلك تجعل الغلة العالمة تقدم الطفلة على طول الحافتين والخيوطا المنزولة تلاهما حتى يتم التحملها جيدا . ولا يخفى أن الخيط يخرج عصارة من فم الطفل ولكن هذه العصارة تحمّد في الحال وتصبح خيطا

ترى الخمل في ساعات العمل يعمل بنظام كأن مرشدا يرشده ، ترى غلة ترم بناء متهتما وأخرى تنقل زبالة وثالثة تنقل الأطفال التي لا تحتمل تأثير النور الى الوكر المظلم وراية تأتي ب مواد البناء ولكن ليس هناك قائد ولا مرشد بل تعمل جميعها من تلقاء نفسها بحكم الغريزة كأنها آلات للنمل قوة التميز الغريزية بدليل أن (السرجون لوبوك) أخذ بعض غلات ووضعها في سائل كحلي (سيروتو)

حتى سكرت ثم طرحها سكرى فلما وأتها وريقاتها صاحيات جعلت تنقل منها ما كان من قبيلتها الى بيتها وألقت
الغريبات في بركة الماء

﴿ مسامرة في النمل ﴾

(من كتاب « علم الدين » للرحوم أستاذنا على باشا مبارك)

إن النمل كثيرا ما يكون بينه حروب كبيرة ومناوشات كثيرة غير أن طوائف النمل عند تجهزها للحرب
ومسيرها للقتال لاتستعمل ما يستعمله الانسان لحروبه من العدد والآلات والأدوات بل تسير للقتال بأنفسها
غير مستعجبة شيئا من ذلك معها وتستعمل في قتلها ما قد يحجز الانسان عنه من المكر والجمل والمكائد
ومن النمل نوع يأسر غيره ويستعبده ويستخلمه طول حياته ويتخلص بواسطته من الكد والكسح والعمل
لنفسه وقد شاهد بعض علماء الطبيعيين نوعا من النمل يحمل نوعا آخر في فمه ولكن لم يكن يعلم حكمة ذلك
ولاسببه الى أن ظهر الآن أن بعض النمل قد يحتاج الى خدم فيجمعهم على غيره فيسرقه ويستخلمه في أعماله
وسائر أحوال مسكنه ومعيشتة ، ومن يراقب النمل أيام الصيف في بعض الجهات يجد أنه يفر على بعضه فيأخذ الغالب
منه أولاد المغلوب ويسترقه ولا يكون ذلك غالبا إلا في الليل فيخرج ويصطف صفوا متقاربة ويقصد الجهة
التي يريد غزوها فلا يرجع إلا وقد بلغ مقصوده فيخرب المساكن ويفرق المساكن ويأخذ ما أحب من القرية
ولا يأخذ الكبار لعله انها لاتنقاد لحكمه ، فإذا رجع بالقرية جعلها بأفواه ، وإذا خلب أحد من الحزب الغالب
ولم يجد أسيرا يسترقه أخذ معه من رجم القتل ما قدر عليه لينتفع به في غذائه وترى هذه الفقة الغالية في عودتها
ومنصرفها الى مساكنها تسير خلف بعضها واحدة خلف واحدة حتى انها قد تسفل مسافة من الأرض يبلغ
طولها نحو أربعين مترا وبهذه الصورة تعود الى مساكنها بالظفر والقيمة في حال مسرة وطرب ، فإذا وصلت
الى منازلها بهذه الأسارى الحديثة السن تقدر لها محلات مخصوصة وترىها مع الصدق والأمانة والخلق وتحفظها
من كل ما يضر بجسمها ويحل بصحتها حتى تبلغ أشدها ، وهذا النوع المحارب المهب للسلب والنهب لا يجب أن
يشغل بشئ سوى الحرب فلذلك يكل بناء بيته وثرية ذريته الى ما عنده من الأرقاء والخدم حتى انه اذا
احتاج للانتقال من مسكن الى آخر تكفلت خدمه بنقله وقامت بحمله فتراها تحمل بأفواهها كما تفعل الحرة
بأولادها . وقد امتحن بعض المشتغلين بالبحث عن أحوال الحيوانات بعض النمل الذي تخيل فيه الترويض
والامارة والرفاهية والاحتياج الى خدمة الغير له فأخذ جماعة منه وأفردها عن خدمتها ثم أحضر لها شيئا مما
يتغذى النمل به ويتهالك في طلبه فوجدها غير مبالية لما أحضر لها حتى مات أكثرها جوعا ثم انه قتل البها
واحدا من النمل الذي توهم فيه العبودية والخدمة فاشتغل بخدمتها وتغذيتها فأكلت ما أحضره اليها مما كان
يرأى منها ولم تكن تتحرك اليه من قبل فأكلت وشبعت وانتعشت فعمل من ذلك أن هذا الصنف الغالب
المحارب بعد أن يبلغ في حروبه ماشاء من النصر والظفر والقيمة ويحصل على ما أراد من العز والثروة
والسعة قد يستولى عليه حب الراحة والرفاهية واللذة فيأخذ في الكسل والبطالة ويكل جمع أموره الى ما عنده
من الخدم والحشم والأنباع ولا يشتغل هو بشئ من الأشياء فيختل عنه نظام الجمهور وتور على صروف

المقدور بالويل والنور وقصد الامور

وطباع هذا النوع مختلفة باختلاف الأماكن وبالنسبة لزوم الخدم وعدم لزومها ، فترى الأرقاء في بلاد
السويد هي التي تبني المساكن وتقف على أبوابها بمنزلة البوابين فتفتحها في أول النهار وتغلقها عند دخول
المساء او ظهور علامات تدل على المطر ، وقد شوهد في بلاد الانكليزان الأنباع والأرقاء عليها جميع الخدم المنزلية
الداخلية فقط وفي بلاد السويد عليها بعض الخدم الخارجية أيضا بسبب كثرتها ، وليس جميع النمل قابلا
للاستعباد والاسترقاق فان هناك نوعا صغيرا الجثة لا يقبل الضيم والتذل بل يدافع عن نفسه بحماس ويقاوم

أعداده بشدة بأس وشهامة فتعشاه وتمياه وتجنبه حتى انها لاتقرب عائلته ولا تسلط على أولاده بل يرى بعض
 ساكني بالقرب من مسكن جيوش الخمل الحاربة مع الامن والاطمئنان من غير أن تاله بمكروه لعلها بشجاعته
 وبأسه . ومن الخمل المحارب مالا يقتصر في محاربه على استراقه لغيره من الخمل بل يزيد على ذلك أن يتخلل
 النبات فيجد في خلاله حشرات صغيرة كالبعوض لها ثلمان في ظهرها من الجهة الخلفية يخرج منها مادة
 سكرية يحبها الخمل جاشديدا فيمتصها فتكون تلك الحشرات بالنسبة له كالبقوالحباب بالنسبة للانسان فيصعد اليها
 فوق أطراف النبات والأعشاب ويركب كل واحد واحد وفي بعض الأوقات قد يجتمع الخمل وعبيده ويتحزب
 الكل ويسطو عليها دفعة واحدة ويأخذها ويحبسها في منازل كما يحبس الأدنى البقر والغنم فيمتص لبنها كما
 شاء ومتى شاء ويتعهد بها بالطعام والغذاء كما يفعل صاحب الغنم والشاء

وأغرب شيء أن هذا الخمل يعمل حول بيته جسورا منيعة أو لها عند بيته وأخرها بعيدته عتاط بالحشائش
 التي ترى فيها الحشرات المذكورة وقد يتخذ لها أماكن مخصوصة لا يمكنها التخلص منها فتيق فيها كالطبوسة
 ترى فيها أعد لها من المرمى وتصلي لبها للتمل متى أراد ، وفي بعض الأحيان يقع بين الخمل وبعض محاربات
 عظيمة ومناوشات شديدة كالحروب التي تقع بين قبائل البشر منشؤها عداوة طبيعية أو حوادث وقتية وقد
 وصف بعض المشاهير من علماء هذا الفن واقعة رأها بين قبيلتين من جنس واحد من الخمل فقال (كنت
 بين قبيلتين عظيمتين كثيرتي العدد وكان ما بين محطتهما قدر مائة خطوة ولم أعلم السبب الذي أوجب ثوران
 الفتنة وهيجان الشر بينهما وإنما رأيت عدد الحاربين من الفريقين بلغ في الكثرة مبلغا عظيما جدا بحيث
 يتعلم على دولتين من البول الكبيرة جمع عدد مثله من المسكر . قال ثم رأيت الفريقين أخذوا في الزحف على
 بعضهما الى أن التقي الجمعان في قفر قديمين من الأرض في منتصف المسافة التي بينهما ورأيت خلف كل جيش
 عددا معدا للدد والإعانة كاتقل الجيوش من اتخاذ المدد في الحروب ثم جيت الحرب والتحمت الصفوف والتقت
 الألوف بالألوف - والتفت الساق بالساق - وصار كل من الفئتين يتفجع بما صادفه أمامه في الأرض من حجر
 ومدبر وغير ذلك فيترس به ويتحصن خلفه من عدوه وكان البعض يقاتل ويضرب والبعض يحوز الغنيمة
 ويضبط الأسرى وكان يرى على الأسارى علامة الحزن والكآبة لاسيما عند مقاربة الخمل المعد لاعتقالها عند
 العدو ، قال ورأيت محل المعركة قد تغطي برم التللي ودماء المجرى وصار يشم منه روائح كريهة لكثرة ما اجتمع
 فيه من الجيف وكان ابتداء القتال بين الفريقين باثنين برز كل منهما للآخر قماشكا بالأرجل وصارا يتصارعان
 ويتفالن ويحجب كل منهما قرينه الى جهة ثم أتى لكل واحد منهما مدد من قبيلة يجنبه الى ناحية حتى
 صار الأولان مع ما انضم اليهما من المدد أشبه شيء بجبل طويل يشد أحد طرفيه الى جهة والطرف الآخر الى
 الجهة المقابلة لها حتى يظلب أحد الطرفين فيأخذ غريمه الى جهة أو يحصل الانفصال من غير أن يظلب أحد ثم
 يعود القتال فإذا دخل الليل انفصل الفريقان وانقطعت الحرب الى الصباح ثم يعود كل الى ما كان عليه وهكذا
 وكانت سعة ميدان الحرب قفر ست أقدام طولا وقدمين عرضا

قتال الشيخ كنت فها سلفا اجتمعت برجل من أهل السودان فأخبرني أن يبلادهم نوعا من الخمل أيضا اللون
 يتجمع جوعا كثيرة ويكون منه طائفة كالجنود والمسكر وطائفة كالعمال ولذا كان منه أجنحة وليس لماعداها
 من العمال والمسكر والانات أجنحة وتختص العمال منه بينه الساكن والسكر بالجلف والضب والحراسة ، وأما
 الاناث فليها البيض واكثر النسل وترية التربة والقيام بأمرها وهي كثيرة البيض الى الغاية حتى كأنها
 كيمس عماره أيضا فان حجبتها عماره بالبيض قدر حجمها طرقة ألني مرة ومتى ابتدأت البيض باضت في البقعة
 الواحدة قمر ستين بيضة وقديبلغ مقدار ما تبيضه في اليوم الواحد نحو ثمانين ألف بيضة (كذا قال الواعده عليه)
 فقال الانكليزي هذا صحيح كما قاله وقد شهود هذا النوع من الخمل في جهة رأس الرجاء الصالح وحجم مساكنه

بالنسبة لحجمه مما يقضى منه بالهجب فإن ارتفاع المسكن عن الأرض قد يبلغ نحو عشرين قدماً وشكله هرمي شبيه بقمع من السكر عظيم الجرم واسع أسفله ضيق أعلاه فن رأى هذه المساكن على بعد عنها كفرا من الكفور أو قرية من القرى الريفية وتكون في غاية من المتعة بحيث لا يمكن كسرها لشدة صلابتها ودخلها فسيح جدا حتى ان الواحد منها يسع اثني عشر رجلا يقيمون به وقد يتخذها صياد الوحوش مأوى يكمنون لاصطيادها ويوجد في داخلها مجارى مياه تشبه للدفاع الكبيرة تمتدة في الأرض الى عمق ثلاث أقدام أو أربع فلو نظرنا الى النسبة بين امتداد قاعدتها وارتفاع مائتيه من المساكن مع النسبة بين قامة الخمل وارتفاع مساكنه لوجدناه يوفقنا بكبر فان ارتفاع مسكنه قدر قامة خسيانة خرة ، فلو كان ارتفاع مسكن الانسان بالنسبة لقامته بهذه المثابة لكان ارتفاعه قدراً كبيراً هروم من اهرام الجيزة أربع مرات أو أكثر . ومن الخمل نوع يتسلط على منازل الناس فيجعل له تحتها سراويل يتوصل منها الى أكل ما فيها من الخشب ولا يزال حتى يأتي عليه ولا يبقى منه إلا ظاهره قد سقط البيوت بأقل حركة فيفقد الانسان بيته في زمن يسير ، وكثيرا ما تسلط ذلك الخمل بهذه الصورة على مدائن عظيمة وبلاذ عاصرة فألقها وخرها عن آخرها واضطرها الى الرحيل عنها الى جهات بعيدة لتسكنها وتبنى بها بلادها ومدائنها ، والهجب أن ذلك الخمل لا يحتاج في مثل هذا العمل الى مدد طويلة بل يقضى في مدة قصيرة وأيام يسيرة ، وقد حكى بعضهم أنه رأى أكل سلماً كبيراً من الخشب في مدة خمسة عشر يوماً ويأكل مثل الكوسى والمائدة والكراب في أقل من ذلك ، فبى الانسان هذه الأشياء واقعة بهيئتها على أصل صورتها ومتى مسها بيده صارت قراباً مذروراً وراحت هبله منتورا

قال الشيخ رأيت في بعض الكتب ما هو أخف من ذلك فكنت أستغربه فلأن زال استغرابي . حكى الجاحظ في « كتاب الحيوان » انه في بعض الأيام كثرت الخمل في بعض ضروب بغداد حتى ارتحل عنه أصحابه وتركوا مساكنهم فتمل وأن بعض الناس قل لأحد الفلانيين من الخمل كيف أخرجكم الخمل من دياركم ؟ فأخذ بيده وقال لهم معي لأريك ذلك وحمل من طريقه رأس جل مشوا فلما اتبها الى بعض تلك الدور أكل ذلك وأمر صاحب المنزل خادمه باحضار طشت كبير منصف بللاء ووضع عظام الرأس الى جانبه ففسى الخمل اليها وصلر يأخذ الخمل وينفضه في الماء فبعد مدة يسيرة فاض الماء من الطشت ، فقال له كيف تسكن تلك الميار على تلك الحال فسبحان من خلق الأشياء وعرف الانسان قدره بتلك الآيات ، فهذا جيش من الخمل أخرج قوما من ديارهم وأبطل حلهم وقوامهم وأهزمهم ليفهموا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - ويقولوا بأنفسهم على مواضع الاعتبار وتكون مساعيم فيها له خلقوا وكل ميسر لما خلق لأجله على حد الأدب مع الخلق وخالقه قال الانكليزي ومن الخمل نوع اذا بنى له بيتا لا يجعله هرميا بل يجعله على شكل كروي في عظم البرميل يصنعه من مودة صمغية وأجزاء خشبية وبعض حشائش ويجعل في داخله ضروبا وطورا كثيرة تفوق الوصف ويكون في العادة بين فروع الشجر ، وفي سنة ١٧٨٠ من الميلاد ظهرت من نوعان في المديرية الجنوبية من فرنسا غريب بسببهما بيوت كثيرة وسقطت أسقف وحيطان متعددة ولم يبق في (روشفور) شئ من الكشب ولا الخشب حتى انهم الآن يضعون أرواقهم في علب من التوتيا خوفا عليها ، ومنه ما يسكن المرلرغ فيضرب بالزعر ضررا يئنا وربما حفره فيها بيوتا ومغارات وعمقها حتى يبلغ ارتفاع التراب الذي يخرج منها خمسة عشر أو عشرين قدما فتنتفخ الزرعة ويتركها صاحبها وربما أحرقه أما كن هذا الخمل بلداً أو أرضا بتلبدافع تخربها ان أمكن وقد يستعمل الخمل في تخزينها اذا كانت عميقة تمتدة في جوف الأرض فقد تبلغ في العمق الى عشرين قدماً في داخل الأرض ، والكلام في هذا المبحث طويل والذي ذكرته الآن أقل من القليل بالنسبة لما قيل في هذا القليل فان عجائب الخلقة وغرائب الحكمة لا تنحصر في هذه الحشرات بل هي منتبة في جميع أفراد الخلقة قد صنع الصانع كل جنس ونوع وصف من العالم بخواص عجيبة وأمور غريبة تعجدها في الأشياء الكبيرة

كما تجدنا في الصغيرة وتراها في حيوان البحر كما تبصرها في حيوان البر . ومن أعجب العجب أحوال حيوانات دقيقة جدا أمكن الاطلاع عليها بواسطة النظارات العظيمة وكانت لا ترى بدونها لفرط صغرها ودقتها ويقال لها عند أرباب الفن (الحيوانات النعجة والظرفية) وتوجد في المصارات النباتية والحيوانية وفي الهواء والماء وغير ذلك وكانت مجهولة عند الأمم السالفة ولم يطلع الانسان عليها ولا انكشف له الغطاء عنها وعلم بعض أسرارها إلا منذ عهد قريب بعد ظهور النظارات لأنها لما فيها من خاصية تكبير الجرم وتكظيمه في نظر الناظر عظمت أعضاء هذه الحيوانات الحقيقة فتمسرت رؤيتها وأمكن للانسان أن يتحنن أحوالها ويعلم كيفياتها . انتهى ما أردته من كتاب (علم الدين) وقد جاء في إحدى المجلات العلمية ما يأتي

متفرقات عن النمل

(النمل أعجب الحيوانات)

هل خطر لك أن النمل يفهم الحساب ؟ طبعاً لا يفهم الجبر ولكنه يفهم الهندسة لأنه يحسن البناء ويفهم العد أكثر من جميع الحيوانات ، ولعل بعض المصحح لا يضمنونه مثله ، أنبا (أورماند فرنسيس ولجس) من برين (جيبورت) من ولاية كونكتيكت (أمريكا) أنه في ذات يوم تعثر بحجر فاقبل الحجر عن عش ملؤه من محضن صغار النمل التي شرعت تنقب بيوضها فتناول اثنتين منها فقصصهما وفي الوقت نفسه صعدت النملات الأمهات وكركها مرتاعة وشرعت تنقل صغارها الى مكان أمين حتى انتهت ثم عادت تبحث هنا وهناك كأنها علمت أن عدداً صغيرات ناقص اثنتين ، فلاربع لهما أحست الصغيرات فوجدتها ناقصة فردتهما (أورماند) الى مكانهما فحلتها ثلثان ومضت بهما

(النمل يرى صغاره)

وهل تصدق أن النمل يحسن التربيـة والقرية ؟ حلالتبيض ملكة النمل بيوضها فتجمع النملات العاملات حولها وتحمل البيوض بأفواهها وتحض بها الى المكان السابق الذي أعدته لها وهناك تشرع تعرف البيوض بحسب حجمها فتضع الكسيرات في صف والصغيرات في صف آخر وحتى تقف الصغيرات بيوضها وتخرج منها قشعها العاملات في شكل دائرة وتحمل رؤوسها متجهة الى خارج الدائرة لكي تسهل عليها تقديتها وفي المناطق الاستوائية نوع من النمل تأخذ المربيات منه الصغار الى خارج الوكر في يوم الصحو لتعرضها لنور الشمس والهواء الطلق وتسببها الى هنا وهناك كأنها تنزهاها كما تفعل مربيات الأولاد اللواتي يلقن بهم بالمربات اليدوية ، ثم إن النملات للمربيات تبالغ في تنظيف أوكرها ولولاسيا أوكرا الصغار أكثر مما تفعل مربيات البيوت ، فهذه النملات تضع في عشوش الصغار نوعاً من الاسفنج تصنعه من المواد الناعمة المختلفة حتى اتسخت خراطيم النملات وعلق الوحل على أفواهها تسرع للمربيات الى هذا الاسفنج وتمسكه وتمسح به أفواه الصغيرات وخرطومها

(النمل أقوى من الانسان ٣٠٠٠ مرة)

لوكان في مكاننا أن نستطيع النمل ونجعله يقول بصراحة وصدق ما في قلبه ، وأن يخبرنا ما هي أعظم اللزايا التي يفتخر بها لقال بأعجب (قوتي) ولضحك على ضعفنا ، ذلك لأن للنمل قوة عضلية بالنسبة الى حجمه تزيى بقوة أعظم المصارعين والرايـضين . روى (المسترد . دي بوا) العالم الطبيعي فقال (رأيت غلة تحمل حصة من أسفل العرمة الى أعلاها فوزنت النملة والحصة وزنا مضبوطا بأدق الموازين وقست ارتفاع العرمة فوجدت بعد الحساب أن الرجل لكي ينافس النملة في رفع الأثقال يجب أن يحمل جلا وزنه نصف طن ويسعد به (٢٥) درجة من درجات (السلالم الاعتيادية)

لذلك تستغرب ذلك ، فانظريها الى (النملة في حقلها تعمل بين فكيفها حلا أقل من وزنها ثلاثة آلاف

مرة من غير عناء ، ولكني تفعل فعلها يجب على كل واحد منا أن يقف على حافة هاوية ويمسك بين أسنانه سلسلة مربوطة بثاني عربات منجم حديدًا . وقد أكد أحد عارفي طبائع النمل أنه إذا كان رجل يزن (١٥٠) رطلا وله قوة بالنسبة الى وزنه كقوة النمل لاستطاع أن يجعل على ظهره قاطرتين من أكبر قاطرات السكك الحديدية من غير أن يترفع ، وقد روى الأستاذ (رفتون) أن في افريقيا نوعا من النمل يسمى (بولدوج) يستطيع أن يمشي واثبا وكل وثبة نحو قدم فاذا رام انسان أن يجاريه وجب أن يسب الوثبة الواحدة نحو ١٤ قسما

(النمل قلاح)

النمل قلاح أيضا ، لذلك نستغرب انه كذلك والحقيقة أن للنمل حدائق يزرعها ويحتجى منها طعامه الذي لا يحمده في كل مكان وله اسطبلات يحرص فيها أبقاره التي يحتلب عسلها ، وهناك نوع من النمل يسمى (قاطع الورق) فهو يقطع ورق الشجر بمقص فله الحذاء ويعمله الى عشه وهناك يصفه حتى يسبح كالبحرين ويفرشه على الأرض ، وبعض النمل يبحث عن المشروم (نبات فطري) في الحقول وينقله الى حديقته ويزرعه في الأرض التي أعدها قلبه فينبت نباتا فطريا ويتغذى به

(بقر النمل)

أما بقر النمل المشار اليه آنفا فهو نوع من البعوض النباقي المائل الى الخضره وهو كثير في الجبال فالنمل يقتص هذا البعوض ويأخذه الى عشه ويحميه ويغذيه ، وهذا البعوض يفرز مادة لزجة يستطيعها النمل والحيب انه لا يفرضها مالم يدغغه النمل فخرطومه ، وقد حاول (دارون) أن يجعل بعوضة تفرز عسلها إذ دغغها بشعرة فلم تفرز شيئا فلما أطلق عليها نمل دغغتها فأفرزت العسل

(النمل جراح)

وهل خطر لك أن النمل جراح ماهر ؟ إن عملياته الجراحية عجيبه ، في البرازيل نوع من النمل القاطع للورق يحسن الجراحة كأمر جراح فتي جاءت اليه نمل تقاسى من جرح خطر يستدعي بعض الجنود الاختصاصيين الذين لا يخطئ في استدعائهم ثم يضم شفتي الجرح معا ويأمر الجندي أن يسكهما معا بشكيه ويبقى هذا مسكا بهما الى أن يخطيها الجراح على طول الجرح بواسطة خيوط يفرضها من نفسه والله أعلم

(للنمل مقبرة)

ومن أغرب الامور أن للنمل عادة ليست في سائر الحشرات أو الحيوانات وهي انه يدفن موته في مقبرة خاصة وذلك أن بعض النملات ترفع الجثة بواسطة خراطيمها وتبعها النملات الأخرى في موكب جليل وتسير جميعا خارج الوكر الى مكان معين تدفن فيه موتاهها ، وهناك أعمال أخرى للنمل تدل على حذقه وذكاؤه وقوته ، ولو كان يتكلم لكانت فهم منه أمور أخرى ربما كانت أعجب وأغرب

(النمل الفازي)

في افريقيا نوع من النمل تتفوق عن الجراد غزوا فهو يزنحف مصفوا كثيفة متراصة متعادلة الى أن يصل الى الحقل الذي يريد غزوه فيحيط به ويحاصره من جميع الجهات وحينئذ لا ينجونه شيء من الحشرات كالخنائس والمقارب والعناكب والديدان والحيات الصغيرة حتى متى انتهى من غزوه لا يبقى في الحقل غيره فان جلا عنه الى حقل آخر تركه نظيفا . انتهت الماطقة الثانية (رسالة عين النملة)

(الماطقة الثالثة . الكلام على عين النملة)

(كتب يوم الجمعة ٢٠ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ - ٢٠ يوليوسنة ١٩١٦ م)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لئن عجب القارئ من هذا العنوان فجب معناه ، ولئن كان غريبا فأغرب منه مفناه ، يتجمل للسامع انه

بما لا يؤبه به ، ومقامة النملة حتى يحتفى بيئتها ، فليرين القاري من العجائب وغرائب الابداع فيها ما يحار فيه له ويزداد حبه وبرقه أن هذه العين التي لا يراها البصر ولا تتج اليها الفطن كمدينة عجبة مشرقة الأنوار زاهرة باهرة تفرق جلالا وحسنا ويعلم إذ ذاك كيف سميت في القرآن سورة باسم النمل ، وكيف ذكر قصة سيدنا سليمان معها وأن ما ذكره في هذه المقالة غيض من فيض العلم المستمد من تلك العين - ثم لترونها عين اليقين - ثم تسألن يومئذ عما تعلمون . لتقدم مقدمة قبل هذا المبحث البديع فقول

بينما أنا منذ شهر في مجلس غلب بأهل العلم والفضل والأدب من المشايخ وذوى الطرايش - ثمة من الأولين * وقليل من الآخرين - على تصحيح ورق الامتحان للتلاميذ عاكفين إذ قل قائل منهم ومعه فريع شجرة ذوروق بديع لطيف منظم إلى كان لي قرين يقول ألا لا يستوى نظام هذا الفرع ونظام النمل الفارسي وكيف يستويان وفي هذا الفرع من النظام والجمال ما يهر الناظرين - وما يذكر إلا أولوا الأبواب - ثم قال وبإيات شعري لم تارن بين النمل الفارسي والورق في النظام ، وإذا بحثت المقارنة فما الدليل على ما قال ؟ فأجبت لقد أخطأ صاحبك المرحى ولم يصب الحق . إن النمل أتقن نظاما وأبدع إحكاما وأهدى سبيلا وأقوم قيدا ولست أحبك على دقة نظامه ولا حسن اتقانه ولا أعضائه الباطنة والظاهرة ولا مدارسه وسياسته وجيوشه ومدنه وزراعته مما سطرناه في كتبنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ و ﴿ جبال العالم ﴾ وخبرهما وانما نخيلك على مسألة عينه العجيبة الغريبة . فقال وما ذلك . فقلت انها تركب من أكثر من مائتي عين كل واحدة منها ذات طبقات خاصة ونظر مستقل بحيث لو سميت إحداهن لتظرت الباقيات نظرا مستقلا جميعا ، فلم يقع القول منه موقفه من ذى الفلة الصادى وقال كيف السبيل الى معرفتها ، ومن ذا يجرى أن يدعى هذه البعوى ، وما الدليل ، فاحتدم بيني وبينه وطيس الجدال واجتمع القوم حولنا زمرا وكانوا أزواجا ثلاثة ، فريق كذبوا ، وفريق يشكون ، وقليل منهم من وافق . فأما أنا فقلت لقد سمعتها أيام تلمنى بمدرسة المعلمين الناصرية من الاستاذ ثم قرأتها في الكتب الصغيرة الانجليزية لتلاميذ المدارس الثانوية ثم رأيتها بعيني رأسي بالمنظار المعظم وسطرتها في الكتب المنشورة فقال أوسطهم

والسلاوى ما لم تقيموا عليها * بينات أنبأها أدمها

وقيل أيضا إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالليل

وقيل أيضا ولم أرفى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التحام

فانت بالبرهان أو بالعيان . فقلت سأريكوها تحت المنظار المعظم كما رأيها - ثم لته عنها عين اليقين - وإذا ذاك أقول

وليس يصح في الأذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وليس بعد العيان بيان فقالوا لاطاعة لنا اليوم بالحكم عند العيان فقد يخطئ الحس فأرنا كتب القوم واتقنا بنص الكتب الصريح قرأت - سديهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقلت سترينها في كتب القوم وإذن أقول ﴿ كل من ركب الصفا ﴾ فتوجهت الى المكتبة الملكية وقرأنا ما كتبه العلامة (الاورد أفبري) اذا هولايروى غلة ولا يشفى من غلة ، ومطلعت مجلات أخرى مع بعض الفضلاء فرجنا بخفى حنين . فقلت قال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزيبر - وإذن تكلم العلامة صديقي محمد بك شوق بكير المدرس بمدرسة الزراعة العالم بهذه العجائب التي أطلعتني عليها بالمنظار الكبير الغرم بالعلم العاشق للحكمة فقال لسان الحال

تسائل عن حصين كل رك * وعند جهة الخبر اليقين

فأجلب ، لقد اتسع نطاق هذا الموضوع في كتب القوم وأحضر لي ﴿ كتابين * أحدهما ﴾ كتاب

(درس عن الحشرات) تأليف (با كرد) الأستاذ (بردوسور) في جلدية برلون من صفحة (٢٥٦) الى صفحة (٢٦١) المطبوع سنة ١٩٠٩ م (والثاني) كتاب (علم الحشرات) مع الاشارة الى مباحث الحيوة والاقتصادية المطبوع سنة ١٩١١ م من صفحة (٣٠) الى (٣٤) وكذلك صفحة (١١٤) و (١١٥) وملخص ما في كتب القوم هو ما يأتي (إن جميع الحشرات أعينها مركبة وأقلها تركيبا لاقل أعينها عن اثني عشرة عينا ومنها ما يكون كل عين من عينيها مركبة من مائة ثم من ألف ثم ترقى الى سبع وعشرين ألفا وذلك في حشرة من نوع الفراش في القطر للصري وغيره قميش على العليق وعلى البطاطس وأمثالها تشبه حشرة (أبي دقي) المعروفة. فأما الغلّة فإن كل عين من عينيها لاقل عن مائتي عين ولازيد عن أربعمائة قريبا، وللعلماء في هذا مذهبان مشهوران، فأما الأولون فاتهم بقولون إن كل عين من تلك العيون تنظر للجسم جهة فإذا كانت عينا الغلّة مركبتين من ستائة عين مثلا كانت كل واحدة منها ترى الجسم كما ترى كل عين من أعيننا الجسم الذي تراه الأخرى، فأما المتأخرون من أهل الفن فقد حققوا الموضوع تحقيقا وكشفوا النقاب عن وجه الحقيقة وحكموا التجربة بتحكما فأيقنوا أن تلك العين إنما هي مجموع عيون كل منها ترى جزءا من الجسم بحيث لو صحت لم تبصر الجزء المقابل لها في الجسم، وأجمع الأولون والآخرون على أن كل عين ترى مستقلة وعلاقتها مع غيرها المجاورة، فلما أن أتت قوله قلت - الآن - حصص الحق - واستبان السبيل وظهرت الحقبة وقامت آية الله الكبرى وبهرجال الله خلقه وقلت لأولئك الأجلء ماظهر وما بطن وأعلمتهم جليلة الخبر فسموا شاكرين وكبروا لله مخلصين . فقال صديقي محمد بك شوقي بكير لندرس للموضوع حتى دراسته لأترجم أهم هذا البحث ولكن مقالا جملعا حتى يعرف الناس هذا العجب العجيب، وسأذكر ملخصه موضعا وأعرضه على القارئين مينا ليقنوا على آيات الله الكبرى - سيقول السفيه من الناس ما ولاهم عن قلبهم التي كانوا عليها - فيعبروا مسئلة الكحل (ما رأيت رجلا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد) ويقارنوا بين أبي تمام ولتكني وبين جرير والفرزدق أو يعرفوا الجاز المرسل والاستعارة والكنية وما لهم وهذه المسائل وهي إنما اختص بها القريون ودرسها علماء الزراعة . وما للشيوخ ولهذه العلوم . وما هذه العناية بهذا الحيوان الحقير ونحن في حاجة الى ما نفعنا والناس في الحرب والضرب . فما هذه السخايف ؟ ولم اهتممت أنت بهذا اهتمامك بأعظم الأشياء فتقول

ليس ينبغي أن يكون الشيوخ محصورى العقول فيما ذكرهنا ، هاهم أسلافنا كعبد اللطيف البغدادى والجاحظ والرزي والقرالى ، فأولئك الذين هدى الله وكانوا نوراً يستضاء بهم ، فاقروا في كتاب الحيوان الجاحظ تر الرجل جده وبحث جهد طاقته ولم يدخرو سعا في سائر أنواع الحيوان ، وللعلم الضيق العطن القليل النطن واقب كالماء الراكد في حيز واحدية به تليذه ويضيق صدره وتغوت أخته ، لقد كذب الذين قالوا لا ينبغي اتساع دائرة علومه انه لضلال ميين ، ومن أضل ممن يأمر بالجهل ويهزى الناس بالكسل ، فأما العناية بعين الغلّة وبالغلّة فليس بهجب بعد أن سمي القسورة باسمه في القرآن أيقاظ العقلاء ليدبروا هذه الحشرات الصغيرة وليدرسوها ليصلوا لأمرين معرفة الله جل جلاله والاستئذنان بالهم والحكمة والوقوف على فوائد الاقتصادية النافعة في الحياة الدنيا كإكمال الآور وبون فيما قدم في هذه الرسالة . فإذا رأيت ثم رأيت ملكا كبيرا دخل هذه الأغصان كما استراه قرياولما نزل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبث العنكبوت لو كانوا يعلمون - وقالت العرب - ماذا أراد الله بهذا مثلا - وهل يذكر كلفه هذه الخلوقة الحقيرة نزل - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعملون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - فأما الاحتجاج بالحرب والضرب فذلك حجة الكسالى والعاجزين البائسين ، فاناس أيام الحرب يأكلون

ويشربون والمدارس مفتحة الأبواب والناس يحبون ويموتون والشمس طالعة غاربة والنجوم مشرقة آهلة والدنيا كاهي . اذا كان الحرب تأثير على سير العلم فعلا أقفلت أوروبا مدارسها وهي اليوم ميدانه . إن الاحتجاج بالحرب خدعة شيطانية . فأما الهامى بذلك فليس بدعا . الأثرى اتى لواء غمضت الجفن على القذى وترك حبل الامور على غاربها فان الناس اتنا نقول بالتحقيق أونتكت بلانديق ومقالة السوء أسرع انتشارا وأعظم أنصارا للحد الكامن في نفوس البشر . وإذا لم يهتدوا به فيقولون هذا إلك قديم . ولقد جاءني من قبل عالم من علماء مكة وهو صديقنا السيد محمد حسين الخياط إذ قال ، لقد قرأت كتابك ﴿ نظام العالم والأم ﴾ وقد كان أهداه لي أحد تلاميذي يبلد جاوه فلما قرأته أرائي هذا الوجود على غير ما كنت أرى وبعثت من مسألة تركيب الماء من الاكسوجين والادروجين وقولك إن النسبة بينهما هندسية عجبة ورأيت الحساب المذكور في كتابك والنظام المدهش فيها بحيث انهما يكتونان الماء ولونقص أحدهما أوزاد عن النسبة المحدودة لم يكن ماء ولا مزاج ، وكنت أقول هل رأى المؤلف هذا بعينه ، فهأنت المؤلف هل رأيت . فقلت نعم وسترى بعيني رأسك وتوجهت معي الى مدرسة المعلمين الناصرية وكان المدرس إذ ذاك صديقنا أحمد بك فهمي العمروسي فأخذ يحلل الماء بطريق الكهرباء وحدثت حادثة مزعجة أن انكسرت الزجاجية وطارت منها شظية خدعت خذ العمروسي صديقنا ثم شفا الله وعرف صاحبنا المسألة يقينا

لقد رأيت من هاتين الحادثتين حادثة عين الخلة وتركيب الماء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ العالم المسكى والعالم المصري اتى مطالب بما أكتب وأن المؤلف مستهدف للشم والملاح . فقل كل من ألف أن يستيقن من علمه لينفع الناس وليثقوا بعلمه . ولعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ولوا في توليت عن هذا الأمر معرضا لم أصل الى معرفة ما وصل اليه الآن ولم أستفد ما ستره من العجائب المدهشة ، على اني كسبت أصدقاء واخوانا تعاون على البر والتقوى ﴿ قال ابن المقفع ﴾ أفضل ما يصل به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح أن يستلح بما أوتي من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليهم وأن يبين مافي الدين من الأخذ بملك والتمس عليهم في تركه وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت . وقال أيضا ﴿ مما يدل على علم العالم معرفة ما يدرك من الامور وامساكه عما لا يدرك وتزيينه نفسه بالملكوم وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه غفر ولا عجب ومعرفة زمانه الذي هو فيه وبصره بالناس وأخذه بالقسط وارشاده المسترشد وحسن مخالطة خطاهه وتسويته بين لسانه وقلبه وتحرره العدل في كل أمر ورجح ذرعه (الصدر) فيما نابه واحتجابه بالحجج فيما عمل وحسن تبصره ،

﴿ عجائب عين الخلة وغرائبها ﴾

لقد أبنا في المقال السابق سبب تسطير هذا المقال فلنشرع الآن في المقصود وقول ﴿ من عجب أن يكون لكل خلة ﴾ خمسة أعين ﴾ ثلاثة منها أمامية في مقدم رؤسها وهذه الثلاثة كأعيننا في التركيب ، ذلك لأنها ليست تتركب من أعين كثيرة بل كل منها عين واحدة ترى كما ترى أعيننا وهي مركبة من (١) عدسة محدبة الشكل ، ولما كانت العدسة لا تقوم إلا بإسار وحدها مأمدة الله عز وجل تلك الخلة فزاد لها مادة أشبه بهذا الزجاج الذي نراه تسمى الزجاجية فكانت شفاقة تحت البشرة (٢) ولما كانت العدسة والمادة الزجاجية لا بد لهما من مادة أخرى تتم بها الوظيفة جعل الله لها شبكية مركبة من خلايا متنى وثلاث

(٣) ثم يتصل بالشبكية أعصاب يسمونها (ليفية عصبية) وليست الشبكية منعزلة عن العدسة بل لها قتيب يمتد اليها ويصلها بها

(٤) وبين الشبكة والأعصاب الليفية خلايا تسمى الخلايا الإضافية

(٥) وفي داخل تلك الإضافية خلايا أخرى

(٦) ملونة بالسواد

(٧) ومن الخلايا ما يكون قرحة العين

فتأمل وتجب في هذه النملة الصغيرة وزاد مجيا في عيناها الصغيرة البسيطة ثلاثة الثلاثة ونحن الى الآن لم نتكلم على العين المركبة وانظر كيف كان للعين عدسة كالعدسة التي في المنظار وجسم زجاجي وشبكة ليفية عصبية وقصيب يصل الشبكة بالعدسة وخلايا اضافية وأخرى ملونة بالسواد وقرحة ، فكل من هذه السبعة له حكم خاص به ومقياس لا يتعداه ومقدار لا يتجاوزوه ولوقص أوزاد لاختل نظر تلك العين الصغيرة ولو وقفت على نظام الشبكة وحدها وتركيبها من خلايا متى وثلاث لتضيت العجب في هذا الانقسام ، فهذه العين على شدة دقتها أصبحت ذات أجزاء سبعة والجزء الواحد مركب من خلايا متى وثلاث وكل خلية من تلك الجلة لو وقفت تحت المنظار كما رأيت أنا نظيرها تحت لرأيتها مقسمة أقساما تعد بالملئات مما يحرقه العقل وتصل الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر -

وهذه الأعين التي سميناهما بسيطة خلقت على (نوعين) نوع يكون في جانبي الرأس في غير الفل من الحشرات وتكون العين كراس العنكبوت ، ونوع يكون في الرأس من الأمام ، فالأولى وهي الجانبية تكون في البودة التي استعنت لتقلب حشرة ولم تكن في الظلام ولا في مكان كثير الغطاء فلن الحكمة الإلهية قضت أن لا يكون عضو إلا لمنفعة ، وإذا نال البود طعامه سهلا فامتنعة العين ؟ وإذا كان في الظلام فالعين عبء ثقيل على عاتقه ويكون ضررها أكبر من نفعها فرفع الله أصرار العين عن هذين النوعين وأنعم بها على غيرها من الحشرات - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات لموقنين - وفي خلقكم وما يدرك من دابة آيات لقوم يوقنون -

(جوهرة بديعة)

لقد يضل علماء الحشرات فلا يتبينون الذكر من الأنثى في تلك الحشرات الصغيرة وإنما يعلمون ذلك بكبر تلك الأعين في ذكر بعض الحشرات واقتراها من بعضها دلالة على النشاط والقوة حتى يبعث الذكر على الأنثى ولولا تلك القوة والأيد ما استطاع سبيل للاتجاج ولا تعرض النسل وذلك خلل النظام هذه نبذة صغيرة في عين العمل البسيطة من الثلاث المتقدمات (سؤال) ولعلك تقول كيف يحتاج بعد هذه الأعين الثلاث الى الأعين المركبة التي سنشرحها وذوات الأربع من الحيوان والإنسان كلها كفها عيناها وأعمالها عظيمة وحاجاتها أعظم ، فما العمل حتى يعوزها عيناها مركبتان بعد هذه الثلاث المنتظمة الجيبة ، نقول على رسلك ، إن هذه الأعين محتبة تحديدا لهذا والعدسة ثابتة لاتتحرك والمسافة بين العدسة وشبكة العين ثابتة فلا جرم يجب أن يكون المرئى على مسافة معلومة ثابتة بينه وبين عين الحشرة والتحديد الحاد يوجب قصر المسافة . ولقد أقروا حشرة بحيث غطوا أعينها المركبة التي ستكلم عليها بمحاول معتم ووضعت الحشرة بعد ذلك في صندوق مظلم ذى ثقب واحد مضى غرقت الحشرة من ذلك الثقب سواء كان بعين بسيطة واحدة أو باثنتين أو بثلاث فظن بعض العلماء استنتاجا أن هذه الأعين لا يتميز بها إلا الضوء فأما معرفة القرب والبعد والشكل والحركة والسكون واللون وما أشبه ذلك فانه يكون بالعين المركبة

(العين المركبة)

والثان عجبت من عين النملة البسيطة مرة لتعجب ألف مرة من عيناها المركبتين . انهما خلقتا على جانبي الرأس وكثيرا ما تملآن ذينك الجانبين وتتركبان من أعين خضرة مستديرة أو مستقيمة كما في خلايا النحل فانها

مركبة من أشكال هندسية عجيبة مستدة لحكمة ذكرناها في كتبنا « كجمال العالم » و « جواهر العلوم » وغيرها ، وقد قدمنا أن هذه الأعين ليست خاصة بالنمل بل انها تشمل سائر الحشرات وتكون العين مركبة من (١٢) عينا في حشرة تسمى (الينزا) ويصل عدد تلك الأعين الى (٣٧.٠٠٠) عين في العين الواحدة في الحشرة المسماة (اسفكس كوفولولاى) وهى أشبه بالفراش الذى يعيش على القطن وتقدم يانه وهذه أكبر من حشرة القطن مجما كالأعينا بغير رأسى فى الرسم . عين الفلعة كاحدم مركبة من مائتى عين الى (٤٠٠) عين وليست الأعين الصغيرة مساويات للمساحة فيكون حجمها من $\frac{1}{400}$ من البوصة أى ٠.١٦ ر. من المليمتر أو ٠.٠٠٩ ر. من المليمتر ، وإذا كان عينا الفلعة مثلا مركبتين من ثمانمائة عين على أكثر تقدير فتجب وانظر تشرح كل عين من هذه الأعين وتأمل فى نفسك وعقلك وتركيبك والعجب من اتقان المبدع الحكيم لأدنى الأشياء واحكامه لها وافهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بقدر - وقوله - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - بل كيف يقرأ الانسان علم عين الفلعة ولا يوجه قلبه الى هذا المبدع الحكيم الذى نظر الى الفلعة وعينها كما نظر الى الشمس وفرها والجوهر ونورها والجمال والشجر والأنهار ، فانظر كل عين فى التشرح ترها تتركب مما يأتى

(١) من قرنية العين وهى خلية بشرية ذات أديم شفاف عذب الشكل مكسر للضوء وأعلى هذه القرنية تارة يكون أوسع من أسفلها وتارة يكون العكس

(٢) وحول أسفل القرنية أهداب تكتنفه تختلف فى نظامها ومقدارها وشكلها باختلاف الحشرات

(٣) ويلى القرنية من تحتها مباشرة غرورط يختلف حجمه باختلاف الحشرات

(٤) ومن تحت عدسة كالبؤلة مركبة من أربع خلايا أو أكثر ، ومن الحشرات ما لا عدسة له ولا غرورط له ويكون أربع خلايا بدلهما

(٥) ثم تكون القضبان وهى حزمة منها ممتدة امتدادا طويلا على محور العين

(٦) وتحيط بها خلايا مستطيلة وهى مكتوبة شبكة العين

(٧) وهناك منطقة خارجية ملونة بالسواد حول الشبكية كأنها درنات صغيرة فى الخلايا التصبيرة حول الشبكية وهذه تسمى منطقة حدقة العين

(٨) ومنطقة أخرى داخلة وخلاياها الملونة طويلة ومستديرة وهى تفصل كل عين عن الأخرى

(٩) لكل عين حزمة من العصب البصرى

(١٠) ولذلك العصب ليف عصبى منفرج عنه داخل فى العين مارا

(١١) بالنسيج الأساسى وبالعصب

هذا تشرح كل عين من العيون المكونة للعين الواحدة - فلذا رأيت ثم رأيت نعيما وملسكا كبيرا - نعيما للعلاء وملسكا للحكاه ، وهل ملك الحكاه لإسعاده النفوس وخلاصها من أسرار الطبيعة وداسة الأخلاق وهل دارى فى خلد أحد يوما وهو يظا النمل يرحله ويدوس عليه بسنابك خيله ويظوه بأخفاف إلهه وبذيقه الموت أفواجا أفواجا أن لكل عين من عينه نحو (٤٠٠) عين لكل عين قرنية شفافة كالقرنية التى فى ظاهر أعيننا وسميت كذلك لأنها أشبه شئ بالقرن وحولها أهداب كأهداب أعيننا تلبها عدسة أو ما يشبهها كالعدسة التى فى أعيننا ثم شبكية كالشبكية فى أعيننا ومنطقتان ملوستان بالسواد كتلا يشع النور من العين حتى يكون محصورا فيها وأنصاب بصرية تسفل الى المماغ ليحكم ادراك الفلعة على الأشباح التى أمامه ، وما أشبهه عينى الفلعة إلا تلك اليريات المعلقة فى الأماكن الشريفة بحيث يكون فى كل منها أربعمائة فتدليل ، وعلى ذلك ليست تلك اليريات (النجمات) إلا مجموع فتاديل مضية مشتركة تفرق حسنا للناظرين ، فهكذا كل عين

مجموع عيون مضيات مشرقا للنملة هاديات لها - سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قترقدهى - النملة وسائر الحشرات ضعفة ، ولقد قضت الحكمة أن لا يعطى النمل إلا معتدلا ، عمت الحشرات التى تعيش فى الظلام وهكذا التى كان عيشها رغدا لاجابة لها فى طلب الرزق ، فأما أمثال النمل فان لها من المصالح والأعمال ملاحظا له كما أوجعت فى (نظام العالم والأمم) و (جبال العالم) وغيرها وكان من الحكمة أن لا تجتري بالآعين الثلاثة البسيطة بل منحت تلك المثلث من العيون بحيث ترى كل عين منها جزءا من الأشباح التى أمامها ، ولقد بحث علمر واكسندر فى هذه الآعين بحثا مدققا فوجد أن كل عين لا ترى إلا أمامها ، فأما الأولون فقد ظنوا انها ترى الشئ كله كما ترى الأخريات ولقد وضع (اكسندر) العين المركبة تحت المظار للعظم ونظر فيها فلم تركز عين إلا ما أمامها ، وضرب لتلك مثلا فقال (هذه الآعين كأنابيب من الزنجار متجورة ملونة بالسواد فهل ترى كل منها إلا ما أمامها ؟ أوليس كون السواد فى كل عين وكل أنوبة زجاجية يحول دون شئ التور منها ، ولقد أزال (اكسندر) القرنية والمخروط ليعلم ما حكنتهما وهل تبقى العين مبصرة كماهى أم ماذا يكون ؟ فنظر فيها فوجد الأشباح اقتربت واندمجت وعلم انه لولا القرنية ولولا المخروط ما وحت الأشباح للنملة ولا تلتط عليها الأشباح وضلت سواء السبيل)

يقول (اكسندر) (إن الحشرات ترى الأشباح وحركاتها بسرعة غريبة فان تلك الحلايا المسودة لتنتفض وتنسبط على حسب مقتضى الأحوال كما ان انسان العين فى الانسان يضيق ويتسع كذلك تبع كثرة التور وقلة وذلك يعين الحشرات على سرعة الادراك والنظر السريع بحيث لا يعجزها حركة العين ولا حركة الرأس فان الشئ المتحرك تحصل صورته الى مثلث العيون أسرع من البرق وتحس تلك العيون كلها مرة واحدة بتلك الحركة من جهات كثيرة ، فغاسرع فرلها وأبدع خالقها وانك ترى الحشرات كالقناب والفيل والنحل سريعة الحركة قرية الحرب من كل حادث قل - أوجلت) - إن فى ذلك لدكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - أشهد أن الذى أبدع عين النملة وأفرغ عليها من الحكمة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب غافل - يعطى الأمة التى أراد حياتها رجالا مفكرين وقادة قادرين وحكاما ماهرين وعظماء مسيطرين ويمدّها بنوره وحكمته ويعطيهم من لدنه علما فيكون عيونها الصغيرة المستمدة من التور الإلهى العام المحيط بالكون ثم يكوّنهم برحمته ويجهلهم تحت رعايته حتى تعيش الأمة فى سعادة وهناء وحيور ، أوليس الذى أمد النملة بعيونها هو الذى أمد الأمة بحكائها وعلمائها - تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير - وهو بالشكر جدير - انتهى يوم الأحد ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ - الموافق ٢٢ يوليو سنة ١٩١٦ م بمدينة اسكندرية بمجته أبوورده

وهذا ما كتبه الاستاذ الفاضل شوقي بك بكبر وكيل ادارة البساتين الآن الأخصائى فى هذا الفن (لقد رأيتها وقرأتها فوجدت جميع الباحث العلمية التى فيها صحيحة وأنا مترجمها بحرفى) ولجده رب العالمين

﴿ النحل بحمد النمل ﴾

ما كنت أعلم وأنا أكتب قصير (سورة النحل) عدد عيون النحلة وانك لم أكتب شيا فى ذلك ولم أعلم أن عيونها بحسب الظاهر خمساً كبيرون النملة فاجب لما قرأته الآن من العجائب إذ ثبت أن عيون النحلة خمس منها ثلاث عيون - هيرات مجموعة فى شئ فى وسط الحبيبة ، فأما العينان البقيتان فهما كبيرتان واقعتان فى جانبي الرأس وهما المقصودتان بالكلام ، ويقولون (لو كان للانسان هاتان العينان (رأى آلافا من الأشياء) ويقولون (إن ملكة النحل لها (١٠٠٠) عدسة صغيرة وأما النحلة العادية فان عينا الكبيرة تشتمل على (٤٠٠) عدسة (وهذه الأعداد فى إحدى المجلات المصرية فتأمل) وقوتها كقوة عدسات الملكة)

وبرر الاستاذ (كارل فريش) وهو أكبر عالم في دراسة النحل ان أشعة عين النحلة مثل أشعة (اكس) تخترق الأجسام الصلبة وترى ما وراءها ، وذلك بما ثبته من التجارب ، هذا ومن اطلع على ما جاء في هذا التفسير في إلقاء البسات كما في سورة الحجر وفي سورة البقرة والأنعام في آية - وأرسلنا الريح لواقع - في الأولى وآية - إن في خلق السموات والأرض - الخ في الثانية وآية - انظروا الى ثمره اذا أثمر - في الثالثة أدرك أن الفل وغيره من الحشرات تتوقف حياة الانسان على وجودها . ألا ترى رعاك الله أنه لولا هذه الحفلات الصغيرة ما أمكن أن تتحرك كثير من الأشجار ، فهذه الحشرات هي للمفحات لها فيها يكون الأعمار والله هو الولي الحميد والحمد لله رب العالمين

﴿ الطبيعة الرابعة كيف - قالت نحلة يالها الفل ادخلوا مساكنكم - الخ وكيف سمع سليمان عليه السلام ذلك ﴾ إلى أعلم أنك أيها القارئ لهذا التفسير تقول ان الحكمة والفلسفة ليس فيها ما يؤيد كلام النحلة ولا أن سليمان سمعها ، وكيف يسمع من غير متكلم ؟ وكيف تكلم هي الفل والنحل بسمها ؟ وكيف علمت هي بحضور سليمان وجنوده ، تقول ذلك في نفسك وتجب فتقول إن هذا جاء به الوحي فلا قول لنا فيه ولكن اذا سمعت ما أتاه عليك الآن تدعش من العلم الحديث والحكمة

اعلم أن الله جعل الأنوار مائة لهذا الوجود ولم يجعل العالم مظلماً بل جعله مضئاً وخلق المرأة لتنظر بها ما لا تمكن من رؤيته ، وفوق ذلك جعل من ضوء الشمس صوراً تتق رسوماً الى آخر الزمان وخلق الحواس وهو حق - واسع عليم - فكان مقتضى هذا أن يجعل بني آدم وجميع الحيوانات قراء في مافي صدور بعضها بحيث يعرف الانسان مافي قلب أخيه والحيوان كذلك . هذا مقتضى الرحمة وسعة النور والجمال ، ولعلك توافقني انه كان ذلك أرحم بنا وأضع ، أقول لنعلم أن هذه الأمانة الآن موجودة فعلاً فينا وفي الحيوان . إن بيتنا معاصر بني آدم محبة وبضياء وأمور كثيرة نشر بها ، وبعض بني آدم أضعفوا القوى الظاهرة فأنكشف لهم بعض مافي القلوب وعرفوه بلا كلام ولا تعريف ، وهؤلاء قليل في النوع الانساني وتوافق الخواطر من هذا القبيل ، أما الحيوانات فاعلم مطبوعة على قراءة الأفكار بطريق الإلهام ، والناس سيأتي لهم يوم يكون المرء مرء لأخيه ويحدثه على بعد عظيم كالتلغراف الذي لاسلك له ويصبح الانسان عند كشفه لما في نفسه من تلك المنحة علماً بما في قلب من يريد التوجه له في الخاطبة القلبية ، فعل هذا للبعث الجديد يكون قراءة الأفكار عند الحيوانات طبيعية وقد كانت كذلك عند الانسان ولكنه غطاهما لما نبغ في الخطاب والكلام فنامت تلك المزية وهاك ما جاء في الجرائد المصرية يوم ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ - ١ يونيو سنة ١٩٢٥ م تحت عنوان

﴿ التلغراف اللاسلكي وتبادل الخواطر ﴾

بحث الاستاذ (برسي) أحد علماء الطبيعة الانجليز موضوع التلغراف اللاسلكي وعلاقته بتبادل الخواطر فكتب مقالة طريفاً تنقله عن محبة انجليزية

بدأ العالم المذكور بحثه بالرجوع الى أن أول من فكر في استعمال الكهرباء لنقل الكلام والرسائل هو كاتب انجليزي في مقال نشره عام ١٧٥٣ في (سكوتس مجازين) وبعد ذلك بقرن تكلم عالم آخر انجليزي عن التلغراف الكهربي وفي سياق بحثه الى توقع نقل الرسائل الكهربية بدون استعمال الأسلاك . ولئن كان موضوع التلغراف اللاسلكي اليوم قديماً في نشأته فسيجيء اليوم الذي يصل فيه المجهود الفكري الى استعمال التليفون اللاسلكي حتى يتخاطب اثنان في طرفي الأرض معا دون اتصال الآتين اللذين يتكلمان بواسطتهما بشئ من الأسلاك البرقية . إن أسهل طريق تفسير التلغراف اللاسلكي هي استعمال الظاهرة الطبيعية للمائة لسلك يهتز بتأويلات مؤلفة مع النغمة الصادرة من سلك آخر على أن يمشي كلنا النغمتين على

وثيرة صوتية واحدة ، فالنغمات الصوتية السارية في السلك الأول تنتقل في الهواء الى السلك الآخر وتجعل تتوجت النغم في الهواء ينتقل الصوت الى ذلك السلك ، وهذا في حالة وجود الأسلاك ولكن في النقل غير السلكي يحصل للتكلم على الاهتزازات بواسطة الكهرباء فتنتقل الأصوات بواسطة الأثير (الهوائي) الى درجة لاسلكية متفقه في النغم مع البرجة الأولى المنتقل منها الصوت ، فتنتقل التوجتات الصوتية في الهواء بمعدل ألف ومائة قدم في الثانية ، أما التوجتات غير السلكية فتسير في الهوى بمعدل ١٨٦ ألف ميل في الثانية مما يقف أمامه الفكر البشري حائرا لأن الخلاف بين سرعتين في الهواء والهوى عظيم جدا ، ويعتقد بعض العلماء اليوم أن تبادل الخواطر هو مستوى القوة التي تمكن الشخص من نقل آرائه الى الشخص الآخر بدون أية واسطة مادية أو ظاهريه ، فهل هذا الرأي ممكن أو محتمل الوقوع ؟ وإجابة على ذلك يقول العالم الانجليزي صاحب المقال (إن نقل الأفكار قد يحدث في أوقات شاذة وحالات خاصة وذلك مالا يعارض فيه أحد من الباحثين ولكنه لا ينطبق على الحالات العامة وذلك التبادل قد يرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات عند اقتراب الحشرة من الأخرى) ويقول الباحثون (إن السبب في ضعف هذه اللسكة في الانسان هو عدم استعمالها بعد أن تمكن من السلام والمطابة) ويرى كثيرون من الطبيعيين وصاندى الحيوانات والطيور أن ملكة تبادل الخواطر تشتت ظهورا كلما اشتتت حاجة الحيوان أو الحشرة وإذن يظهر ذلك كثيرا بين الحيوانات في أدنى مرتبة والطيور في جميع مراتبها . أما الانسان فيتركب من خلايا لا عددها ولكل خلية من جسمه عمل خاص ولا تتحرك الخلية إلا تبعا لعمل كيميائي ، ويختلف تفاعل الالكترونات في الخلية من هذا الجسم عن الخلية من الجسم الآخر . وتبعا لذلك ترى كل رأى نتيجة لعمل القلوب الخلوية في المنع وعن ذلك يحدث التفاعل الكهربائي المضطرب ، وقد يوجد في بعض الأحيان توافق بين خلايا عصب وتتحريك تلك الخلايا وعند ذلك غصب يحدث تبادل الخواطر اه

فانظر ألست ترى أن هذا البحث يقرب هذا الموضوع وبه نعرف أن الحيوانات تكلم بعضها بنقل الأفكار والفعل من هذا القبيل وأن الانسان مستعد لذلك لأنه من جهة مواهبه ولكن هذه الموهبة تجيء تارة بطريق الوحي الخارق للعادة وتارة بالقرين وهو ما سيحدث فيه الناس كما رأيت والحمد لله رب العالمين هذا ما كتبه عند تأليف الكتاب ، وعثرت عند الطبع على موضوع جميل في الكتب الانجليزية ، فهالك ترجمته تحت عنوان

(الحشرات والفعل)

إن الأرض لدرجة بالحشرات وانما لكثيرة فيها مختلفة الحجم والأشكال والألوان ولها من المنافع العظيمة ومن الأعمال ملاحظه ، في الأقطار الحارة تكثر الحشرات الملاممة الطقس لها وأن بعضها لتشد يد الإغذاء والاضرار لنوع الانسان ، وليس من السهل أن يأتي الانسان للحشرات بتعريف جامع مانع وانما يمكن تمييزها عن سواها من الحيوانات بثلاثة أحوال (الحال الأولى) انها على اختلاف أنواعها وأجناسها مكتوبة من (ثلاثة أجزاء) الرأس والصندوق والبطن (الحال الثانية) انها لابد أن تمر في أدوار تكوينها في (أربعة أدوار) البور الأول أن تكون بيضة (البور الثاني) أن تكون دودة (البور الثالث) أن تكون (فيلجة) أو شرقة أى أن تنسج على نفسها نسجا حريريا تمام فيه أيلما كدودة القز (البور الرابع) أن تصبح ثامة التكوين بأجنحة وأرجل ثمة الخ (الحال الثالثة) أن كل حشرة لها ستة أرجل هذه هي الخواص التي اشتركت فيها سائر الحشرات ، وربما كان أنبل الحشرات وأهمها وأكثرها فائدة الفعل ، واليك وصف بعض أحواله وأعماله

﴿ النمل ﴾

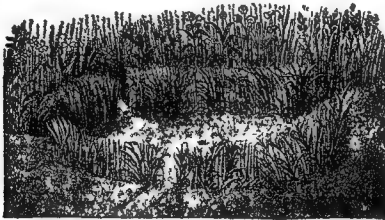
إن النمل ليرى في كل مكان في الدنيا ، وهي وإن اتحدت مظاهرها في سائر الأقطار تختلف اختلافاً بنياً في طابعها وطرق معاشها في الحياة

﴿ مساكن النمل ﴾

إن النمل لتعيش جماعات كثيرة العدد في أماكن منية تحت الأرض أو بارزة فوقها كالأكام ومساكن النمل مفصلة تفصيلاً عجيباً ومقسمة إلى حجرات مختلفات المنافع والأغراض ، فترى حجرات كبيرات ليعيش فيها النمل ، وهناك الأظفار (جمع ظفر) المربيات للصغار يمتلئ بهن اعتناء يفوق الوصف اطعاماً وتنظيفاً وترتيباً كما ترى النساء أطفالهن في نوع الإنسان ، وتحت هذه الحجرات حجرات أخرى جعلها النمل مخازن للبذور والحطب إذخاراً للقوت في مستقبل الأيام ، وهذه الحجرات متصلة بطرق شاذة الوضع غريبة النظام كما أنها في خارج تلك المنازل قد صنعت طرقاً غريبة توصل إلى مداخل مختلفات

﴿ أعمال النمل ﴾

إن من العمل ما اختص بهجب الحشرات النافعة لغذاءها كما يفعل الإنسان بترية البقر والاعتناء بلبنه ، ومنه ما يحارب ويحسد الأعداء في الميدان ويحلب الأسرى ويسخرها في عمل نافع للغالبين ، ومنه ما هو فلاح حقيق يزرع الأرض ويحصد الزرع ويخزنه كما يفعل الإنسان ، وهناك صورة المزرعة النملية وهي الأرض النملية (انظر شكل ١١)

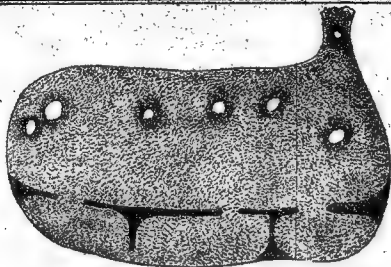


(شكل ١١ - رسم المزرعة النملية وهي الأرض النملية)

هذه هي المزرعة النملية بأربع طرق ، وماتراه الآن هو أرض النمل الذي يجموعها بالمزرعة . إن في الجزائر البريطانية نحو (٣٠) نوعاً من النمل . وفي العالم كله أكثر من ألف نوع مختلفات الأطوار . إن النمل في بعض البلدان تبني مساكنها مجتمعة فيصل ارتفاعها من عشرة أقدام إلى خمسة عشر قدماً فوق الأرض وتكون بذلك صورة قرية بارزة ظاهرة للناظرين ، وفي أقاليم أخرى تكون النمل قوة مزعجة مهلكة شديدة الخطر على الأحياء ، وقد تكون مستعمرات النمل في دور الكتب فتختط لها طرقاً ومساكن تتسلق سبلها وتذلل طرقها في بطونها ولا يتم ذلك إلا باتلاف الورق أو كلاً وتزريقاً فلابعض زمان قليل حتى تصبح المكتبة كأنها لم تكن بالأمس هدية الجندوى ماقدة المنافع . إن منظر النمل عادي نراه في الحدائق وفي غيرها من الأرضين وهرق غاديات رائحات عاملات ناهيات كل حين لا يظهرون عليهن أدنى ملال أو تعب . إن كل نملة عالة تمام العلم بما عليها من الواجبات قائمة بعملها حق القيام بكل قوة وإتقان ، فإذا حل فصل الرمع شمعت النمل من ساقها وهبت لعملها بلا إبطاء ، فلورأيت ثم رأيت جماعات كلوج غاديات رائحات بين أشجار الصنوبر التي يظلب بناء بيوتها فيها ، وقد اجتمعت الجوع المناجبة فوق تلك القرى والمنازل لانمام بناء مساكنها وناء الفرقات

فوق الحجرات ، إن من المادرات بلتفت الانسان أو فذكر في اجتهد التمل في عمله العجيب ، انظر الى جماعات التمل تحاول امتراع قطعة من الخشب وتجعل كل الجدة أن تأخذها لاستعمالها مع انها أقل من أجسامهم كثيرا ، وكيف تراهم حول قطعة من الخشب كبيرة يحاولون دفعها تارة ورفعا أخرى وجذبها بقوة ليجعلها في المكان اللائق وضعا فيه . إن التمل تأتي كل الإباء أن يطلع أحد على أسرارها أو يتطفل عليها لمعرفة نظامها العجيب في الحياة ، ولو اتفق لك أن اقتربت من أحد مداخلها الموصلات الى منزلها رأيت الأعمال جارية بأدق ما يتصوره الانسان بحكمة الترتيب وليست في اتقان أعمالها بأهدى سبيلا منها في اتق هذا المتطفل الجالس على الأبواب بمحتها الحادة الاتصال . التمل مختلفات الأنواع فلا ترى نوعين يتقنان في ظواهر الأجسام ولا في طرق أعمال الحياة . إن التمل في الجزائر الرابطة الإيطالية أصغر منها في بلاد أخرى وأكبر التمل في ذاته صغير . ومن عجب أن يكون صغير الحجم دقيق الجسم وقد امتاز بالذكاء والعلم . ويدعش الانسان من رأس ضئيلة تحوي فكرا قويا متينا . إن التمل (حنة أمين) ثلاث منهن بسيطات كأنها مثلث واثنان كل منهما مركبة من مئات العيون كما تقدم قريبا ، وله رائدتان كالشعر تشبه الرجلين أو اليدين يفتان على جانبي الرأس يحسن بهما ويزاول بهما الأعمال كغرامى الانسان ويديه وأصابعه ، وله فكان حاذقان جدا وأرجلها الست متصلة بالصدوق . إن بيض التمل يقص ما بين (١٤) يوما و (٣٠) ويسير في أشكاله التي قمتنا وحينا تكون دودة أو فيلجة (شرقة) تكون حالية من الرجلين والجناحين عاجزة يكفلها الفل الكبير ، ولو رأيت ثم رأيت الآباء يحملن الأبناء الى المهد من حجرة الى حجرة طلبا للدفء والحفظ والقرار . إن العودة لا تقلب الى فيلجة إلا بعد أسابيع إذ تنسج فيها على نفسها خيوطا حريرية أشبه بما تصنعه دودة الحرير بل كل الحشرات هكذا ولكن دودة الحرير تظهره في ذلك ثم تغلب حشرة تامة في آخر الأمر وذلك بعد تمام النسج وكونها فيه بأيام قليلة ، وما تذر رؤيته أن يشاهد الانسان تلك الفيلج وهي الكرات الحريرية قد أخذت التملات الصغيرة تنحرك من داخلها وقد شق عليها ذلك فترى التملات الكبيرة أسرع لمساعدتها وحل أرجلها وتنظيف أجنتها وفك أرجلها من تلك الخيوط . وهذه التملات المساعدات أشبه بالقابلات والأطباء المختصين بالولادة ، ففروج التمل الصغير من السج الحريري أشبه بالوضع وعسر الفروج كسر الوضع والمساعدة هناك محتمة على الآباء في قرية التمل

إن هذه الدنيا عجب وأي عجب . إن الأمر لعظيم . فما هذا الحق والشفقة والحب والمساعدة للنزوة النملة التي نطوؤها بأرجلنا ونحفرها - وما كسا عن الخلق غافلين - . فيا ليت شعري كيف غفل عن هذا الجبال السلحون وأوروبا غفرت به وهم نائمون . اللهم إنك قد وفقني أن أؤذى ماعلى لأمة الاسلام فأسألك أن تجعل هذه المباحث عامة فيهم لك أنت السميع العليم ، واعلم أن التمل يقطع أجنته قصدا متى دخل في أعمال عظيمه كبناء المساكن وهذه صورة مساكن التمل (انظر شكل ١٢) في الصفحة التالية



(شكل ١٢ - رسم مساكن النمل)

(شكل ١٣)



(شكل ١٣ - هذا مرتفع قدر ارتفاعه الطبيعي مرتين)

إن في شكل (١٢) بهوا كبيراً مرفوعاً سقفه على عمد وهذا البهو العظيم التسع الشكل يفتح فيه ثلاث حجرات صغيرة جداً بالنسبة له وهناك بيانه .

(أ) الأعمدة التي رفع سقف البهو الكبير عليها وحفظه

(ب) البهو الكبير وهو أهم ما في المسكن

(ج) أجزاء من الحائط

(د) الحجرات الداخلة وهي الصغيرة

(هـ) البوابة والمدخل العام (انظر شكل ١٤)

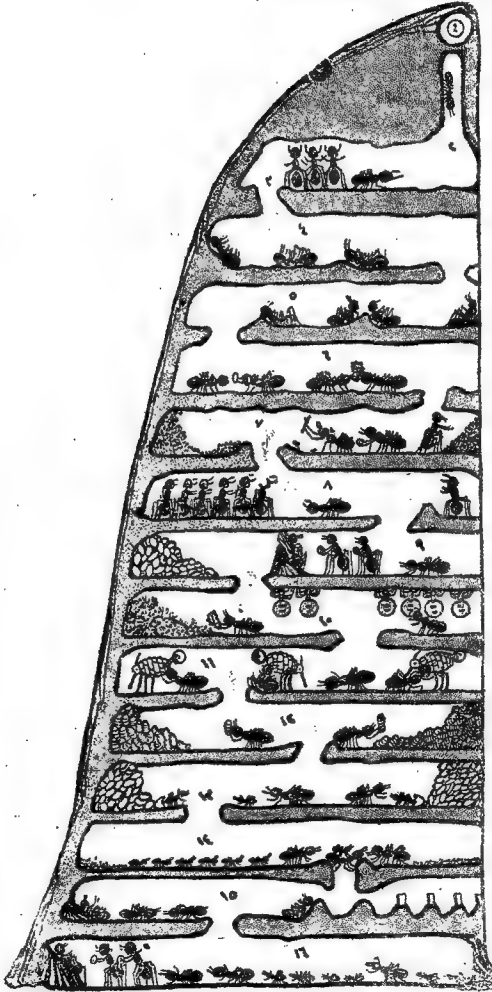


(شكل ١٤ - رسم مستعمرة النمل وهي أربعة مساكن)

(أ) الأعمدة التي رفع السقف عليها (ب) البهو الكبير العظيم الاتساع (ج) الحجرات الثلاثة الداخلة

المتصلة بالبهو (د) أجزاء من الحائط (هـ) المدخل الموصل للمسكن (و) الطرق الموصلة من مسكن إلى مسكن انتهى ليلة الثلاثاء (٤) أكتوبر سنة ١٩٢٦ م من (لونيومان) الجزء الرابع . هذا وأن أحسن مساكن

النمل وأجلها فيا رأينا هذه الصورة (شكل ١٥)



(شكل ١٥ - رسم قرية النمل وطبقاتها)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) غلة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أول طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخريه الأقوات (٨) ثكنة لجنود النمل (٩) الغرف المملوكة حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسبل آخر لطلب البقر (١٢) مكان لتقوالب البيض عن الصغار (١٣) صغار النمل ويبيضه (١٤) صغار النمل (١٥) مشق للنمل ، وفي المئين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشق للملكة واعلم أن ما تقدم الآن هو شرح لما في الصورة المتقدمة أى شكل ١٥

ثم انه لما اطلع على هذا أحد الفضلاء قال لقد أحسنت صنعا وشرحت صدرا وأضعت للمذكرة . إنك قد شرحت طرق النمل ومزارعه ومساكنه وأضعت فيه ورسته وأدبت الواجب في ذلك ، فلم تترك نفس النملة حتى تطلع على أجزائها وأعضائها وتدرسها حتى دراستها . فقلت له لقد طال المقال وأنا أحب الاختصار لأن المقام مقام تفسير فقال عجبا لجوابك وما اقرب به الى المواربة ، كيف اعتنت بالعرض وترك الجوهر . إنك أيضا تفسر مزارع النمل ورسمت الطرق والمساكن والطرائق والمستعمرات بل ذكرت عددا للرجل والأجزاء التي ركب منها النملة وهي ثلاثة وذكرت درجاتها الأربع في الحق ، فلم رأيناك رسمت المساكن والمزارع وتفاصيل رسم النملة . فقلت له إن النملة يعرفها الناس ولكنهم قط لم يعرفوا مساكنها ولا مزارعها وإني أقول لك الحق اني كنت منذ أمد قد رأيت رسم الزراعة في الكتب الانجليزية ثم مضت عشرات السنين وأنا أقول في قسمي أين هذا الرسم ، ولما قرب طبع تفسير هذه الصورة وقع الكتاب في يدي مصادفة فسررت جدا وورسته ، أما النملة فإن الناس يعرفونها . فقال . كلا . إن الناس لا يعرفون النملة إلا كما يعرفون أجسامهم فهم في كل وقت يفسدون ويروحون ولا يذكرون في أجسامهم وعما فيها ، فكل يقول أنا أعرف النمل وهو لا يعرفه ، ومن ذا الذي رأى أرجلها الستة أو عضوها الحساسين الثابتين في جانبي رأسها ، ف رسم هذا الحيوان يجعلنا نعرف أجزائه ، إن المسلمين أصبحوا في أخريات الأمم بما فرطوا في هذه العلوم ، وبأيت شعري كيف يسمى الله تعالى سورة باسم النمل وأخرى باسم العنكبوت والمسلمون يجاهلون الحشرات ومنها النمل وهكذا العناكب ، إن رسم النمل والعنكبوت وأمثاله يسهل على المسلم فهم الحيوان ودرسه والذي يغفل لي أنك تخشى اعتراض بعض الفقهاء في التصوير واشتد حرصك على رضا جميع المسلمين راحبت المشتددين فهم وأنت إذا فعلت ذلك دورايت فقد تركت الواجب وكيف تخشى ذلك وقد آتت أحد الفتين بمصر رسالة في جواز ذلك (هذا المقام . ستوفي في سورة يونس فراجع) فقلت له الأمر لا يحتاج الى فتوى ولا الى تأليف رسالة ومن أجله عن يفتري على الله الكذب ويحرم ما هو واجب وجوبا عينيا أو كفايا . إن هذه العلوم إما واجبة وجوبا عينيا لازدياد الشكر لله تعالى ، ومعلوم أن الشكر عمل وعمل وهذا هو العلم المحب في الله للمعرفة لقدره فالاطلاع على هذه العلوم يزيد في معرفة الله وفي شكره وهذا واجب على القادر أن الزيادة فيه واجبة على من يقدر وأما فرض كفاية من حيث منافعتها العاتكة كما تقدم في سورة المائدة مشروحا عن الامام الفزالي مفصلا

ولما ترك المسلمون دينهم وأصوله وعجائب صنعه قبض الله لهم القرينة فأذلهم ليرجعوا للعلوم . فقلت زدي في هذا الموضوع . قلت أنت تقول ان الحق المبرى أفتى بالجواز وأنا أقول لك هو واجب ومن حرم من المسلمين الواجب فهو معصية ولم يرد في الكتاب ولا في السنة تحريم النظر الى الظل . فقال وهل الصورة ظل . فقلت إن هذه الصور التي يأخذها المصورون لم يصورها أحد بل صورها الله ، ألا ترى انها عبارة عن أشعة شمسية غالية واصله الى حزمة للصورة منها في لوحة . فهذه الأشعة أو الظلال من الشمس فتبوتها في ورقة لم

يخرجها عن كونها ظلاً ولم يخرجها عن كون الله هو نفسه الذي رسمها بشمسه . أليس من عجب أن الناس يحتاجون لفتوى على جواز النظر إلى الظل ، وإذا جاز لنا النظر إلى ظل الأشجار فهل يحرم علينا تكرار النظر إليه . فقال . كلا . قلت هكذا هنا هذا ظل أئبنتاه ونظراته حكمه لم يتغير

يقول الله تعالى . ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . جعل الله الظل ساجداً له ، وقال في آية أخرى . ولو شاء لجعلها ساكنة . أي الظل . وقد أسكن الله الظل في هذا الزمان بالتصوير وإنما أسكنه الله في الأرض ليوقظ الناس للعلوم فإن رسم الأشكال يوضح الخلوقات ويظهر عجائبها وأعضائها وبدائعها ، ومن ذا الذي لا يتعجب حين يرى أن عين الذئبة ترى في المنظار أعينا تبلغ المئات عدا . يرأها الانسان رأى العين . وقد رأيتها أنا بنفسى . هذا هو الظل الساكن الذي أشار الله له في القرآن ، فهذه الظلال قد حفظت لتزيد الناس علماً بحماد الله وحكمه وبدائعه والمسلمون وحدهم هم النائمون

فقال صاحبي لقد أفتت الحق على نفسك فلماذا إذن أصبحت عن رسم هذه الصور وأنت موقن أن التصوير الذي جرى الكلام فيه هو الجسم . فأما هذا فليس تصويراً ألبتة وإنما هو ظل . قلت وأنت كذلك أيضاً أن الانسان يرى صورته في المرآة وهو جائز . قال نعم . قلت فهل إذا دامت الصورة محفوظة في المرآة يحرم ذلك . قال . كلا . قلت فأناس يهجمون في الصور الشمسية قد رجعوا إلى البلاءة والجود الحزين . قال إذن قد افترقنا فأنا أقول ان التصوير جائز وأنت تقول فوق ذلك إن هذا لاهو تصوير ولا هو رسم بل هو ظل الله أئبنتاه فأنا أنتظرونك أن ترسم لنا أشكال الحيوان متى لزم . قلت إن شاء الله عسى أن يكون قرياً (هذا الموضوع كتب قبل أن أشرحه في سورة يونس)

هذا ثم إن هذه اللطائف الأربع ومجلاء بعضها الواردة في عجائب الخلق وتركيبه تعرف معنى قوله تعالى . فتبسم ضاحكاً من قولها . وأخذ يدعو الله أن يوفقه . وأنت أيها الذكي إذا اطلعت على هذا فاعلم أنه نعمة لك من الله بسبب القرآن وادع الله أن يهلك أن ترشد الأمة الإسلامية وتذرع شعيرتك الأقرين ونفهم من حولك من المسلمين حتى لا يذلوا وحتى يعرفوا نعمة الله تعالى . ولما كانت العلوم بها تكون سعادة الحياة ونظام الدول أتبع ذلك بقصة المهندد كما قمتما فان الأم لادول لها ولا نظام إلا بالعلم والعلم يقبض العمل الذي طلب سليمان أن يوفقه له . فانتظر كيف أعقب الله بقوله (وتفقد الطير) وتعرف الطيور فلم يجد فيها المهندد (فقال مالي لا أرى المهندد) لأنه محجوب عنى بسائر أو نحو ذلك (أم كلن من الغائبين) بل أكلن غائبا عنى . وإضاحه انه عالم به علمه أنه حاضر ولا يراه لما تم ما . فقال مالي لأرى المهندد . ثم لاجه انه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل أهو غائب . ثم قال (لأعذب به عذاباً شديداً) كنتن ريشه وكجعله مع ضده في قصص (أولاً ذبحته) ليعتبر به غيره (أولياً يئى بساطان ميين) بحجة تبين عذره . والمعنى انه يفعل معه أحد الأولين على تقدير عدم الثالث (فكش غير بعيد) زماناً غير بعيد أو مكناً غير طويل كما تقول عن قريب . فلما رجع سألهم عما لقي في غيبته (فقال أسلمت) علمت شيئاً من جيم جهاته (بما لم تحط به) يعنى بحال سبأ التي لم تحط بها . وفي هذا الخطاب من المهندد مكلفة لسليمان دلالة على أن الأتيداء وغير الأتيداء في الأرض قد يعنى عليهم ما يعرف غيرهم . ونظير ذلك ما قمتن في (سورة الكهف) من قول انضر لوسى ما معناه « ما علمى وعلمك وعلم الخلائق بالنسبة لعلم الله إلا كما أخذ الطائر بمقره من هذا البحر » فهناك أفاذ أن علم الخلائق قليل بالنسبة لعلم الله وهنا أفاذ أن أعظم علماء الأرض قد يجهلون ما يصله أحر الخلوقة . كل ذلك ليعرف الناس أقدارهم وليتعلم الانسان من كل أحد وأن ذلك حض من الله للأمة الإسلامية أن يعلوها سائر الناس وأن يشغلوا كل واحد فيها اختصاصه الله به من القوى والامراك والعمل كما سخر سليمان المهندد . لمعرفة الخبر فسلطان يهجز عن الاتيان بخبر سبأ وعظماء الدول الإسلامية المستقلة يجب عليهم أن يوزعوا الأعمال على الناس ويشغلوا كل ما يناسبه . وإذا كان سليمان استعان بالمهندد فليستعن عظماء أمة الاسلام بجميع الشعب ويعلموه وليعلموا ولا يخفوا

بما خلق له وقد أوضحنا هذا في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - فلي عظماء أمة الاسلام أن يستخرجوا كنوز الآراء وجواهر الأعمال من جميع الأفراد من انسان وحیوان فانعمل مزية ليست في الهدد . والهدد مزية ليست في الانسان ، ولكل انسان مزية ليست في غيره وهكذا الحيوان ومنها ما قاله الهدد سليمان (وجبتك من سبأ بنأ يقين) بنجر محقق ، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان * وسئل عليه السلام عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشلم أربعة ، ولما قال الهدد - بنأ يقين - قال سليمان وما ذاك قال له (إني وجبت امرأة تملككم) وهي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان ، وسأيت في سورة سبأ تحقيق أمرها وأمر سبأ أجمعين وهي من نسل يعرب بن قحطان والضمير في - تملككم - لسبأ (وأوتيت من كل شيء) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) أي سرير كبير * ويقال انه كان من ذهب وقضة مرصع بأنواع الجواهر قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق (وجبتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) . فهم كانوا يبدونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من الأفعال والاعتقادات التي لا تليق (ففسدتم عن السبيل) سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون) اليه ، وقوله (اليسجدوا) بدل من أعمالهم أي فزين لهم الشيطان أعمالهم ثم بينها بما يتأتى من سجودهم لله أي زين لهم عدم السجود الخ * وقرئ - ألا - بالتخفيف وهي للتنبيه ويا للتداء أي يا قوم واسجدوا فصل أمر (الله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وصف الله بما يوجب قدره ويوجب السجود له وذلك انه يظهر الخبء وهو كل ما خفي في غيره ، فاشراق الكواكب وازال المطر وانبات النبات وإيجاد المخلوقات كل ذلك اسراج لما اختبأ عن الأنظار بالظلام والسحاب واطن الأرض وحالة الامكان فان العالم كان خبيثا في حال الامكان فظهر بالإيجاد ، وكما أنه يظهر ما خبأ يعلم ما يخفي ويظهر قدرته عامة في كل ممكن وعلمه عام في الممكنات والواجبات والمستحيلات ثم ذكر عظمة الله وأبان فضله على عظمة عرش بلقيس فانه اذا شملت قدرته كل شيء وأحاط علمه بكل شيء فلا جرم يكون عرشه أعظم العروش ولذلك قال (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) ولقد نكر عرشها وعرف عرش الله اشعارا بما ذكرناه ، وتقدم في (هود) وفي (يونس) معنى العرش وعظمة عرشها بالنسبة الى ملوك الدنيا وعظمة عرش الله بالنسبة الى جميع المخلوقات (قال سنظرو) سنصرف وتأمل (أصدقت أم كنت من الكاذبين) لأننا لا نأخذ القضاء بالسلعة ولا نعمل إلا بعد تجربة واختبار وامتحان كما هو شأن ملوك الأمم المدبرين للممالك العظيمة (انذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت يا أيها الملؤا) بعد ما ألقى اليها (إني ألقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه ومرسله ولغرابه شأبه لأن الهدد ألقاه من كوة على نحرها فهذا وجه الغرابة فقيل لها من هوقات (إنه من سليمان) ان الكتاب من سليمان (وانه) أي المكتوب أو المضمون (بسم الله الرحمن الرحيم) المقصود (ألا تعالوا على) ألا تستكبروا على ولا تمتصوا من الاجابة (واتوفى مسلمين) متقدين وهذا الكتاب فيه وصف الله بصفات الكمال والأمر لهم بعدم الكبرياء والطاعة (قالت يا أيها الملؤا أفترى في أمري) أشعروا على فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمرا) قاضية وقاصلة (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة) بالأجساد والعدد (وأولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والأمر اليك) أيها الملكة في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) تجدينا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس بحجة لهم على ما أظهروا من الميل الى الشفقة بما أظهروا من قوتهم المادية وعددهم وقائدهم فالتة لهم إن سليمان إن قاتلناه ربما دخل بلادنا فأضر بالأنفس والأموال والقرى والضياع وهذا قوله تعالى (قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) ينهب أموالهم ويخرّب ديارهم وأهانتهم وأسروهم (وكذلك يفعلون)

يقول الله إن هذه هي صفة الملوك الفاضلين وهو الحاصل الآن في مصر والشام وبلاد العراق وطرابلس والجزائر
ومراكش ، فكل هذه البلاد لجعل أهلها يدخل التفرج بلادهم وأذلهم وقهروهم ولجعل عام وعسى الله
أن يرجع لهذه الأمة مجددا واستقلالها ، ثم قالت (وإني مسألة اليهم) رسلا (بهديّة) أدفعه بها عن ملكي
(فتاظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك ومرادى بذلك أن أختبره أملاك هوام بني فأن
كان ملكا قبل الهدية ورجع وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نثبه في دينه وبقينس قالت
ذلك لأنها كانت ليبة عاقلة قد قاست الامور وسيرتها فأهدت له وصفا ووصاف وألبست الفلمان لبس الجوارى
بأن جعلت في أيديهم الأساور من الذهب وفي أعناقهم ألحواق الذهب وفي آذانهم أقراط وشنوفاصصات بأنواع
الجواهر وحلت الجوارى على خسمائة ومكة والفلمان على خسمائة برذون وأهدته حقا فيه درّة غير مثقوبة
وبجزة معوجة الثقب وبشت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكلابا بالبر والياقوت وأرسلت له
المسك والعنبر والعود اليلنجوج ودعت المنزبين حمرو معه أشراف قومها وكتبت مع المنزكرتابا تذكرفيه
الهدية وقالت إن كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصاف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفضحه واتقّب البرة تقبا
مستويا وأدخل في الخزانة خيطا من غير علاج وأمرت الفلمان والجوارى أن يشبه كل منهما بالآخر وقت
مخاطبته لهم وقالت للرسول إن نظركم نظر غيب فهو ملك فأنا أعزّمه وإن قابلك يشاشة ولطف فهو نبى
فلما وصلوا الى معسكره وعظم شأنه قصرت اليهم نفوسهم واستصغروا لبنات الذهب والفضة في جانب ما رأوا
من الابهة والعظمة فوضعوها في فرج قد تركها النبي سليمان على قدرا أحضروا من اللبنات ، فلما وقفوا بين
يديه تلقاهم بالبشر والقبول والأنس وسألهم عن حالهم وأعطوه الكتاب فقال ابن الحق فلما رآه قال إن فيه
درّة ثينة غير مثقوبة وخززة معوجة الثقب فأمر الأرض فأخذت شعرة وفذلت في الدرة وأمر دودة يضاء
فأخذت الخيط وفذلت في الخززة ودعا بلقاء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب
به وجهها والفلام كما يأخذ به وجهه ثم ردّ الهدية (فلما جاء) الرسول (سليمان) وحصل ما تقدم
ذكره من قب الدرة وغيره (قال) للمنزبين حمرو ومن معه من أشراف قومها (أتأتون بمال) وأنا لم أرسل
للمال والمال زائل إنما أرسلت لأعلم الناس الحكمة وأهليهم الصراط المستقيم (فما آتاني الله) من النبوة
والملك كما أنتم بأعينكم (خبر عما آتاكم) لأنكم لم تؤثروا إلا ملكا أقل من ملكي وأنا أوتيت الملك والنبوة
(بل أنتم بهديتكم قرحون) ولا يفرح الأنبياء والمؤمنون إلا بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرح العقلاء هو خير
مما يجمعون من المال (ارجع اليهم) أيها الرسول (فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولا
قدرة بهم على مقاتلتها (ولنخرجهم منها) من سبأ (أذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العزّ (وهم صاغرون)
أسرى مهانون (قال يا أيها الملأ أئكم يأتي نبى بعرضها قبل أن يأتوني مسلمين) لأظلمها على بعض ما أنتم الله
به على من العجائب النبوية والآيات الإلهية لتعرف صدق نبؤي ولتعلم أن ملك الدنيا في جانب عجائب الله
وبدائع قدرته يسروا ن حكمه الله أوسع مما يشاهده الناس من آثارها من مجرى العادة وأيضا لأختبر عقلاها
حين أنكر عرضها ، ولما كانت الأرواح الأرضية والسجوية جميعا (قسمين) قسم نوراني إلهي وقسم ظماني
أرضي والأول أوسع علما وقوة والثاني محدود العلم والقدرة لافرق في ذلك بين الأرواح التي في أجسامها في
الأرض والأرواح التي جردت من ملذتها سواء أكانت خالصة من علنا هذا أم لم ترد له بل عاشت في عالم الأرواح
ولم تسكن أرضنا . هذه قاعدة مطردة تجدها في كتب الأنبياء وفي علم الأرواح الحديث الذى ملأ الأقطار
وشرحناه مرارا في هذا التفسير بحيث إن الروح الذى كان في أرضنا وخرج من جسمه يصبح وقوته وعلمه على
مقدار أخلاقه وصفاته ووضعة وهكذا جميع الملائكة منهم من هم في أعلى مقام ومنهم من هم أقرب الى
علنا . وما منا إلا له مقام معلوم . فكل روح غلبت عليها الآراء الأرضية والأحوال المادية يقلّ عليها

وقدرتها على مقتضى ذلك ، وكل روح تجردت من أخلاق أهل لأرض والأحوال المادية وكانت ذات أخلاق إلهية وحسب علم ورفعة شأن واقتراب من الثور الأعلى كانت همتها وعلمها أوسع على مقدار ما اتصفت به من ذلك - وأن إلى ربك المنتهى - ولا يشق غلتك في هذا إلا أن تطالع ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذي ألفت في ذلك ، إذا عرفت ذلك فانك تفهم قوله تعالى ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ أى حيث مارد قوى - داهية وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أى مجلس قضائك وكان يقضى كل يوم في الغداة إلى نصف النهار ﴿ واتي عليه ﴾ على حمله ﴿ قفوى أمين ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها فلما سمع سليمان ذلك قال أريد أسرع من ذلك لأنه يعلم أن في الأرواح من هو أقدر على احضاره في أقرب من ذلك كما علمت مما فضلناه لك لأنهم درجات كلفهم ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ وهو الذى صفت نفسه من علامات هذه الأرض وتعاود عن الكبر والحسد والظلم وجبج ما في عالم المادة وهو مفرغ بالعوالم العالوية فهو أرق من ذلك العفريت من حيث اشراق نفسه وصفاء باطنه ، هذه صفات الذى عنده علم من الكتاب فسواء أ كان هوجبريل أو ملك آخر أو أصف بن برخيا الذى هو صديق يعرف اسم الله الأعظم أو سليمان نفسه وسواء دعا الله بقوله ﴿ يا ذا الجلال والإكرام ﴾ أو قال ﴿ يا حى يا قيوم ﴾ ، كالتاة عائشة أو الهاء ﴿ يا له كل شئ إله واحد لا إله إلا أنت إلهى برحمتك ﴾ أو غير ذلك فالأصل واحد هو نفس مشرقة ملكية أو انسية توجهت إلى الله بأى اسم كان أو همتها فلذلك على المهم والنفوس الصافية والصفاء إلا بالتعالى عن أحوال المادة فلا يهملك التفصيل بتعيين الذى أحضره ولا بإلهاء الذى دعا به وقد أحركت سر الحقيقة

خذ ما تراه ودع شياً سمعت به * في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل

فدع زيدا يقول في المجالس بأن سليمان مد عينيه ونظر إلى الجن ودعا آصف فبعث الله الملائكة لحماوا السرير يجرهون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان ، ودع عمرا يقول خذ سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغلب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ أقول قد عرفت الحقيقة وتستعرف أن هذه القصة من أكبر معجزات سيدنا محمد ﷺ والقرآن فاق ما سألتك في شأن قل الأمتعة من أماكنها بطريق غير بطريق المعجزات وإنما هو بطريق الأرواح واستحضارها أصبح معروفا ، إن هذه القصة ذكرها الله في القرآن وقد علم أن الأمم ستعرف هذه الهجائب فأودع هذه المعجزة في الكتاب ليزيد المسلمون علما وسكينة وليبحثوا عن عجائب صنع الله ، فلئن قل عرش بلقيس بطريق المعجزة التى لا يمتدنى إليها الناس فسترى كيف تنقل الأرواح الأمتعة من أماكنها على أيدي أكابر الحكماء والفلاسفة في أوروبا ، ولترى أن هذا القرآن فيه أصول الهجائب أودعها فيه لهذا الزمان حتى لا ينفر المسلم من علم الأرواح وعلم الأرواح يقصد منه تقريب قلوبنا وتوحيدها على ذلك العالم الجليل حتى لا تنفر من الموت ولا تنفر من الأرواح إذا وردت إليهم وتفرح بالموت وتفرح ببقاء الله ، فليجذب هذا العلم المسلمون حتى يهتسوا بهدي سليمان ، وهل ذكرها الله في القرآن إلا لهذا ؟ إن سليمان عليه السلام أوحى إليه أن يوجه همة إلى احضار عرش بلقيس بطريق العوالم العظيمة الروحية فحضر العرش ﴿ فلما رآه مستقرا ﴾ حاصلا بين يديه ﴿ قل ﴾ وقد تلقى العلم بالشكر على مقتضى سنن المتخلصين من عباد الله تعالى ﴿ هذا من فضل ربي ﴾ ففضل به على من غير استحقاق والاشارة إلى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره ﴿ ليلو أن أشكر ﴾ بأن أراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة ﴿ ألم أكفر ﴾ فلا أشكرها وأنسب العمل لنفسى فلامن ولجاء ولاد كرحنا في هذه الدنيا ولا علم ولا حكمة إلا والله بئلى العبد بها لأن ذلك كله تربية للخلق ، فالتام الجسمية والعلم الروحية والعقلية كلها موهب يمتحن الله الناس بها فغن ضل بها هوى ومن شكرها ارتقى ﴿ ومن شكر فاءما يشكر لمسه ﴾ لأن ذلك يستوجب لها دول العمة ﴿ ومن كفر فأن ربي غنى ﴾

عن شكره (كريم) بالانعام عليه (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (تنظر أتمتدى أم تكون من الذين لا يمتدون) الى معرفته والى الإيمان بالله ورسوله حينما ترى أن عرشها قد خفته مغلقة عليه الأبواب موكة عليه الحراس ففى عرفت انه هو عرشها كان ذلك داعية للإيمان فخرقة العرش مقرونة بالإيمان لأن المجزأة مقرونة بسبقه لها الى سليمان فللدار على العقل والذكاء والفضة (فلما جاءت قبل أهلكذا عرشك) وذلك لامتحان عقلها وللتشبيه عليها لأنهم ذكروها عنده بسخاقة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها ، ولما ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واظهار مجزأة لها قالت (وأوتينا السلم) بكامل قدرة الله تعالى وصحة نبوتك (من قبلها) من قبل هذه المجزأة (وكنا مسلمين) متقادين خاضعين لأمر الله ولأمر سليمان (وصدتها ما كانت تعبد من دون الله) أى صدتها سليمان وأولاه عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (لأنها كانت من قوم كافرين) يقول الله تليلا لعبادتها غير الله التى صدتها عنها أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس ولم تعرف لإعبادتها ، وعباداة الشمس وعبادة الكواكب قد شغلت عقول الأمم أجيالا وأجيالا لأن الله أكبر من كل شئ ، فلذا كانت الشمس لها فلابيحث الناس عن أكبر منها ، ولما نزل الاسلام والبيانات التى حرمت عبادة الكواكب بحث الناس فى أمر الكواكب فأروا الشمس أقل شأنا من غيرها وأن الله تعالى يريد إيقاظ العقول وترقية النفوس البشرية بمثل هذه البيانات التى ترفع عن المادّة من حيث التعلق ومن حيث العبادة وقد تقدم هذا فى سورة الأنعام ، الى هنا تمّ اختبار عقلها وعرف انها ذكية ، هناك بتّى له أن يعرف سابقها لأنه قيل له ان رجلها كخافرجار ، ولما كان الله تعالى لطيفا حكيما لا يكشف السر ولا يوضح فكانت هذه الأخلاق شنة الأنبياء والحكماء والملوك العظام فلا يفضحون أسدا ولا يخزون بل يتلفون فيما يريدون . بنى قصرا من زجاج أبيض وأجوى من تحت الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظننه ماء راكدا فكشفت عن سابقها وهذا قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح) القصر (فلما رآته حسبه لجة وكشفت عن سابقها قال انه) إن ما تظننه ماء (صرح بمرد) علس (من قوارير) من زجاج وليس بماء فحينئذ ستريت سابقها وعجبت من ذلك وزاد علمها أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلّت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب إني ظننت نفسي بعبادة غيرك) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخلصت له التوحيد والعبادة وهل تزوجها هو من بعد أن اتخذ الحمام والنورة لأجلها فأزىل شعر رجلها وأحباها حباً شديداً وصار سليمان يزورها كل شهر بأرض اليمن فى حصونها أم لم يتزوجها بل تزوجها الى ذى نبع ملك همدان وليس فى معرفة الحقيقة كبير فائدة ولكن الرأى الثانى أصح . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة ، وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

- (١) فى المدهد الذى أحاط بما لم يحيط به نبى علما
 - (٢) وفى قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون -
 - (٣) وفى قول سليمان - فما آتاكى الله خير مما آتاك -
 - (٤) وفى قوله تعالى - قال عفريت من الجن - الخ
- ﴿ الطبقة الأولى فى المدهد الذى أحاط بما لم يحيط به نبى مع ذكر بعض أنواع الطيور وأن هذه تشمل مجاب الأسرار فى - طس - ﴾

تفقد فعل ماض والطير مفعول والفاعل ضمير يعود على سليمان ، وقد قلنا فى هذه السورة ان السين هى أول حروف سليمان والطاء أول حروف الطير ، فهنا ﴿ اسبان ﴾ وهما سليمان والطير وفعل هو تفقد ونحن أمرنا بالاعتداه بالأنبياء . ألا ترى الى قوله تعالى - فيهداهم اقتده - فبينما أمر بالاعتداه بهم وسليمان من المقتدى بهم فأنا مأمور بالاعتداه بهم والاعتداه لا يكون فى الأسما وإنما يكون فى الأفعال والفعل تفقد ، فهذه الحروف

الأربعة التاء والتاء والتاف والبال هي السر للصون والجوهر المكنون هي الحروف التي وقعت بين الطاء والسين طاء الطائر وسين سليمان وهما الرموز لهما بما في أول السورة - طس - . علم الله أن أمة الاسلام ستنام حوالى (٩٠٠) سنة . نامت الأمم الاسلامية بعد الصور الأولى . ثلاثة قرون هي التي نبئت فيها الأمم الاسلامية فخرت أهل الأرض كلهم وناج للمسلمون شرقا وغربا ثم ناموا ، ولكن كان فيهم أولوا بقية في العلم والدين فظهروا وظهروا وقتا دون وقت . بقية الأمم الاسلامية نامت هائمون على وجوههم جاهلون بجمال ربهم عاكفون على الرئاسات وطلبها والأموال وجعها وقد أبقظ الله حولهم أهل أوروبا والمسيحيين واليابان وأهل أمريكا الذين لم يكونوا منذ (٤٠٠) سنة إلا عماديت فيهم الممجيبة والجهل العمى وبقى المسلمون بين هؤلاء وهؤلاء لاهم في العبر ولا في النفي فأتم الله عليهم ﴿ بنعمتين ﴾ نعمة الكوارث والحوادث والأوصاب الحالة فيهم من الأمم المحيطة بهم والطيارات المحلقة فوقهم والمدافع الموجهة اليهم واستزاف ثروتهم وضياع ملكهم وتغييرهم بالجهالة والتعدي على الدين وعلى المجد وعلى الملك ، ونعمة العلم الذي يدلف اليهم من الأمم حولهم ومن المؤلفين الذين يقومون بنشر الحكمة والعلم بينهم ليوجهوا همهم الى ما أحاط بهم ، وأعلم أن الكوارث والمصائب الحالة بالأمم الاسلامية لا تفيدهم ما لم يذكرهم بها للذكورين ويرشدتهم لها المرشدون ، ومن المنفردات المبشرات هذا التفسير ، وهأنذا أذكر للسليين بقوله تعالى - وتقد الطير - وقد ينت اى مأموران أنفق نقد سليمان الطير - ولما طلب المدهدقال له - وجئتكم من سبأ بنبا يقين - إذن التفقد يكون من نتائج اليقين وما الذى جاء به ؟ جاء به الطير المتفقد ، وتقد ابراهيم النجوم والشمس والقمر بعد أن كسر الأضنام فقال الله للقوم فيه - وكذلك رى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من اللوقين - وتقد رسول الله ﷺ والنبات والطير ليعلم أصحابه كما في حديث البخارى إذ أخذ يسألهم عن شجرة شبه المسلم فأخبروا يتفكرون في شجر البوادي فلم يصب فى الاجابة إلا ابن عمر ولكنه خجل أن يعيب فاجاب ﷺ بأنها النخلة لأنها تموت اذا قطع رأسها ومن رأسها تنرب ، ثم قال ابن عمر لايه لقد وقع في قلبى انها النخلة فأسف عمر على أنه لم يقه رسول الله ﷺ فأما فقد رسول الله ﷺ الطير فله ضربها مثلا إذ قال « لو توكلم به الله حق توكلمه لزركم كما يركز الطير فتدوا خنما وتروح بطانا » . فهذا التفقد للسموات في قصص ابراهيم ونحوه ولشجر البوادي والطير من رسول الله ﷺ ولطير من سليمان ، كل ذلك نذكرنا أن تفقد كل شئ فلا تتركوكا ولا شمسا ولا قرا ولا طيرا ولا شجرا إلا تفقدناه وهذا أمر واجب وهذا الوجوب يختلف باختلاف الأشخاص وإنما قلت انه واجب لأنا مأمورون بالشكر ومأمورون بالنظر ومأمورون بالفكر ولا شكر إلا بعلم ولا علم إلا بنظر ولا نظر إلا بالتفقد . اذا علم المسلم انه بقوله أنا آمنت بالله أو أيقنت بالله قد أتم ما عليه فهو مغرور سرى له هذا الغرور من شيخه الذى لقيه العلم فأوقفه عند حد محدود خسر عقله وكله فكبكت الأمة كلها وأحاطت بها الأمم وزمقتها ودمرتها وأناسها ، فبعض شيوخ العلم وبعض شيوخ الطرق يلقون تلاميذهم (ألا تقرأ الكتب غير ما لقتاكم) ونحن نقول . كلا . أيها المسلمون تفقدوا كل شئ ، ألم يتفقد سليمان الطير ، ولماذا أنزل الينا هذا القول ؟ ولماذا رمز الله لنا بالطاء والسين في أول السورة ؟ لماذا يقول الله لنا في أول السورة - طس - . يقول لنا ذلك لأنه علم أننا ستكون أمة نائمة مئات السنين وسيأتى علينا هذا الزمان زمان العرقان والنور فسأل الشبان قائلين لم ذكر الله - طس - وهذان الحرفان لامعني لهما فأتى قائدة في ذكرهما فنحن نحجب بأن أمثال هذه الحروف جعلت أشبه بالمفاتيح لفتح ما أغلق على المسلمين أجيالا وأجيالا واكتفاهم بكتب موروثة وعالم محصورة وقد عمى أكثر الناس عن قوله تعالى - واشكروا لى ولا تكفرون - والشكر لا يتم إلا بعلم والعلم عام وعن قوله تعالى - وقول رب زدنى علما - فإذا كان النبي ﷺ أعلم الخلق بربه وأمر بزياد العلم فما بالك بنا نحن فنحن مأمورون بزياد العلم من باب أولى ، ولهذا كله الرمز بالحروف الأربعة

﴿ كيف يتفقد مؤلف هذا التفسير ﴾

أنا إلى الآن لم أتم تفقد نفسي ولا تفقد العالم وأقول تفقدت نفسي وتفقدت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الترى وهذا مذكور في هذا التفسير ، فأما نفسي فاني عجبت لها ، رأيته لا تفقد عند حد تهترأ طربا لبهجة النجوم والشمس والقمر وتفرح بعالم الليل والنهار والشجر والنجم وما في باطن الأرض من المعادن والجمائن ، لم أجد لها نظيرا في عالم الحيوان ، فكل طير فانع بما خلق له كما ستره هنا ، فترى الطيور والبجاجة تحضن أولادها وتمتعي بصغارها مثل الحمل والحمام ، وترى الطيور ذلت الأرجل الكفية كالبط فرحة بالحبوب والحشيش وكذا الأوز والبجع ، وترى الطيور الشاطئية تمتع منقارها وعنقها الطويلين لتتغذى بالزواحف المائية مثل أبقى قردان واللقطي فتفرح بذلك ولا تطلب غيره وهكذا الطيور التسلسلة المغتذية بالثمار والطيور التي تفرح الخشب تكسني بالحشرات والطيور البودية كذلك وهكذا الطيور الجارحة تأكل الطيور الأهلية والسمك وليس لها منه فوق ما عندها ، أرى هذه الطيور كل غادر رائج يطلب ما خلق له فرح بما عنده عاكف على ماله وأرى الزواحف كالسلاحف قافعة بما عليها من البرقة التي تأوي إليها متى دهمها خطراً أو أحست بطبع وهذه هي قلعها وحسنها . وأرى التساح من الزواحف اشتدت عنايته بما هو غاية أمنيته وهي يرضه القذى يدفعه في الرمل على الشاطئ . وأرى الحرباء فرحت بما لديها من القدرة على التلون ومجازاة ما حوّلها في لونه لتحفظ بذلك نفسها وهكذا مما لاتسع هذه المقالة

تفقدت نفسي فوجدتها مخالفة لهذه الحيوانات فكل حيوان خاصة لا يتعداها وهو بها فرح وهو بها غفور أما هذه النفس فاني وجدتني نسي لتعرف كل شيء . فيا أيها النفس أخبريني هل أنت كل شيء حتى تبغيني عنه ؟ فأجابني قائلة نعم أنا قبة من نور في . أنا مرسله إلى هذه الأرض وكل نفس من نفوس بني آدم قد أرسلت إلى هذه الأرض ووضعت في هذه الأجسام وهذه الأجسام ما هي إلا آلات بها تصطاد المعاني من هذه العوالم وهذه العوالم بها غنونا وشربنا ولبنا وسما كننا وحسونا وتحصيل ذلك تقوى عضلاتنا بالحركات وتقوى عقولنا بالتفكير وتبتهج نفوسنا بالجمال والزيينة

ثم اتنا نذر هذه الأجساد في الأرض ونذهب إلى العوالم العليا وكل قد أخذ من الأرض زادا علميا وأخلاقيا على مقدار همته وهناك تكون الدرجات على مقتضى المهمل لا غير

هذا كلام نفسي لى وهذا كله رمز الطاء والسين في أول السورة فطاء الطير وسين سليمان يقتحان لنا باب التفقد كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ كل شيء فكان قبل صلاة الليل يقف وهو ينظر النجوم ويقرأ - إن في خلق السموات والأرض - الخ وتفقد الأمم أمة أمة فأرسل لهم رسله يدعوهم إلى الإسلام وبعد إرسال رسله أخذ يحاربهم ثم تم أصحابه فعمله فتفقدوا الأمم وجاسوا خلال أرضهم من بلاد فرنسا إلى بلاد الصين ثم ناموا ونحن أبناءهم فأخذت الأمم تتفقدنا كما كان آبؤنا يتفقدونهم فأصبحنا عندناك الأمم كالطير عند سليمان فتفقد الطيور آبؤنا فتفقدوا الأمم وهذه الأمم أخذت تتفقدنا وقد قالوا ﴿ إن أبناء العرب من الأمم الإسلامية الآن قد رجع كثير منهم إلى سكنى القفار الوحشة والصحراء الكبرى ولا يصعبون أن آباءهم كانوا ملوكا لهم دول عظيمة ﴾ هذا من تفقدهم لنا . واعلم هداك الله أن هذا التفسير من مقدمات نهضات عظيمة سترج الأرض رجا وتقوم أم عظيمة لا يبرى إلا الله مقدار عظمتها يعلمون أن هذه العوالم كلها كتاب من الله كتبنا ونحن قرائه

﴿ مذكرة بما أنفق لى أيام ملنى العلم ﴾

إن الذى كان له الفضل في مدرسة (دار العلوم) هو المرحوم على باشا مبارك وزير المعارف ولقد كان يدخل

البروس يمددتها فرحا بنجاحه في إقامة هذه المدرسة . ولقد قال مرة ﴿ ليكن في يد كل منكم ﴾ (كنشا) يكتب فيه كل ما يسن له من بناء شايخ أو طبيب سائح أو نور باهر أو جمال ظاهر أو حادثة غريبة أو مسألة محيية فإن ذلك يكون عذبة له وحكمة تنفعه وقد انتفعت بهذا ﴿

وعما قاله أيضا ﴿ إن العلم لأجله وليس العلم لأجله على ما في الكتب فجتوا فيه وتعلموا وادرسوا الدنيا بقولكم ﴾ أقول وأنا أوصي بهذه الخصلة فانها خير معوان على الحكمة العامة ومن حافظ على هذه الخصلة من صفه وهو نوميل طبيعي للحكمة والعلم والكتابة فانه يهنا بالحكمة والعلم ويكون نوراً لأتمه ويكون انشاؤه نعمة عامة للأمة ويرقى أمته على مقدار همته ثم هو يحسن في نفسه بسعادة وحسب وسرور لا يعلمه إلا هو ورب به ولا تقصر على هذا في معنى الطاء والسين في أول السورة ، ولأخص تنقضى في هذا المقام بما هو أليق به وهي الطيور فأنتفدها من ﴿ وجهين * الوجه الأول ﴾ أن أذكر بعض عجائبا الظاهرة فأذكر بعض الطيور ثم ما هو شبيه بها ﴿ الطيور ﴾

الطيور حيوانات فقيرة تنفع أيضا بخروج منه صفارها بعد التفرج وحيث انها ترتفع في الهواء خلق الله تركيب بنيتها مناسبة لذلك فشكل جسمها بأعظم شكل مناسب لشق الهواء بسهولة وخلق لها أجنحة بدل الأطراف المقدمة وليس لها أسنان وفيها منته بمنقار وعلى ذلك ترزرد أغذيتهما من غير مضغ وإنما جعل الله معدتها قوية جدا وهي (القوضة) وجعل لها حوصلة فيها تلين الحبوب قبل وصولها إلى القوضة وبما أوجد فيها من قوة الإلهام تصنع أعشاشها وترقد على بيضها وتحن على صفارها ومنافعها كثيرة فنها ما يستعمل له غذاء ويضه كذلك ، ومنها ما يدفع مضار عظيمة كتنديد الحشرات والديدان الضرة بالزروع وتنقسم إلى حلة ورتب

(١) - ﴿ الطيور السباجية ﴾

وهي تشمل الطيور الأهلية التي تستعمل لحومها وبيضها غذاء وتشمل السباجية المعتادة وهي أكثر الطيور السباجية نفعاً من أجل لحمها الذي يستعمل غذاء وبيضها الكثير الذي يحصل فقهه صناعة في معامل مخصوصة تسخن إلى حرارة مناسبة كما يحصل ذلك إذا احتضنت الفرخة بيضها ، والسباجية تعنى بصفارها بحيث إذا طرأ عليها خطر تجمعها تحت أجنحتها وتدافع عنها بقوة وأما الديك فلا يهتم بأمرها ، والفراخ الرومية والهندية تنسب للطيور السباجية ، وكذا القبج وذكره يسمى بحلا وهو يعرف أيضا بدجاج البر (انظر شكل ١٦)



والحمام الذي يعيش أزواجا وأثناء تبيضه يرضين تستولى حضائهما هي والذكر بالتبادل ، وكذا الحمام والساوى المعروف عند الناس بالسمان والطاير وهو أجل الطيور ويميز بذيبة الطويل المزين بريش لامع مرغوب فيه جدا وهو غلى الثمن

(شكل ١٦ - القبج المعروف بالحجل)

(٢) ﴿ الطيور ذات الأرجل الكفية ﴾

هي طيور يوجد بين أصابع أرجلها غشاء يصير أرجلها كجاذيف وجسمها مستطيل يشبه السفينة وريشها مغطى بمادة زينة تمنعها من البلل بالماء فلا يتقل جسمها فتقوم بسهولة وترغب وجودها في الماء ، ومنها البط ويستعمل له غذاء وغذاؤه الحبوب والحشائش ومنه نوع يسكن الأجواء القطبية يسمى ايدر (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية) يوجد أسفل بطنه ريش ناعم تحشى به الوسائد الخفيفة ، والأوز المعتاد لا يخاف البط إلا قليلا في الجسم والطباع . ومنها البجع وهو طير ظريف أبيض يقتنى زينة في الفساق



(شكل ١٧ - رسم الأيستر)

(٣) الطيور النشطة

هي طيور أرجلها طويلة عارية عن الريش وعنقها ومقارها طويلان جدا وهذا يساعدها على سرعة الجرى في مياه المزارع لتتغذى بالزواحف المائية والأسماك والديدان وبعضها يتغذى بالحبوب والحشائش ومنها أبو قردان وأبو مغازل والقلق الذي يستترس الزواحف التي على شاطئ النيل بكثرة ولذا كان محترما جدا عند قدماء المصريين حتى كان عقاب من قتله الأعدام ، والنعامة وهي أكبر الطيور فيصل علوها الى مترين ونصف وتسكن صحارى أفريقيا وریشها يستعمل للزينة مرغوب فيه تضعه نساء الافرنج فوق البرانيط ، والكزوار (انظر شكل ١٨) وهو طير يسكن الهند ورأسه مزينة بقلنسوة



(شكل ١٨ - صورة الكزوار)

(٤) الطيور المنسقة

هي طيور تسلق على فروع الأشجار بسهولة لتتغذى بالثمار أو الحشرات التي على الأشجار ولقد خلق الله أصبعين من أصابعها مجهتين الى الأمام وآخري الى الخلف وهي مشهورة ببهاء ريشها وغلاء ثمنه وتشمل البغاء وهي بأنواعها مشهورة بخاصية محاكاة الأصوات ، وقار الخشب (انظر شكل ١٩) ومنقاره قوى يشق به قشور الأشجار ليأكل الحشرات



(شكل ١٩ - صورة نقار الخشب)

(٥) (الطيور السورية)

هي طيور صغيرة بعضها مشهور بحمال صوته وبعضها يباه ريشه وهي تنتقل من اقليم الى آخر ومعظمها يتغذى بالحشرات ، ومنها البليل المشهور بحسن صوته ، والصنديق والخطاف المشهور بصغور الجنة وهي تبث الحشرات الموجودة في الهواء ، والقنبر (انظر شكل ٢٠) وهو طير يتدلى في التفريد في فصل الربيع وهو من الطيور التي تفرّد حال طيرانها ، والغراب والهدهد يتغذيان بالديدان



(شكل ٢٠ - صورة القنبر)

(٦) (الطيور الجارحة)

هي طيور لا تعيش إلا بالسلب والنهب ، ولما خلق الله جسمها معدّا لذلك لجعلها قوية منقارها كالتي وأرجلها منتهية بأظافر كلابية حادة وطيرانها شديد وحاسة بصرها قوية جدا بها تترك فريستها من بعد وهي تقابل الحيوانات الكاسرة من الحيوانات الثديية ، ومنها النسر ويسمى (ملك الطيور) لقوته وشجاعته فيرفع فريسته بين مخالبه ، والعقاب طائر كبير عتقه خال عن الريش ، والصقراط في قامة الدجاجة وهو أجل الطيور الجارحة شكلا وأكثرها شجاعة وخفة ولما كان يعلم الصيد في القرون الوسطى ، والحدأة (انظر شكل ٢١) وهي مشهورة بشراحتها وخطفها لصقار الطيور الأهلية والسماك ، والبوم والمصاصة من الطيور الجارحة أيضا لكنها قليلة القوة أعينها واسعة يدخل فيها بالبارضه شديد يحدث غطشها ولما لا تطير إلا ليلا ولا يسمع لطيرانها صوت ولما تستولى على فريستها أثناء نومها بسهولة وهي نافعة جدا لأنها تبث الحيوانات القراضة الصغيرة والحشرات المضرة والزاحفات (شكل ٢١)



(شكل ٢١ - رسم الحدأة)

هذا ما أردت ذكره من الطيور ليكون تذكرة للذاكرين . فإذا رأى المسلم الطير في شواطئ البحار أو فوق رؤس الجبال أو في الحدائق الفناء فانه لا يأنس بها أنسا علميا إلا اذا عقل الفرق بينها وبين خواصها كالذي ذكرناه هنا . ومتى عرف ذلك وشعره أصبح في بهجة وصارت العوالم حوله جنة أعدت له في الدنيا وله في الآخرة مزيد

(٧) الحيوانات الشديدة ذات الأيدي الجناحية

أما ما يشبه الطيور فهو « الخفاش » وهومن الحيوانات الشديدة ذات الأيدي الجناحية أو الوطواط ويحيز بوجود ثنية من الجلد تمتد بين أطرافه للقفزة والطفية على شكل أجنحة بها طير كالطيور (انظر شكل ٢٢) وهو حيوان ليلى يهرب من الضوء بالنهار لضعف بصره وقد عوضه الله قوة في إحساسه ويتغذى بالحشرات ولذلك هو نافع وهذه صورته .



(شكل ٢٢ - صورة الخفاش . انتهى من كتاب المختصر المفيد)

(الوجه الثاني) أتقصد طيران الطيور كي يفتح باب الطيران في الأمم الإسلامية ليشاركوا الأمم في الطيران وقد جاء في (مجلة الجديد) مانعه

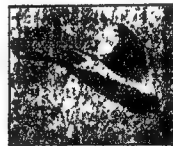
✽ طير الأوز العراقي الذي هو معجزة من معجزات الطبيعة ✽

ليس عجيبا أن تقوم الأوزة فان تكوين جسمها على شكل قارب ، ولكن ماثير الدهشة عند العلماء كيف انها تستطيع أن تحلق في الجوّ بهذا التكوين العجيب بل تطير بكل سرعة وسهولة مع انه لو صنعت آلة ميكانيكية على مثالها لكان من المستحيل أن تطير بالنسبة لتكوينها المركب . ولما كان العلماء والمخترعون يقتبسون على السوام من مدهشات الطبيعة ويصنعون على مثالها فقد توجه الثقات بعض العلماء الى دراسة طريقة الأوز في الطيران لاقتباس ما يمكن أن يكون له فائدة عظيمة في تقسيم الطيارات (انظر شكل ٢٣ و ٢٤)

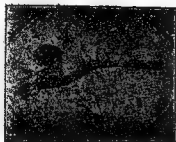
(٢٥ و ٢٦ و ٢٧)



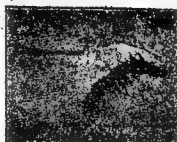
(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣)



(شكل ٢٧)

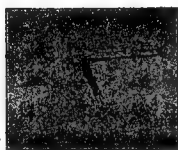


(شكل ٢٦)

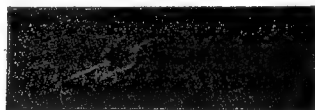


(شكل ٢٥)

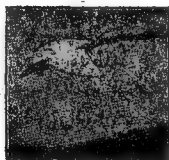
ويلاحظ عند محاولة الأوز الطيران أنها تنهض من الماء ملقحة بجناحيها في الهواء بحركة مختلفة بين السير والطيران ماذة رقبته الطويلة الى الأمام ، ولاتلبث حتى تنتظم حركات جناحيها وتندفع بقوة الى الأمام الذي تريده فيكون عقبها الطويل الممتد هو الحافظ لتوازن جسمها في الجو وليس عليها إلا الاستمرار في تحريك الجناحين وضغط الهواء الى أسفل ولذلك تحصل جناحيها ينحنيان كثيرا نحو الأرض ، فهل يستطيع الانسان أن ينقل عن الطبيعة شكل هذه السفينة الهوائية الهيبة ؟ ذلك ما سيرهن المستقبل على إخفاقه أو نجاحه (انظر شكل ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١)



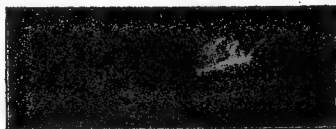
(شكل ٢٩)



(شكل ٢٨)



(شكل ٣١)



(شكل ٣٠)

ومن تقدي للطير ما قرأته تحت هذا العنوان في نفس المجلة

(الحرف والفنون والصناعات عند الطيور)

ألقى الأستاذ (كاتلان) محاضرة على عدد كبير من علماء فرنسا وأعضاء الأكاديمية عن حياة الطيور وطباعها وغرائزها ، ومن أغرب ما ذكره في محاضرته أن لكل نوع من الطيور استعدادا خاصا للحرف والصناعات والفنون ولكنها تختلف عن الانسان بأن الطير لا يزاحم أنواع الطيور الأخرى ولا يحسن غير العمل الذي تلبه عليه غريزته . وقد ضرب الأستاذ الأمثلة على ذلك فقال (إن الغراب يشبه عمال المناجم فهو لا يجيد إلا الحفر والتقيب ، والحمام الزاجل بما عرف عنه من الميل للأسفار الطويلة يماثل المولعين بالرحلات من

في الإنسان والبلبل بتفريده يؤدي بين الطيور فن الغناء والطير المسمى (روسبول) يشبه البوميين في التشرد وعدم الاستقرار في مكان ، قراء يوما يظهر نوع (الكنازي) من الصافير ويحده في يوم آخر قريبا من حلبة نخل) على أن الطيور لم تحرم من مهرجان ومضحكين إذ يقول الأستاذ (كاثلان) (إن بين الصافير فصيلة زرقاء اللون دأبها الايمان بحركات هلاوية مضحكة) ويلحق بذلك ما قرأته أيضا وهو (هجرة القيران من إنجلترا بقيادة فأرأحمي)

يرى التاريخ كثيرا عن مهاجرة القيران وانتقالها على شكل قطعان كبيرة من بلد إلى آخر وتديرها بالعبد في طريقها حتى تأتي على الأخضر واليابس ، وقد حدث أخيرا في إنجلترا على أنزول الأمطار الغزيرة في منطقة (لن) أن هاجرت القيران في تلك المنطقة فارت في طريق (ايدموتون) صفوا متلاصقة يقودها فأرأحمي ، وكان لهذه القطعان التأثير الجالته منظر يلقى الرعب والجزع ، غلظ لها الطريق من المارة وركاب البسكيت حتى السكاب المعزوفة بجرأتها وشجاعتها لم تلك أمهها من الخوف والتسحي عن الطريق لهذا الجيش الغير وامتت هذه الهجرة عند غابة شاسعة صادفتها القيران في سيرها فتمزقت في نواحيها ومسارها له

(سر من أسرار الطاء والسين)

(هذا السر قد تبين يوم السبت (١١) مايو سنة ١٩٢٩ م)

إن هذه السورة قد ذكرناها فيها آيتين من الأمم وهما أمة الفحل وأمة المدهد والفحل من دواب الأرض والدهد من أنواع الطير الذي يطير بجناحيه ، أفليس هذا كالتطبيق على آية الأنعام إذ يقول الله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم - فمن دواب الأرض الفحل التي تبسم سليمان ضاحكا لها سمع قولها ، ومن الطائر الذي الجناحين المدهد الذي سأل عنه . إن الله يوفق المسلمين بهذا فيقول لنا استيقظوا أيها النائمون . هذا نبي من أنبياء بني آدم وهذه أم أمثالكم ولجلاء قدر هذه الأمم أهم لها هذا النبي لا يقاتلكم . الآرون انها أم أمثالكم والثنية في هذا المقام يجب أن تسخرى أسماكم ، فهل هذه المثلية تمر عليكم مرور التسميم على الحساء . ألم يأن لكم أن تعرفوا أن دراستها واجبة كدراسة الأمم حولكم والأمم الإسلامية التي تعيش وتموت وهي جالمة نظام الحشرات كالفحل ونظام الطيور كالمدهد ونظام أم الأرض الأخرى ولو اجالا مستعدة للطاعة الكبرى والذلة والوقوع في بران الاستعمار كالجملات الدولة العباسية أمر أمة التار الجاورة لها أيام (قطب أرسلان) وكما جهل المصريون قدرة الفرنسيين أيام احتلالهم أرضهم كقصة مناذلك فكان هلاكهم على أيديهم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون -

الهم انك بحرفي الطاء والسين المشيرين الطائر وسليمان قد أيقظت فينا ذكرى جهلنا بدواب الطير ودوام الحشرات فقد هتم قريبا في (رسالة عين القلة) أن في أوروبا علما يسمى (أتومولوجي) أي علم الحشرات فهذا العلم اليوم يغرسه القوم في أوروبا ونحن نستمد من علومهم كما هتم (ستري) إن شاء الله صورة الفحل مع صورة العنكبوت في سورة العنكبوت للقرآن بينهما)

وأما الطيور التي تقدها سليمان وخالط منها المدهد فلن الأمم حولنا درستها دراسة تامة ، لماذا هذا ؟ لأن حياتنا لاتم إلا بحرفة خواصها وأحوالها . ألا ترى إلى ما ذكرته لك في أول سورة يوسف ، أذكرك بما كتبه هناك وإلى قد كنت مفكرا في أمر السود التي كانت فتك بالبرسيم والقررة وغيرها وإلى كنت أرى (أبا قردان) في إبان صفري يأكل هذه السود - أكلا لما - وأخذت أجمع آراء الفلاحين وأنا مدرس بالمدراس الأميرية وكتبت مقالة في (مجلة الملايخ العباسية) سنة ١٩١٢ م فأصدرت الحكومة بعد ذلك أمرا بعدم صيد (أبي قردان) ثم درس رجال الزراعة بقية الطيور فأصدروا أمرا بتحريم صيدها ، ومنها المدهد الذي

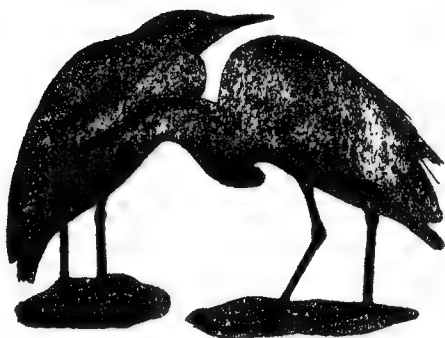
خطبه سليمان عليه السلام

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت الذي جعلتنا وجعلت الطيور وجعلت الحشرات أما مشتركة في العمل ، أنت أشركت معنا المهدد وأبا قردان والزقراق الشامي والزقراق البلدي وغيرها ، جعلت هذه كلها شركاء لنا في زرعنا أي أنها مساعدات لنا على زرعنا . فلو لا هذا المهدد وأبو قردان وأنواع من الصافير وغيرها لما تقدم مصمورا مشروحا في أول (سورة يوسف) ما تم لنا زرع ولا دريتنا ضرع

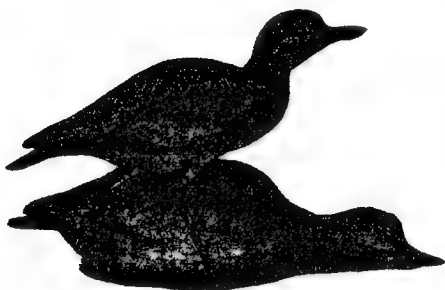
اللهم أنت الممجد على التمجيد . أنت معلم الجاهل ومعلم العلماء . أما العلماء فهم الأمم التي سبقتنا بالعلم وانتفعت بعلوم آبائنا وهم الأمم الغربية والأمريكية وأمة اليابان ونحوها . وأما الأمم الجاهلة فهم أكثر المسلمين الحاليين هذه الأمم التي غرت من العلم وقتعت بالجهل وكذب عليها صفات الشيوخ فرغزت لهم بهذين الحرفين - طس - قرأوا الطاء في أول الطير والسين في أول اسم سليمان عليه السلام فاستيقظوا إلى علوم الطير وعلوم الحشرات ورأوا أن المهدد وأبا قردان والكروان والزقراق البلدي (انظر شكل ٣٣ و ٣٤ و ٣٥) التي تقدمت هي وغيرها في (سورة يوسف) هي المساعدات للناس في حفظ زرعنا ، وقد منعت حكومتنا المصرية الناس من صيدها لحفظ زرعنا . إذن خطاب سليمان للمهدد إيدان بما فيه وفي أمثاله من المنافع وأنه مساعد لنا في حفظ زرعنا لأنه يأكل السود الآكل لزراعنا ، فله علينا الحفظ والكرامة بل يحرم قتله هو ومأمعه من الطيور لأن قتلها قتل لنا وإن لم يتضح بأجل بيان فيما علمنا إلا فيما كتبناه في هذا التفسير . هنالك عرفنا يا الله حكمة ازال قصص سليمان مع المهدد وأن له ولجميع الطيور شؤنا لا تعرف إلا بالدراسة كما للحشرات ولجميع دواب الأرض وأن المسلمين لأحياء لهم إذا جهلوا الأمم حولهم من بني آدم ومن دواب الأرض ومن طير السماء هذا سر من أسرار الطاء والسين والمجد لله رب العالمين



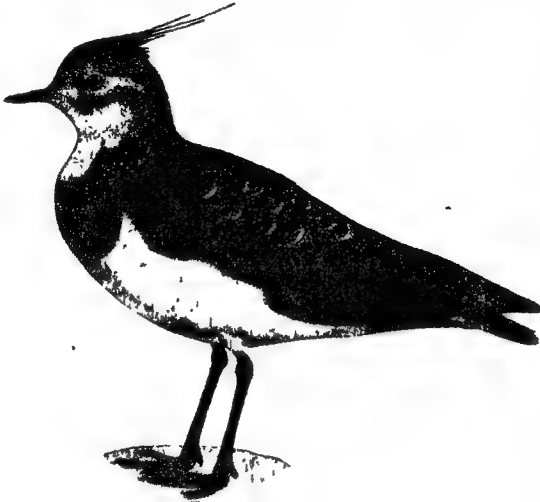
(شكل ٣٣ - صورة المهدد)



(شكل ٣٣ - صورة أبي فردان)



(شكل ٣٤ - صورة الكروان)



(شكل ٣٥ - صورة الزقراق البلدى)

(تحريم صيد هذه الطيور)

أبها المسلمون هذه الطيور المذكورة هنا مع المهدد وهي (الكروان والزقراق البلدى وأبوقردان) هذه الأربعة من طيور تبلغ فوق الثلاثين عدا تقدم ذكرها في (سورة طه) هي التي تأكل السود (و بعبارة أخرى) هي تساعدنا في زرعنا ، فهل يليق بالمسلم أن يعيش ويموت وهو لا يعلم ما ينفعه من الطيور وما يضره وتكون حياة الطيور وموتها تابعين للصادقة العمياء والناس يعيشون بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هذه الطيور آكلات للسود وبأكلها السود ينجو زرعنا وينمو زرعنا نعيش وهناك نعبدا الله ونقوم بالأعمال النافعة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . هل يرضى المسلم أن يكون هو المتخصص بالجهل دون الأمم . الناس في الشرق والغرب يدرسون هذه الطيور وحكوماتهم الناهضة تحرم صيدها ، وأنا أقول إن هذه الطيور متى ثبت نفعها لزرعنا حرم صيدها حتما ، وإذا خالف في هذا مذهب من المذاهب فخلافة هنا يزول متى ثبت ضرر هلاك ذلك الطير . هذه مسألة واحدة من آلاف المسائل في هذه الحياة نام عنها المسلمون قرونا وقرونا جهلا وغفلة عن خطاب سليمان عليه السلام للمهدد اذ اعتبره أمة من الأمم ، وكفى في الجوف وفي الأرض وفي أضواء الكواكب وفي العناصر من علوم قصر فيها المسلمون تاركين قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - وقل رب زدنى علما - انتهى

(من أعجب أسرار الله والسين - طس - ما خطرت ليله الاثنين ١٣ مايو سنة ١٩٢٩ م)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت المنعم ، أنت الملمع ، اللهم أيدتنا وعلمتنا فلك الفضل ولك النعمة ولك الحمد جعلت ما بين السماء والسين علما وعلما ، وبها ما أذكره الآن وهوانا فقدت سليمان للطير وكلامه مع المهدد

بعد أن سمع كلام النملة يفتح لنا باب السياسة والعلم على مصراعيه ، ولأذكر من ذلك ﴿ أمرين ﴾ الأمر الأول ﴿ ان الأمم لا تكون اسلامية حقيقية إلا اذا ظنت لعمل النملة ولعمل المهدد ، أما عمل النملة فانها حافظت على دولتها من المفاجأة ولومن غير قصد خفرت قومها من سلبان وجنده ، والحق يقال أن الأمم التي لا يعون لها ولا جوايسس تتخلل الأمم كلها فتعرف الخطر فتوقاه أحقر من النمل وأولئك أصل من الأنعام . قبايح أمة اسلامية تزلت عن النمل في سياستها بترك الحذر . ألم يقل الله - خذوا حذركم - وأكد ذلك بأن النملة خفرت قومها من نبي من أنبياء الله لا يقصد اضرارها ، أما عمل المهدد فانه كشف أحوال أمة أخرى - إذن لا بد من ﴿ أمرين ﴾ محافظة على السوية وكشف لأحوال الأمم الأخرى والعلوم (الأمر الثاني) ان مخاطبة المهدد لسلبان كانت بغاية الحرية فانه يقول له (وهو يملك دبحه وتنف ريشه وجبه واذناله) - أحلت بما لم تحط به - الخ فهذه الخصلة تدل على حرية تامة ولم يزل الله هذا إلا ليعلم أهل الأرض فاطية أنه لا يمكن استخراج قوى النفوس الانسانية إلا اذا كانت متمتعة بحرية الرأى كما تمتع المهدد بذلك ، فلما اذا صغرت نفوس الناس من الضغط والتدليل في أى أمة فان الانسانية العاتية يعثرها النقص بمقدار ما فقدت من قوى كانت كامنة في تلك النفوس غرمت ثمرتها كما أوضحته في كتابي ﴿ ابن الانسان ﴾ وعلى المسلمين أن يشوا هذه الحرية ويستخرجوا آراء المسلمين بها ثم يماونوا عليها في الأرض كلها اه

﴿ الكلام على المهدد تفصيلا وعلى فن الطيران في عصرنا الحاضر ﴾

ذكر الله المهدد وانه أخبر سلبان بما لم يحط به علما ، وهذا فتح لباب فن الطيران وهذا القرن هو سلطان الأمم اليوم ، يا عجبا ، همدد يذكره الله في القرآن ويخبر سلبان وهو نبي بما لم يحط به علما ، فبالك بنا نحن الذين لاعلم عندنا فنحن أسرى أن نحصر على اللواصلات بيننا بكل طريق وسبيل يمكن ومنه فن الطيران إن منشأ فكرة الطيران كانت عند الأمم كلها قديما ، واتى أذكرك أيها الذكرى بمصر في سورة المائدة عند ذكر الغراب وابن آدم وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة وإنك ترى السحاب يرتفع في أعلى الجب ، ولا جرم أن قاعدة (أرشميدس) لها السلطان على هذه العوالم فانك ترى أن الجسم في الماء يخف بمقدار حجمه من نفس الماء ، ومعنى هذا أن الحديد والنحاس والحجارة وغيرها اذا غسخت في الماء فغشت من وزنها بمقدار حجمها من الماء وعلى ذلك لا يعوم السمك على وجه الماء إلا اذا نفخ الكرة الهوائية الماخلة في جسمه حتى يكبر حجمه ويكون وزنه قريبا من مساواة وزن حجمه من الماء فاذا ضغط السمك كرهت الهوائية خرج الهواء صغرسه فصار أهقل من متدارجهم من الماء فنزل الى أسفل وهذه القاعدة هي التي استخرج العلماء بها الوزن النوعي للأجسام فيقال هذا المعدن وزنه النوعي (٥) أو (١٠) أو (١٣) وهكذا أى انه أهقل مما يساوى حجمه من الماء بهذه المقادير ، وهذه القاعدة نفسها نسرى على ما يطير في الهواء ، غا البالون الآتى ذكره إلا على هذه القاعدة أى أن يكون الحجم الطائر في الهواء أخف منه كما أن السمك يكون أخف من الماء حتى يعوم . إذن هذه قاعدة واحدة في الهواء والماء ولكن النوع الانساني لم يقف عند هذا الحد فقال - كلا - لا بد لي أن أقلد الطير ، الطير جسمه ثقيل فعلى أن أثير بجسمي الذى هو أهقل من الهواء مئات المرات وعلى أن أدرس الطير في الجب وأعلم كيف تمكن من الطيران وجسمه أهقل من الهواء ، ولسمك قنزل الشعراء وأدخلوا في غزلهم انهم يطعمون الى أحبابهم بأجنحتهم ويقول شاعرهم

أسرب القطارل من يسيبر جناحه * لعل الى من قد هويت أثير الخ

ولقد ورد في قصة حسن الصائغ المصرى وصف الطيران الخيالي بالأثواب والريش وهكذا ، وفي آداب اليونان انهم كانوا يشعرون الى استخدام الأجنحة وتقليد الطير . وفي الآثار المصرية من صورهم بصورة أناس

ذوى أجنحة ثم انتقل الخيال الى العمل

(١) في القرن السادس عشر حاول رجل ايطالي الطيران فسقط وكسر عظمه ومات

(٢) وفي القرن السابع عشر فعل مثله رجل ألماني مات

(٣) ومثله مستر (كيزفرونسوس) في القرن الثامن عشر فلم ينجح

(٤) ومثله عباس بن فرناس صاحب الصحاح كما هو معلوم

ههنا دخل النوع الانساني في الجذل والعمل بعد الخيال وأخذوا يدرسون الطيور فأول من درس الطيور وحركتها (بورلي) سنة ١٧١٣ فدرس حركات عدة أنواع من الطيور وعضلاتها الصدرية فأفنى بجهد الانسان عن الطيران ، ولما لم يفلح الناس من ذلك رجعوا الى فكرة المناطيد المبينة على نظرية الخفة والتقل التي ذكرناها وقنعوا بما نقله (جان ييار بلانشان) الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر الذي قطع بحور الماشي من (دوفر) الى (كاليف) في المنطاد سنة ١٧٨٥ م ولكن الانسان لم يأس من فكرة المناطيد للطيور فقام (إلييا تنال) بمشحن قوة الطيور ثانيا فظهر له أن هناك سرا آخر غير قوة العضلات في الطائر وهو أن يحوم الطائر في الجو فإذا قدر الانسان أن يصعد الى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فلن ذلك يفتح له باب الطيران ، وذلك بعد أن درس الطيور عشرين سنة ولكنه مع صحة نظريته قدم مات نجيحة التجارب سنة ١٨٩٦

ومن المعلوم أن الانسان كله أشبه بجسم واحد ، فإذا حصل ؟ قبله لهذا العمل الشاiban الأمريكيان

(ويليور وأورفيل رايت) وأخذوا يصنعان الطائرة المنبسطة الأجنحة المسيرة بالقوة وبمحسنتها حتى سنة ١٩٠٥

فصار أحدهما في الهواء مسافة (٢٤) ميلا في مدة ثمان وثلاثين دقيقة ، فهذا أول النجاح في الطيران

وقد اشترت حكومة الولايات المتحدة ، طائرة رايت بمبلغ ٢٥ ألف دولار لخترعين معا . هناك ظهر

فن الطيران وشاع في سائر أنحاء العالم فظهر أن طيران الطير في الجو له نظام خاص ، فن الطير ما يجري أولا على

الأرض ثم يطير قليلا قليلا ويصعد وذلك لأنه يرفع جناحيه بخلاف المكان من الهواء فيحمل محله هواء آخر مما

يحيط به ، فهذا الهواء بهجومه على جناحي الطائر يرفسها الى أعلى فإذا أعاد الكرة مرة أخرى ورفج الجناحين

زادت قوة الرفع فلهواء الهاجم على الجناحين . إذن سر الطيران راجع لأمر عجيب أي حسن السياسة

والنظام تخفيض الجناح ورفسه أشبه بالارواح التي يتركها الهواء والهواء بعد الرفع بهجم فيعطى قوة وهذه

القوة تضرب طيرين بحجر ، أولا ترفع الطائر بضغطها على الأجنحة الى أعلى ، وثانيا تدفعه الى الأمام لأن الهواء

الهاجم انما يأتي من الخلف لأن الطائر حينما ينخفض جناحه يرجع الهواء الى خلف فإذا رفع الجناح بهجم

الهواء الخلفي على الجناح بمقدار دفعه ، فهو إذن يرفسه الى أعلى ويدفعه الى الأمام معا . إذن يأس الناس من

الطيران أولا ناشئ من اعتقادهم أن قوة العضلات هي السبب ونجاحهم ثانيا بسبب ما عرفوه في سنة ١٩٠٠

أن هناك سرا غير القوة الجسمية كاسر الذي عرفوه في البخار وحسن استعماله ، فههنا الارتفاع في الجو

والسرعة الى الأمام جآ معا بالحكمة في استعمال الهواء وحسن النظام الذي وضعه الله في الطير . فلما عرفه

الانسان فعل مثل ذلك ولذلك نجد الطائرة يجب أن تجري على الأرض أولا ثم تأخذ في الارتفاع قليلا قليلا

بما تفعله محركاتها من الأمام كما تفعله أجنحة الطيور

في الاحتفال بهذين المختريين في هذه الأيام

جاء في الأخبار العاتقة هذه السنة ما يأتي

في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ احتفلوا بمضى (٢٥) سنة على تجربة (الأخوين روبر) و (أورفيل رايت)

في فن الطيران - وله (روبر) المذكور في ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ ببلدة (دلفيل) بولاية (نورديانا) من أعمال

الولايات المتحدة الأمريكية - وولد (أورفيل) سنة ١٨٧١ ولما عا لولاه ما الثانوية فتحقا دكاما لاصلاح

السرابات (المجلات) ثم اعتنيا بأمر الطيران . وفي ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ طار أحدهما بطيارة من صنعها مسافة ٢٩٠ ذراعا فلبث في الجو ١٧ ثانية فكان بذلك أول إنسان طار بطيارة أقل من الهواء . وفي ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ طار (أورفيل) بالقرب من بلدة ديتوت مسافة ٢٤ ميلا بسرعة ٣٨ ميلا في الساعة ولكن الأغنياء لم يهتموا لمساعدتهما بل مال فذهب (ولبر) سنة ١٩٠٨ م الى فرنسا . وفي ٢١ سبتمبر فاز بجائزة (ميشلن) بعد ما طار مسافة (٥٦) ميلا فذاع صيته حالا . وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق (نيويورك) مسافة ٢١ ميلا في ٣٣ دقيقة و ٣٤ ثانية . وفي سنة ١٩٠٩ منحهما الكونغرس (مجلس الأمة الأمريكية) وساما ضرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيه

وقد توفي (ولبر) سنة ١٩١٢ ولا يزال أخوه (أورفيل) حيا وهو رئيس المهندسين في شركة طيران كبيرة إذن الطيران بالطيارات التي هي أهل من الهواء ابتدا من سنة ١٩٠٣ في شهر ديسمبر واشتهر في (٢٥) ديسمبر سنة ١٩٢٨ والطيارة الأولى بقيت ١٧ ثانية في الجو والطيارة الآن أي بعد (٢٥) سنة تبقى محقة في الجو ٦٠ ساعة ، وسرعة الطيران الأولى لا تزيد عن (٣٨) ميلا في الساعة والآن تبلغ (٣١٩) ميلا في الساعة وذلك في الطيارة المائية التي ركبها الكابتن (دارسي كريج) الانكليزي في نوفمبر سنة ١٩٢٨ إذن الناس من سنة ١٩ ابتعدوا عن هراجديدا ، ويتنظر الناس أن يكون الطيران شاعرا سنة ١٩٣٣ ثم إن البلون (غراف ز بلين) بلغ طوله ٧٦٢ قدما والبلون الانكليزي المنتظر اتمامه طوله ٧٢٠ قدما ويمكنه أن يجتاز (٩٠٠) ميل من غير أن ينزل الى الأرض وهو يحمل مائة مسافر . والبلون الأمريكي الذي بيني الآن طوله ٧٨٠ قدما ويسير في سرعة ٨٥ ميلا في الساعة ، فليونات متقدمة لأنها تستطيع ان تحمل مائة مسافر ، أما الطيارات فلم تصل اليها ، ثم الآن يشغل مهندس ألماني بعمل طيارة من هذا القبيل ، ويظن الناس اليوم أن زيادة السرعة في الطيران ربما تصل الى خمائة ميل في الساعة بعد أن تدرس طبقات الجو العالية دراسة تامة

اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة التي بها فهمنا قولك في (سورة الملك) - أولم يروا الى الطير فوقهم صافات وبقبضن ما يعسكنهن إلا الرحمن إنه بكل شئ بصير - فهذه الحكمة وهي رد الفعل في الهواء وضغطه على الجنائحين بعد خضضهما هي الداخلة في قوله تعالى - إنه بكل شئ بصير - فهو الذي أبدع هذا الشكل من الحكمة وأودعه الطير وقلده الانسان . كل ذلك لمناسبة المهدد الذي جرى من سليمان الى بلقيس في بلاد اليمن والمهدد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى بعد آية المهدد - الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - ﴾

من الاطراف البديعة إلى كنت راكبا في قطار السكة الحديدية المتوجه الى المروج لعمل في الحقل فقابلني رجل من المروج فقال ألتد كرتي . أنا الذي كنت أطلع التفسير مع فلان في بلدة المروج فتذكرته فقال يا أريد أن أسألك ؟ لم يقول الله - انه لا إله إلا هو رب العرش العظيم - تارة ويقول تارة أخرى - رب العرش الكريم - فقلت له إن للملك قد يكون عظيم العرش عظيم الملك دولة مشرفة على أمة كثيرة ولكنه غير كريم ، أما الله فانا نشاهد أن ملكه واسع وعرشه عظيم ، ومن طبع الملك العظيم في أهل الأرض انه يذهل الملك عن تفقد الامور السفيرة فليس في قدرة ملك من ملوك الأرض أن يبادر الى إجابة كل مريض وكل فقير وكل يتيم وكل عجوز وكل أرملة ، بل بكل ذلك الى نوابه في الأقاليم ، فلو ان الأرض كلها اتسع ملكهم كثرت حاجات الناس اليهم ، وعلى مقدار ذلك يكون ضعفهم عن القيام بها فهذا مستحيل عقلا وعادة ، فأما الله فانه مع سعة ملكه وعظمت فانه يحل لكل امرئ في نفسه فشكا اليه أمره وأغاثه وأعانه وليس ذلك في ظاهره

حسب بل يتجلى له في داخله وقرارة نفسه وبحته ويسأله فيجيبه مرة ويؤجل الإجابة مرة أخرى ثم هو يلزمه في الحياة وبعد الموت ولا يفارقه ، ونراه يكون مع الطير ومع الحشرات ومع دواب الفلوات ولا يترد دودة في حجر ولا طيرا على شجر ولا ذنبا في فلاة ولا مخلوقا دقّ أوجلّ إلا وهو معه بناجيه في سرائه وضرائه . فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا معنى قوله تعالى في سورة المؤمنين - فتعالى الله الملك الحق - لأن الملك الحق هو الذي يتصف بهذا . إن الملك الحق هو الذي يتفقد رعاياه في سرهم وعلايتهم وهذا بعض السرّ في قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله إلا هو رب العرش الكريم - فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا هو الملك الحقيقي . أما ملوك الأرض فلكم ليس حقا بل ملوكهم مجازيون ، ومن آيات رعايته ودلائلها المشاهدة أن كوكب الشمس تراه النحلة والتملة والملك والصلحوك وساكن الأرض والمرع وبقيّة السارات وغيرها كأنها له وحده وكأنها لا تقابل غيره وكذلك القمر . فلذا كانت الشمس التي لا تقبل هنا عملها فكيف بالخالق الحكيم ؟ فهو مع الجميع سرا وجهرا . وإذا كان ابن سينا والغزالي يقولان ﴿ إن ذا العقل الكبير يكلم رجلا ويكتب بيده ويسمع بأذنه رجلا آترو ولا يليه واحد من هذه الشؤون عن الآخر ﴾

فهذا فتح باب أن نعرف أن العقول الكبيرة كالثلاثة تسع خلائق كثيرة في آن واحد ، فانه إذن أوسع وأعلم وهو الحكيم العليم . فلذا سمعت الله يقول في سورة المؤمنين - أنخسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - فهو من هذا الباب لأنه كريم ومن أجل كرمه انه لما خلقنا لم يرد بذلك مجرد وضعنا في الأرض مدّة ثم يهلكنا ، ثم لا يخرج على الخالق ولكنه لا يفعل ذلك ويقول لنا اطمئنا يا عبدي أنا خلقناكم ورزقناكم وابتليكم بالشر والخير وعلمت سرهم وجهركم وحافظت عليكم وأجبت دعاءكم وأنعمت عليكم بنعم لا تحصى ، ولكن أهم من هذا كله انكم لا تفنون فأنتم تعيشون أبدا سرمدا ، وإذا كنتم أنتم تأفنون أن توصفوا بالعبث فهل أرضى بالعبث في صنّي ؟ ومن أين انصفتكم بصفة الأفة من العبث إلا بالقبض من آثار قدرتي وعلى ، فإذن أنا أبتكم في دار أخرى ولذلك أتى بها بصفة الاستفهام الانكاري فقال - أنخسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - ثم وصف نفسه بالعلو والعظمة ووصف عرشه بالكرم وليس من الكرم أن يخلق أرواحنا ثم يهلكها بلا منة ولا منعة كأنها موج البحار أو هبات النسبات أو خطرات الأوهام ، إذن نحن نرجع لله بعد حين

فلما سمع ذلك الرجل قال هذا كاف فقلت الحمد لله رب العالمين . ولما كان ذلك السؤال قيل طبع هذه السورة ألحقته بها ، وأنا أجد الله على التوفيق . ثم الكلام على اللطيفة الأولى ﴿ اللطيفة الثانية في قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون - ﴾

هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى وانها قديمة العهد ، ومن عجب أن الأمة العربية بعد الاسلام في هذه الأجيال القريبة نسبت مجد آياتها الأقدمين ونسبت مجد الاسلام ، يقول الله - وأمرهم شورى بينهم - وينقل الكتاب عن أسلافنا أن مجالسهم كانت شورية . فيأجبها . لا أخلاق الآباء انبعنا ولا الذين نهجنا . إن أمة العرب اليوم قد انحلت عراها واختل أمرها عز أذكر لك حادثة واحدة . ذلك أنه منذ خمسة أعوام وأنا أكتب في تفسير هذه السورة كانت تدور الحرب بين أمير نجد الذي احتل مكة وبين علي بن الحسين الذي هو ملك جسدته . فالأول يريد إخراج عليّ منها والثاني يدافع عنها . وقد حضر وفد ينوب عن مسلمي الهند يحمل توقيضا منهم ليقاوض المعاريين فتح الملك على الوفد من السفراى مقابلة ابن السعود أمير الوهابيين . ولما طلبوا منه أن تكون مكة وبلاد الحجاز محكومة بالقوانين الشورية وبالنظام الدستوري وأن يحكم البلاد مجلس شورى يديره رئيس ويكون أعضاء المجلس بالانتخاب أتى على الوفد ذلك وقال ان البلاد لا يوافقها ذلك . فتعجب من أم الاسلام اليوم كيف أصبح بعضها لا يولى على دين ولا على مجد سابق بل أكثرهم

مستبثون ظالمون . ومن آيات الله أن يجعل الاشرار بعد الظالم وقد برز جرح الحرية في الاسلام وسنشرق شمس على الاقطار كلها ، واذا كان المسلمون اليوم في أدنى درجات الاحتطاط بالنسبة لغيرهم فما ذلك لإعلامه على سرعة تبدل الحال - تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير - الذى خلق الموت والحياة - والخذ يتبع ضده فكما يتبع النهار الليل هكذا يتبع العدل الظلم والرفعة الضعة ومن يعيش يره والله مقلب الليل والنهار انتهت الطليقة الثانية

﴿ الطليقة الثالثة فى قوله تعالى - فما آتاني الله خير مما آتاكم - ﴾

هذه الآية والآيات السابقة كقوله تعالى - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى الخ - دلالة على أن نعمة العلم هى كل شئ وهى كل نعمة ، ألا ترى الى سليمان وقد دعا الله فيها فتقدم لما سمع كلام الخلة وفرح بالنعمة كيف أخذ بعد ذلك يتفقد الطير ويكلم المهدد وينظر فى شأن الملك واسلام الأمم المجاورة له ، انظر كيف ذكر قصة بلقيس وهداها وحاضرها عرشها بعد أن نال نعمة العلم بها ثاب الحيوان كالفيل ، فهو أولا منح نعمة العلم ثم منح نعمة هداية الناس فلامك إلا بعد العلم ولا هداية للناس إلا بعد العلم ، وانظر كيف يقول بعد حديث الخلة - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك - ويقول بعد أن رأى عرش بلقيس - هذا من فضل ربى ليباركنى أشكرام أكفر - فكان الإنسان فى جميع أحواله مختبر ، فبالعلم مختبر وبالنعمة مختبر وبالكرامة الإلهية مختبر والأنبياء بالمعجزات مختبرون وهذا كله من قوله تعالى - ونبأكم بالبشر والخير فتنة - فلافروق بين نبى ولا مؤمن والله الأمر من قبل ومن بعد -

﴿ جوهرة فى قوله تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ مع قوله تعالى - فتلك يوتهم

خاوية بما ظلموا - ﴾

حضرالى صاحب العالم القى اعتاد أن يتحدث معى فى أهم ما فى هذا التفسير فقال إن هذه السورة اشتملت على آيتين مرتبتين ترتيبا ذكرا بعبية . فأولاهما تدل على أن الملوك اذا دخلوا قاعين بلادا أفسدوها وأذلوا الأعره فيها وهى قوله تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - والآية الثانية قوله تعالى - فتلك يوتهم خاوية بما ظلموا - يظهر لى أن ورود هاتين الآيتين من حيث الترتيب مقصود وكأنه يقول سبحانه « إن هؤلاء الظالمين لابد أن تغرب يوتهم وتصبح خاوية على عروشها » وما أحسن الافاضة فى هذا الموضوع حتى تبلى الحقيقة ناصمة فإن هذا الزمان زمان ظهور الحقائق الواضحة . أما الاجال فلا يكتفى أولى الأبواب . فقلت إن هذا المقام يعوزه البحث فى أصل نشأة هذا العالم ونظام فرائه والسيرى للموضوع من الفترات الى الأجسام الى الأمم بحيث تكون العلوم مستخدمة فيه وهذه سنة فى الأساليب خطرت لى هذه الليلة (مساء الأربعاء ٢ يناير سنة ١٩٢٩ م) فقال وما هذا الأسلوب الذى خطر لك . فقلت إن هذا الانسان لم يكن على هذا النمط إلا لما فى تركيبه من القبول لهذه التنوعات السياسية . فإذن لتجاذب أطراف الحديث فى أصل نشأته ونشأة العوالم التى ركب منها . فقال قل موجزا . فقلت إن الانسان والحيوان مركبان من مادة ثابرة مضطربة . فقال أريد أن أفهم ما تقول . فقلت قد تقدمت فى سورة البقرة « م » يتركب النبات ، ولاجرم أن النبات غذاء الحيوان والنبات والحيوان غذاء الانسان . ففى عرفت العناصر التى تتركب منها النبات فى (سورة البقرة) أدركت الاضطراب فى السياسة وفى النظام الاجتماعى

﴿ مزاج هذه الدنيا محرق ﴾

(١) العناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم

(٢) المعادن فيها قوة تحكم العناصر

(٣) النبات له نفس تضبطها وهو مختلف باختلافها

(٤) الحيوان كثير الاختلاف والنفس حوّلت تلك الأحوال الى عواطف

(٥) الانسان يحمله حوّطها الى عواطف أعلى

(٦) وهكذا آراء فلاسفة كالفارابي وأفلاطون في مدنيته

(٧) ثم محال الأمم المغلوقة والغالية

(٨) هوى ذلك لم يرتق عن الحيوان

قال صاحبي ، يا عجبا ، أئى مناسبة بين علم السياسة وعلم الكيمياء . إن العناصر المذكورة في سورة البقرة عند آية الطير وإبراهيم تعرف بعلم الكيمياء ولاناسبة بين هذا العلم وعلم السياسة ونظام الدول . فقلت خير لنا أن لا نطيل وأن نهجم على الموضوع حتى تظهر لك جلية . قال إذن لتبينها هنا بطريق يختلف طريق ما في (سورة البقرة) بعبارة أوضح لتكون هنا فائدة غير ما هناك . فقلت نعم ، العناصر التي يتركب منها النبات هي النتروجين (الأوزون) التي يتركب منه العضلات في الحيوان . والكربون التي يتركب منه الدهن في الحيوان أيضا والادروجين التي يدخل في الماء مع الأكسوجين . فهذه الأربع معروفة في النبات والحيوان . ويضاف إليها (١) البوتاسا (٢) الصودا (٣) الجير (٤) الفينيسيا (٥) حمض الفوسفوريك (٦) حمض الكبريتيك (٧) سلكا (٨) كلور (٩) أوكسيد الحديد ، هذا ما ذكرته هناك (١) البوتاسا من البوتاسيوم وهو معدن أبيض اللون اذا قطع غير أن سطحه يسود سريعا واذا ألقى في الماء يشتعل بنور بنفسجي وهناك تتكوّن البوتاسا

(٢) الصودا من الصوديوم وهو معدن فضي اللون أين اذا ألقى في الماء الحار أو ألقى قليلا يشعل بنور لامع أصفر باهت ، وكل أملاح الصوديوم اذا أشعلت تكسب المهب لونا أصفر (٣) الجير هو أوكسيد الكالسيوم والكالسيوم المذكور هو فلز ذو لمعان أبيض يتغير بسرعة في الهواء الرطب إذ يتكوّن طبقة سنجابية من الكالسيوم على سطحه ، واذا سخن على صفيحة من البلاتين التهب فيحترق بلهب شديد اللعان وهو يحلل الماء على الدرجة المعتدلة . ثم إن أوكسيد الكالسيوم المذكور وهو الجير المعروف بحصه الناس بمحرق كربونات الجير في فرن يسمى في مصر (قينة) ويسمى الجير الحى ومتى حسنا الجير الحى المذكور بالحرق وتدنياه بلأه فانه يسخن الماء ويصير له بخار ثم يتشقق ويزداد حجما واذا كان ذلك الماء كافيا استحال قطع الجير الحى الى مسحوق أبيض يسمونه (الجير المطفأ)

(٤) وأما حمض الفوسفوريك فهو مركب من الفوسفور مع غيره ، والفوسفور (قسمان) أصفر وأحمر أما الأصفر فهو سريع الاشتعال ولذلك يجب حفظه في الماء لئلا يشتعل من حراره الهواء الاعتيادية وأما الأحمر فلا يشتعل بسهولة ولذلك يمكن حفظه في الهواء مثل سائر المواد وهو لا يوجد إلا مركبا مع الكلس والصخور وهو يكون مع التراب والتراب يدخل النبات والأت يدخل الحيوان فالفوسفور جزء من عظامها فهو يتكوّن مع الأكسوجين ويكون فيها حمض الفوسفوريك وعظام الرجل الواحد يستخلص من خمس رطل فوسفور خالص (٥) الفينيسيا هو مركب المنفسوم مع الأكسوجين فالمنفسوم معدن فضي اللون لين قابل لأن يسحب شريطا وخيوطا ولا يكون صرفا في الطبيعة بل مركبا مع أجزاء أخرى مثل المادّة الفحمية (الكربون) ومع للمادّة الرملية (السليكا) والمنفسوم اذا أشعلناه يعطى نورا لامعا أبيض صافيا . وبخار المنفسوم أسود وهو يصعد منه بدون احتراق

(٦) حمض الكبريتيك هو مركب من الكبريت مع غيره . والكبريت موجود في الطبيعة صرفا في جوار البراكين وقد يكون مركبا وهو جامد أصفر اللون قسم ذرأته خاصة سريع الاشتعال وعند الاشتعال يكون غازا قوى الرائحة مطبسا خافقا ساما وله ألقة شديدة للعادن . والكبريت يتكوّن مع الأكسوجين

فيكون حامض الكبيرتيك الذي يقال له في التجارة (روح الزاج) الذي يستعمل في الصابون
 (٧) والسليكا هي مادة مركبة من السليكون مع الأكسجين والسليكون مادة بلورية سوداء ويستحضر
 بإزالة الأكسجين من السليكا ، والججر المسمى بالكوارنس أو دب الملح المتبلور إنما هو سليكا صرف والزلزل
 والصخور الرملية كلها سدا صرف أو مزيج ببعض المواد الأخرى وهكذا بعض الأحجار الكريمة مثل الجشت
 والعب واليشم وهو الججر الجماني والعقيق والياقوت وجميع الصّون والخصبوني سليكا ، وأنواع الرمل الملوّنة
 سليكا ملوّنة بأوكسيد الحديد أو مواد أخرى وهو موجود في قسريج أنواع القصب والخيزران وسوق الحبوب
 والحشائش وذلك سبب إهذاء حروف السكاكين بها ، والسليكا موجود في أكثر المياه الطبيعية في حال التوازن
 وبكمية في مياه الينابيع الحارة في (سيلانده) والزجاج والخزف الصيني والفخار والأجر سليكات ، والزجاج
 يصنع بإحساء مزيج من الرمل الأبيض (السليكا) والكلس أو الصودا أو البوتاسا مع أوكسيد الرصاص
 (٨) أما الكلور وهو (الكلورين) فهو لا يكون حرا في الطبيعة ويكون فيها مركبا من الصوديوم
 وهو ملح الطعام ، والكلور الذي هو الجزء المهم للملح غاز مطلق لونه مصفر مخضر رائحته مفسدة خائفة يحدث
 سعالا شديدا وهو سام

(٩) أما أوكسيد الحديد فهو لا كسوجين متحدا بالحديد والحديد قليل جدا في النبات وهو معروف
 فلا نطيل به

فما سمع صاحب ذلك قال هذا من علم الكيمياء وقد أطلت فيه وإلى أناف أن قراء هذا التفسير تنبؤ
 طباعهم مع علمي بأنك تحاشيت في هذا المقام أن تأتي بما يصعب من أوصاف هذه العناصر ونحن الآن في
 تفسير آيتين من كتاب الله تعالى آية - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وآية - فتلك بيوتهم خاوية
 بما ظلموا - . إن هذا المقام يحتاج إلى الحصر وجمع العلوم بحيث تكون هذه الكيمياء منسجمة مع ما
 سيأتي بعدها ويكون الموضوع هيئة واحدة لا تضام لها حتى تأخذ بمجامع القلوب لأن هذا المقام حقيقة
 غريب وإذا انتظم شكله وأتمت أطرانه واستوفيت تفاصيله سرى في العقول الإنسانية كلها لا الإسلامية
 وحدها وحصلت به فكرة نافعة لهذا العالم الإنساني . فقلت له إن الأمر في هذا المقام سهل فأتينا نقول إن
 جميع النباتات مركبات من هذه التسعة ومنها الحيوان والإنسان لأن هذين على مقتضى النبات ، فإذا رأيت
 البرة والقمح والشعير والقطن والبرسيم وأمانها فاعلم علما ليس بالهين أن أزهارها وأوراقها وأغصانها وعروقها
 الضاربة في الأرض كلها مركبات من هذه العناصر

(١) فاستحضر أمامك قطعة من البوتاسا إن هذه البوتاسا منها ما تسمى بالبوتاسا السكاوية ومحلولها
 يستعمل في تحضير الصابون اللين أي (الصابون البوتاسي) وانظر كيف يشتعل إذا ألقى في النار ، فهذا جسم
 ناري لا غير

(٢) وأحضر أيضا قطعة من الملح فإن فيها الكلور وهي المادة النشطة وفيها الصوديوم وهي المادة المبردة

(٣) وقطعة من الجير الحي

(٤) والعيدان الصفورية التي يوقد بها ناس إذ تلهب بالحق ، قد جعل الفوسفور متحدا مع مادة

أخرى في أعلى العود وبه يكون الالتئام

(٥) وقطعة من الكبريت الذي تقدم لك وصفه

(٦) وقطعة صخر رمليّة

إذا جمعت هذه أمامك فقل إن أمامي كل نبات وكل حيوان ، ماهي النباتات على الأرض ؟ هي مودة محرقة
 مواد كلها مهلكة . اللهم إنك أنت الحكيم وأنت العليم وأنت الجليل . يا الله رأيتنا جلالك في الدنيا قبل الموت

رأينا في هذه المادة حكمتك وبقايتك وجمالك . لماذا هذا ؟ لأنك صنعت قطننا وذررتنا وقمحنا من مواد محرقة ، ولماذا كانت محرقة مهلكة ؟ لأنها مخلوقة وسائر العناصر التي تبلغ نحو (٨٠) من ذرات ضوئية وماهى لإتقنة تسمى (الكثرتة) تكون في المركز ثابتة وهى كهرباء موجبة وأخرى تدور حولها وهى تسمى بروتونا وهى كهرباء سالبة وتدور السالبة حول الموجبة ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف عدد الكثرتات والبروتونات تكون هذه صوديوما وهذه كبريتا وهذه فوسفورا وهكذا

انفتح الأمر وظهر وعرفنا أن هذه القطع التي أمانا الآن وفيها ملح الطعام المشتمل على جسمين مهلكين وفيها البوتاسا الخ كلها عبارة عن كهرباء اختلفت أجزاءها فاختلفت أوصافها فكانت النتيجة انها جميعها مواد محرقة ؟ لماذا لأنها مركبات من كهرباء أومن نور الحركة السريعة والحركة توجب الحرارة والحرارة تكون كهرباء وتكون نورا وهكذا

إن من الأجسام الداخلة في النباتات الكبرى والكبرى يتربك البارود منه ومن ملح البارود ومن القمح ، فمن ملح البارود ٧٨ في المائة ومن الكبرى عشرة ومن القمح ١٢ إذن البارود دخل في تركيب الكبرى ، ذلك الكبرى التي دخل في النبات كما سيأتى وصفه . ومقدير أجزاء البارود عند السؤل الآتية ما يأتي بيانه

فرنسا	ألمانيا	انجلترا
ملح البارود ٧٥٠٠	٧٤٠٠	٧٣٠٠
كبريت ١٢٥٠	١٠٠٠	١٠٠٠
خم ١٢٥٠	١٦٠٠	١٤٠٠

هذا تركيب البارود عند هذه الأمم . إذن الكبرى التي دخل في القطن وفي القمح وفي النرة وفي البرسيم دخل في البارود . المادة التي تربك منها غذاء الانسان وغذاء الحيوان نار مشتعلة فكيف اطمانت هذه النار وكيف سكنت ، وما الذي أسكن هذه النار وأقرها حتى أصبحت طعاما لنا وشرايا وقاكة وأبا متاعا لنا ولألماننا كيف تكون هذه الأرض نارا ملتهبة أو كهرباء مذبذبة وتصبح مخضرة وكيف تكون حركات ذراتها ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية فما الذي كسرتك الحرارة وأخذها ونبثها فقلبت حالا إلى عناصر فيها تلك الخواص المحرقة ؟ ما الذي أخذ تلك النار المتقدة . إن خواص الكلور وخواص الصوديوم وخواص البوتاسيوم وخواص الكبرى كلها ترجع إلى الحرارة والاحتراق ولكن هذه بالنسبة لحرارة الكهرباء في ذراتها قليلة انها محرقة جدا فان الحركة السريعة فيها أعظم والحركة تتبعها الحرارة . أما الجواب على ذلك فانه يظهر لي أن هذه العناصر فيها قوة من عالم آخر غير العالم الأرضي سكتها فأخضعت تلك الترات المشتعلات على القوة الموجبة والقوة السالبة الكهرباء باقية وهذه القوة نسميها نفسا معدنية وبها حفظت تلك الحركات وأقبلت إلى خواص عرفناها في الصوديوم والبوتاسيوم والفوسفور والكبرى . ثم إن هذه العناصر أيضا دخلت في النبات

(الكلام على النبات)

فانظر إلى (البوتاسا) فهى في شعر القطن (٥٥٠٠) في المائة وفي بفره (٣٧٣) في المائة وفي خشب (٣٣٩) في المائة . وقد دخلت في عود القمح (٣٣٩) في المائة وفي حب (٣١٥٤) في المائة وفي نبتة (١٥٣٤) في المائة . وهكذا بقية العناصر لها نسبها كلها مذكورات في (سورة البقرة) فارجع إليها عند العبد وإبراهيم . فلما قرأت هذا الموضوع هناك وضمنته إلى ما هنا عرفت أن مطعم الانسان والحيوان عبارة عن هذه القطع التي أحضرنا أمانك الآن وأكثرها محرقة مهلكة . فباليت شعري ما الذي قلب وضعا (الجواب على ذلك) أن هناك نسا نباتية كما فيها نسا نعتها أقل من النفس الحيوانية ولكن الكنف

التي تقدم في (سورة الحج) على يد عالم هندي، أبرز لنا أن النبات يحس ويتحرك فبناء عليه أصبحنا نذهب من كبرياء موجبة نوسالة اختلفت مقادير جزئياتها وحركاتها فأعطينا عبا وقضا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا أعنى انها في المعادن ، أعطتنا قوسفورا محرقا وكبريتا محرقا وبوتاسيوم كذلك وان تنوعت الصفات وهما ارتقت في الاعطاء فانها أعطتنا الغذاء كالبر والفاكهة كالنخاع والهواء (كالاستمكي والخرورج) والدهاء كشجرة تسمى (الدأور) والسام والمختبر كالأفيون عند كثرة أوعند قلته ، وأعطينا الحلو والحامض والمزوا الحريف ، وأعطينا ما لا يتناهى من العجائب والحكم مما لا يحصره العد ، وبأيت شعري من أين جاء ذلك الذي سميناه نفسا هنا في المعدن وفي النبات . فقال صاحبي انها كمنة في المادة تكون ماء الورد في الورد . فقلت وإذا كانت هذه التي سميناه نفسا نباتية وما قبلها التي سميناه نفسا معدنية انما ظهرت بعد الكون في تلك الفترات الكهربية فلماذا لم تجز أرضنا حرارة كحرارة الشمس وتستغني عن حرارة الشمس ؟ إن أرضنا لاتنال حياة بلحوان ولا تنمو نبات إلا بعاء وحرارة ولكن الحرارة تأتي من الشمس والنجوم لا من الأرض والماء يستحيل حصوله إلا بسواء الشمس التي تبالخر المجرى للهواء الحامل للسحاب المطر على الأرض الجارية بسببه الأنهار فلا تنهد ولا سحاب ولا ريح إلا بالشمس . وإذا احتاجت أرضنا الى (أمرين) وهما اصلاح الظواهر بالحرارة واصلاح البواطن بنفس مدبرة ورأينا انها هجرت عن اصلاح أسهل الأمرين وهو ظواهر الأجسام بالانضاج فن باب أولى تهجر الأرض عن أن تضم بين جوانحها أعظم الأمرين وهي النفوس المدبرة فثبت بهذا البرهان أن المادة ليست فيها نفوس مطلقا لانبائية ولا حيوانية ولا ماسميناه نفوسا معدنية لأنها محتاجة جد الاحتياج الى حرارة الشمس واصلاح ما عليها من حيث ظاهره . إذن للنبات نفوس جاءت من عوالم أخرى يجهلها كل الجهل وهذه النفوس المجهولة لنا كل الجهل تحمل في النبات عند استيفاء شرط الالبات وتعدل تلك الفترات وتستخرج بها وفيها آفانين الصور والأشكال والفترات الهيبة

(الفترات في عالم الحيوان)

ثم اذا وجهنا نظرا لتقاء الحيوان ألقيناه مركبا مما تركب منه النبات لأنه غذاؤه وحكم المركب حكم أجزائه فهذه البوتاسا وهذه الصودا وما عطف عليها كلها داخلات في أجسام الحيوان وقد آتت بالجذب المجهاب فيه أكثر مما في النبات . فاذا رأينا الكبريت قد دخل في البارود (بارود الحرب) غير ما تقدم مع الفحم وملح البارود بهيئة خاصة بحيث يكون قيا مع غم باقي خاص فهناك يأتي بالمقصود من الحرب وهكذا اذا رأينا أي الكبريت مع أخويه مستعملا في الخافيط المضيت والفرقة والمحرقة في الحرب وفي السواريج التي جعلت لاحراق مراد العدو القابلة للاحتراق بترتيب غير ما تقدم وأجزاء بحيث تختلف مما قبلها فتكون ثلاثة أجزاء من البارود المحبب (٤) من البارود الترابي و (٧٨) من الكبريت وطلب هذا الساروخ يكون متسعا . وإذا أريد بالسواريج إمارة الأماكن لئلا يكون من ملح البارود (٨) أجزاء والكبريت (٢) ومن الأتيمون جزء واحد والضوء إذن يكون شديدا . وقد تظهر السواريج بهيئة مطرفهذه تكون بأجزاء بهيئة غير ما تقدم . وإذا نظرا الى نفس الكبريت الذي جئناه مثلا هنا في النبات واقصرنا على القطن ألقيناه كما تقدم داخل في شعره بهيئة حض الكبريتيك نحو (٨) في المائة تقريبا وفي بثره (٧) في المائة وفي الخشب (٥) في المائة . إذن الكبريت الذي أعان على أنواع البارود والسواريج وكشف الأماكن واحراق العدو هاهوذا أعان في النبات أي في القطن خاصة على حصول شعر القطن . ذلك الشعر المركب من شعرات هي أنابيب مطرفطحات مركبات من مادة (سلولوز) وهذا الشعر مخططة بحامض النتريك وبحامض الكبريتيك يكون هو قطن البارود التي اذا سخن احترق بحيث لا يترك فضة وهذه المادة جعلت مع مواد أخرى وصبت في قوالب فصار تفرقات فالكبريت كما دخل في المفرقات المعدنية دخل في المركبات النباتية

﴿ الحيوان ﴾

ثم انه هو جميع المواد الأخرى يدخل في جسم الحيوان . إن الحيوان يقتذى بالنبات ويشكل ويمثل بمادته فيحصل هناك تنوع لحدّه ، فيتنازى الحية السائمة المتغذية بالمواد الغضة والأسد الضارى للقتلى بلحم الحيوان والقروا والطيور الكاسرة ترى أنفسها ودواب وطيورا مفردة سارة وأخرى مرقشة الصور جسيمة الهيئة متقة الأجسام وترى الجوف والبحر والبر ملئت أنوعا يخطئها العد وكلها مختلفات الصور والادراكات والأعمال والأمكنة والأغذية وهكذا . كل هذه لم تخرج عن كونها مركبات من المواد المحركات المتقدمة ، وهنا يرد نفس السؤال المتقدم : لم أصبحت للمادة الكهربية التي هي الكترونات (كهربية موجبة) وبروتونات (كهربية سالبة) تجري حول الأولى . أقول لم أصبحت هذه في الصوديوم حرارة وفي النبات أغذية وأدوية ثم أصبحت في الحيوان اليوم حسا وحركة وحياة وتمتلا لامور المعاش وأجهزة للعنكبوت داخله في جسمه منها يستخرج نسجه الذي يستعمله لاصطياد الحشرات كالتياب مثلا وفي النحل لاصطناع الصل وحفظ الولد ونظام الجمهورية وفي حيوان المرجان لاحداث جزائرو جزائرتهم بمشرات الآلاف في البحر (انظر صور جزائره في آتسورة الفرقان فيما تقدم) وهكذا كيف اقبلت تلك الحركات القوية الضوئية الكهربية بائية اتحادا بين أنواع الفترات المكروستوكية الحديثة للجبرى وللحصى فتماوت تلك الحيوانات التي لا ترى على اهلاك نوع الانسان أو أنواع أخرى كالخليل والأنعام وهكذا . أقول ﴿ والجواب على ذلك ﴾ عين الجواب المتقدم في النبات . ان الأرض والوادي التي فيها ليس عندها شئ كامن فيها يصنع هذه الجباب كالقوى الخفية في أمدف الجبال التي بها تعرف الطرق والمساك وتحيط بها علما يقصر عنه الانسان ، وإذا كانت أرضنا كما تقدم لم تجد في عناصرها حرارة فتنبها عن حرارة الشمس للحياة ولاضياء يتراسب فكيف قدرت هذه المواد أن تحدث لنا نفوسا ذكاء تعلى حيواننا الأمرين معا نظام تركيزه وهدياته الى معاشه وإلى سبله في حياته ، فإذا كانت الأرض محيطة بها به الاضاءة والانضاج فما أعجزها وأضعفها عن أن تأتي لنا بالقوة النامية الحيوانية والادراك والتدبير ومعرفة الطرق وتربية القرية . كلا . ثم كلا . إن هناك نفوسا ليست من هذه المادة دفعت القوة التي في العناصر فتدعت حاراتها التي كانت محركة في الكبريت ومفرقة في القطن الى حسن في الحيوان وتبصر فيه والادراك وهدياته بالنجوم والشمس والقمر

﴿ الانسان ﴾

ههنا تأتي الى عالم الانسان وتقول فيه ماقلنا في الحيوان ولكتنا ترى فيه عجائب لا تحصى ، فيه الأنبياء والحكماء والملوك وفيه النصارى والصوفى والسفاكون ، أقول لاغرابه فادته معروفة ، إياك أن تنسى أنه هو نفسه فوسفور وبامعه فهو كليات وكلفرقعات المتقدمة ، فهذه النفس التي دخلت من عالم أعلى من عالمنا يجب أن تكون على شاكاة الجسم ، ذلك لأن الظرف يلائم المظروف كما ان الصدف ملائم للجوهر فيه ، هنالك يظهر لك لم يكن البون بين النفس عظميا ، فهذا ملك وهذا شيطان ، ذلك لأن الاختلاف في الانسان أعظم من الاختلاف في الحيوان وفي الحيوان أعظم من الاختلاف في النبات وفي النبات أعظم من الاختلاف في المعادن إن المسافة هنا شاسعة جدا فالنفوس الحالة في الأبدان إما أن تقب هي فتقبل القوى الهائلة في الفترات التي علمت انها كهر باه كلها الى المنافع وفنائ . وان غلبت قوى الفترات أزلت لنفس الى مراتبها وغلبت طباعها إن بين نفوسنا وبين المادة مشاكسة . إن للمادة كهر باه كما قلنا وهي شديدة الحركات ونفوسنا يظهر أنها من عالم أنظف جدا ففترها سراب هذه الكهر باه تدعت بها فدفعتها فحسبت فيها وأخذت تسمى طوعا أوكرها . وهلمى ذه تجاهد وقد حوت تلك القوى للمادية المملكة الى حسن وحركة وخيال وقوة مفكرة وقوة حافظة وأحد العالم ينطبع في قوى هذه النفس اطباعا وكأنها نور أشرق من لبن الحصرة الإلهية . ولما

نزل الى الأرض وعجزته المادة أخذ يتطلع كرة أخرى الى الملاء الأسمى فظهرت في لوحة نفسه صور السموات والأرضين على مشاكلة طبعه الإلهي الذي نسيه فهو من نور إلهي ، وهنا يقع التفاضل ، فالنفوس الضعيفة تتصور العالم كله اجالا ولكنها لا تبصر هذا التصورات الفاتحة ولا تمقله بل تهمله والنفوس الكبيرة تعلم علما ليس بالظن أن هذه القوة والقدرة خلقت فينا لتدرس بها هذا الوجود والانفعاذا نراها حاضرة عندنا ولماذا نراها في عذاب واصب في هذه الأرض لراحة لنا ، كل ذلك لنعلم اننا مخلوقون لعالم أعلى ولن ندركه الا اذا عرفنا قيمة أنفسنا التي لا تقا تذكرنا بمجدنا الأثيل وعلمنا الرفيع وشرفنا الأعلى

هاهوذا الانسان هو المركب من تلك العناصر المحرقة والنفس الحالة فيه ليست من هذا العالم بما قمتنا من البرهان لأن هذا العالم الأرضي لم يقدر أن يستفيض منوه لنفسه من نفسه فهو عن ضوء العقل أهمل . إذن نفوسنا من السموات أى من عوالم أشرف من الأرض . هذا هو البرهان الذي اطمانت له نفسي . هذا هو البرهان الذي أبني عليه ما يأتي

(أولا) أذكر نظام الانسان في مدينته

(ثانيا) أتبعه بغاية ما وصل اليه بمقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسه

(ثالثا) أذكر كيف كانت الأمم للغلبة لغيرها يسرع اليها الفناء

(رابعا) أذكر أن الأمم الغالبة تلحقها في ذلك مع ذكر شواهد التاريخ

(خامسا) أين أن الانسان في ذلك لم يبلغ شأ الحيوان في الابداع حتى انه هجر عن أن يصنع ماصنه

المرجان من احداث أرض تنفع الانسان والحيوان

(سادسا) أتبع ذلك بخطاب علم للأمم الاسلامية كلها شرقا وغربا

كل ذلك تفسير لخاتمين الآيتين - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسوها - الخ وقوله تعالى - فذلك يومهم

خاتمة بما ظلموا - فهنا إذن (ستة أمور)

(الأمر الأول في ذكر نظام الانسان في مدينته)

(سياسات الانسان)

هل لك أيها الذكي أن أسمعك كلام العلامة القارافي الذي غصته في كتب كثيرة مثل كتاب (نهضة الأمة وحياتها) أذكر لك الآن ماملخصه (ان من الناس من قالوا انما الحياة هي الذات فكفوا عليها وتركوا ماوراءها وهؤلاء يسمون ذوى الحياة الحسية ، وآخرون يقولون إن المدار في الحياة على الكرامة فلتعش على الكرامة والعظمة لأن المقصود من الحياة ذلك ، وآخرون يرون أن الحياة يجب أن تكون بالفضيلة فيضاعون فعل الاسود والخور وآخرون قالوا إن الانسان مدني بالطبع وهؤلاء اقسوا (قسمين) قسم مدينته قاضية وقسم مدينته فاسقة فأهل المدينة الفاسقة هم (١) إما اجتمعوا بطريق النسب والصية وغلبوا غيرهم (٢) أو بطريق اللغة فأهل اللغة الواحدة يستبدون سواهم (٣) وأما بالوطن فأهل الوطن الواحد يستبدون سواهم (٤) وأما بالدين فأهل الدين الواحد يذلون سواهم ويدوسونهم (٥) ولما بالمعاهدة فالقول للمعاهدة المتعاقدة تستبد غيرهما (٦) وأما بالمصاهرة فالأم التي يتصاهر ملوكها أو ذوا الأمر فيها يكونون هونا على من سواهم (٧) وأما بالاستعباد فالأمة تستبد أخرى وهما معا يستبدان أخرى وهكذا (٨) وأما بملك جامع يجمعهم فيكونون حربا على من سواهم

هذه هي التي ذكرها القارافي في كتاب (أهل المدينة الفاضلة) وجعل هؤلاء كلهم أهل مدينة فاسقة خارجة عن الحق ، وإياك أن تظن أن الاجتماع الذي اجتمعه المسلمون من هذه المدينة الفاسقة لأن المسلمين الأولين كانوا يعرفون لماذا يخضعون الأمم ، كانوا يخضعونها للرابطة الانسانية الدينية وليلعلمهم فلما انحطت

مدارك المسلمين نسوا أن الفتوح للدين ولرقى الأمم فأذلوا الأمم فطرحهم الله من ديارهم ، هذه آراء أهل المدينة الفاسقة في نظر الفارابي ، وعلى هذا القول تكون الأمم المعاصرة لنا كلها فاسقة لأنها اجتمعت بالوطن وبالعصبة أو بالمعاهدة فانك ترى أن الانكسار تعاينوا مع اليابان على الروسيا سابقا فهزموها هذه غلبة بالمعاهدة وكذلك اجتمعت أوروبا سابقا أيام حرب (البوكسر) في الصين على حرب هذه الأمة ولم تنل أوروبا كلها منها حظها وهامى ذه الآن غلبت أوروبا كلها . والمقصود من هذا المقال أن الأمم الحالية في رأى العلامة الفارابي فاسقة وذلك أنها ليست تراعى لإلأنفسها وتريد الخير الخاص مع اذلال غيرها واهلاكهم ، وهذه الخصلة بعينها هي التي كانت في نفس المادة لأنك علمت أن المواد المعدنية الداخلة في النبات وطبائها نارية وهذه الطبيعة النارية هذبا أولا القوة المعدنية ثم القوة النباتية ثم القوة الحيوانية ، فلعلنا الانسان بقيت فيه طبائع النار وهما هذا أخذ بالتهذيب شيئا فشيئا ، وهنا أقف وقفة لأنظرمك أيها الذكر . لقد تبين من هذا كله أن الانسان الحالي لا تزال فيه طبيعة النار للقدرة وهذه النفس التي زلت من السماء وهبطت الى الأرض ودخلت هذه الهياكل الجثمانية لم تزل طبائعها تقترب من طباع الآساد وطباع الكبريت والقوسفور والكور ، إن المادة أشبه بهمهم فهي جهنم الصغرى والله كبرها بهندسة ونظام دقيق قد استبان لك في دقة الحساب إذ يدخل العنصر الواحد في أنواع من النبات بأوزان تختلف باختلاف النبات كالبرسيم والقمح والكتطن فترى ذلك في (سورة البقرة) في الجبل هناك عند آية الطير وإبراهيم إذ يكون الوزن مختلفا باختلاف النبات ولولا هذا الوزن لم يكن قطن ثلبسه ولا بر تأكله ولا برسم تأكله السواب ، فالحساب في ذرات هذه كلها جار بلا خطأ ولوحصل أى اختلاف في الحساب لم تكن هذه الحياة ولا هؤلاء الأحياء . إذن الله فعل مع المادة التي نعيش فيها مثل ما سيفعل مع النار يوم القيامة . إن الجبار يضع قدمه في النار (كما في الحديث) فتقول قط قط . فها هوذا سبحانه وضع النفوس المعدنية والنباتية والحيوانية فانتظمت أسوأها . ولقد هذبت هذه المادة تمهيدا حسنا وسارت سيرا مستقيما بسبب حساب القرات الذي هو أوفق لهذه النفوس التي زلت للأرض من عوالم أخرى ، قاله على صراط مستقيم قال تعالى - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه - الخ وقال - لمن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولا جرم أن العوالم والنبات كلها موزونات ذراتها يوزن لاهوج فيه ولولا ذلك ما عاشت ولا نما الحيوان ولا النبات ولا يوجد في الأرض ، ويقال في الصراط أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وصراط الله كذلك لأنه لولا هذا الحساب ما كان حي - وانلك ذكره عقب ذكر السواب ونحن نقول - اهكذا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم - وصراط الذين أنعم عليهم هو صراط الله وصراط الله هو الذي عرفته في نظام هذا الوجود . إذن وصلنا الى المقصود . هذه أرواح بني آدم جاءت الى الأرض وجعلهم خلفاء أرضه . لم يجعل الله عقولنا كعقول الحيوان بل فتح لنا باب الفكر وقال انظروا فنظر الفارابي هذا النظرف نوع الانسان وقال انهم فساق ، ثم أذكر آراء العلامة الفارابي في سياسة الانسان

(أهل المدينة الفاضلة)

وقد ذكرت هذا المقال في مواضع من هذا التفسير وأنا أجله هنا الآن . فاس مجموع الأمة على نظام الجسم الانساني وأخذ يشرح الجسم كالأعضاء وأعصاب حس وأعصاب حركة ويتكلم على أعضاء الهضم وأن الفم يهضم المعدة والمعدة تهضم الأمعاء وهكذا ويخصص كل ذلك في أن الأعضاء منها خادم ومخدوم والقلب كالوزن للدماغ وهو مجلس القوة الحاكمة واستنتج من ذلك كله أن كلاً من أبناء الأمة يوضع في مركزه الذي استعمله فكما استعملت الصين للابصار والأذن للسمع والمعدة للهضم والماغ للتفكير هكذا يجب أن يكون أرباب الرأي هم الحكم وأرباب القوة هم الجيوش وهكذا ، وأبان أن التركيب اذا اختل - اختلت المدينة وصارت فاسقة ، ويرى أيضا أن أهل الأرض كلهم يجب أن ترتب دولهم على هذا المبدأ بحيث تكون كل

دولة في مركزها الخاص بها اقتصادا وعملا ويصبح الناس كلهم أمة واحدة فان خالفوا ذلك كانوا فاسقا ولكنه لم يوضح تعليمهم العام بل تركه لمن يفهم ذلك بعده ، وأنت ترى أن آراءه تستمد من نفس الطبيعة وتنبو النحو الذي أثبت لك في هذا المقام

سبحانك اللهم ومحمدك أنت الذي ألهمت الحكماء فعبروا عن صراطك المستقيم بمشاهدته في ملكه ، قس الفارابي نظام الأمة على نظام الجسم الانساني وهكذا جميع الأمم وان كان قوله اجاليا ، وأنا قلت هنا أنك أنت أخضعت المادة بالنفوس التي أزلتها الى الأرض وهذه النفوس من النور الذي أبدته فنفسنا نور إلهي وقلبك يسمنها بالجزء الإلهي فينا ، ونحن الآن لم فصل الى البرية التي بها نسعد في الحياة لأنك أنت على صراط مستقيم ونحن لم نسر على صراطك الذي قوله كل صلبح - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - ومن أعظم المنعم عليهم أولئك الذين تكون مدينتهم على هذا النمط ويكونون في السلام الذي قوله في التشهد ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأنت تقول لنا - ولا تصدوا في الأرض بعد اصلاحها - وتقول لنا - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - فجعلت الدار الآخرة مرتبة على عدم العلو في الأرض وعدم الفساد فيها ، فقولنا في الصلاة ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ تدخل فيه تلك الحال التي يكون الناس فيها أمة واحدة إذ يكونون مصلحين في الأرض خير مصلحين وهم منتم عليهم لا يريدون العلو بل يكون الملك والعرش للنفعة العامة وخدمة المجموع لا للأغراض الخاصة التي هي شأن أم الأرض قلعة اليوم

أنا قلت لك ان العلامة الفارابي لم يبين تعليم الأمم ولم يفصله ولكن الذي تعرض للتعليم هو أفلاطون في جمهوريته التي جعلها على لسان (سقراط) أستاذه فأنا أورد جلا منها الآن ثم أتبعه بما أراه في زماننا ﴿ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ﴾

ذكر أفلاطون في المقالة الخامسة من جمهوريته أن التعليم لا يختص بالرجال بل يعم الرجال والنساء معا وقال إن التفاوت بين الرجل والمرأة راجع للتفاوت في التعليم وبذلك يشارك الرجال في الحرب والوظائف المدنية ويتعلمن الموسيقى والرياضة البدنية كالرجال سواء بسواء ، وهنا ذكر كلاما لا ينبغي لأنه لا يوافق حالنا ولادينا ، وقال في المقالة السادسة ﴿ إن معرفة الوجود الحقيقي لا تكون إلا للفيلسوف لأنه هو وحده الذي يحقر الظواهر ، وهو وحده الذي ينفر من الكذب ، وهو يحقر ما يستعظمه الجهور من متاع الدنيا إذ لا يريد إلا التشبه بالنظام الأزلي ﴾ وأخذ يذكر تربية الحكم فقال ﴿ يجب أن يكونوا قادرين على العلم والعمل فيصطفي أذن أهل المدينة وأكثرهم حافظة وأصبرهم على التعب ويمتنعون في الأشغال الفكرية والجسمية ويؤخذ أفضلهم للرئاسة ﴾ ثم قال ﴿ وهذا الجذب والنصب والتعب لابد منه لمن يريد أن يرتقي الى معرفة أعلى العلاء وهو معنى الخير النحس (وهو الإله في كلام أفلاطون) ثم قال ، إن الخير المعاني كالشمس بقية الموجودات منها يستمد كل موجود وبقاؤه ولا يعرف إلا بها ﴾ ولا طريق لها عنده إلا العلم الإلهي الذي له ﴿ طريقان ﴾ طريق الجمع وهو الاستقراء أي الارتقاء من المعاني المفردة الى ما هو أرفع منها الى أن يبلغ الى جمعا تحت معنى عام ، والثاني طريق التحليل والتقسيم بين المعاني الجمعة الى أن ينتهي التحليل الى المعاني المفردة ﴾ انتهى من ترجمة الأستاذ (ستلاته)

ولعل بعض هذه المعاني غامض فأوضحه قائلا ﴿ انه يقول إن الله سبحانه كالشمس فكما أن الشمس بها ظواهر للحياة وبها هدايتنا لطريقنا هكذا الله به قوام الحياة وبه هو معرفة المعاني فهو الهادي وعقولنا إن لم تستمد منه لم تعرف شيئا كإن أجسامنا إن لم يحيا هو لم نحيا ﴾ وطرق الاستدلال التي ذكرها هي في العلم الإلهي من فن العسقة بحيث يدرس الانسان هذه الدنيا إما بالتحليل والتقسيم وإما بطريق

الاستغناء ، ومن اطلع على هذا التفسير عرف بمجل ما يقوله . وذكر في المقالة السابعة مسألة المعرفة وضرب الناس مثلا بالمغارة التي تحت الأرض وفيها أناس مغفلون منذ صباهم معتقلون فيها في رقابهم أطواق من حديد تمنعهم كل حركة ولم يروا إلا ما أمامهم من النور إذ لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ، ووراءهم نار على ربة وهي تنير المغارة وبين المغارة والنار طريق وبجانب الطريق حائط على طوله وقد كثر المارتون بهذه الطريق وهؤلاء المارتون يحملون تماثيل مختلفة وأنواعا من الضائع ثم إن أصحاب المغارة أشبه بنا الآن لأنهم لم يروا من أنفسهم إلا الظل ولم يروا نفس الأشياء وهذا الظل للتماثيل والأشعة ، ثم إن هؤلاء إذا تحذتوا قاتهم يجعلون لتلك التماثيل أسماء ويحكمون بأنه ليس في الوجود سواها فإذا انطلق أحدهم من المغارة فانه يستحيل أن يقدر على مقابلة الأنوار إلا تدريجا فهناك يتعود ذلك للتعلق منهم على أن يرى ظل الأشياء أولا في الماء ثم يرى نفس الأشياء ثم ينظر السماء ليلا أولا فيرى الكواكب ثم يرى القمر ثم الشمس ثم يعلم أنها سبب الفصول والأعوام وسبب كل ما يحدث على الأرض وكل ما يراه في المغارة ثم يرجع إلى أهل المغارة ليهديهم إلى ما هدى إليه شفقة منه عليهم وهناك يتعود على الظلمة شيئا فشيئا حتى يقدر أن يعيش معهم ثم يحذتهم فيسخرهم منه وينسونه للجهل وربما تحذتوا بقتله ثم قال فهذه حال الناس في الدنيا بالنسبة إلى حقيقة المعرفة فالمغارة هي هذا العالم المحسوس والنار ضوء الشمس والأسير المغفل الذي خرج من المغارة هي النفس إذا ترقى إلى عالم المعاني فإذا بلغت النفس أقصى العالم المعقول فهناك تعرف بعض معنى الخير المحض (يريد الله) فإذا شعرت بذلك عرفت أن الخير المحض (يريد الله) هو لغة كل مافي هذا العالم من الجلال والخير ، ومتى أدرك الإنسان ذلك صغر لديه كل مافي هذا العالم وتقدر عليه توجيه همه إلى الامور السخيفة التي هي مطمع أبناء جنسه وشغل أعمارهم في هذه الدنيا اه ثم قال (أفلاطون) ومن هذا يستدل على أن المعرفة لا تحصل للنفس دفعة واحدة كما يقتضيه بعض الناس إذ يقولون (نحن ندخل المعرفة مرة واحدة في النفوس الخالية منها كما يفعل بالكفوف البصر بأن يرجع له الابصار ، والحق على خلاف ذلك وهو أن كلامنا له قدرة طبيعية على ادراك العلم وله كذلك آلة معه لهذه الغاية والحيلة فيه أن يحول هذه الآلة والنفس أجمع من مشاهدة ما يغني إلى مشاهدة ما هو موجود في الحقيقة إلى أن يتعود شيئا فشيئا على مشاهدة ما هو كالشمس في الوجود وهو الخير المحض (يريد الله) ثم قال أفلاطون وعلى هذا فليس الأمر أن نحصل على الابصار إذ الابصار حاصل لسلك منا لكن آتة لم تنظر حيث يجب أن تنظر فينبغي تقويمها لكي تنظر حيث يجب)

ثم رتب على هذا كيف تكون تربية الحاكم الفيلسوف ليستعد للحياة النظرية والعملية معا فقال بعد الفراغ من التربية المفروضة على جميع أصحاب الرئاسة وهي الموسيقى والرياضة البدنية يصطفي منهم من هم أقوى جسما وأصح عقلا وأصبر على المشاق وأتقى وأتقى وأكثر قوة على التعرض للخطار وابتعادا عن الملاذ والشهوات فيعملون أولا علوم الرياضيات الحساب والهندسة والموسيقى ، فهذه العلوم مع الاحتياج إليها في العمل تعود النفس على مراقبة الأشياء القائمة التي لا يلحقها التغير لاقتربها من الوجود المحض (الله)

ثم يتلو هذا التعليم الرياضة الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم الرياضات من جديد حتى يبلغ التمييز من عمره ثلاثين سنة ثم ينعم العلم الإلهي فيبحث عن علل الأشياء وجوهرها العقلي وهذا هو البحث عن الوجود ، قال أفلاطون (إن هذا العلم لبقية العلوم كالشمس للظل وكالعلم مجرد الظن ، ويسترون في هذا العلم خمس سنين ثم يهرب في العلوم الحربية وضربها ، ثم إذا انتهوا من ذلك كله يقللون أمر المدينة بصفة حكام وذلك إذا بلغوا من العمر خمسين سنة) انتهى

وقال في المقالة الثامنة (فذكرت أن هذه هي المدينة الفاضلة وهؤلاء هم حكامها فإذا فسغوا نزلت مدينتهم ورجعت فاسقة فتكون أولا عسكرية وهي الخاضعة للقوة العنيفة ، أما المدينة الفاضلة فهي خاضعة للقوة

العاقلة ، ثم حكومة الجمهور ثم حكومة الخير والفسق وهي حكومة الفرد)

ثم أبان أن هؤلاء المتعلمين هم الأشراف وحكومتهم تسمى (حكومة الأشراف) ثم قال (إن فساد المدينة الفاضلة ينشأ من فساد النسل وتنازل الأولاد في أخلاقهم وأفكارهم عن شرف آبائهم ، ومن ذلك ما يقع بينهم من تفرق الآراء والتشاجر وكثرة الفتق ويكون مآل أمرهم انهم يقسمون المكاسب والأموال فيما بينهم ويسخرون بقية أهل المدينة لخدمتهم بعد أن كانوا لهم حواسا وحكاما فيض عليهم حب السلطان والمال ويفرد كل واحد برأيه ، فإذا تملأ الأمر على ذلك وفترت الثروة واغترس فيها حب الترف والاسراف والحرص على المال فقد ينقص بقدر ذلك من احترامهم للفضائل ويزداد إعجابهم بالأغنياء واحتقارهم للفقراء . إذن تتبدل هيئة المدينة شيئا فشيئا وتصير الرئاسة إلى الأقل وهم الأغنياء . إذن تكون المشاركة في الحكومة على قدر المكاسب وأنه لاحق في الرئاسة إلا لصحاب الأموال دون غيرهم وعلى ذلك تنطبق أخلاق أهل المدينة بحسب المال والبخل وعدم المروءة والحرص ثم يندم الأمر على ذلك فيصبح المال في يد زمرة قليلة من الأغنياء ويزداد الفقراء يوما فيوما لأجل ما يؤخذ منهم من الربا وما يباع من مكاسبهم لخلاص الديون ويزداد الأغنياء بقدر ذلك ثروة وقدره وإن تكون للمدينة (فريقين) الفريق الأكبرهم الفقراء والأقل هم الأغنياء الذين يندمهم زمام الأمور فيحكمون في الذوات والاسراف وينبع ذلك الكسل وضعف الأبدان وفساد الزواج وعدم الصبر على المتاعب والمشاق فإذا رآهم الفقراء على تلك الحال وشعروا بغلبة عدوهم وفوق قوتهم على قوة الأغنياء لا يلبث الأمر أن تشب نيران الفتنة والثروة في المدينة فرمى يغلب الفقراء فيأخذون في قتل الأغنياء واجلبتهم عن المدينة (وقد حصل هذا فعلا كما قلتم في سورة النحل ببلاد الترك وبلاد الروسيا حرقا بحرق هو يبعه فقد أخرج بنو عثمان وقتل القيصر وانتهت هذه الفتنة) ونهب أموالهم فصار الحكومة اليهم ويستندون في المدينة بالأمر وهذه هي الحكومة الجمهورية (ديموقراطية) وهناك تمام الحرية وإزالة عنان الأحكام والموانع والقروض الواجبة فينتج كل من الأفراد هواء ويسير الأمر كالتفوضى بينهم لاحكام ولا يحكم ولا ثبات ولا اتحاد وتستمر الحال على هذا النوال إلى أن يسقط اعتبار الأحكام من نظر الجمهور وهذا افراط في الحرية فلا يبين الرأى والرعية حاجز ولا يبين الأب وابنه قيد وينحل كل رباط فيحصل إذ ذاك العكس ، فالشيء إذا جاوز الحد انقلب إلى صده ، والافراط في الحرية يوقع الأمة في الصوبية التلقية - جزاء وظفا -

هناك عند تعاقم الأمر يصبح الأمر بيد واحد مستبد برأيه ولا يعتمد إلا على قوة سلاجه فيعطى ويجور ولا يأمن أحد ظلمه وهذه هي الحكومة الجبرية وهي آخر هيئات الحكومات التي تتغير اليها المدينة الفاضلة وهي أخسها مرتبة وأضرها عاقبة على الأمة

وفي المقالة التاسعة ذكر أفلاطون أخلاق النفس الجبرية للشاكلة للمدينة الجبرية فقال انها النفس المدنية العفة والحياء المطلقة في ميدان الخلاعة والظلم والاستبداد لاستيلاء النفس الشهوانية فيها على النفس العاقلة فهي أشبه شيء بنفس السكران والخبون ، فلذا كثر مثل عدد تلك النفوس في المدينة كانوا للجبار المتسلط عليها من أقوى الدعائم للاستمرار في ظلمه وسعادة هذه النفوس وسعادة الجبار المتسلط عليها لامعنى لها إلا الشقاء المستمر بل هم أشقى الناس وأحقهم بالشقة وأهل مدينتهم أشقى أهل المدن ، فلذا رتبنا الهيئات الخمس المذكورة وجعلنا للموالة بين مالكل منها من السعادة جملة وأفرادا عرفنا أن مراتب السعادة تنافس فيها على قدر تنازل المراتب فأعلاها درجة في السعادة (مدينة الأشراف) فالمدينة سعيدة وأفرادها سعداء وهكذا بالترتيب إلى آخرها وهي الهيئة الجبرية فهي أقلها سعادة وأكثرها شقاوة ، ثم قال « ان أسعد الناس وأفضلهم وأعدلهم هومن ملك نفسه ونظمها على هيئة (مدينة الأشراف) وأشقى الناس هو أولئكهم وأخسهم وهو الذى على هيئة (المدينة الجبرية) فهو ظالم لنفسه وغيره ولم يترك للعقل ولا العدل مجالا ،

والمقالة العاشرة التي هي آخر الكتاب ذكر فيها أنه يجب الطير على الشعراء والشخصين وغيرهم من الصنائع التي شأنها تمثيل الأهواء والعواطف الموهبة لأن في عملهم اغراء النفوس وجعلها على ما يشاهد أو يسمع من أنواع الشهوات والغضب والفسق والحزن المفرط والضحك المفرط وغير ذلك من أنواع العواطف المناقضة لاعتدال النفس وما يجب حفظه من رثاسة النفس العاقلة ، قال لأنه ليس من أنواع المجاهدة ما هو أعظم خطرا وأعسر مباشرة من الجهاد الموقوف عليه أن يكون المرء قاضيا لا خيئا فلا ينبغي أن تغفل عن العدل ولا عن معيشة الفضائل لأجل شيء آخر سواء كان الكسل أو اللال أو السلطان أو بجزيل الشعر . انتهى ما ذكره أفلاطون ترجمة الاستاذ سنتلانه

نعم أنا ذكرته مجلا سابقا وهنا فصله تفصيلا أوسع لما سأورده هنا ، فها أنا ذا أيها الذي ذكرت لك مدأ الأمر وهو هذه العناصر التي في أرضنا ومنها الصودا والبوتاسا والكبريت التي هي من جهة ما في النبات والحيوان والانسان من العناصر وانها محرقات ملتهبت كما ان الأكسوجين أيضا ملتهب وهو من أهم أجزاء تلك اللوايد وأن هذه النفوس النباتية والحيوانية تصرفت في هذه الطبايع فحولتها الى ما هو أكل ، ثم إن هذه النفوس الانسانية أكل وقد لعبت بها هذه المادة فوجعتها الى أخلاقها والنفس تارة تكمل لأنها من عالم أعلى وتارة تسفل لأنها انحطت الى هذا العالم المضطرب المحرق ثم ذكرت لك أخلاق النفوس البشرية في كلام الفارابي وأن المدينة الفاضلة نتيجة كمال هذه النفوس ككمال النظام في الجسم الانساني وقلت انه لم يبين التعليم بيانها وانما وأبعت بكلام أفلاطون وان كنت أجلت في غيره هذا المكان لأنه ذكر التعليم وأوضحه وفي كلامه الاصول التي سأبني عليها إن شاء الله ما حصل في أممنا الاسلامية وما في ذلك من العجب والعلم والحكمة وبدائع الأقدار وعجائب التصريف الإلهي في هذا النوع الانساني وكيف يتشابه الأولون والآخرون انتهى

(التعليم الاسلامي)

(ماذا أصاب أممنا الاسلامية من الأحوال السياسية بمخالفاتها في التاريخ)

وتطبيق الآية على السابق وعلى اللاحق)

واذ فرغت من الكلام على الأمر الأول وهو ذكر نظام الانسان في مدينته وعلى الأمر الثاني وهو ذكر غاية الموصول اليه بمقوله وذكراته في اجتماعه وسياسة أبنائه (الأمر الثالث والرابع) الذين فيهما أن الأمم المغلوبة لغربها يسرع اليها الفناء وأن الأمم الغالبة تلحقها في ذلك الفناء وأذكر شواهد التاريخ على ذلك كما وعدت ، ولأقدم مقدمة في ذلك فأقول

لا جرم اننا الآن في قضيتين من كتاب الله تعالى وهما - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ وقوله تعالى - فذلك بيومهم غاوية بما ظلموا - فلائين ما يناسب كلام أفلاطون من القرآن . اللهم انك أنت الذي خلقت هذه المادة وأنت الذي جعلتها محترقة مضطربة وأنت الذي خلقت أرواحنا والقوى المعدنية والنباتية والحيوانية وجعلت هذه النفوس من عندك مهيمتات على هذه الأرض واصطفت من هذه النفوس الانسانية ألقها وأمر بها أن تفكر تارة باجتهادها وتارة بأن توحى اليها ، فالحكاء بالجد والتفكير والأنبياء بالوحى ، وأزلت العلم على قلوب حكاء في الصين والهند وبابل وقمماء المصريين وقد تشابهوا في أصولهم وكان من بقيتهم الوارث علم قمماء المصريين (أفلاطون) ومن معه من الحكاء ، ثم إن هذا الفيلسوف ألم بكتبه ومضى اليك ولم يقتر على إيجاد أمة من الأمم بل بعده بعشرات السنين ذهب دولته وهي اليونانية وحلت محلها دولة الرومان دوروا ديلهم وعلومهم وتمسك بها أمثال (سنيكا وشيشرون) الفيلسوفين الرومانيين وتسلطت هذه الدولة على أمم كثيرة ثم فسدت ، ولكك قبل أن تخربها أردت أن تظهر أمة أخرى بشكل عجيب فعمدت الى بلاد قليلة النبات لاعلم عند أهلها فهم في قفرهم أبعد الناس عن كل علم وتهذيب واصطفت واحدا منهم وقلت له

والشعراء يتبعهم القارون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون - فهذه الآية قد فسرها (سقراط) الذي زالت وولت أمته ودولة أمة اليونان بعدها فقد قال في المقالة العاشرة المتقدم ذكرها بوجود الحجر على الشعراء والمصورين والمشتصين الخ لأن هؤلاء يفتحون على الأمة أبواب السقوف والعصيان فتفتك الأبدان والعقول وتصبح منهم ماسقة ، وقلت له - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسدوا فيها حق" عليها القول فدمرناها تدميرا - وهذا اجبال يفصله ما تقدم في مقالات (سقراط) قبل المقالة العاشرة كما سمعته من المدينة النضبية وهي العسكرية والمدينة الجبرية وهي حكومة القرد للمستبد ومن المدينة التي تحت حكم الأغنياء ، وكيف ينتهي أمر هؤلاء بضعضة الأجسام وضعب العقول بالانهمك في الشهوات فيذهب حكمهم ويضيع مجدهم ، فهذه المدنيات الأربع (١) التي ذكرها أفلاطون وإن كان في بعضها نظرا مأساوية يبدى هي التي ذكرها الله في القرآن بهذه الآية . وقلت له - أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعت بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - ، وقلت له - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ، وقلت له - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الفار الآخرة ولا تملن نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تلغ في الفساد في الأرض - وقلت له - نخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما لآلئ قارون إنه لخرق عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون * غلبنا به وبداراه الأرض فما كان له من قوة ينصرونه من دون الله وما كان من المتكبرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون * تلك النار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للذين -

فهنا كلام لمن اصطفيه من هؤلاء الذين لاهل عندهم ولا مدنية فلما اطلعتا على خلاصة فلسفة الأمم السابقة ألقينا تفسير هذه الآيات قد حضر في العقول من عندك قبل نزول القرآن تأملك أزلت هذه المعاني أولا ثم أزلت القرآن لتطلع الآن عليها وتجعلها شرحا لما كانك خلقت النبات قبل خلق الحيوان ليكون مرجى له وخلقتهما معا قبل خلق الإنسان ليكونا سعادة له ، فهذا الدين أنت أزلته على نبي أمي وأمتي آمينون حتى إذا قرأوا كتب الأمم السابقة دهشوا وقالوا يا عجبا ياربنا يقول أفلاطون في جهوريته فيما تقدم هنا (٢) إن أولئك الملوك المستبدين في شقاء في حياتهم وهم معروضون لزوال الملك بعد ضعف أجسامهم وعقولهم * هذا من جهة ومن جهة أخرى إن هذه الأموال والنعيم الظاهرة التي يطمحها الجمهور عند طاقة من الناس وهم الفلاسفة عذاب وأصب لأنهم اطلعوا على الخير المحض ، وهؤلاء الفلاسفة يجادلون حياتهم كلها تقوية لعقولهم بالعلم الرياضي والإلهي ولأجسامهم بالتمرين الحربي ، فالعظمة والسعادة إذن ترجعان إلى شيء غير المال وهو قوة العقل بالعلوم جميعا لاسما معرفة الخير الأعظم وهو الله ومعرفة الخير الأعظم لآتاني إلى الساس بفتح فلا بد من ممارسة العلوم العقلية والصناعات العملية هذه في وقت وهذه في وقت آخر حتى يقوى العقل ويقاوم الإنسان جميع الشهوات وتسل لصاحبه مقاليد المدينة ويتولى نظام الأمة . إذن ما كان يفكر فيه الحكماء جاء به نفسه القرآن ، فهمه المسلمون أم لم يفهموه ، عقلاؤه أولم يفقهوه ، فكلم وضع الله من بذور في الأرض فخرجت زروعا نضرا والثاس لا يفقهونه ، فلما رأينا أمة إسلامية ماتت وأخرى حية وهم جميعا لا يعملون هذه العلوم فليس هذا بدعا فهذه أعمال الله ، ينزل الخير ولكن هذا الخير ينتظر أصحابه وهم قراء هذا التفسير وأمثاله ومن على شاكلتهم بل إنهم حين يقرؤون هذا يزبدون دهشة واستغرابا لهذا الاتحاد العجيب بين العلوم الخزونة عند الأمم وبين الدين المتزل على النبي ﷺ

فهذه هي الآيات التي أنزلها يا الله على من اصطفيه من أمة العرب فأصبحت المدنيات الأربع التي هي

(١) الرابعة هي الديموقراطية التي يتبعها سقراط ولا يوافقها المؤلف اه

أدنى من مدينة الأشراف متطبة في الأغلب على هذه الآيت فلذا كان هذا الفيلسوف يقول ان بني آدم جميعا لا يرون من الخير ولا الحقائق إلا صورها ولا يعرف الحقائق حق معرفتها إلا الذين تدرجوا في العلوم وقتنا فوقنا كأن يتعلموا العلوم الرياضية أو الإلهية سنين ثم يتلوهما سنون أخرى يتعلمون فيها الأعمال الحربية تقوية لأبدانهم ويميدون الكرة هكذا دواليك ، فهو لا في نظره هم الذين يعرفونك أنت ويدرون ملكك على صراطك المستقيم فلذا كان هذا رأيه على علاقته بها أنتذا يا الله قلت - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - الخ وقلت - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ وقلت - ألا يذكر الله قدام القلوب - فلا اطمئنان لدولة إلا بعرفتك أنت ، وقلت أيضا - وأعدتوا لهم ما استطعتم من قوة - وقال علماء الاسلام باستحباب السبق والري لتقوى الأبدان وهكذا ، وقد جمعت ذلك كله في قولك - وزاده بسطة في العلم والجسم - . هذه يا الله آيات دينك المنزلة على النبي الأمي وهذه آراء حكماء خلقتهم قبله وكلها مجهولة عند عامة هذا الانسان فاعلمت لا يعرفون إلا الترف والنعم والظبة والراحة ويفنون انها هي أهم السعادات بقاء العقل الذي خرج من بين هذه الحواس المغالوة في وسط هذا الانسان المحبوس في مغارة (أفلاطون) وقال أيها الناس أتم غافلون ، أتم لا تعرفون من السعادات إلا ظلالها ولا من العلوم إلا صورها ، أما حقيقة السعادات وحقيقة العلوم فليس لها سبيل إلا بالعقول ثم جاء الوحي مؤيدا لتلك كل التأيد بل أصبح ملوحيته للعقول غذاء وتقوية وشرحا لما أنزلت بالوحي فاصطلح العقل والوحي في هذا التفسير وتوافق القديم والحديث والمطلع عقلاء المسلمين على خلاصة علوم الأمم فيصبحون أمة لا نظير لها في السابقين والحد لله رب العالمين

هنا يا الله عرفنا اتجاه الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والقرآن الذي أنزلت على نبيك العربي فماذا وجدنا ؟ وجدنا أن هذا الفيلسوف لم يكون أمة وانما تأليف قتلها أمة الرومان فالعرب قام أوروبا وهاهي ذه تدور بين الأمم في أمريكا وأوروبا والشرق الأقصى ، ووجدنا أن نبيك العربي بالوحي خلقت على يده أمة وصلت مشارق الأرض ومغاربها ، فلنتظر الآن ماذا كان يفهمهم حتى ارتقوا ، هاهو ذا القرآن والحكمة اتفقا على أن المال والاستكثار منه مضاعف للأثم من بل لئلك ، فانظر أيها الذكر ماذا جرى ؟ أهلت الفتناء وهذه الفتناء في الحكمة سبب ضياع الجهد والعقل والسعادة كالأجمع عليه الدين والفلسفة كما علمت فقال الله لهم - لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم - إذن أخذ الفتناء قد اشته من راحة الغضب السماوي ، وتقدم عند تفسير هذه الآية أن محمد بن اسحق قال « لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدر إلا وأحب الفتناء إلا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ ، ولئلك قال ﷺ لو نزل عذاب من السماء لما نجنا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ » هذا الذي ذكرته هناك . إذن هذه المسألة قد اختبأ فيها غضب من الله ولا يظهر أثره إلا في وقت أي حينما تظهر ذرية غير صالحة وتستعمل هذه الفتناء في شهواتها ويجعلون الأمم عبيدا لهم ولا يكونون نافعين للأمم بل آكلين أموالهم باسم الدين ولئلك ورد في حديث البخاري الذي ذكرته عند تفسير الآية أيضا أن النبي ﷺ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقاتل رجل يارسل الله أو يأتي الخبر بالشر » الحديث ، فارجع إليه في سورة الأنفال في أولها . إذن رسول الله ﷺ صرح بهذا وعلم مستألفيه أمة من هذه الفتناء وفنوح البلدان فانه أظهر للذي سأله عن ذلك أن فتوح البلدان وإن كان خيرا فانه يكون شرا على نفوس استعظمته وضعته في غير موضعه بخلاف الصالحين . إذن رسولك ﷺ علم الأمة معنى القرآن وهوان الفتناء ليست للذات بل هي لنفع الأمم لا غير وان حدثت عن هذه الجادة اخلفت عذابا واصبا ماله من دافع ثم سمعنا رسولك ﷺ يقول في رواية الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها « إن سركم بالحقوقي في تحقيقك من الدنيا كراد الزاكر ، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخفي نوبا حتى ترقي » وقال عروة فما كانت عائشة تستجد نوبا حتى ترقي نوبا وتكسبه . وفي حديث الترمذي أيضا

عن عليّ « قال بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ما عليه إلا بردة مرقعة بغرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من العمة ، ثم قال كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في أخرى ووضعت بين يديه محفة ورفعت أخرى وسعتم بيوتكم كما تسر الكعبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نكفي المؤنة وتفرغ للعبادة ، فقال بل أتم خير منكم يومئذ ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا اتماهاو القفر والماء إلا أن تأتي بالبحيم » أخرجه الشيخان والترمذي وفي رواية « ما شبع آل محمد من خبز البر ثلاثة أيام حتى مضى لسبيله » وفي رواية « ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طويلا لا يجمعون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أخرجه الترمذي ومعه فلهذه هي التعاليم يا الله التي أنزلتها على نبيك الأُمّي فألقيناه يفسر القرآن بقوله وفعله ويقول لهم إن في الفناءم لهدى دينا وذكرهم بالعذاب وبكى وبكى معه أبو بكر وجاء عمر فطلب أن يعرف سبب بكائهما حتى يبكي أويضا كي فاذا هي قص الفناءم ، هذه هي الأحوال النبوية في العصر الأول ، فاذا جرى بعد ذلك ؟

(الكلام على تخريب الفاتحين للمالك وكيف يجازون بزوال ملكهم بعد ذلك من ابن خلدون)

وصلنا الآن من الفتحات في الفصلين الثالث والرابع الى المقصود منها وهو أن الملوك يذلون أهل البلاد وهؤلاء الظالمون أيضا تخرب بيوتهم ، ولأذكرك بجملا من كلام العلامة ابن خلدون في تاريخه في الجزء السابع فانظر ماذا يقول وهماك نصه

قال ، لما فرغ شأن الردة من إفريقيا والمغرب وأنشأ البربر لحكم الاسلام وملك العرب واستقل بالخلافة ورئاسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسي الملك بدمشق واستولوا على سائر الأمم والأقطار وأنشأوا في القاصية من الهند والصين في المشرق وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الخلافة والافرنجة في الأندلس وضرب الاسلام بجراحه وألقت دولة العرب بكل مكانها على الأمم ثم جدد بنو أمية أنوف بني هاشم مقاسمهم في نسب عبد مناف والمؤمنين استحقاق الأمر بالوصية وتكرروا خروجهم عليهم فأنهضوا فيهم بالقتل والأسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الأوتار وتمتدت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من عليّ الى من بعده من بني هاشم ، فقوم ساقوها الى آل العباس ، وقوم الى آل الحسن . وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام فيها البغية فكانت السولة العظيمة الحائزة للخلافة وزلوا بقصداد واستباحوا الأمويين قتلًا وسبيًا وخلص منهم في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد فيها دعوة الأمويين واقطع ما وراء البحر عن ملك الهاشمين فلم تخفق لهم به راية ، ثم قص آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك ففرج المهدي محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية في بني أبي طالب على أبي جعفر المنصور وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلحقهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة وفرّ أدريس بن عبد الله أخو المهدي من بعض وقائعهم في المغرب الأقصى فأجاره البرابرة من (أوربة) و(مقبة) وقاموا بدعوته ودعوة بني من بعده وتالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط وشبوا دعوة أدريس وبني من بعده في أهل من زناتة مثل (بني فزن) و(مغراوة) وقطعوه من ممالك بني العباس ، واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالشرق ينزعون الى الخلافة ويشنون دعائهم بالقاصية الى أن دعا أبو عبد الله الخنفسر بأفريقي الى المهدي وإسماعيل الامام ابن جعفر الصادق فقام برأية كتمانة ومن اليهم من سهلهم وملكوا إفريقيا من يد الأغالبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالشرق ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم واستيقنوا الوعد الصادق أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

فلم تسلب الخلة بالنسبة ولا تقوض مبادئ الدين بقروض معاملة الملك وعد من الله ولن يخلف في تمام أمره
واظهار دينه على الدين كله فتناهي حيثما البر في طلب الملك والقيم بالعبادة الى ان ظفروا من ذلك بحظ
مثل كتامة بأفريقيا ومكناسة بالمغرب وتنافسهم في ذلك زمانا وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا
له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبي فخرن بالمغرب وأفريقيا على يد صاحب الحارم على يد يعلى بن محمد
وبني ملك ضخم ، ثم كان لغزوة على يد بني خرد دولة أخرى تنازعوها مع بني فخرن وصنهاجه ثم اقترضت
تلك الأجيال ونجرت بالملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم فكان لبي مريم بالمغرب الأقصى ملك ولبي عبدالواد
بالمغرب الأوسط ملك آخر فقامهم فيه بنو توجين و بطن من (مغراوة) حسبنا نذكر ونستوفي شرحه ونذكر
أيامهم و يطولهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله العليم لأرب سواء ولا مبدوء إلا بإياه انتهى
ما أردته منه والله أعلم

ولاريد أن هذا الاجال هو الذي جاء به نبينا ﷺ فانه خاف من فتوح البلدان ومن الغنائم وقد تحقق
ما خافه والحمد لله رب العالمين

(سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم)

قلت لك آخا ان الله لما أعظم دولة الرومان واستغلت وعلم انها ستحل عهدا الى أمة بدوية فامطفي
أفضلها وعلمه ثم وازنت بين ما أوحى اليه وما جاء على قلوب الحكماء لأن المادة منه والحكمة منه والوحى منه
- فأينا تولوا ثم وجه الله - وانما الجاهل هو الذي ضاق عقله فلم ينسح إلا الى بض هذه ، فالعقول والاجرام
والدين كلها من الله بل الخير والشر كله منه وكلاهما عند العقول سواء في الافادة والتعلم ، أقول فلما أخذت
دولة الرومان تنحل كان الله قد أعد أمة أخرى خرجت من البداية لتعلم الناس وأباح لها الغنائم لأن هذه
الغنائم ساعدتها في فتح البلدان وطهرهم بالمال والبر والعدل والصدق والى أم الفرجة وأصبوا
كلهم تحت حكم أمة واحدة ، لم يرد الله بهذا في حكمته إلا أمرا واحدا هو نشر الدين في هذه الأمصار لأن هذه
الأمم في عالم متأخر وهي أرضا التي علفت انها عالم كله نيران متأججة وهو على صراط مستقيم فليس من العدل
عنده أن يجعل أمة واحدة تقود العالم كله لأن ذلك ليس هو العدل التي آتته في الارض ، فلا بد لكل أمة
أن تستخرج سواها ، وهل تستخرج سواها بتسليط أمة واحدة عليها لذلك أرسل الله نبيا أميا ﷺ وذلك
بعد أن عجزت الفلسفة والحكمة في الأمم عن اسعاد الأمم ، إن الفلاسفة اجمعين هجروا أن ينشروا علما واحدا
في العالم كله يجمع الأمم ، ولم ينسح لسقراط وأفلاطون المعتبرين عند جميع الأمم أكبر جسارة العقول أن يوجدوا
أمة تنشر هذه التعاليم فاختار الله أمة العرب وطهرها في البلاد شرقا وغربا ووضع لها مع ذلك داء دفين وهو
المال وفتوح البلدان وألمهم برسوله ﷺ أن يحنرهم المال ويخونهم القسمة بالمال ، فلما توفاه الله أخذوا هم
يقعون سنته ، ولقد سمى المسلمون أب بكر خليفة وهكذا من بعده فهم خلفاء لأموك ، إذن مال الله ليس لهم
بل هم خلفاء على عبادهم وجميع الناس خلفاء على أمواتهم وتسلطهم على الأمم أولا وبالقات لتعليم الدين فلم يزل
الدين يمتكن في قلوب الأمم وشيطان الطمع يوسوس في قلوب العرب بحيث يكون الخلف منحرفا عن السلف
- خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

هناك دالت دولة العرب وحلت محلها دول أخرى ثم ذهبت وحلت أخرى محلهم ، لما ذاك هذا ؟ لأن
الله يقول - وتلك الايام نداولها بين الناس - فلم يخص العرب بالملك بل هو سخرهم كأي سخر التحل والخشنة
لاقتاح النبات والتحل انما تسمى للعمل ، وكما سخر الكور والانات لاجنب القرية وهم انما اجتمعوا للشهوة
لاخير ، فهذه الشهوة قد سخرهم الله بها حتى ولما القرية ثم ذهبت وضعت وحل محلها ما هو أعلى وأغلى
وهو الاتحاد والعطف عليهم والمعاشرة وتدير المنزل ، هكذا اذا كان بعض من كانوا ساعين في فتوح البلدان

لا يريدون إلا عرض الدنيا فان عملهم أتج تلقح أفكار الأمم بالدين الاسلامي مع العلم بأن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ما كانوا يريدون إلا اعلاء كلمة الله ، ولولا ذلك ما أذابوا مهجهم في الحرب ولا توغلا في الأم شرقا وغربا . إذن أنت يا الله هكذا أردت ، حذرت من المال وحذرتهم نيك عليه السلام وطهرتهم في الشرق والغرب ففشروا الدين ثم أخذت تسلب من الأبناء مملكتهم الآباء لتمهد الأسباب لترك آبائنا العرب البلاد لأهلها كما أنك حكمت بموت صاحب الشريعة عليه السلام لما أتممت الدين قتلته ولم . اليوم أكملت لكم دينكم . فهو عليه السلام مات لما أتم ما أوجبه عليه والعرب ماتت دولتهم لما أتمت ما خلقت لأجله لأن الدين لك أنت والأرض لك . ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . إذن كل ما حصل في أم الاسلام مصداق للقرآن وللحديث وللفعل النبي عليه السلام ولكلام الفلاسفة اليونانيين والمسلمين

(نبذة من أسباب زهاب دولة أمّة العرب مصداقا للآيات والأحاديث وقوله عليه السلام لما أخبرهم بأنهم يضيئون في حلة ويروحون في أخرى وإنهم توضع أمامهم محقة وترفع أخرى)

جاء في (الرحلة الأندلسية ، مملخصه انه قد كنز زواج ولاة الأندلس من العرب وأمرائهم من الاسبانيين وأول من تزوج منهم عبد العزيز بن موسى بن نصير فقد تزوج بالسيدة (إيلونا) أرملة لقرى ملك القوط بعد أن مات أثر جورسه في واقعة شريس التي قلب عليه فيها طارق بن زياد وتزوج الأمير محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن الأوسط باسبانية اسمها (ماريه) ورزق منها بولده عبد الرحمن الناصر ، وتزوج لها كم ابن الناصر بن أبي عامر بنت (سانكو) ملك بافاريا ولدت له ابنه عبد الرحمن وكانوا يسمونه سانكو الصغير ليده الى ملاذه وجوته على الدين في سيرته الشخصية ، وتزوج للمأمون بن الناصر سلطان للموحدين باسبانية اسمها حباب وخلف منها ابنه الرشيد ، وتزوج السلطان محمد بن أبي الحسن بن الأحرار بالسيدة (فريا) الاسبانية وولدت له ابنه أبا عبد الله وكانت أم عبد الحق بن أبي سعيد سلطان بني مرين اسبانية . قال وقد فشا الزواج والفسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم بين الأمراء وأولرؤساء من العرب وكان لهذا العنصر الجليل شيء من التأثير فيهم ظهرت نتائجه الخبيثة عند ضعف الدولة كما كانت سببا في استكانة هشام المؤيد الى حليبه ابن أبي عامر ، تلك الاستكانة التي ساعدت عليها في أول الأمر أمته فلما اختلفت مع المنصور وهو قوى الإرادة لم تقهر على كسر حذته فلما كبر ولها ظهر أثرها فيه فأصبح جبا لا يسي الا الى لذاته وقضى في حياته على الدولة الاموية وهذا من أسباب ضعف العرب في أوروبا كما كان من أسبابها كذلك ضعفها في بني العباس بالشرق إذ كانت أم المستعين بالله العباسي صقلية وأم المهدي رومية وأم للقنطرة تركية وكانت كثيرة التدخل في أمورها خلافة مدة ولها وتجتمع بالوزراء والقواد في مجلسها وتصدر اليهم أوامرها من غير علم ولها فلذلك أخذت الدولة تضعف في الشرق واستبد الأتراك بدولة بني العباس كما ذهبت دولة بني أمية بالاندلس بنظر ذلك فيما علت ، وبعد ذلك ظهرت الترية الاجنبية في عبد الرحمن بن أبي عامر فبه قضى على الدولة العاصرية وفي الرشيد بن مأمون ضعف للموحدين وفي عبد الحق بن سعيد المريني ملك للغرب بضياع الملك من بني مرين وفي أبي عبد الله ابن الاحمر بالقضاء على حكم العرب في الاندلس

وقد كان الزواج بالاسبانيات ليس خلاصا بالامراء بل تعلمهم الى العامة بل نسبهم اليهم على غير عادة العرب فقالوا ابن الرومية وابن القوطية بل هذا التلقيح ظهر أثره في البربر فروق من أخلاقهم وقتل من حذتهم هذه أحوال أم العرب شرقا وغربا ، فهل تجب بعد هذا البيان اذا تذكرت ما قسمته لك في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - إذ ذكرت لك هناك اتسام الدولة العباسية في الشرق الى دول مختلفة أوضاعها هناك بعد انحلالها ، وكذلك لاتجب اذا عرفت ما ذكره هنا من انحلال الدولة الاموية بالاندلس وانقسامها الى عشرين دولة صغيرة مثل (اشبيلية . جيان . سرقسطه . النغر . طليطله . قرمونه

الجيزة الخضراء • مرسية • بلنسية • دانيه • طرطوش • لاوده • باجه • مائه • بلبليوس • لشبونه •
جوزاليلار • قرطبة) راجع كتاب (الرحلة الأندلسية) لصديقنا البتوني . فهذه النبتة التاريخية ملخصة
منه . هذا مصداق الأحاديث المتقدمة والآيات وآراء الفلاسفة ، فإني ﷺ قد أخبر به وجعل المال والثنايم
سببا للحرمان اذا استعملت للشهوات وتذكر حديث الزواح في حله والغدوني في حله وقوله تعالى - وأرغفاهم في
الحياة الدنيا - وآراء أفلاطون اذا أصبحت أخلاق الأبناء على خلاف أخلاق الآباء وهي المدينة التي انصرفت
عن مدينة الأشراف وهي كذلك المدينة الفاسقة عند الفارابي ، إذن ما حصل لأهم العرب قبلنا هو مقتضى
قواعد الدين والحكمة واتى أجدد الله جدا كثيرا على ما علم وألم وأسعد فله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم
والله ترجعون

هنا طمأن النفس للعلم وعرفت الحقيقة بقدر الطاقة البشرية ، وما كان بخيل لي مرة في أول حياتي أن
أطلع على هذا الجبال والبهاء والحكمة وأن أصل الى بهجة الحكمة والعلم بمقدار طاقتي بحيث يكون شربا
صافيا وطريقا معبدا يسير به أهل العلم في حياتي وبعد موتي وعليه يبنون مستقبلهم في هذه الحياة ويعرفون
نظائره من المؤلفات في زماننا حتى يحبوا ما اندرس من معالم العلم والدين ويوقفوا عما خلت ودولا هلكت
ظننه كما أنذهب ملك كثير من الأمم الشرقية فأنامهم أجيالا هولاء معبد لهم مجددهم لأنه جعل العالم دولا
- تلك الأيام ندولها بين الناس - وهو قلب الليل والنهار ، فها هو ذا قد أخذ العدة ومهد الطرق لخلق أمة
جديدة في الشرق . فهو كما مهد لدهاب دولهم بأن أمر مترفهم بالأندلس من الأمويين والعباسيين ففسقوا
فيهم خلق طليهم القول قدس دولهم تفسيرا . ها هو ذا سبحانه أخذ بيدي الأسباب لارجاع شباب دول أخرى
من إبنائهم قد ناموا أمدا طويلا ومن تلك الأسباب هذا التضرع وأمثاله فيقرؤه ويقرأ أمثاله رجال وشبان
وستقوم أمة وأمة أعلى كعبا وأرقى وأشرف دولا من الأمم السابقة في الشرق إذ يستنبون بما حل بآبائهم
ويظهر فيهم مؤلفون يعلونهم ما كان يحمله آبائهم واذ ذاك يعرفون معنى قول النبي ﷺ « ويل للعرب من
شر قد اقرب » ويعرفون أيضا قول النبي ﷺ لمن جاء بسأله عن الساعة أن ذلك حين تلد الأمة ربتها
وحين يتناول الرعاء في البنيان وهذا هو الذي حصل فعلا في الشرق والغرب كما علمت فان الامم ولبن الملوك
كما رأيت في بني العباس وبني أمية وهكذا انساء الاجاب على وجه العموم فكان ذلك سببا في فساد الدول الاسلامية
وضياعها فاذا علموا ذلك فهموا أن جوابه ﷺ للسائل عن الساعة جاء على الاسلوب الحكيم إذ يسأل السائل
عن الساعة العامة فأجابه هو عن الساعة التي تضع فيها دولة العرب وقد عرفت المهجزة في ذلك كما كتبت في
كتابي (التاج المرمع)

وهنا أن أن ألقى اليك ما علمت في هذا المقال في الامر الثالث والرابع وهو لب الامرين وما تقدم انما هو
مقتضات لهذا الباب وهو - ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وأن - يوتهم خاوية بما ظلموا - كما قاله
أبو نصر الفارابي في المدينة الفاسقة التي لم تكن على سنن الجسم الانساني الطبيعي وكما قاله أفلاطون في المدينة
التي مالت عن سنن مدينة الاشراف فأسمعك الآن فصولا تؤيد ما تقدم من كلام العلامة ابن خلدون وهما
(مطلبان • المطلب الأول) كيف يحصل الفساد والخراب في الأمم المغلوبة (المطلب الثاني) كيف تقع
الأم الظالمة في سوء أعمالها وتذهب دولهم

(المطلب الأول - كيف يحصل الفساد والخراب في الأمم المغلوبة على أمرها تفسيرا لقوله

تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ)

(فصل) قال العلامة ابن خلدون ما منه

(١) إن من عوائق الملك حصول المنلة للقبيل والاعتقاد الى سواهم

- (٢) وأن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء
 (٣) وأن الأمم العربية (المرتكت الدين ورجعت الي قسوتها الأولى) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب
 (٤) وأن العرب (أى بعد أن تركوا الصفة الدينية) أبعد الأمم عن سياسة الملك
 (٥) وأن الظلم مؤذن بخراب العمران

هذه هي النصول التي ذكرها ابن خلدون مبرها عليها بحوادث وسأذكرها لتعلم لماذا ذهبت دول آبائنا في الشرق وفي الاندلس وتعلم قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - وهناك تفرح بنعمة العلم إذ تنقف على الحقائق وتنفخ الأمم الاسلامية بملك وعملك واجتنبك ما فعله المتأخرون ، فقال رحمه الله تعالى في الأول

(الفصل الأول في أن من عواقب الملك حصول المذلة للقبيل والاعتقاد الى سواهم)

وسبب ذلك أن المذلة والاعتقاد كسران لسورة العنكبوت وشذتها فإن اعتقادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رغبوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن يجوز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها ، كيف عجزوا عن ذلك وقالوا - ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها - أى يخرجهم الله تعالى منها يضرب من قبرته غير عصبيتنا وتكون من مجزاتك يا موسى ، ولما هزم عليهم لجؤا وارتكبوا الصيانات وقالوا له - اذهب أنت وورك فقاتل - وما ذلك إلا لما آتسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيه من خلق الاعتقاد وما رغبوا من القتل لقطب أحقابا حتى ذهبت العصبة منهم فجاء مع انهم لم يؤمنوا حتى الإيمان بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم وأن المصالحه الذين كانوا بأريحاء فريستهم يحكم من الله ففتره لهم فأقصروا عن ذلك وعجزوا فعويلا على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به بينهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهوانهم تاهوا في قفر من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأووا فيها لعمران ولا نزلا مصر ولا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لفظه المصالحه بالشام والقطب بمصر عليهم لهجزهم عن مقولتهم كما زعموه ، ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التي مقصودة وهي فناء الجبيل الذين خرجوا من قبضة اللئى والقهر والقوة وتحلقوا به وأهسلوا من عصبيتهم حتى نشأ في ذلك التي جبيل آخر عز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبة أخرى اقتسروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جبيل ونشأة جبيل آخر ، سبعان الحكيم العليم ، وفي هذا أوضح دليل على شأن العصبة وانها هي التي تكون بها للمدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقدتها عجز عن جيع ذلك كله . ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة لقتيل شأن الغارم والضرائب فان القليل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن في الغارم والضرائب ضيا ومذلة لا تحتملها النفوس الآية إلا اذا استهوتته عن القتل والتلف وأن عصبيتهم حيثئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ، ومن كانت عصبيته ضعيفة لا يدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الاعتقاد للذل والمذلة كما قمتناه ومنه قوله **عليه السلام** في شأن الحرث لما رأى سكة الحرث في بعض دور الأنصار « ما دخلت هذه دار قوم إلا دخلهم القتل » فهو دليل صريح على أن الغرم موجب للمذلة ، هذا الى ما يصحب ذل الغارم من خلق المسكر والغلبة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القليل الغارم في ربة من القتل فلا تطمعن لما يملك آخر البهر ، ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم أن زناثة بالغرب كانوا شايعة يؤذون الغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت إذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة ، وانظر فيما قاله (شهر راز) ملك البلب

لعبد الرحمن بن ربيعة لما أظلم عليه وسأل (شهربراز) أمانته على أن يكون له قتال « أنا اليوم منكم يدي في أيديكم ومغري^(١) معكم فرحيا نكم وبارك الله لنا ولكم وبقينا اليكم النصر لكم والقيام بما يحبون ولا تذلونا بالجزية فتوهمونا لعدوكم » فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الأول . فأما ما قاله في الفصل الثاني وهو أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها القضاء فهذا نصه

﴿ الفصل الثاني في أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها القضاء ﴾

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التسكسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمل ويضعف التماس والاعتبار انما هو عن جذة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الأمل بالتسكسل وذهب ما يدعو اليه من الأحوال وكانت الصبغة ذاهبة بالطلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومسايعهم وعجزوا عن المداخلة عن أنفسهم بما خضع القلب من شوكتهم فأصبخوا مظليين لكل متطلب طمعة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر أسر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تسكسل حتى عن شبع بطنه ويري كبده وهذا موجود في أخلاق الاناسي ، ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافد اذا كانت في ملكة الأدميين فلا يزال هذا القليل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم القضاء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما قنيت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثيرا وكثروا أكثر من الكثير يقال ان سعدا أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا راب بيت ، ولما حصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ، ولا تحصى أن ذلك لظلم نزل بهم أوعدوا نزلهم فلكة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ، ولهذا انما تنصن للرق في الغالب أمة السودان لتنقص الانسانية فيهم وقربهم من طبيعة الحيوانات الجهم كما قلناه أو من يرجو بانتقامه في ربة الرق حصول رتبة أو اعادة مال أو عز كما يقع لملك القرك بالشرق والعلاج من الجلائقة والافرنجة بالأندلس فان العادة جارية باستخلاص القولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصفاء القولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني . فأما ما قاله في الفصل الثالث وهو أن الأمم العربية (أي التي تركت الدين) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب فهناك نصه

﴿ الفصل الثالث في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ﴾

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلفا وجملة وكان عندهم ملذون لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الاقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية لل عمران ومتناقضة له فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب وذلك متناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالخروج مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه أنقى للقر فينقلونه من الماني ويحربونها عليه ويقتونه لثقله والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمرؤا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه ليوهمهم فيخرجون السقف عليه لذلك صارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على العموم وأيضا فطبيعتهم اتهام ماني أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد يتبهون اليه بل كما امتدت أعينهم الى مال أومتاع أو ماعون اشتهؤوا فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتقلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس ونخب العمران وأيضا فلا تهم بتلقون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون

(١) كذا بالأصل

لها قيمة ولا قسطا من الأجر والتمن. والاعمال كما سنذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها وإذا فسدت الأعمال وصارت مجامع ضعفت آمال في المكاسب واقتبضت الأيدي عن العمل وابتدعت السالكين وقسد العمران وأيضا ما هم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المعاصي ودفع بعضهم عن مضي انما همهم ما يأخذونه من أموال الناس بها أو مغرما ، فإذا توسلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما يده من تسديد أحوالهم والظفر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المعاصي وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والحماية والاستئثار بها كما هم شأنهم ، وذلك ليس بمن في دفع المعاصي وزجر المتعص على بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والقوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعة للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلا بها وقدمت ذلك أول الفصل ، وأيضا فهم متنافسون في الرئاسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أبه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياء فيتمتد الحكم منهم والأمراء وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقض . قال الامراء الوافضلي عبد الملك لما سأله عن الخراج وأراد التنازل عليه عنده بحسن السيادة والعمران فقال « تركته يظلم وحده » وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لبن الخليفة كيف تقوض عمره وأفقرا كنه وبذلك الأرض فيه غير الأرض ، فالن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان لغرم أجع والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول للمائة الخامسة وتوسلوا بها ثلثها وخمسين من السنين قد لحق بها وعلدت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدائن واللة يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثالث وأما ما قبله في الفصل الرابع وهو أن العرب (أي الذين تركوا العمل بالدين) أبعد الأم عن السياسة فهذا نصه ﴿ الفصل الرابع في أن العرب أبعد الأم عن سياسة الملك ﴾

والسبب في ذلك انهم أكثر بدولة من سائر الأمم وأبعد مجالا في الفقر وأغنى عن حاجات التناول وجوبها لاحتياجهم الشفط وخشونة العيش فسقطوا عن غيرهم فصب أعياض بعضهم بعض لا يلافهم ذلك والتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالبا للعصبة التي بها المدافعة فكان منظرنا الى احسان ملكهم وترك مراعاتهم تلا يغفل عليه شأن عصبيتهم فيكون فيها هلاكة وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياست ، وأيضا فان من طبيعتهم كما قلناه أخذ ماني أيدي الناس خاصة والبقاقي مما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفع بعضهم عن بعض ، فإذا ملكوا أمة من الأم جعلوا غاية ملكهم الاتعاف بأخذ ماني أبيهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ، وربما جعلوا العقوبات على المقاصد في الأموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون باعثا بحسب الأغراض الباعثة على المقاصد واستهانة ما يعلى من ماله في جانب غرضه فتتمو المقاصد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الأمة كأنها فوضى مستغيلة أيدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريرا شأن القوضى كما قلناه فيعدت طابع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بسيرة دينية تحمى ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم وتحملهم على دفع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بطونهم في الأمة لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وبطنا وتاتبع فيها الخلفاء عظم حيثفد ملكهم وقوى سلطانهم . كل رسم اذا رأى المسلمين يجمعون لفصلا يقول أكل عمر كبدي يمل الكلاب الآداب ، ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الهولة أجيال نبذوا

الذين قنسوا السياسة ورجعوا الى قترهم وجعلوا شأن عصيتهم مع أهل الدولة يبعدهم عن الاقبياد واعطاء النصفه فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ، ولما ذهب أمر الخليفة وانحس رسمها اقتلع الأمرجة من أيديهم وغلب عليهم الهجوم دونهم وأقاموا بأدية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليفة ما كان لأجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالة وجير والتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مغربي الاسلام بنى أمة وبني العباس لكن بعد عهدهم بالسليسة لما نسوا الدين فرجعوا الى أصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الأحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ما له وغايته إلا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتي ملكه من يشاء اه

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الرابع ، وقال في الفصل الخامس مائة

(الفصل الخامس في أن الظلم مؤذن بخراب العمران)

وهنا ذكر أن الناس اذا اغتصبت مكاسبهم وقهروا على ما ملكوا واتهم من أيديهم كسافوا عن العمل وادخلت أعمالهم وقعدوا عن العمل لعلمهم أنه ذاهب من أيديهم ، وضرب لذلك مثلا ما ذكره السعدي في أخبار الفرس عن المويزان صاحب الدين أيلم بهرام بن بهرام وماعرض به لك في انكار ما كان عليه من الظلم إذ سمع اليوم وسأل بهرام المويزان عن معنى كلامها فقال له انه يعلمه وأن الأثني لما طلبها الذكر شرطت عليه أن يقطعها عشرين قرية من الخراب فقال لها إن دام بهرام أقطعتك ألف قرية فتنبه لذلك فقال له المويزان لا يتم لك إلا بالشرعية ولا تم الشرعية إلا بالملك ولا عز لك إلا بالرجال والرجال بلال والمال متوقف على العماره والعماره بالعدل والعدل ميزان منصوب بين الخليفة وأهلها أنه قد انتزع الضياع من أهلها فهلكت الرعية وضاع الجند وهرمت الدولة فانقض الملك وعدل فانظم ملكه . وهكذا أخذيين أن الدولة العظيمة لا يظهر فيها أثر الظلم دفعة واحدة بل يكون بالتدريج ثم يظهر بعد حين كالأعراض الدائمة - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى المطلب الأول

(المطلب الثاني . كيف تقع الأمم الظللة في سوء أعمالها وتذهب دولهم تبيانا لقوله تعالى

فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - وفي هذا المطلب جوهرتان)

(الجوهرة الأولى ما قاله العلامة ابن خلدون أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القليل في النعيم) قال وسبب ذلك أن القليل اذا غلبت بصبيتها بعض القلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطلع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القليل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تنس ما ألمهم الى شيء من منزع الملك ولأسبابه انما همتم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى البعة والراحة والأخذ بمذهب الملك في الباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعوا اليه من تواجيع ذلك فتذهب خشونة البداوة وقصص العسيرة والبسالة ويقنعون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجتهم ويستكفون عن سائر الأمور الضرورية في العسيرة حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتقص عصيتهم وبساتيمهم في الأجيال يصلهم بتعاقبها الى أن تنقرض العسيرة فيأذنون بالاهتراض وعلى قدر قوتهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العسيرة التي بها التعلب ، واذا اقرضت العسيرة قصر القليل عن المدافعة والحجبة فضلا عن المطالبة والتهتم الأمم سواهم ، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء اه

فهذا هو تفسير قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - وقوله تعالى - فذلك يومئذ بينهم خاوية بما ظلموا - وبهذا تم الأمر الرابع من الامور الستة المذكورة

(الأمر الخامس) في أن الانسان وإن قلدا الحيوان في صناعاته فإن هناك من الأعمال ما يعجز عن نظيره الانسان فيجب عليه أن يجد فيه

(الأمر السادس) خطاب الأمم كلها شرقا وغربا ، وهذان الامران ستراهما في آخر هذه السورة عند قوله تعالى - سريرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

ولكن هنا أتى الكلام على نظام الأمم الاسلامية التي ظهر في التاريخ وقلته عن ابن خلدون ، فإذا فعل الله تلقاء هذا ؟ علم الله قبل أن يرسل نبينا ﷺ أن أم العرب والأم التي معها ستقوم دولهم بالعصية لأن استعداد أهل الأرض إذ ذاك لم يتجاوز هذا المقدار من الضائل وعلم أنهم سيجربون الأرض شرقا وغربا وأنهم سينشرون الدين ثم تطوى دولهم واحدة بعد الأخرى ، فإذا أعد لأهل الأرض ؟

(أولا) أوصى الى رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن فتوح البلدان سيكون فتوح شر و غاية الأمر انهم مستخرون وأخبرهم بأنه يخاف عليهم من ذلك الفتوح وأن البطنة والتفرق سيهلكهم ، فعل الله ذلك كله معهم

(وثانيا) خلق أمما أخرى وأعتها لعمارة الأرض وأرسلهم من جزيرة قلاء في الأرض ليعلموا الأمم لما علم بعلمه القديم أن فارس والروم قد قتلتهن البطنة ، هكذا هذه الأمم الاسلامية أعد لها أمما تحمل علمهم إذا أشتاعم التفرق وأهلكهم النعيم كما أخبر الصادق ﷺ وما تلك الأمم التي أعتها الله لعمارة الأرض واستعمارها

(الجوهرة الثانية ذكر بعض الممالك التي أعتها فاحتلت بلاد بعض المسلمين لما ذهبت دولهم)

ذكرت لك أيها الذكرى فيما تقدم هنا اجمال الكلام على ممالك الاسلام وانهم ذهبت دولهم دولة بعد أخرى من عرب وغيرهم وقلت لك انهم على وثيرة واحدة (حوص على الدنيا - ترف وشهوة - ظلم للرعية - ذل الرعية ذهاب البولة) فها انذا أذكر لك الممالك التي كان أعتها الله لتمتد على بلاد الاسلام وهذه الممالك التي سأذكرها لك استزت بأنها لا تبطل الأحوال الموقوفة على الملوك بل الشعب قائم بقرينة نفسه بخلاف تلك الممالك فقد كان للدار غالبا عندهم على الملوك فان مالوا العلم والاصلاح مالوا اليها والافلا فكانت الشعوب تتبع المصادقات وهكذا لا يترجون الأجانب شيئا يفسد النسل فتضيع البولة وتذهب هباء ماثورا ، وهكذا لا يأمنون الأجانب فلا يولونهم الوظائف المالية في بلادهم بخلاف الأمم الاسلامية كالتركية ، فلا ذكر لك دولة انكلترا وفرنسا الخ (دولة انكلترا)

كانوا في أول أمرهم كلوحوش ومساكنهم حقيرة يقيمونها ثلثة من الأعواد وأوراق الشجر وثائرة من الطين وكان عملهم صيد الحيوانات بها يعيشون وحالهم كأجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع الماء وأول ظهور أمرهم كان قبل المسيح (سنة ٥٥ ق . م) على ما يقول السيد أحد ابن السيد زيني دخلان ثم لم يزل أمرهم يظهر ويقوى ولم يستأوا إلا (سنة ٨٢٧ م . م) سنة ٢٤٣ هـ وكان دخولهم في النصرانية قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم فيهم الكاثوليكية والبرستانت والمهرية وهم مجتمعون من قبائل شتى ، وفيهم جماعة من (الكيلينيين) ولهم جزيرتان منفصلتان (بريطانيا) و (ايرلنده) وصارت دولتهم عظيمة واستولوا على الهند سنة ١٧٥٧ م أي سنة ١١٧٢ هـ وتم استيلاؤهم على الهند سنة ١٨١٦ م أي سنة ١٢٠٨ هـ هجرة وذلك بعد حروب كثيرة ، واستولوا على جبل طارق الذي في المغرب سنة ١١١٦ هـ إذ انتزعه من الأسبان في ذلك التاريخ والاسبانيون قبل ذلك انتزعه من المسلمين سنة ٨٩٧ هـ وهذا الجبل مفتاح البحر الأبيض المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من بلاد الأندلس ويسمى جبل طارق وطارق هو طارق بن زباد مولى موسى بن نصير وموسى مولى عبد العزيز بن مروان الذي هو أخو عبد الملك

ابن مروان ووالده عمر بن عبد العزيز قسماً الجبل باسم طارق المذكور لأنه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الأندلس وتلك يسمى (جبل الفتح) والعمامة يسمونه (جبل الطار) وهكذا دخلوا مصر بعد ذلك

(دولة الفرنسيس)

أما دولة الفرنسيس فقد ابتدأ ملكهم (سنة ٤٢٠ ب م) قبل الهجرة بمئة (٧٦٢) ذلك ابتداء نظام ملكهم ، وقبل ذلك كان لهم ملوك لم ينظم أمرهم ولم يكمل استقلالهم بل كانوا تارة يستقلون وتارة يحتلهم غيرهم ، ومبدأ أمرهم كان قبل الميلاد بخمسة قرون وكانت اليونان تحكمهم ولما غلب الرومان اليونان حكموهم فلم يكن ملكهم مستقلاً وكانوا يعبدون الأصنام المصورة على صورة الكواكب فهي أشبه بديانة أهل الهند عباد الأوثان ثم دخلوا في النصرانية (سنة ٤٩٦) وأول من دخل منهم فيها الملك (كلويس) وهم كاثوليكية وبعضهم على المذهب البروتستانتي ، ومنهم من لا يتدين بدين بل كثير منهم من يشكرون الصانع وقد حصل بينهم وبين الانجليز حروب دامت (١١٦) سنة من سنة ١٣٣٧ م أى سنة ٧٣٨ هـ والصلح كان سنة ١٤٥٣ م أى ٨٥٧ هـ وهذا يسمى حوب المائة سنة

واستولت الفرنسيس على الجزائر بأفريقية سنة ١٧٤٦ هـ وفي سنة ١٧٩٦ أدخلوا الحاكم التونسية في جانبهم وقد استولوا على مراکش في أيامنا هذه

(دولة هولاندا ويقال لهم الفلنك)

هذه كانت تحت حكم اسبانيا ودار الحروب بين الهولنديين مدة ثمانين سنة واستقلوا سنة ١٨١٧ هـ وفي تلك السنين استولوا على بلاد جاوه وكان دخولهم النصرانية في الزمن الذي دخل فيه غيرهم من أوروبا

(دولة اسبانيا)

كانت تابعة لسورة اليونان فالرومان ثم بعض ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على أكثرها لكهم لما فصحوا الأندلس فكان الأندلس تحت يد اسبانيا الى (سنة ٩٢ هـ) فانهزم المسلمون منهم وبقى معهم ملك ضعيف في آخر الأندلس ووقعت بينهم حروب كثيرة ثم انزعوا الأندلس من المسلمين شيئاً إلى أواخر (سنة ٩٠٠ هـ) ثم أخرجوا من بقي من المسلمين بالأندلس في (سنة ١٠١٠) واستقلوا بالملك ، وكانوا أولاً يعبدون الأصنام ودخلوا في النصرانية في الزمن الذي دخل فيه غيره . انتهى من كتاب السيد أحمد ابن السيد زبني دحلان المترجم عن اللغات الافريقية

هذه هي السور التي أردت ذكرها هنا لأن هؤلاء أكثر من يحتلون اليوم بلاد الاسلام ذكرت دولهم ليعلم المسلمون أنهم لما جعلوا الممالك مفاتم واقتلوا على ذلك لأجل الترف والعم في العصور المتأخرة أبعدهم الله عن الملك وأجلس غيرهم على عروشهم وذلك قوله تعالى - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً -

(استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم ؟)

اعلم أن الله عز وجل كما قسمنا قد أعد الأمم العربية لفتح البلاد لما أصبحت الأمم القديمة لاتصلح لادارتها ولما فسدت الأجيال العربية والامم التي حلت محلها أعدت أيضاً أخرى كالا انجليز والفرنسيس ، ولكن هذه الأمم سلكت مسالك العرب في القرون المتأخرة ، وانما أرسل هؤلاء فاحتلوا بلاد الاسلام ليوقظ فيهم روح الحياة - ليعلموا يقولون - والزمان سيستبد بدورته ، وهاهي ذه الأمم الشرقية آخذة في الرقي بحجة لأخذ مكائنها تحت الشمس - وهم من بعد غلبهم سيظنون - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

ولكن هنا أناطب الأمم الاسلامية فأقول ، هاأنتم أولاد قرآنكم تاريخ أسلافكم والعلتم على ما حل بهم في الشرق والغرب وظهر لكم هذه النظم

﴿الحصة الأولى﴾ إن الترف والتتم هما المقصودان لكل من طلب الملك في الأم الإسلامية المتأخرة في الأندلس وفي بلاد الشرق

﴿الحصة الثانية﴾ إن هذا الترف والتتم جعلهم على ظلم الرعية كافي آية - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها -

﴿الحصة الثالثة﴾ أن تلك الأم المظلمة مثل هذه الأعمال

﴿الحصة الرابعة﴾ أن الأم الظالمة تضعف قولها الجسمية والعقلية بسبب الغفلة والكسل والانكسار على

عمل غيرهم

﴿الحصة الخامسة﴾ أن هؤلاء المالكين يتقوضون أيضا

﴿الحصة السادسة﴾ أن أما أخرى تحمل محلهم

﴿الحصة السابعة﴾ أن هؤلاء يحصل لهم ما حصل للسابقين حتى لا تتحل بالحل

ونتيجة ذلك أن الأم ملهى الإكسرد غلوق في جنة الميت وهذا الفرد لما في جسمه يأكل بفسه بعضا حتى لذا بقيت في آخر الأمر دودتان أكلت أقوامها أضعضهما ثم ماتت الأكلة بالجوع - هذا تاريخ الأمم للتأخرة الإسلامية

﴿لطيفة في هذه الأيام﴾

في هذه الأيام حصل أمر مهم لابد من ذكره في التفسير لأنه يناسب هذا المقام لأن الله عز وجل قد أبدى هذا التفسير تأييدا عظيما ، ذلك أنه في يوم ٢٤ إبريل سنة ١٨٢٩ دعا في الاستاذ أحمد زكي باشا لحفلة شاي جمعت علماء الشرق وعلماء الغرب ، فلا ذكر ما دار فيها لأنه أكبر شاهد على ما وصل اليه جبلنا العربي من التضرع للأمم وهذا نص الخطبة

أتم تعلمون أيها السيدات والسادات أنني أغتم كل فرصة سانحة لأكون واسطة التعارف بين أكابر الافرنج وأفاضل العرب ولي في ذلك مطمح بعيد المدى وهو أن يكون هذا التفاهم سببا في خلق جو جديد من الصفاء والوفاء بين الشرق والغرب ، فهذه اليوم التي نشكو من تواليها لابد لها من الانقشاع ، وتلك الازهاقات التي تعانيها من سياسة البطش والاستعمار لا مناص لها من التبدد والزوال ، أما الامتيازات الأجنبية التي تجعل أكبر عزيز في بلادنا مهما في عقدره ومهزوم الحق بلزاء الآفاق الطاريء عليه فقد انقضى زمانها ودالت دولتها في كل البلاد (ماعدنا مصر)

هذه الامتيازات هي العقبة الكبرى في سبيل التفاهم بيننا وبين أوروبا لأنها أكبر عبة لكرامتنا القومية ولماضيها المجيد ، ولادواء هذه العلل القاسية إلا عن طريق أهل الرأي المجردين عن الهوى وهم أفاضل الافرنج ذوو الأخلاق الطاهرة والضمائر الحية ، أولئك الذين لاتعهم مصالحهم الشخصية فيصوتوننا بأشكال لاتطبق على الواقع ولكنها ترجع بالفوائد المادية عليهم وحدهم دون غيرهم ، هؤلاء المستشرقون والمستعربون هم القاعدون على بث الدعوة بين قومهم ليحاولهم أخيرا ويعدمادى الزمان على الاعتراف بأن العرب جذيرون بأن ينشؤوا مركزهم تحت الشمس لأنهم على الأقل مساويون لبعض الأمم العائشة في النصف الشرق من أوروبا لقد كان من دواعي اغتباطي أن يجتمع في هذه الفترة القصيرة سيدات من كرام العائلات الشرقية والافرنجية بجانب رجال من الطراز الأول على ضفاف البحر الأبيض المتوسط للتعاون على انشاء قطرة أدبية فوق ذلك البحر المجيد لتسهيل التواصل والتعاون بيننا وبين أوروبا الرشيدة ، أتوجد فرصة لتحقيق هذا الغرض من التي أتاحتها لي الزمان في هذه الساعة ، ثم أخذ الاستاذ زكي باشا في تقديم المختل بهم الى الحاضرين حسب ترتيب أسماهم في الحروف المجانية فذكر أولا الاستاذ جيل ييم فالاستاذ أعجوبو يدي فالكتور شخت فالسيد عبدالرحمن القصي فالسيد العرفي فالستركراين فالاستاذ ليليان فالاستاذ جاوليت فالاستاذ نايلنو فالاستاذ

يهودا ذاكرا من كل منهم ما كان فيه الفناء والكفء لتعريف الحاضرين بهم ، الى أن قال
 بإسادة العرب . ويا أفضل الافرنج ، مفروض عليكم أن تتصافروا على تحقيق الأمانى الكبار التي يرمقها
 أبناء الشرق على العموم ويحتم اليها العرب بنوع خاص
 فيإسادة العرب ، ويا أفضل الافرنج ، مفروض عليكم أن تتصافروا لتحقيق هذه الغاية بقلوب يعبرها
 الإيمان بحقوق الانسانية على الانسان ، مفروض عليكم أن تتعاونوا هنا وفي ما وراء البحار على نية الرأى
 العام في ديار أوروبا وأمريكا لادراك هذه الحقيقة التي نعت الخلفاء في أيام الحرب والتي سيحتاجون اليها بلاشك
 كلما تجدد الخطب واشتد الكرب
 مفروض عليكم أن تتواصلوا بالفعل وبالعسل الى تحقيق تلك الأمانة العالية الشريفة وهي المجاهدة في
 ديار أوروبا وأمريكا حتى يعرف أهلها بأن العرب جديرون بالرعاية والاحترام ، جديرون بالحرية الصحيحة
 جديرون بالاستقلال التام

ولى كل يوم موقف ومقالة • أنادى ليوث العرب وبحكموهبوا
 ثم دعى للكلام حضرة أسعد لطفي بك رئيس نقابة موظفي الحكومة فألقى كلمة توه فيها بما للمستشرقين
 من الفضل في خدمة العلم واللغة العربية وختمها بالترحيب بهم وشكر الحاضرين على تلبية الدعوة ، وبعد أن
 انتهى أسعد بك من كلمته وقف الاستاذ (لبنان) المستشرق الألماني فاستهل الكلام بقوله (نحن الغربيين
 متشكرون جدا لسعادة زكي باشا لهذه الحفلة التي جاءت فريدة في مجموعها ولوانها جاءت على الحركة (كذا)
 ثم قال اتنا ونحن في ألمانيا نقول ألمانيا فوق الجميع وأتم أيها المصريون قولون في وطنكم مصروفو الجميع
 ولكن كلمتنا في هذا الاجتماع هي العلم والتفاهم بين الأمم الشرقية والغربية فوق الجميع)
 وبعد ذلك دعى للكلام الاستاذ (مارجليوت) للمستشرق الانجليزى المشهور وهو في العقد الثامن من
 عمره غيا الحاضرين وشكرهم على حقونهم واحترامهم وخس بالشكر العلامة زكي باشا على هذا الاجتماع
 الذى سبق ذكره في الألفية طول العمر على عمر السنين مستشهدا بأحد آيات المتنبى اه وأما ذكرت
 هذا لأنه اجتماع جمع من عظماء الشرق والغرب وكنائهم أبناء العرب طلب المساعدة من علمائهم في انرجنا
 من ذلك الاستعداد ، ذكرت هذا ليعرف أبناءنا بعدنا ذلك فيحترسوا
 (الذى أراه في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل)

أيها المسلمون إياكم أن يزعمكم باقتله عن ابن خلدون في قوله (ان الأمم العربية لاتسلط إلا على الباطل
 وانها ماخلت أمة إلا أسرع اليها الفساد وانها خربت أعما وأعما كما تقدم) فانه هو نفسه قال (ان ذلك ما
 حصل إلا بعد أن تناسوا الدين ورجعوا الى طبيعتهم) ثم ان الله مافعل ذلك إلا تحقيقا لوعده إذ قال - وذلك
 الأيام ندأولها بين الناس - ثم هو سبحانه وعدنا خيرا فقال - ولاتكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل
 فضال عليهم الأمد فقتس قلوبهم وكثير منهم فاسقون • اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد ينال لكم
 الآيات لعلكم تعقلون - اتنا وصلنا الى أدنى مراتب الاسلام في قرون وقرون سواء أكانا عربا أم تركا ،
 فهذه الأمم كانت تجهل الدين جهلا تلبا ، وهاهوذا وعد الله عز وجل بإحياء أمما قد ظلت إبانته وأقبلت أيامه
 (اجتماع الأمم بالعلم بعد الاجتماع بالعصية)

لقد تبين لكم من تاريخ الدول الاسلامية من كلام ابن خلدون أن قوامها لم يكن إلا على العصية فلا
 مهدى إلا بالعصية ولأملك إلا بها ، وقد تقدم أن العصية تضمحل وتضعف بالترف والترف من نتائج الملك
 إذن الاجتماع بالعصية والقرابة أمره زائل بالبرهان العمل . لقد وضع الصبح لنى عينين وجاء الحق وزهق
 الباطل ، إذن هذه القرون ذهبت ولم تفر الانسانية من الدين الاسلامى في سياستها بباطل ، ومامل المدينة المقامة

على العصبية والنسب إلا كمثل الشق المنى على جبال الظاهر فانه ذاهب متى قضى العاشقان شهوتهما وكسر سورة الشق والهام بفتور الشهوة وعلى مقدار ضعفها يقل الشق ثم يزول بتاتا . فأما الحب للمنى على العلم فلا حد لهواه ، حب الشاب لفتاة مجرد النظر الظاهر ليس كحب المتعلم للعالم الذى يهره بعلمه وسعره يسدح بيانه فيا بعد ما بينهما . ان الاجتماع الانساني للمنى على اللغة أو النسب أو المعاهدة أو التغلب أو نحو ذلك مما ذكره القاري ور بمازاه فى آتصر السورة . كل هذا لا ثبات له فلن هؤلاء تتحلل باهتمامهم متى خضعوا للترف وخضعوا لذات فأولئك تذهب مدينتهم هباء مشورا

﴿ الطريق الأقوم لسعادة الأمم الاسلامية للمستقبل ودوام ممالكها ﴾

انما السبيل لذلك أن تسمى كل أمة من الأمم الاسلامية حالا الى تعليم جميع أفراد الأمة رجالا ونساء وأن يتعاون جميع أهل العقل وذوى الوجاهة وأرباب الأموال فى تثقيف الشعب كله ، فإذا وقع كتابى هذا فى يدرجل ذى منزلة سامية فليصكره فى أقواله ليسع خالص أمته وأصحابه وأهل الوجاهة وأرباب الأموال وليسمر واعن ساعد الجبول يطموا الشعب كله وليفتحوا دور التعليم وتكن هناك مدارس ليلية يتعلم فيها الفلاح والصانع مبادئ القراءة والكتابة وتكن لهم مناهج بها يدرسون ما ينفعهم فى مهنة أيدانهم وطرق معاشهم ومعالجهم ويعرفوا ما حولهم من الخيرات فى الأرض ، وسيكون منهم أفراد ممتازون خلقهم الله فى كل قطر فهو هؤلاء يتعلمون ما يوفى عقولهم ويناسب أحزمتهم من العلوم والصناعات وهؤلاء يكونون عماد الأمة يقودون هؤلاء العامة فى أمور دينهم ودنيائهم ، وقد فقت أمثال هذا القول فى كثير من فصول هذا التفسير مثل ما ذكرته عند قوله تعالى - لا يكف الله قضا إلا لوسمها - فى آتو البقرة ، وهذا واجب على كل أمة وقعت تحت الفرنجة ، أما المستقلون فأمرهم معلوم فهم جميعا قد استيقظوا واقفة معين لكل مجد

لن ما أكتبه الآن متى عرفه المسلمون لا يفت فى طريقه مدفع ولا نار . إن العلم أمر روجى والعقائد متى رست قلن يعيقها عائق ولن يصتها صائد بل تأخذ بجراها وتنتهى الى نهائياتها ، فإذا قرأ المسلمون علوم الأمم الحقيقة بهم وأشرب حبها قلوبهم فهناك يظهر جيل جديد مغرم بحمائل الله ، مغرم بارتقاء الانسانية ، مغرم بالسلام العام ، علم ما يقوله فى صلاته - الحمد لله رب العالمين - لأرب المسلمين وحدهم ، وإذا كان الله صرى العالمين فلنكن متخلفين بأخلاقه وتطلب منه أن يهديننا الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو صراط الله الذى عرفناه فى السموات والأرض من القيام بالقسط والعدل والنظام والاحكام العلم لا الخلفى . حينئذ يكون كبار الأمم مشوقين لأن يقلدوا النظام العام فهم كحمة العرش أو كلائكة القين يقومون بنظام هذه العوالم كلها وهذه الحال هى الأنسب لما نرى من جبال الكواكب ولما نرى من هموم أتوارها وهذا كله فعل الله الذى طلب منه الهداية لصراته . إن للسلم خلق حياة أعلى من حياة هذه الأمم ومتى قرأ الناس هذا التفسير وأمثاله أشرأبوا الى هذه الحياة وعملوا لها ولن يفت الإصلاح بعد ذلك لأن الشق العام فى الأرض للنجوم والعوالم والأوتار وللكشف الحديث ولا استخراج ما فى الأرض والهواء من التمث الإلهية يزداد جيلا فجيلا ، ثم ان هذه الحال لا غاف زوالها لأن زوالها سببه الترف والتنعيم ، والترف والتنعيم إنما يكون عند القوم الذين جتمهم العصبية كملمالك الاسلامية بعد الصور الأولى ، والترف مهلك ولكن الأمم الذين يعرفون هذه العلوم ويدركون هذا الجبال وتكون لهم حكومات اتخايبه يصفون فيها أرتاهم عقولا وأذ كلهم وأصلحهم يدبرون أمورهم مع عموم التعليم وانتشاره وعموم الحركة العلمية والصناعية مع سن قانون بحرم البطالة والاستجداء من الناس لا يخاف عليهم ما كانت تخافه الأمم السابقة فأين الترف والتنعيم والبطالة والكسل والانسكال على ما يجيى من الناس بالصف والظلم فلا ظلم اليوم ولا اغتصاب للأموال بل هو نظام ثابت وكل مغرم بعلمه أو بصناعته قائم بواجبه هناك يكون العدل والحب والحق والسعادة له

﴿ عبدة نار بختة في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ ﴾

اعلم أيها الذي أن هذا النوع الانساني لا يزال في مبدأ تطوره انه أشبه بالأطفال أول المراهقين الذين يختصمون ويتقاتلون ويرجم بعضهم بعضا بالحجارة وهم أبدا في هرج ومرج ، وهذا هو نوع الانسان ، ذاك النوع الذي امتلأت نفوسه بالبر والاحسان والرحمة ثم غطى ذلك كله الشهوات والذات فاستحل ما كان مرا ، واستحسن ما كان قبيحا ، فترى مائة من مجتمعهم يلبثون الحيل لأخذ أموال الناس في ظلام الليل البهيم وهم المصوص وآخرون يقرصون في طريق السابلة فيقفون في القمار والأودية بعيدا عن العمران وهم في حاجة من القانون والشرطة ويحبون البللغة قتل وسرقة ونهب ، وقد تكون تلك الفتة أكبر وأكبر حتى تكون جيوشا جواره يقودها ملك كما اتفق للسلطان سليم ، ذلك الرجل المسلم الذي قرأ كتاب الله عز وجل ، فهذا الملك لم يحجزه الدين ولا العقل عن إذلال بعض الأمم الاسلامية وهم في ديارهم آمنون . إن هذا الانسان لا يزال طباعه وحشية ونفوس كثيره سبعة لا يحترمون الانسانية العامة ولا الاخوة الأدبية ولا الاخوة الدينية الخاصة

لقد رأينا ملوك أوروبا قد أجسوا كيدهم وأتوا صفا غارية المسلمين في دارهم أيام صلاح الدين الأيوبي وأشد من هؤلاء حمجية وأكثهم وحشية من يقتلون بأمة ويميتون أكافا من الناس وهم على دينهم وهم شريقيون مثلهم بلا إثم ارتكبوه ولا ذنب جنوه لإلأنهم أحياء مسلمون ، ذلك هو السلطان سليم سلطان الأتمة التركية وهو من بني عثمان فقد أهقى على مصر سنة ١٥١٧ أفرنسية والبلاد كانت بلدا صناعية زراعية وكان لها أسطول قوى يحمي تجارتها بينها وبين الهند وهكذا بينها وبين أوروبا ، فهؤلاء الترك لما دخلوها شقوا سلطانها (طومان باي) بمصر بعد ما قاتلوا السلطان القوي ببلاد الشام وشتموا شمل للمصريين وأخذوا أعظم العمال في البلاد وهم ألف صانع وسالوهم الى الاستانة وفصلوا ما بين مصر وأوروبا والهند فأصبحت البلاد زراعية واستحال ضيقة بعد أن كانت قوية وماتت الصناعة فيها ولحقها البوار وحل بها الكساد وصار الناس ﴿ طبقين اثنين ﴾ طبقة الفلاحين للعمل وطبقة الموظفين للظلمة والمال والجاه . أما طبقة الصناع فهي ليست ذات بال ، ولقد سمرت الروح الزراعية في البلاد وأحمت الصناعة واستولى الحكم على أهم موارد البلاد وهم ظلمون ، وسرى ذلك الداء في الأتمة أربع مائة سنة ، ولا زال لهذا الخلق بقية باقية في البلاد الى وقتنا هذا ، كل ذلك من حمجية الانسان الأولى وقسوته وطغيانه ، فهذا ملك مسلم لم يمنعه دينه من تغير طباع أمة قد خلقنا الله فيها في هذا الزمان وأرادت أن تجاري الأمم ولكنها بطيئة التغير بما ورثت من صفات وضعها أبناء بلاد السلطان سليم الذي أعظم أمر الحكم فلم السطوة والثروة وسواهم لاهو في العير ولا في النغير . وامتد هذا الخلق في أهل بلاد في عصرنا الحاضر إذ استقلت البلاد استقلا لا سيما ومع ذلك بقي هذا الخلق في أهلها ففهمهم من التخلص من قيود الاحتلال . مثلا نجد رئيس حكومة إيطاليا (ماسولينى) راتبه (٣٠) جنيا شهريا . وهذا مثل ضربته لنظرائه في أوروبا ولكن مصرفها اليوم أى سنة ١٩٢٨ م نحو (٦٠) وزيرا يتناول كل منهم معاشا قدره (١٥٠٠) جنيا في العام وابتلت الوظائف مائة حكومة البلاد فصارت تقرب من نصفها وهذا سبب الخلق الذي ورثناه من سلاطين آل عثمان لما حكموا البلاد

وكا أثر سلاطين آل عثمان في أخلاق أمتنا المصرية أثروا في قوتها العلمية فإن الفاطميين أسسوا الأزهر وعلموا فيه مذهبهم (٢٠٠) سنة أى مدة بقاء دولتهم بمصر . وفي نظير الأزهر أسس (نظام الملك) المدرسة النظامية في بغداد لتعليم الدين الاسلامي على مذهب أهل السنة ليقاوم التعليم الشيعي في مصر لاسيما ما كان منه في (دار الحكمة) أو (دار العلوم) التي أسسها الحاكم بأمر الله بمصر . ولما تغلب صلاح الدين الأيوبي على الفاطميين (سنة ٥٦٧ هـ) أبدل تعليم المذاهب الأربعة بتعاليم الشيعة في الأزهر ودعا للخليفة العباسي وأدخلت فيه العلوم الرياضية والنجوم وغيرها وحج إليها الطلاب أفوليا من أقاصى البلدان . ولما زالت الدولة الأيوبية ودحات

مصرفي حكم الممالك أولا ثم في حكم الأثراك أخيرا انحط شأن اللغة العربية والعلوم وكان آخر انحطاط وتدهور لها في القرن الثامن عشر المسيحي ، ثم أخذت تسترد البلاد بعض مكائنها أيام محمد علي باشا ، ولا زالت في ارتفاع وانحفاض للآن تمشي يبطء وتستقر في أنيال الخجل بين الأمم وهذا زمان نهوض الأمم جعاء قلابد من نهوض هذه البلاد ، وانما ضربت هذا المثل وهو مثل المصريين مع الترك لأبين لك بكل جلاء ووضوح كيف يكون إفساد الملوك إذا دخلوا قرية ، وكيف يجعلون أعزّة أهلها أفلة ، فالاقصاد في مصر شمل القوة العقلية والقوة الصناعية وقوة اللغة ، فكل الرياضيات ونحوها والطب وأمثالها ليست من الأزهار الشريف وهكذا الصناعات وهكذا ماتت العزّة القعصاء وألمة النشاء وهي اللغة والتبرّي من الترف فإن الترف ما دخل أمة إلا أفسدها فكثير من مصر الحكماء المترفون المغمسون في الذات واستمر ذلك الخلق حتى لمع بعض أهل بلادى الآن • والدليل على ذلك مرتب الوزراء الضخم المتقدم ذكره ، قال تعالى لقوم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض فغير الحق وما كنتم تفقهون - فصل الأذكياء قراء هذا التفسير أن يكونوا قادة للأمم الإسلامية وليعلموا أهل البلاد صغيرا وكبيرا بالتدريج وليجتنبوا في إفهام الشعب هذه المعاني وليرتفعهم على الصناعات والعلوم وليمنعهم من الترف والنعيم كما كان الترك قبل انقلابهم الأخير إذ اختصوا بالحرب والعظمة على الناس فافهموا في الترف على طول الزمان فخلعهم وقاب الأمم واستزافهم أموالهم - إن الانسان لظالم كفا - إن المسلمين في المستقبل غيرهم بالأس - واقعة يعلم وأتم لاتعلمون - واقعة غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

(الطبقة الثالثة في قل عرش بلقيس ونحوه)

لأقل لك من (كتاب الأرواح) شفرة تناسب هذا المقام ، قد جاء في صفحة ٥٥ ماضه واليك الآن شرح كيفية مخبرة الموائد ومقا تطعيم الأرواح ذاتها المتقول في (كتاب الوضاء) لعلم الفيلسوف (الآن كردك) وهلهوذا

(س) هل السيل العام عنصر الأشياء كلها ؟

(ج) نعم كل مافي الكون مركب من العنصر الأصلي

(س) هل من مناسبة بينه وبين السائل الكبير باني ؟

(ج) إن الثاني مركب من الأوّل

(س) في أيّ حالة يظهر السيل العام على بساطته الأصلية ؟

(ج) لا تظهر بساطته الأصلية إلا في الأرواح النقية ، أما في عالمكم فهو متقلب أبدا متغير متحرك منه

المادة الكثيفة المحيطة بكم ، انما السائل الذي يقرب منه بالأكث في أرضكم هو السائل المغناطيسي الحيواني

(س) كيف يتمكن الروح من تحريك الجاد ؟

(ج) يمزج جزأ من السيل العام بالمائع الحيوي المنبعث من أعصاب الوسيط

(س) هل تنهض الأرواح المائمة بأيديها الممسمة على نوع القول ؟

(ج) بل عند ما يبدل الروح أن يحرر المائمة بحياتها اصطناعية بواسطة السيل العام والسائل المنبعث

من الوسيط وبعد ذلك يجتنبها ويحركها بقوة ما به من السائل المصموص المنبعث منه بفعل الإرادة وعندما

يكون الجرم الذي قصد تحريكه قليلا جدا يستعين بأرواح أخرى تأتي لمساعدته

(س) هل الأرواح التي تأتي لمساعدته أدنى منه وتحت أمره ؟

(ج) الغالب هي أرواح مقفونة

(س) هل لكل الأرواح كفاءة على إتيان تلك الأعمال ؟

(ج) لا تأتي هذه الأعمال إلا أرواح سفلية لم تتجرد بعد من المؤثرات المادية

(س) لستأبجهل أن الأرواح العلوية لا تنزل لعمل ما لا يليق بها فقط لسأل عما اذا كان لهذه الأرواح

المجردة من الماديات مقدرة على إنشاء هذا العمل اذا أرادت

(ج) لها القوة الأدبية كالتيها القوة الطبيعية فاذا اقتضت الى هذه تستخدم من يملكها كما تستعملون

أتم العتالين لرفع الأقال

(س) يظهر من قولك أن الضمير الحيوى مستقر فى السيل العلم وبما أن الجسم الروحانى مركب من

هذا السيل قبلونه لا يستطيع الروح أن يأتى عملا فى المادة المهيولة

(ج) نم وهو يحى المادة الجذادية بنوع ما حياة اصطناعية فخلية مقادة لاشارته ، فالروح إذن لا يحرك

المادة أورفضها بقوة ذراعها بل للمادة الحية تتحرك من نفسها لاشارته

(س) فما دخل الوسيط فى هذا الحادث

(ج) قد قلت لكم إن للمائع الحيوى الذى لا يملكه إلا الروح المتجسد أى الوسيط يستعبره الروح الذى

لم يتجسد ويمسك بمقدار من السيل العلم وبهذا المزيج يحى المادة وهذه الحياة مؤقتة تتلاشى مع العمل

وأحيانا قبل نهايته ان كان السائل المنبعث من الوسيط ضعيفا

(س) هل يستطيع الروح أن يعمل بمزول عن الوسيط ؟

(ج) كلا . فقط يعمل أحيانا من غير علم أى ان من الناس من ينبعث منهم هذا السائل الحيوانى من

غير علم منهم فيستعبره الروح ويحدث تلك الأعمال البدنية من دون وجود وسيط ظاهر يساعده على عمله

(س) هل للمادة التى أحيائها الروح تفعل ما تفعل

(ج) لا عقل لها أكثر عما لها التى تشيعرون بها لأن ماها من الحياة الصنافية تجعلها فقط مقادة

لحركات الروح فلا تفرها أن الحلاولة للمتحركة روح لأنه ليس لها من ذاتها فكر ولارادة

(س) ما العلة المتغلبة فى الحوادث الروحانية ، أهى الروح أم السوائل ؟

(ج) الروح هى العلة والسوائل هى الواسطة الآلية وجود كليهما ضرورى

(س) ما وظيفة ارادة الوسيط فى هذه الحوادث

(ج) وظيفته احضار الأرواح ومساعدتها على تنفيذ السوائل

(س) هل فعل الارادة ضرورى بوجه الاطلاق ؟

(ج) انها تساعد على العمل وتزيده قوة ولكن ضرورتها ليست بمطلقة لأن الحوادث تتم أحيانا رغما

من هذه الارادة حتى يدون عليها ، وهذه برهان على كون علة الحوادث ليست فى الوسيط

(س) لماذا ليس لكل الناس هذه الخاصية

(ج) لاختلاف الامزجة والصعوبة التى يلقاها الروح فى تركيب السوائل فبعض الوسطاء لا ينبعث منهم

المائع الحيوى إلا بفضل الارادة وغيرهم يتدفق منهم بسهولة طبيعية فيستعبره الروح ويعمل فيه بدون علم

منهم ، لهذا ليس لكل الوسطاء قولت متساوية

(س) أيستقر الروح القاعل بالمادة داخلها أم خارجا عنها

(ج) يعمل فى كلا الحالتين لأن الروح يتدفق فى الجداد ولا يعوقه عائق من المدخول فى أحسن الاماكن

والنفوذ فى أكثف المواد

(س) كيف يعمل الروح عند طرفة الموائد

(ج) مطرقة السائل المتخرج الذي يستعمله في التحريك وفي الطرق فغند ما يحركها ينقل اليك النور
مرآتي تحريكها وعند ما يطرقها ينقل اليك الهواء صوت طرقتها
(س) لا يصعب علينا ادراك ذلك عند ما يطرق الروح الجاد ، ولكن كيف يستطيع أن يسمعنا أصواتا
وألفاظا مركبة

(ج) بما أنه يعمل في الجاد لا يصير عليه العمل في الهواء أيضا ، وأما الألفاظ المركبة فيقلدها كما يقلد
باقي الأصوات

(س) تقول ان الروح لا يستعمل يديه في تحريك المواضع انه قد شوهد في جهة حوادث نظرية ظهور
أصابع تمر على ملابس الارض لضرب الألمان ، أليس هنا حركة للملابس متأينة عن ضغط الأصابع لها
(ج) يتعز عليكم بعد ادراك طبيعة الأرواح وكيفية فعلها إلا بأمانة متقلبة لاغلا أذهانكم فلا تتصوروا
طرائق أعمالها منبهة لطرائقكم ، أما قلت لكم ان فعل الروح مناسب لطبيعته وأن سواكل الجسم الروحي
تنفذ في المادة وتحيا حياة صناعية ، فغند ما يضح الروح أصابعه على دساتين الارض يضمها سقا بل يحركها
ولكن ليست القوة العضلية هي التي تضغط على الملابس بل الملابس التي يحياها كأي الحيوان تتحرك من نفسها
بفعل إرادته وتحدث الصوت ، وقد يحدث أمر يصعب عليكم فهمه وهو أن بعض الأرواح السفلية للتأخرة لا
يزال غرورها الحياة مركبا عليها فتظن بنفسها انها تتصل كما لو كان لها جسم مادي فلا تدري بملة ما تأتيه من
الأعمال كما لا يدري الفلاح بأصول الألفاظ التي يركبها ، فإذا سئلت هذه الأرواح كيف تضرب على الارض
أجابت انها تضرب بأصابعها لجهلها بالغة الحقيقية فيحدث الفعل فيها غريزيا دون أن تدري بأصوله وهكذا
قل عن الألفاظ التي تسمعها

(س) يظهر في بعض الحوادث الروحية ما هو متناف لكل التواضيس الطبيعية المعروفة . أفلا يجوز الاستنباط
في صحتها ؟

(ج) السبب في ذلك بعد الانسان عن معرفة كل التواضيس الطبيعية فلو عرفها كلها لأصبح روحا عاليا
ففي كل يوم تظهر اكتشافات جديدة تكذب من عثر بضه انه قد بلغ منتهى المعرفة ولم يبق شيء خافيا عليه . فهذه
الاكتشافات المستعجدة يله الله الانسان انه لا يثق بأفكاره لعله إذ سيأتي يوم فيه يعود علم العلماء خزيا لهم .
ألآرون يوما أجراما تنظب حركتها على قوة الجاذبية كقوة اللدفع المتقنوة في الهواء والمنطاد المتطابق في القلابة
كفأكم تكبرا يا بني البشر . الأخرى بكم أن تقرأوا بضعفكم ومجزمكم عن ادراك كل شيء

قال شير محمد لما سمع هذا القول . هذا رجوع الى ما قبل في القرون الأولى والأعصر المظلمة من أن الأرواح
لها قدرة على رفع الأقال وعظائم الأعمال بأسباب يزعمها اقوام انها طبيعية . قلت نعم ولأعرا على العلم اذا كشف
اليوم ما أنكره أمس وهذا يا شير محمد رجوع منك الى مبدأ الترفع والاستكبار عن القول بصحة ما قبل في
الأعصر الغابرة ولكن علينا أن نخضع للعلم ونضع الكبرياء فالحليل واضح والصدق راجح
وليس يسح في الأذهان شيء . اذا احتاج إثبات الى دليل

قال إذن هات القصة الثالثة عسى أن تكون أدنى حجة وأهدى سبيلا وأقوم قبلا وأرجع ياما وأقوى
نبينا وأعز مرأما وأرفع مقاما . قلت روى العلامة (والاس) الانجليزية في صفحة ٧٣ من الكتب المذكور
مانسه بالحرف الواحد

(أعجب ما رأيت من وسيلة الآنة (نيشول) إيجالها زهورا وفواكه داخل غرفة محكمةغلاق في أول
مرة بدا على يدها هذا الحادث كانت في منزلي بصحبة بعض من أخصائي فبعد أن تناولنا الشاي لأننا كنا
في فصل الشتاء دخلنا بحجرة صغيرة مظلمة بأحكام وما قدما برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التي جلينا

سوها كية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقحوان الأصفر وخلافها من الزهور الربعة وكل أوراقها غضة ناضرة مكاة بالندى الرطب فيسهاكلها وحفظها بإعتناء بعد أن علق عليها شهادة بمضاه من الحضور . وحوادث كهذه تكثر أمامي مئات من المرات وفي محلات شتى وظروف مختلفة ، فتارة جاءتنا الزهور بكيميات وافرة وطورا مصحوبة ببعض ثمار يطلبها الحضور . وفي إحدى الجلسات طلب صديق لي الى الروح إحضار دوار الشمس فما مضى هنية حتى رأينا انه انحطت على المائة هذه الزهرة وعلاؤها ستة أقدام وجرتومها مكسوة بكومة من التراب . وفي جلسة أخرى حضرها المسيو أوقف ترولوب والكولونل هارفي وقد قصد هؤلاء الأشراف قبل إقامة الجلسة أن ينشوا الفرقة جيدا في كل أنحاء وأوعزوا الى مدام ترولوب بأن تقصص جيدا كل قطعة من ثياب الآنة (نشول) ثم جلسنا حول المائدة والمسيو ترولوب قابض على يد الوسيطة وبعد مضى عشر دقائق استنشقا جيها اريج زهور فأوقدنا حالا الشمعة فوجدنا أذرع المسيو ترولوب والآنة ينشول مكسوة بزهر النسرين اه

وأغرب المنقولات التي تحدثت بها مؤخرا المجلات الروحانية منقولات الزهور على يد الوسيطة (حنوت) ومنقولات الآثار القديمة والنباتات حتى الأسماك وبعض الطيور الحية على يد الوسيط الشهير بايلي . وقد شهد هذه الغرائب كثير من مشهورى العلماء في استراليا وإيطاليا وألمانيا وخلافها من الممالك الأوروبية التي تجول فيها الوسيطان المذكوران . روى المعلم الفيلسوف (الآن كاردك) في (كتاب الوسيط) حادثة قريبا شاهدته عيانا والأسئلة التي طرحها على الروح التي أتم الحوادث والملاحظات الأصولية التي علقها روح علوى على أجوبته كما يأتي

(س) نرغب اليك في أن تقيدنا إلى الأتوى الروح على إحضار المنقول إلا عند إلقاء الوسيط في السبات المغناطيسى
(ج) السبب في ذلك طبيعة الوسيط ومزاجه فما أستطيع فهمه مع هذا وهو أنهم أستطيع انشاء مع آخر وهو بظننا

(س) لم تتأخر طويلا في إحضار المنقول وجميع يشنة رغبة الوسيط في ذلك
(ج) إطلاعة الوقت ضرورية لي لمزج السوائل ، أما تهييج رغبة الوسيط فن باب التسلية والراح (ملاحظة الروح العلوى) لم يصب في جوابه ولا أدرك غاية تهييج رغبة الوسيط فظنها بابا من التسلية مع ان مفعولها إثارة رشح السائل الحيوى بزيادة وهذا ناتج عن الصعوبة التي يلقاها الروح في هذا الحادث عند مالاتكون وساطة الوسيط بديهية

(س) هل للمحضور تأثير في اتخاذهم
(ج) إن انسكروا الحضور ومقاومتهم تركبنا في العمل جدا فلهذا تؤثر بسط مالدينا أمام ناس مؤمنين خبراء بأصول الروحانية

(س) من أين أحضرت الزهور والحلاوى
(ج) قففت الزهور من البساتين
(س) ومن أين أخذت الحلاوى ، أما درى البائع بتقصاتها
(ج) لى أخذ الحلاوى من حيث أشاء ولا يتضرر البائع بذلك لأنى أضع له بدلها
(س) والحلوات التي أحضرتها أليست بذات قيمة فكيف لا يتضرر صاحبها بخسارتها
(ج) أخذتها من محل لا يعرف أحد بنوع الإحصال لأحد ضرر من ذلك

(ملاحظة الروح العلوى) ليس الجواب بمستوفى الشروط والروح يحاول فيه لقناعكم باستقامته وعدم تضرر أحد بسرقته والحال أن الشئ لا يعرض إلا بمنه وذى قيمة واحدة فلو أمكن الروح ابدال الشئ بظيره ما

احتاج الى أخذ الأول بل استعمل الشيء الثاني مكانه

(س) هل قوى على إحضار زهور من كوكب آخر (ج) كلا . هذا مستحيل
(ملاحظة الروح العلوى) أبلج بالصواب وذلك لاختلاف السوائل المحيطة بكل من الكوكبين

(س) هل تستطيع إحضار زهور من خط الاستواء
(ج) أستطيع قتل الشيء من أى بقعة من الأرض كانت
(س) هل تستطيع رد الأشياء التى أحضرتها وارجاعها الى مكانها
(ج) كما استطعت إحضارها هكذا أستطيع لرجاعها

(س) هل تشعر بنب في انشاء العمل
(ج) لا يكفى العمل تعباً طويلاً أنا مأذون فيه إنما تلقى العناء الشديد في أهمال لا يؤخذ لنا فيها
(ملاحظة الروح العلوى) لا بناء أن يقر بما ينويه من التعب الجسيم من عمل كهذا ماذى على نوع القول
(س) ما الصعوبات التى تلقاها (ج) أخصها سوء السوائل وعدم ملائمتها لعملائنا
(س) كيف تحضر المنقول ؟ هل تمسكه يدك (ج) كلا بل أخفيه في
(ملاحظة الروح العلوى) بل هذا غلط لأن الروح لا ينفى المنقول في شخصيته بل يترج شيئاً من سائل
جسمه الروحاني الشديد التمدد والانبساط بجزء من السائل الخيوى للنبث من الوسيط ، وبهذا المزيج يستر
المنقول ويحميه

(س) هل يصير عليك إحضار شيء ثقيل الوزن
(ج) لا فرق لوزن المنقول عندنا وإنما تؤثر جلب الزهور لطيفها ولطافتها
(ملاحظة الروح العلوى) هذا صحيح فانه يستطيع إحضار ما وزنه مائة ومائتا كيلو دون أن يرتبك بهذا
الثقل ، فقط بما أن كمية السائل المعزوجة يجب أن تكون مناسبة لجسم المنقول (وبجارية أخرى) بما
أن القوة هى بموازنة المداخلة ينتج أن الروح لا يحضر زهوراً أو أشياء خفيفة إلا لعدم وجوده في الوسيط أو في
نفسه المائع الضروري لنقل ما هو أثقل منها

(س) هل يتوقع أحياناً اختفاء أشياء سببها الأرواح
(ج) نعم قد يتوقع ذلك ويمكن استرجاع الشيء بالتوصل الى الروح في رد ما أخذه
(ملاحظة الروح العلوى) هذا صحيح وقليلاً رد الروح ما أخذه ولكن بما أن ضلأ كهذا يستدعى ظروف
الثقل ذاتها فينتج أن وقوعه خارجاً وضياح الشيء يتأذى عن طبعكم لاهن فعل الأرواح
(س) أليس من المنقولات ما يوصفها الروح من نفسه بما يأتيه من التغيرات في السبيل العام
(ج) أنا لا أستطيع ذلك ولكن روح أرفع منى لا يهجزع
(س) كيف أدخلت هذه الأشياء الفرة وهى محكمة السد

(ج) أدخلتها منى وأنا عمتن لها بجوهري ولا أستطيع أن أشرح أكثر من ذلك
فلما أن سمع ذلك شير محمد رأيت استبشر وفرح وإنهج وانشرح وقال يسيدنى إن مثلى أنا وطلاب
العلم في هذا اللقاع كمثل صبية مغار ملت عائلهم وهم لاسبس عندهم ولا لبد ولا حول يدهم ولا قوة ، يفترشون
الثرى على الجيوب ويلتصقون السماء بعد الغروب فقال لهم قاتل أبها الصبية المعدمون واليتامى الملقون
هل جاءكم نبأ عما تملكون من القناطير المقتطرة من الذهب والفضة والحبل السومة والأفهام والحرق بما
تركه أبوكم في قرية تبعد عنكم بأبمال وأتم لاصلمون فقالوا مالنا بهذا من علم إنما نحن صماليك محقررون
وصغار منهموكون ، وفقراء محرومون ، وأدلة معدمون . ولكن هذا الكلام قد ترك أثره في أفئدتهم ، ومنج

الفرح بفرحهم ، فأنشأوا ينساقون ويسألون الركبان ، من كل غاد ورائح ، عن هذا النبا العظيم ، وهم بين تصديق وتكذيب وقريب وتبعد ورجاء وآس وأمل وقنوط حتى إذا جاء من بيده الحل والعقد وقيل لهموا يا أبناءي فانظروا ، هذه أرضكم وغيلكم وأنعامكم ، ففروا عنا ، وانشروا صدورا ، وطيخوا أنفسا ، واصبروا قليلا لنبلوكم حتى تبلغوا سن الحلم فان أنسا منكم رشدا دفعنا إليكم أموالكم وعسى أن تعرفوا قيمها وتقوموا بحفظها ولا تنهاروا في حفظها وعسى أن تكونوا من القلحين

ذلك يا أستاذي مثنا وقد عشنا في الدنيا جاهلين وقرأنا كتب المرسلين فسمعناهم حدثونا بحدث البقاء بعد الموت وذكروا عوالم تلاء السهل والجبل والبر والبحر تكشفنا آتى توجيهنا وقبض معنا آتى عشنا وتلقى الينا علما وتلقى الينا بحكمة وأن منها من ترفع الأقال من مكان الى مكان . أوليس من الهيب أن حديث بلقيس وميدان سليمان في هذه السورة له اتصال بهذا الحديث . ومن ذا الذي كان يدور بخده أو يخطر بقلبه لو يهيج له أن العلم يكشف لنا جوار قل عرش بلقيس من العيون الى الشام قال تعالى - قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - بعد أن كانت تلك القصص مما نسمعه ونؤمن به لفظا ولا نفقه له معنى . انضح الأمر وظهر ونجلى للعيان وعلما أن ذكر مثل هذه القصص لاستيقاظ الأمم يعلم الأرواح ليرقوا شعوبهم وأن البحث في تلك الأحاديث من أقوى أسباب ارتقاء العقول وارتقاء الأمم ليكون الشك سببا للبحث والبحث مقدمة الوصول وانظر كيف يقول الله تعالى - ليبلوني أأشكر أم أكفر - ولأجرب أن غرائب عالم الأرواح نعمة عليا ، فمن الناس من يستسك بها ومنهم من لا يبالى ويقول لا خبر فيها لا طعام فيه ولا لباس ولا آلة ولا جاه ، فإنا وما للأرواح والآخرة والأولى - إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا النهر وما لم يهلكنا من علم لأن هم إلا يخرسون -

ثم قال شير محمد ، يا سيدي يقول السفهاء من الناس هل كان - الذي عنده علم من الكتاب - محضرا للأرواح . قلت ان قال قائل هذا قل له ذلك لاعلم لنا به وهذا مقام لاضل اليه وانما مقامنا أن الكشف للحديث أظهر وجود مخلوقات حية عاقلة روحية تصديقا للقرآن لما قدرة على حل الأقال ، فهذا ما رمى اليه ليقن من لا يؤمن بالقرآن أن ذلك حق ، فأما ما عدا ذلك فإلى به يدان . ولست أدخل في هذا الميدان مع من لا يعقل البرهان . فقال حسن - انتهى ما قلته من كتابي (الأرواح) وبهذا تم الكلام على القسم الثاني من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَاذَّابَ قَوْمَ ثَمُودَ فَتَحْتَصِفُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَكُمْ تَزْحَمُونَ * قَالُوا أَطِيعُوا بَنِيكُمْ وَبَنِيكُمْ قَالُوا طَاعُوا اللَّهَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ نِسَاءٌ زَهَّابٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ * قَالُوا قَاتِلُوا إِبْرَاهِيمَ وَلِقِينَتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَنَاجِرَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِيهِمْ أَنَا دَرَسْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ • فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ
عَمَّا ظَنَّمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • وَلَوْ مَا إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ • أَأَنْتُمْ كُنْتُمْ أَتَوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلَى أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ • فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَعْطَلُونَ • فَأُنَجِّينَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مَعَ الْكَافِرِينَ •
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ •

﴿التفسير الغنظي﴾

قال تعالى (وقد أرسلنا إلى ثمود أنهم صلحا أن اعبدوا الله) بأن اعبدوه (فلما هم فريقان يختصمون)
مؤمن وكافر يختصمون في الدين (قال يا قوم لم تستجلبون بالسبحة) بالبلادة والعقوبة (قبل الحسنة) العاقبة
والرحمة (لولا) هلا (تستغفرون الله) بالتوبة إليه من كفركم ومعاصيكم (لعلكم ترجون) لاصدقون في الدنيا
(قالوا اهدونا) تهادنا (بك وبمن معك) إذ تابعت علينا الشدايد فتفرقت كلتا وجس القطر عنا وذلك
بثؤمك وشؤم من معك (قال طائركم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر مكتوب عنده ، وسعى طائرا
لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم ، ويقال (طائركم حملكم لسرعة صعوده) وقوله (بل أنتم قوم
تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء وهذا اضرب عن بيان طائرهم وهو مبدأ ما ينزل بهم من الشر
إلى ذكر سببه (وكان في المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وطومن الثلاثة إلى العشرة والنفر من ثلاثة إلى تسعة
(يضلون في الأرض ولا يصلحون) شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح (قال بعضهم لبعض
تقاسموا بالله) أي أحلفوا به (لثبته وأهله) لتباغثن صالحا وأهله ليلا (ثم نقولن لوليه) لولى دمه (ما
شهدنا) ما حضرننا (مهلك أهله) أي قتل صالح وأهله فما ندرى من قتله ولا من قتل أهله (وإنا لصادقون)
ونحلف إنا لصادقون (ومكروا مكرا) غدروا غدرا حين قصدوا قتل صالح ومن آمن معه من قومه (وملأونا
مكرا) دبرنا تديبا بأن جعلنا الهلاك لهم (وهم لا يشعرون) بذلك ، ثم أبان ذلك فقال (فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم أنا دمرناهم) أهلكتنا التسعة • روى أنه كان صالح في المحرم مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه
يفرغ من آلى ثلاث ففرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقعت عليهم صخرة من جبالهم
فطبقت عليهم الشعب فهلكوا وهلك الباقون في أما كتبهم بالصيحة. وإلى هلاكهم أشار سبحانه بقوله (وقومهم
أجعين • فتلك يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ عَمَّا ظَنَّمُوا) بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) لمبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا
(وأنجينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الكفر والشرك فلذلك خصوا بالنجاة (ولو ما) واذ كرلوطا ثم أبدل منه
قوله (إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وهو إما من بصر
القلب ، ولا ريب أن إقرار الفاحشة من العالم بها من أقبح الذنوب ، وأما من بصر العين لأنهم كانوا يأتونها
و بعضهم يبصر بعضا ، ولا جرم أن فاحشة العلانية أقبح من فاحشة السر ، ثم بين تلك الفاحشة وعلاها الشهوة
إعما لاجدائها ومنافاتها الكمال متى خلت من الحكمة في خلقها وهي أن يطلب منها النسل فقال (أنتم
تأتون الرجال شهوة من دون النساء) اللاتي خلقن لتلك (بل أنتم قوم تجهلون) تعلمون فعل من يجمل
قبيحا أو يكون سفيا لا يميز بين الحسن والقيح أو تجهلون العاقبة (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخْرِجُوا

آل لوط من قريشكم إنهم أناس يتطهرون) يتزهدون عن أفعالنا ويمتنعوا قنرا (فأنجيناها وأهلها إلا امرأتها قنرها من الفارين) قنرنا كونها من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هي الحجارة أى أمطرنا على شذاذهم والمسلمين منهم (ضياء) قبس (مطرا لنذرين) مطرهم . انتهى التفسير اللغوي للقسم الثالث من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في قوله تعالى أيضا .. إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله تعالى - فذلك يوتهم خاوية بما ظلموا - أيضا ﴾

اعلم أن الأمم الإسلامية أصابها ما أصاب الأمم فظلموا غفروا البلدان التي فتحوها مصداقا لحديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » . إن الله عز وجل يلزمنا لكل أمة والله عز وجل لما أنزل القرآن وجهه نورا مينا وأمر المسلمين أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس فيجعلوا العالم كله أمما متعلوثة فلا ظلمة ولا مظلمة . ولقد ظهر في أوروبا وفي الشرق من الآراء ما يناسب ما ذكرناه ليزول الظلم من أهل الأرض وهو الذي كان يأمره نبينا ﷺ إذ يأمر بالحق والرحمة ويقول الله الله . فلا اتهم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقية . وأطعم في يوم ذي مضبة . يتبعها ذا مفرية . أو مسكينا ذا مفرية . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة . . إن السلم هو الذي يوصى غيره بالصبر والرحمة العاتية . وليعلم المسلمون أن أهل الأرض مستحقون لذلك . فلذا بلغ المسلمون ذرى المجد في العلم والعمل فليرقوا الإنسانية والتفكير على أن الأمم قائمة لذلك ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في رأى فيلسوف الصين « كوفوسيوس » في دولة العالم ﴾

معلوم أن تعاليم (كوفوسيوس) الفيلسوف كانت ترشد الشعب الصيني العظيم وتكون مصيره ومع انه قد مضى عليها ألوف السنين يقول دارسوها انها تنحصر من الآراء والنصائح والتفكرات ما يكاد يكون حصريا ﴿ مثال ذلك ﴾ ما اقتبسه (الستافورد مارتن) من هذه التعاليم من دولة العالم وهو بالترجمة كما يلي ﴿ عند ما يسود مبدأ اللولية يصير العالم بأسره جمهورية واحدة وتنتخب الأمم أفضل ذوى مواهب ومقدرة فيشكلون عن الاتفاق الحقيقي ويتفقون الرئاسات العالمية ويصبح الناس والحالة هذه لا ينظرون الى والديهم بأنهم والديهم غصب ولا الى أولادهم بأنهم أولادهم غصب ، وسيعين للفقير في السن معاشا حتى وفاتهم ويدبر عملا لرجال تقدمهم الشيخوخة ويقدم للأحداث ما يساعدهم على النمو والتقدم في مراحل الحياة . أما الأراذل والأيتام والمطلوعون والجهرة من تأثر الأمراض فكلمهم تكفل بهم الحكومة وسيضمن لكل رجل حقه ولكل امرأة شخصيتها ﴾ انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

في ذكر ما جاءه عن أحد الضباط الأوربيين إذ منحه الأمير عبد الكريم بعد انخداذه . وهذا نص ما جاءه في جريدة الاهرام بتاريخ ٦ مارس سنة ١٩٢٩ م

﴿ عواطف كريهة ﴾

(كبت كتنج في شعره)

عرفنا من قبل الكبت كتنج رجلا أيا هما أعجب بشجاعة الرقيق وساء ما يلحق حقهم من باطل أعدائهم فانتدب يسى السلم بين عبد الكريم وأعدائه سبعا لم يقصر فيه ولكن خيبه ظلم السياسة وكبرياؤها فهل عرف قومنا أن هذا الرجل الانكليزي الشريف شاعر رحيم القلب على النفس ، يستعرض في شعره الماضي والحاضر ليشيد بذكر العظماء ويقضى حق البطولة أتي وجدها ؟ وهل عرفوا أن لعظماء التاريخ الاسلامي من شعره المكان الأول والصيب الأوفر ؟ طلع علينا (الكبت كتنج) منذ عامين بطائفة من شعره سبها

(موت أكبر وقصائد أخرى) خص بمحظ صفحتها جلال الدين أكبر شاه ملك الهند العظيم قتل هذه العظمة على سرير الموت محضرة ، وما أوسع هذا مجالاً لقرعة شاعر كبير القلب ذكى النواد
ثم نشر هذا العلم طائفة أخرى من شعره عنوانها (أوبعد الله وقصائد أخرى) وهي مائة وخمسون
صفحة من الشعر الجيد تسترق قصة أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة أربعمائة وثلاثين ومائة صفحة منها ، وقد
أعطى فيها الشاعر للتاريخ نصيبه وللإنسانية حقها وأن النفس الكبيرة التي هتتر البطولة وتحبب عليها في
بأساتها هي التي وقفت بالكسوف كنتج على أبي عبد الله في أيام محسه كما وقفت به من قبل على جلال الدين
أكبر في سرير موته ، وكذلك قطعة عن جنة العريف فيها للشعر والقلب الطوف مجال واسع وأعظم مافي
الكتاب من بعد (قصيدتان • أحدهما) في رثاء المرحوم سعد بلش زغالول وكان الشاعر قد رآه حين
قدم مصر منذ ستة ونصف ، وفي هذه القطعة يصف بلفظ موجز وقع الصاب في مصر ومكة الراعي الفقيه من
قلوب أمته ، ثم يهيب بالمصريين ألا يأسوا وسبوا على ستة زعيمكم فليستقبل وصاء أممكم ، وحسبنا من نيل
الأخلاق والالتصام للحق أن يقف الشاعر هذا الموقف من رجل مات وهو في فضال سياسي يخاض فيه الانحياز
(قوم الشاعر) (والقطعة الثانية) نظمها حين أصدق بالزعيم الربيعي عبدالكريم محمد فاضله الاستسلام
لعدوه ، والشاعر يثل فيها رغباً محضراً يفقد زعيمه العظيم . انتهى الكلام على القسم الثالث من السورة

(القِسْمُ الرَّابِعُ)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ مَا يُشْرِكُونَ • أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُلْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ • أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا
أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
• أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَحْمِلُ كُفَّكُمْ خَلْقًا بِالْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ • أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ • أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قُلَّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ لَا يَعْلَمُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ • بَلْ أَذْكَرُكُمْ فِي
الْآخِرَةِ بَلَّ مَنْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلَّ مَنْ مِنْهَا غَمُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَكُنَّا تُرَابًا وَكُنَّا بِلَافًا
أَنْتُمْ لَكُرْجُونَ • لَقَدْ وَجَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ • قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ • وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي
صَبَقٍ يَمَّا يَمْكُرُونَ • وَتَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ هَسْبِيَ أَنْ يَكُونَ

رَدَفَ لَكُمْ بَغْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ • وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ • إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي كُنْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ • إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ • فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ • إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الْعُمْمُ الْغُفَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْرِينَ • وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ • وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ • وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ • حَتَّى إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا حَلُمًا أَمْ أَذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنُّوا فَهُمْ لَا يَتَقُونَ • أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا إِبِلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ فَقَرَعَ بَنٌ فِي السُّورِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا آمَنَ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنُودَةٍ دَاخِرِينَ • وَتَرَى الْجِبَالِ تَحْشَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَحٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ • وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ • إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ • وَأَنْ أَمْلَأُوا الْقُرْآنَ فَنِ أَعْتَدِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قَعْلًا إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ • وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَ بِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِأَقِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ •

اعلم أن الله عز وجل لما قص في السابق من هذه السورة نبأ داود وسليمان وقوم لوط وعمود وقد ورد ما استبان به عظمة الله وأعلمه على عباده من علم وحكمة لداود وسليمان وإطلاعه عليه السلام على عجائب الخليفة وبدائع الحيوانات في الجوفى القرباب وابتهاجه بحرقه غرائرها وطباعها وعجائبها وإلصاقه بجرات الجن والشياطين والملائكة وما خولم الله من قدرة وعلم ، وكيف رتبهم مراتب ونظمهم صفوفا كل فيما استعده من عفاريت يقدرهم على الأعمال بمشقة وملائكة يزاولونها بسهولة تبعاً لنفوسهم وصراتبها في الحياة والقي ، ومن نصر واعتلاه على أهل الكفر كما في قصة عمود وقوم لوط إذ أهلك الله الكافرين ورد كيدهم إليهم وأوقعهم في حفرة حفرها وداهاية لغيرهم طلبوها • لما قص الله ذلك وعرفت منه وقضله العظيم استبان به

أن النفوس الطاهرة الراقية تال العلم والنعم فلا جرم يستحق سبحانه الجدة على انعمائه وهؤلاء الأنبياء المخلصون سلموا من الأذى ونصروا على أعدائهم ، هاتان تيجتان لما تقدم ، انعام من الله وأمان للذين اصطفاهم ولا جرم أن ذلك يرجع الى أصل الموضوع وهو التوحيد ، فالنعم الواسلة للخطين من الأنبياء وغيرهم والسلامة الموجهة اليهم لأنهم وحلوا الله وساروا على نهجه في الأعمال الشريفة وتخلقوا بأخلاقه ، فإذا وجب أن نبين آيات من آياته ومجائب من بدائمه ليلحق الخلق بالسلف وقرأ الناس في سطور هذه الكتابات آيات الجبال كما قرأها سليمان في عالم الحشرات والطيور وعالم الجن والملائكة ليحذو حذوه في شكر الله وليكون هذا العلم ابتلاء لهم وامتحاناً حتى إذا عرفوا الموهبة شكروا النعمة والتحقوا بالمقرين كما قال سليمان - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي - وكما قال - ليلوئي أأشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فلن يرفي غنى كريم - هذا هو المقصود من ذكر هذه الآيات الآتية

وهي (١) خلق السموات والأرض (٢) وإزالة الماء من السماء (٣) وإنبات النبات (٤) وإبداع الحدائق البهجات (٥) وجعل الأرض قراراً بحيث أمكن الاستقرار عليها فاستقر عليها الإنسان والحيوان (٦) وخلق الأنهار الجارية في خلالها (٧) وخلق الجبال التي ينزل المطر منها في الأنهار (٨) وإبداع حواجز بين الماء للملح والعذب بحيث لا يختلطان (٩) واجابة دعاء من اضطر الى الله والتجأ اليه من كل مكروه (١٠) وكشف الضر عن الإنسان (١١) وجعل الناس سكاناً للأرض بالوراثة عن السابقين فيصترفون فيها قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة (١٢) وهداية الناس بالنجوم والعلامات في ظلمات الليالي بالبر والبحر وفي مشتهات الطرق كما يقال طريقة عبياء وظلمة التي لا تمار بها فأودع في قلوب البشر علوماً بها عرفوا طرق البحار ومسالكها ومدارات النجوم وألمهوا أن تكون لهم الإبرة المناطيسية لتدلهم على جهة الشمال تقريباً متى عرفوها عرفوا سائر الجهات بها (١٣) وإرسال الرياح مبشرات قبل المطر ليستعد الناس لقربها فربح من يستبشر (١٤) ولا جرم أن من قدر على هذا قدر أن يمد الخلق كما بدأه (١٥) ومن تأمل هذا عرف أن الله يرزق الناس بأسبب علوية وسفلية معاً ، فالعلم كله متفق في أعمال نتائجها متوافقة فقد اتحدت الأسباب السبلوية والأرضية وتعاونت على رزق الإنسان والحيوان ولا يصح هذا الاتحاد إلا إذا كان الصانع واحداً ولو تعدد فكان لكل إله عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هي حاصلة بهذه الوحدة لأن اختلاف المديرين يقتضي اختلاف النتائج والنتائج متعانة - إذن الإله واحد (١٦) ولا جرم أن ذلك يدل على أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض ولا يعلمه سواه لأن هذه النتائج الصادقة لا يستخرجها إلا العالِمُ بها ولا يعلمها سواه ، فإذا ن لا يعلم الناس متى يعيشون (١٧) بل انهم فوق ذلك تكامل علمهم في الآخرة واستحكم بدلائل وحجج قاطعة ومع ذلك هم متعبدون فيها شاكون بل هم فوق ذلك عبياً عنها لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم وهذا وإن ذكر أنه لمن في السموات والأرض ليس المقصد منه إلا التبرين كغروا

هذه المسائل السبعة عشر هي من قوله تعالى - وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - الى قوله - بل هم منها معون - ولعلم أن هذه النعم للذكورة تذكر للمسلمين وتبصرة لهم أن يعرفوا نعم الله تعالى ويققهوها ويدرسوها ويعملوا بها كما فعل سليمان عليه السلام فإنه لما علم علم الحشرات طلب من الله أن يلهمه الشكر على ذلك العلم ، ولما تال الملك في الأرض ووصل الى أقصى ما يرام من العلم جعل هذا اختباراً فهكذا فيمكن حال المسلم فيلدرس السموات والأرض والمطر والنبات والأشجار والبحار ويتوجه الى الله وعلى المسلمين أن يكونوا علماء بالنجوم والطرق في البر والبحر بالعلوم المختلفة وأن يذللوا الطبيعة بالدراسة لا بالهجرة كسليمان عليه السلام وأن يكونوا مصلحين في الأرض حتى تلحقهم كلمة رسول الله ﷺ إذ قال بأمر الله الحمد لله على ما أتم على عباده وحيا كل مصطفى من عباده النافعين لخلقهم المداين لهم المرشدين الصادقين فلتكن في

عندهم صفاء وصدق لتدخل فيمن يحياهم النبي ﷺ بأمر ربه وتكون عاقبتك في الدنيا والآخرة كما يقب
سليان ودلود وأمثالها

﴿ تفسير الكلمات في هذه الآيات ﴾

قال تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله ﷺ أن يحمده الله شكرا له على نعمه التي يسديها لكل مصطفى من نبي ومؤمن وذلك التمام والهداية وفسر وأن يحيي هؤلاء الذين اصطفاهم (آفة خير أما يشركون) إلزام لهم وتوهم ونسبة لرأيهم (آمن) بل آمن (خلق السموات والأرض وأنزل لكم لأجلكم - حداثا ذات بهجة) بساتين ذات حسن ينتج بها من رآها (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي أنتم لا تقدر أن تنبتوا شجرها (بل هم قوم يصلون) عن الحق الذي هو التوحيد (آمن جعل الأرض) بدل من خلق السموات والأرض وكذا ما بعده (قرارا) محالوا سواها للاستقرار عليها (خلالها) ظرف أي وسطها وهو للفصل الثاني والأول - أنهارا - و - بين البحرين حاجزا - مثل ذلك (رواسي) جبالا نوابت تنمها من الاضطراب لأن لجبال منسبة للطبقة الصوانية ثابتة منها وهذه الطبقة لواقتم جزء منها لاضطربت النار وخربت من باطن الأرض فكانت براكين فاهتزت وخربت بعد الاضطراب الكثير (البحرين) للملح والمغلب (حاجزا) مانعا أن يختلطا (لا يصلون) التوحيد (آمن يجب للضطر) المكروب المجهود المضروب بالحاجة المحوجة من مرض أولئذ من نوازل العسر فهي إذا نزلت بأحد بدر إلى الاتجاه والتضرع إلى الله (ويكشف السوء) الضر إذ لا قدر على تغيير حال من فقر ومرض وضيق إلى غنى وصحة وسعة إلا الله القادر (خلفاء الأرض) بأن ورتكم سكانها (قليلما تذكرون) أي تذكرون تذكيرا قليلا (يهديكم) يرشدكم (بين يدي رحمة) قدّم المطر (آمن يبدؤا الخلق) نطقا في الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء بالمطر والأرض بالنبات) برهانكم بحجكم (إن كنتم صادقين) في أن مع الله آلهة شتى (قل) يا محمد لأهل مكة (لا أعلم من في السموات) من الملائكة (والأرض) من المخلوق (الغيب إلا الله) نزلت في المشركين حين سألو رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ، والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده (أيان يعيشون) متى يشيرون وأيان أصلها أي وأن (تذكرك) تكامل وانتهى واستحكم ، يقال أدركت الفاكهة تكاملت نضجا وأصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وزيدت ألف الوصل ليحكم التكلم بها (مؤمن) جمع هم وهو أجمع القلب ، وقيل تذكرك بمعنى اضمحل كما يقال تدارك بنو فلان إذا تناهبوا فيهلكه أي اضمحل علمهم في الآخرة . انتهى تفسير بعض الكلمات والله أعلم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذه المذكورات التي عدناها (١٧) هي التي نفهم المسلم كيف يحمده الله . إذ حمد الله إنما يكون على نعمة والنعمة مالم يدرسها الإنسان لا يفهم معناها وإذا لم يفهمها فلاحظه كما شرحناه في سورة الفاتحة . ألم يعلم المسلمون أن هذه هي التي يحمده عليها . إن الحمد تامة بجميل لأجل جليل اختياري ، فإذا لم يعرف الإنسان الحمد عليه فلاحظه والله أمر نبينا ﷺ أن يحمده الله وذلك الحمد يكون في العبادة وفي العلم ، أما في العبادة . فالسليم يقرأ الفاتحة ويحمد الله فيها على أنه مربى العالم كله وهو ربه ، وكذلك يرى المسلم يقول ﴿ التحيات لله ﴾ فالسليم يحمده الله ويقول التحيات له ، ويقول المسلم أيضا في الرضع والاضطداد ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ﴾ هذا حمد المسلم في العبادة ، فانظر أثر العبادة ، إن أثر العبادة يظهر في العلم ، انظر أيها الذي ، إن الحمد في الصلاة على تربة الطلبن وملء السموات والأرض وما بينهما وملء كل شيء بعد ذلك ، انظر أليس هذا هو ما في هذه السورة ، ألم يذكر الله هنا بعد ذلك الحمد المحمود عليه ، ألم يذكر السماء والأرض والمطر والنبات والأنهار والبحار والهداية في البر والبحر

وارسال الرياح ، انظر . إن الله لم يذكر في هذا علم الحيوان لأنه ختم في قصة سليمان وذكر الانسان في قوله - ويجعلكم خلفة الأرض - فلئن الممجد عليه هنا جميع هذه العوالم وهي المذكورة في قول المؤمن ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ فانظر كيف أمر الله النبي ﷺ أن يقول لنا - الحمد لله - ثم ذكر الممجد عليه على سبيل العلم لاعلى سبيل العبادة ، فالعبادة مجرد تذكيرة ، وأما هنا فهو علم فلذا قال - الحمد لله رب العالمين - وقال ﴿ الحمد لله ملء السموات وملء الأرض ﴾ فتنبه ذلك أن يدرك هذه العوالم بقدر إمكانه وعلى قدر فهمه فيها يكون ارتقاؤه الى الله تعالى . هذا مقصود الحمد هنا وهو التماسه والعلم فلاجد إلا بمعرفة الممجد عليه والممجد عليه هو هذه المذكورات وهذه المذكورات هي عجائب السموات والأرض وما بينهما من غل وهدهد وحنن وملائكة ومطر ونبات وبرّ ويحرو ويصل الخ هذا هو الحمد ، أما السلام في قوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - فاعلم أن ذلك هو الدرجة الثانية وهي ترجع الى الأخلاق والفضيلة والانسان ما دام مبعدا من حبّ الناس جاهلا بالجملة الانسانية فهو بعيد من ربه ، فالانسان سعادته ﴿ بأمرين ﴾ الأمر الأول ﴿ العلم وقد علم في الحمد ﴾ (الثاني) في الحب العلم والحب العلم أشمله بقوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - أترى أيها الفقيه أين هذا في ديننا ، اصح عنه نحمد في التشهد ، نحمد المصلح يقول ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يقول المسلم مخاطبا النبي ﷺ السلام عليك بحبه اجلالا ويشره بشرى على بشرى بالسلامة كما يحبه الملائكة وهذه التحية من بركات السرور والمودات ، يسلم المؤمن على النبي وعلى نفسه وعلى كل عبد صالح وهذا عين قوله تعالى - وسلام على عباده الذين اصطفى - فليفكر المؤمن وقت الصلاة في هذا للغي وليقل ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ إن التفكير في هذا المعنى يحدث آتة بينه وبين الأرواح الشريفة التي ارتقت الى عالم الصفاء والنور حتى اذا مات أحسن بالألّة الجامعة بينه وبينهم فلا ينفر منهم ولا يأتف . هذا هو المقصود من هذا السلام وليفكر فيمن اصطفاهم الله بالعلم والحكمة وليأخذ بأحسن ما عملوا به كما قال تعالى - فبهداهم اقتد - والاهتداء بهداهم إحكام الرابطة بين المرء وبين الصالحين فهناك ﴿ رابطتان ﴾ رابطة بالتسليم في العبادة ورابطة بالقنوة الحسنة في العلم كنسمة سليمان هنا إذ يقهر الانسان في العلوم ويخوض في بواطنها من علم طيعة وعلم أرواح ويزيد في الاخلاص لله والتسليم له فلا يفتخر بما أعطى بل يقول - ليلاوني أنشكر أم أكفر - الخ فمن اقتدى بعالم أو نبى في خسة فقد عظمه وحياه وهو أيضا في كل صلاة يسلم عليه . وبهذا فهمنا - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وصار المخلص أن تبصر في العالم ليمجدنا لله وأن تتدى بالأنبياء ليكون ذلك رابطة تجمعنا بهم وهذه رابطة أؤكد من رابطة التحية كما قال ﷺ ﴿ أنت مع من أحببت ﴾ وكما قال تعالى - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ ذلك الفضل من الله -

واعلم أن الذين اصطفاهم الله أحببناهم بالناس ، وكما أن الله عز وجل منزّه عن المادّة مربي العالمين مسد لهم ليرقيم من حال الى حال ، فكذلك هؤلاء الساطعون يسعون على السنن التي منه وإن كانوا في هذه الأجسام فهم وإن شاركوا الناس في أمور الحياة لا يربطون بها إلا القوة على النافع العاتة للأثم ، وكما كان الانسان أزهد في المادّة وأحب للعلم وأكثر مساعدة وجبا للناس كان أقرب الى الله ، وكما نزل عن ذلك كان أبعد عنه ، إن الله أعطانا دروسا شتى في الحياة ، قل الشهوة البدنية زمن الكبر ، وأكثر من المصائب في المنازل وفي المدن وفي علاقات الأمم بعضها ببعض وفي الأجسام ، كل ذلك ليقهم الناس أن هناك حياة أرقى من هذه وكأنه يقول أيها الناس إن هذه الحياة ليست أعظم حياة ، إن ربك قادر وليست قلوبته واقفة عند هذا الحد ، إن هناك حياة أوسع من هذه الحياة وأعلى منها ، وعلى مقدرك اخلاصك في أعمالك وخلوص

توسم من علاقي هذه الحياة تصالون بهام أرقى والعالم الأرقى يكون فيه عبادته الذين اصطفى كسليمان انه لم تفتنه زخارف الدنيا ، ان الملك وطلعة الملوك لم تؤثر في نفسه ، انه يذكر ربه في وادي الخمل كما يذكره وهو على عرش بلقيس ويقفؤ الأمره وذلك هو عين التفويض وباب الحب فلتفتنوا به وبالأنياء لتكونوا مع الذين أتم الله عليهم من التبيين والصديقين والشهداء والسالحين وحسن أولئك رفيقا

﴿ جوهرة في قوله تعالى - أتمن خلق السموات والأرض وأرزلكم من السماء ماء فأنتبته حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - الخ وفيها « لطيفتان » الطيقة الأولى ،

في شرح هذه الحجاب « الطيقة الثانية » في بهجة الحدائق ﴿

﴿ الطيقة الأولى في شرح هذه الحجاب وفيها خمس مطالب ﴿

(١) في قوله - حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها -

(٢) وفي قوله - أتمن جعل الأرض قرارا -

(٣) - وجعل خلالها أنهارا -

(٤) - وجعل لها رواسى - الخ

(٥) وفي قوله - أتمن يجيب المضطر اذا دعاه - الخ

﴿ المطلب الأول في الحدائق ذات البهجة الخ ﴾

يمش الانسان في هذه الأرض وأكثره في شقة محبوب عن جهله وبهائه وحسنه ، إن العالم في نظر أكثره هذا الانسان حجب ورواها حجب مسولة بل هو مظلم قائم لآلة فيه ولاجال لإلااللة الحيوانية ، فالتناس يعيشون مسجونين بما أعطوا من حواس وبما تالت تلك الحواس من الذوات الحقيرة وينظرون الى الهواء والى الماء والى المعادن كالحديد والكبريت واليوتاسيوم والصوديوم والجبر والمغنيسيا والفوسفور والسكا (الزمل) والكور وغيرها فظنهم الى أمور جامدة قاترة خاملة لا تحرك من همهم ولا تبت من نشاطهم اللهم إلا علماء الصناعات المتعلقة بهذه الكائنات والأعلاء الكيمياء ومن يحا نحوهم ورجال الصناعات والعلوم الجزئية كلهم فظنهم جزئى وعندهم عصورى في دوائر ضيقة ، ولكن من حسن الحظ أن هذا الانسان خلقت فيه طاقة عقولهم أوسع ونظيرهم أعلى وحكمتهم أشرف ونورهم أبهى وأجلى وأجلى وأجل إذ ينظرون بهيئة تنمى تحتها كل العلوم ، تلك الطاقة هم خلفاء الله في أرضه ، هم الذين جعلوا في الأرض أوصياء على هذا الانسان للسكين للمبوس في الأرض للمصور في جأنتها المتنوع عن الجبال ، فهو لاء يقولون نعم العالم الذى نحن فيه في ظاهره جاد جلف وهذا البحث تنظر فترى هذا الهواء وهذا الماء فهما عناصر الاكسوجين والادروجين والاوزوت ويصحب هذه الثلاثة الكربون ، فلهذا فيه العناصر الأولان والماء فيه العناصر الأول والثالث والكربون أى القمح معروف وهذه الأربعة تتجمع ويخلق منها كل نبات وكل حيوان مع اضافة مقدار قليل من العناصر التسع المتقدمة التى أولها الحديد وآخرها الكور . من هذه العناصر أو أكثرها يكون النبات ويكون الحيوان . إذن هذا الهواء وهذا الماء وقليل من الكبريت وقليل من الفوسفور الخ هو نفسه هذا الانسان وهذا الحيوان وهذا النبات ، فما هو إلا أن يأخذ الانسان حب القمح أوحب الشعير أو القرة أو البرسيم أو الخردل أو اللوبيا أو الخشخاش أو الجزر ويزرعها في أرض صالحة ويتبعدها بالطرق المعروفة فانه يرى بعد أيام أن البية التى كانت في داخل تلك الحبوب أخذت تنمو وأخذت تلاحظ أن هناك

(١) جنرا وهو المغرس في الأرض وله فروع ويعرف بالمجموع الجدرى

(٢) وساقها وهو الجزء الذى يرتفع في الهواء ويتفرع فيه وأن من الحب الذى زرعناه ما هو ذو فلتين مثل

اللوبياء والبقول ، ومنه ما هو ذو فلة واحدة مثل القمح والشعير

(٣) وأن المجموعات الجذرية إما وتدية ، وإما ليفية ، وإما درنية ، فالوتدية هي التي يستمر الجذر الأصلي في النمو مع بقائه أكبر من فروعه وذلك مثل جذور البرسيم والجردل والخشخاش ، والليفية تكون قليلة النمو وجذيراتها كثيرة مثل جذر القمح والشعير والقرع ، وأغلب النباتات ذات العنقة الواحدة ، والدرنية تكون منتفخة مملئة بالمواد الاذخارية التي يتغذى بها النبات في المستقبل مثل الجزر والبطاطا والفجل واللفت والنسج وهكذا ، وهذه صور أنواع الجذور الثلاثة الوتدية والليفية والدرنية (انظر شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)



جذر الجزر

(شكل ٣٦ - جذر وتدي) (شكل ٣٧ - جذر ليفي) (شكل ٣٨ - جذر درني)

(٤) وأن الجذور لا تحمل أوراقا وله قطنسوة تصون تحتها وله منطقة نامية بالقرب من طرفه وله منطقة ماصة وهي منطقة الشعيرات الجذرية وله منطقة مثبتة خالية من تلك الشعيرات وليست ماصة وهو متفرع إلى جذيرات صغيرة وهو متجه رأسيا من أعلى إلى أسفل ويسمونه الاعتناء الأرضي ويؤثر على هذا الاتجاه عوامل أخرى مثل الرطوبة والضوء ونحوهما

(٥) وأن الساق تحمل أوراقا وبراعم (وهي المجموع المكون من قمة الساق ومن الأوراق الصغيرة التي تحميها) وليس لها شعيرات ماصة كما للجذور وليس لها قطنسوة ونحوها طرفي ودون الطرفي وتتجه رأسيا من أسفل إلى أعلى وتحمل الأوراق وتعرضها للهواء وتوصل العصارات من الجذور إلى الأوراق ومن هذه إلى الأعضاء الأخرى ، وقد تؤدي وظائف الأوراق وتقوم مقامها وتمتلئ بالمواد المتخزنة في بعض النبات كالقصب والبن الشوكي والبطاطس ، ومتى نما النبات ترى له أزهارا تنشأ عليه ويطلق على مجموعها اسم (الفرع الزهري) ثم تذبل الزهرة وتستحيل إلى ثمرة

(٦) وأن الأجزاء الرئيسية للنباتات الزهرية هي الجذور والساق والورقة والبرعم والزهرة والبذرة ، ثم ما الذي نراه من الهجاب في الجذور وفي الساق ، أما الجذور فانظر ماذا جرى فيه ، لقد رأيت أيها الذكي عينك نظامه في باطن الأرض فهو إما مثل الودد وإما مثل الليف وإما مثل القرن ، ثم انظر ماذا حصل ؟ حصل كل الهجب وأى هجب بعد أن ترى ساقا وورقا وبرعما وزهرا ونمرا . كل ذلك حاصل بسبب الجذور الممتدة المتفرعة في الأرض ، ماذا فعلت تلك الجذور يا ترى ؟ هذه الجذور فيها فتحات شعيرية ، تلك الفتحات الشعيرية تمتص المواد من الأرض . أى المواد تمتصها . تمتص ما فيها مما ذكرناه من العناصر وهي الاكسجين والادروجين والاوزوت والكبريت والحديد والفسفور واليخ وكيف تمتصها . تمتصها بمقادير خاصة بمقاديرها في القطن غير مقاديرها في الفول غير مقاديرها في الورد جميل الرائحة غير مقاديرها في العنب (انظر ما تقدم في سورة البقرة وقرأ الجدول المذكور عند مسألة ابراهيم والبلد) واجب لاختلاف المقادير التي يتناولها النبات هناك وبها تختلف السوق والأوراق والطعوم والروائح والأغذية والقواكه . فبالتشعري ابن الحكمة التي تعلمتها تلك الفتحات الشعيرية

حتى امتصت ما يليق بفاتها طعاما ولونا وقبرا . ثم إن النباتات تبلغ مئات الآلاف عددا وقد اختلفت اختلافًا ملحشا عظيمًا فكيف اختلفت الفتححات الشجرية فيها اختلافًا بقدر اختلاف ظواهرها . ثم إن الكبريت والحديد والفوسفور والليكا والاكسوجين وما شابهها هي هي نفس الكمثرى التي تأكلها والورد الذي نسمه والزيوت التي نستعمله . إذن نحن لم نستعمل شيئًا إلا تلك المواد التي نشاهدنا من ماء ومن هواء ومن معادن أرضية ولكن هذا السحر الحلال الذي ظهر في الأعمال التي ظهرت في حب القمح وفي حب القرفة وفي نوى التمر والمشمش هو الذي أرانا هذه العجائب . لاجر ولا يبر ولا ذرة ولا ورد إلا أجزاء هوائية ومائية ومعنية تقدم ذكرها اختلف تفاعلها فاختلقت أطعميلها فصدق الامام الفزالي إذ يقول ﴿ إن للشعوذ البارع لن يفعل مثل ما زاه في الطبيعة ولكن الناس لاعتيادهم على مشاهدة هذه العجائب أنسوا بها فلم يروا فيها غرابة ولا عجايب ﴾ ومن عجب أيضا أن المادة المسماة (الكوروفيل) هي التي تجعل للنبات لون الخضرة وخاصة أجزاء النبات التي تحتوي على الكوروفيل . أنها متى كانت معرضة للضوء تمتص (غاز الكربونيك) من الهواء وتحوله الى كربون واكسوجين فتحفظ الكربون وتطرد الاكسوجين . وتعرف هذه الظاهرة (بالتفصيل الكوروفيل) إذن هذه الخضرة تعمل في النبات فصل التنفس في الحيوان فليحياون يبق الاكسوجين ويطرد الكربون بالتنفس والنبات بالمادة التي أحدثت له الخضرة طرد الاكسوجين وأبقى الكربون بعكس الحيوان ولما كان النبات الذي يمتد بمئات الآلاف يختلف النتائج والفترات اختلفت طرق امتصاصه من الأرض بالشجيرات الجبلية كما تقدم واختلفت طرق صرف المادة الخضراء في هيئة تنفسه . فاجب لاختلافين اختلاف الفتححات الشجرية في الجنود الأرضية واختلاف الخضرة في الأوراق الهوائية . الخضرة واحدة ولكنها تختلف اختلافًا بالقوة والضعف . وبهذا الاختلاف يختلف فعلها التنفسي في الهواء وتكون الفترات والأشكال على مقتضى الاختلافين ويرجع كل هذا الى هواء وماء وكربون وسيديد وفوسفور وكبريت مما تقدم ذكره .

فجمال الأزهار وبهجة الثمار وإقسام الورد وبهجة البساتين . هذه كلها هي نفس الماء ونفس الهواء ونفس الفصح ونفس الكبريت . فبالت شعري من أين جاء الهواء والقمح أن يمتلأ أن الجذر لابد أن يشتمل على قسم يثبت في الأرض وعلى قسم يخوفها وعلى قسم آخر يمتص الغذاء في الأرض والغذاء لابد أن يكون مناسبًا للغاكة ولحب والحيوان ولطالب الانسان الغذائية والهوائية والغاكة . سحرت العقول يارب فما زاه وما ألفناه . هذا هو قوله تعالى - ما كان لكم أن تفيتوا شجرها - هذا هو تفسير هذه الآية أي فكيف نبت هذا الشجر وما هذا الشجر إلا مواد زاهنا ولكننا لا نقدر أن نصنع هذه الأعاجيب منها . فنحن أمام هذا النظام أشبه بجميع الناس أمام الخطباء والشعراء إذ يعرفون الكلمات والحروف والمعاني ولكنهم لا يقدرُونَ أن ينظموا أشعارا كخبري القيس ولاترا مثل عبد الحيد الكاتب . فانه يقول لنا - هاؤم اقرأوا كتابه -

ها هو ذا النبات وهكذا الحيوان ، هذه كلها من المواد التي ترونها فهل تقدرُونَ على هذا النظام . كلام . كلام .

(٧) ثم إن الساق إما أن تكون قائمة ، ولما أن تكون زاحفة ، ولما أن تكون منسقة ، فالأولى كالأشجار المعروفة وكالقمح والقررة ، والثانية كالخيل والقرع والتليك . وهذه لما كانت فروعا يجب أن تكون كثيرة الماء ضفت قامتت على الأرض وسجلت الأرض عنها ثمارها ، فتدنى البطيخ والقرع وأمثالها على الأرض نصف تلك السوق المائية من حجم . والثالثة تفسق السايح وجذوع الأشجار الأخرى كالبلاب التي يلتف حول الأجسام التي يسلكها وبضها كالكرمة والبزلاء يتثبت بتلك الأجسام بواسطة (محاليق) وهي خيوط رفيعة تلتف حول الأجسام التي تصادفها ، ومحاليق الكرمة غصون محورة وتلك زاهنا قد تحمل براعم . أما محاليق البازلاء فهي أوراق محورة . ثم إن غصون السوق الهوائية قد تتحول الى أشواك لل دفاع عن النبات كما في البرتقال (انظر شكل ٣٨)



(شكل ٣٩ - صورة محالبق الكرمة)

فانظر لعصن اقلب تارة الى محلاق لرفع شجرته وتارة الى شوك ليحفظ النبات ثم الورق انقلب الى محلاق ليرفع شجرته أيضا

(٨) ثم انظر الى عجائب العلم والحساب والمهندسة في النبات (أذكر كما بما تقدم في سورة الحجر عند قوله تعالى فيها - وأنبئتنا فيها من كل شئ موزون - فتأمل شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ في سورة الحجر) وتأمل رعاك الله فظام أوراق النباتات المختلفة وكيف كانت محسوبة بحساب عجيب فتراها على الأغصان بينها مساحات متساوية تكون دائرة تامة

فانظر الى هذا الحساب هناك وإلى هذه الدقة في المهندسة والحساب البديع واقرأ بقية شرح الحساب هناك ثم ارجع الى أول المقال فأول المقال انه ليس عندنا شئ إلا هذا الماء وهذا الهواء وهذا الحديد ثم انظر هذه التنوعات في الجذور وفي السوق وفي الأوراق وفي الأزهار وفي النتائج وفي حساب الأوراق على الساق ونظامها وأعدادها ودوراتها . هذا معنى - ما كان ليكم أن تنبؤوا شجرها - وكيف تثبت شجرها ونحن اذا لاحظنا نظام الجذر للاحظنا نظام الساق ولا الزهر ولا الفاكهة ولا حساب الأوراق . فهذا كله حاصل ولا يتخلل عمل بسبب مزاجه الآخر له . هذه الملاحظات الثمانية التي ذكرتها لك أيها الذكي في الحدائق والأشجار وسائر النبات متى تأملتها وجدتها شرحا لعلم الفلسفة القديمة والحديثة . وقبل أن أذكر آراء الفلاسفة أقدم القول في الحدائق فأقول

اعلم أن الحدائق ذات البهجة على (قسمين) حدائق في البر وهي معروفة وحدائق في البحار عرفها الناس في أيامنا هذه وذلك باختراع آلة وهي عبارة عن غرفة يمكن الغوص بها على أعماق بعيدة في الماء وتصل بالسفينة بواسطة أنبوبة تحمل الهواء ، ومن مزياها أن حركتها يمينا وشمالا لاتتاق مع حركة السفينة وسيرها ، وهي تشع لرجلين أحدهما يتولى إدارتها وإزالتها واصعادها والآخر للقيام بتصور المناظر ثم هي مزودة بنظارة يبلغ قطرها مترين وسماها ستيمترات كثيرة بحيث يمتد منها البصر على مساحة واسعة . ذلك الى أنها تستخدم لعكس الأشعة وتسهيل استكشاف المناظر . وقد استطلع هذا المخترع وهو (المستر ويليام سن) المشهور باستكشافاته البحرية أن يرتاد في غرفته هذه مياه جزائر البولينيز وأن يشاهد من عجائبها مناظر دهشة العلماء . فما ذكره انه رأى من النباتات المتباينة الألوان ما يشبه أجمل الحدائق فوق اليابسة وأن هذه الحدائق تسكنها حيوانات مختلفة الأنواع . فيها حيوانات رخوة وذوات أصداف لم تكن معروفة حتى الآن وهي تتطامن وتتنازع أكثر من تطامن حيوانات اليابسة وتنازعها . وأغرب ما ذكره المستر (ويليام سن) أن من هذه الحيوانات ما يشبه النبات في شكله ولكنها حيوانات ضارية إذ تنقض على الأسماك التي ليست من نوعها فتفترسها

ثم كان من أثر مشاهداته أن كشف لنا ظاهرة عجيبه وهي أن الأسماك الكبره كالنوع الذى يسمونه وحش البحر أو كلب البحر ليست على ضخامة جسمها أشد الأسماك فتكا وأكثرها خطرا لحياتها هدف لسمك صغير له أسنان حذرة ينهشها به ثم ينفث في جسمها مادة سامة تقتلها لساعته . وشاهد المستر (ويليام سن) معركة بين فصائل مختلفة من السمك تنوعت فيها الأسلحة والآلات فكان من هذه الآلات المركبة في جسم الأسماك ما يشبه السيف ، ومنها ما يقرب شكله من المنشار ، أما أضف هذه الأسماك فهو ما كان يعمل في جسمه شوكة يطعن بها خصمه انتهى من مجلة الجديد

﴿ تطبيق المذاهب الفلسفية في جميع الأمم على نظام النبات ﴾

قام في اليونان (تاليس) بأكثر من خمسة قرون قبل الميلاد فقال أصل العالم الماء ، لماذا ؟ لأنك رأيت الماء داخلا في النبات وفي الحيوان

(٢) ثم قام بعده (أنكسيمانس) فقال . كلا . أصل العالم الهواء

(٣) ثم قام أنكسيمندر فقال أنا لا أعتبر إلا المادة العامة . فأما الماء والهواء فما هما إلا فرعان ومثله (ديموقريطس) إذ رجع الى الجزء الذى لا يتجزأ وقد أخذ به علماء الأشعرية من أئمة الاسلاميه

(٤) ثم قام فيثاغورس وقال لا أيها الناس كلا . ثم كلا . مالنا وللماء والهواء والمادة . أصل هذا العالم إنما هو العدد والحساب لأنى رأيته منظما

(٥) فقال أنكساغورس . كلا . أيها الناس هل يكون الحساب بلا حسب والنظام بلا منظم ، هناك عقل يقبل هذا العالم

(٦) ثم جاء سقراط وأفلاطون وأرسطاطليس فقالوا بآله منظم للعالم

هذا ملخص مذاهب اليونان وتبعهم الرومان وقامت أوروبا فلم يخرج مفكرهم عن هذه الآراء فأما أهل الهند فأتى رأيت في كتاب (راجا يوكا) أن قوما منهم أشبه بتاليس ومن معه لا يرون للعالم صانعا وهم السنخ وقوم مثل أنكساغورس لا يرون له علما به عوآخرون يشبهون أفلاطون ومن معه ، فالجويجيون يقولون انه عالم بما لانهاية له ومعمل لكل عالم في العوالم كلها ، والذين يتبعون كتاب القيدا يقولون هو عالم وصانع للعالم كله جزئيه وكيه مستدين بالنظام الموسيقى

وبناء على ذلك أصبحت عقول أهل الغرب وأهل الشرق ترجع الى ما تراه الآن في هذا النبات . فأهل السنخ في الهند وتاليس ومن معه في اليونان لم ينظروا إلا الى ما أمامهم كما ينظر العالما في هذا النبات ولا يفكر إلا في المادة وحدها ، فأما الجويجيون في الهند وأنباع القيدا وهو الكتاب المقدس عندهم فأنهم لاحظوا ما هو أعلى من حيث نظام الأوراق والأزهار وحسابها كما لاحظها أفلاطون وسقراط وشرحاها شرحا جيدا كما نقلته عنهما في رسالى التى سميتها «مرآة الفلسفة» فقالوا بأن للعالم إله نظمهم وهو حكيم ومبدع إذن مسألة النبات التى شرحتها هنا قد شرحت أدوار الفلسفة في الشرق والغرب وقد أصبح ما كان من الفلسفة عسرا قههم (عريضا على العقل مشتتا للفكر موجبا للالحد للجهل الفاشى واضعوبة الكتب) مشاهدا بالبصر سهل القهم شارحا بالصدر قريبا من العقل يفهمه المتوسطون . أما أنا فأتى أجد الله عز وجل إذ وقفت على هذه المذاهب واختصرتها هنا وطبقتها على النبات واستقبل بهذا أن الناس في مشاهدة هذا العالم أشبه بالعميان الست الذين شاهدوا الفيل وكل حكم عليه بما وقع تحت حسه فأقرأه في سورة المؤمنين عند قوله تعالى . كل حذب بما لديهم فرحون . ومن أدرك ما كتبتة الآن ووقف على تفصيله في غير هذا المكان فانه لا محالة ينظر لاختلاف مذاهب الفلسفة في الغرب والشرق في عصرنا فنظر البصر الى الفيل وقد سمع العميان الست يدرسونه ولكل رأى فيه وهو من آرائهم يسخر وقد عرف أن كلا منهم قال بعض الحقيقة أما هو فقد وقف عليها وهو من الموقنين . انتهى الكلام على «المطلب الأول» في قوله تعالى هنا . وأزل لكم من

السماء ماء فأنتننا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها -

(المطلب الثاني في قوله تعالى - آمن جبل الأرض قرارا -)

أقول ، لقد تقدم رسم القارات كلها في (سورة النور) فارجع إليها هناك وانظرها مع الحدائق البهجة والنبات والحيوان

(المطلب الثالث والرابع في قوله تعالى - وجعل خلاها أنهارا وجعل لها رواسي -)

المطلب الأول هو النبات ولما كان النبات لا بد له من قرار أتبعه بالمطلب الثاني ثم أتبعه بما كان سبب إنباته فذكر الأنهار والأنهار لا تكون إلا بالسحاب والمطر والتلج الذي يكون في الجؤ ثارة وثارة يقع على الجبل فينزل الماء في داخله ويخزن فيه فتنبع منه العيون ويمد الأنهار في الأوقات المختلفة ، فانظر في (سورة النور) وتأمل هذه المطالب هناك فأنك تجد في تفسير قوله تعالى - ألم تر أن الله يري سحابا - الخ صورة السحاب الذي ليس بمركوم والسحاب المركوم والسحاب الذي يخرج منه الودق ، وهكذا ترى التلج الذي هو كالجبال في الحق الذي يخلق البرد فيه وهو معرض لوصل الهواء الحار إليه فيرجع مطرا وهكذا جبال الثلج التي تحفظ فوق الجبال مثل جبال الأب المرسومة هناك وهكذا الثلج الذي يكون فوق الجبل ويرى نازلا منه في النهر كنهر الزون الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط كما يصب فيه النيل الخارج من خط الاستواء من البحيرة السمائية بحيرة فكتوريا ، فهذه الثلوج وهذه الجبال تراها مرسومة في تفسير تلك الآية فلاحاجة لاعادتها هنا وأما قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - فانظره في سورة الفرقان عند قوله تعالى - مرج البحرين - الخ اه

(المطلب الخامس في قوله تعالى - آمن يحجب المضطر إذا دعاه -)

وهذا أمر لا يعرف إلا بالوجدان ولكل حيوان ولكل إنسان في الأرض شؤون تخصه لا يعرفها غيره والله أمده بأمداد خاص وأقنعه من خطر هو أدرى به وحده ولكل ذى نفس مع ربه سر لا يدركه سواه . ويظهر لك في مثالنا أنك تراه تودع غصن الكرمه لحفظه حلافا ، وقد تقدم رسمه وتوقع ورقة البازلاء فكانت كذلك كما تقدم ، وتودع غصن البرتقال فصار شوكا لحفظ الثبات ، فهو قد راعى ما يحتاجه البرتقال من الحفظ وما يحتاجه البازلاء والكرمة من الحمايق لترتفع بها على غيرها فأمدتها فهو إذن يحافظ على الجزء كما يحافظ على الكل ويراقب الورقة الصغيرة ويحفظ فيها ما تقتضيه المصلحة . فهذا نظير إجابة المضطر إذا دعاه . هذا ما فتح الله به في هذه الآيات كتبته ليلة الاثنين ١٥ إبريل سنة ١٩٢٩

(البهجة في حدائق ذات بهجة)

أكتب هذا صباح يوم الخميس (٦ يونيه سنة ١٩٢٩) إذ كنت متوجها لزيارة بعض الأصحاب في شارع الصليبه الموصل من ضريح السيدة زينب الى القلعه ، فبينما أنا أسير إذ رأيت أمرا غريبا ، رأيت منظرا جيلا وحديقة بهجة في الجهة الشرقية لجامع ابن طولون ، ذلك المسجد الذي أسس منذ نحو مائة وألف سنة فوق (جبل يشكر) ولقد كنت قبل اليوم أرى هذا المسجد حوله مبان قذرة وبيوت ضئيلة كأنها الأكواخ مشهدها يقبض النفوس ويجلب البؤس وهذا القبض والبؤس بسبب تلك القاذورات والحيوانات النثرية والرطوبات المنتشرة التي تكون سببا في المرض وفساد الصحة وضعف الأجسام والنفوس والأخلاق ولقد مضت لي شهور وشهور لم أصر من هذا الشارع . إن حكومتنا المصرية لما لها من الاتصال برجال القرب أرادت أن تجازيهم في تحسين القاهرة وتجميلها فاستمرت تلك البيوت القذرة وغيرها وهدمتها وصنعت في محلها هذه الحديقة فاستوقفت نظري ولم أشأ أن أمدف في المسير حتى أتأمل هذه الحديقة . المسجد فوق الجبل والشارع منحنط عنه بما يزيد على ١٢ مترا ، فبناء عليه جعل هذا المنحدر الذي هدمت البيوت المبينة فوقه حديقة

طريقة مكتونة من (سبع قطع) متجاورات (القطعة الأولى) جهة الشارع في أسفل المنحدر يضاوية الشكل يحيط بها سور من الحديد قد زرعت حشائش تكون طول السنة مخضرة ويسمونها (قازو) وفي وسطها روضة طريقة صغيرة مزروعة أشجارا أوراقها طويلة أزهارها كبيرة مجمرة يسمونها (كنه) أو سنبل وهذه الروضة الصغيرة أيضا يضاوية الشكل كمدار الكواكب كلها قائما يضاوية ويحيط بها أشجار السرو الجبل وكل هذه إنما اختيرت لأنها مخضرة طول العمر لا يتحات ورقها ولا يطعم الناس في أكل ثمرها فكان الأثمار يضيع رونق بعض الأشجار وينك قواها فلا تبقى على رونقها طول السنة

هذه هي القطعة الأولى والقطع الست الباقية كلها مستطيلات الشكل يحيط بعض سورها شجر يسمى (توبه) أخذوا هذا الاسم من اللغات الأفريقية التي جلبوا هذه الأشجار منها . هذه هي الحديقة التي رأيتموها وأنا الآن أراك أيها الذي تقول لي ، لقد وصفت حديقة لاقية لها وفي الدنيا حدائق جميلة بهجة وهذه بالنسبة لها أثر بعد عين أو عدم بالنسبة للوجود ، فأقول أنا لم أكتب هذا المقال لأسمعك هذا الوصف . كلا . بل إنني أريد أن أذكر ما خطر بنفسى حين رأيته هذه الحديقة ، تذكرت أن هذا المكان كنت أسكن منذ ٢٠ سنة بالقرب منه وما كان له هذا الرنق فتغيرت الحال فقلت في نفسى هذه أجسامنا التي نعيش بها ترى الله يقبلها من حال إلى حال ثم يهملها ويحدث غيرها ، فلما رأينا الأرض الملاصقة لمسجد ابن طولون لما هدمت بيوتها ظهر لها رونق جديد هكذا فلتكن أجسامنا بعد أن تهدم تظهر أرواحنا بمنظر جميل شارح للصدور وهذا الخطر ليس هو المقصود الأول من هذا المقال بل المقصد الأهم من هذا هو تذكري للسامين بقوله تعالى - حدائق ذات بهجة -

ما هي البهجة هنا ؟ يظن الجهلاء وصغار العلماء أن البهجة في مناظر الحدائق وظواهرها مع ان خضراء الشجر أى تلك الحشائش التي تنبت في الأماكن المستقرة تكون ذات بهجة أيضا . كلا . إن المدن إذا ازدحمت بالسكان وراكبت فيها الأقذار ضاقت الأفاضل وتضر على الناس القيام بأهم شؤونهم لما يتخلل شوارعهم وأزقاعهم من المزايل والأثرية والقمامات والقاذورات فتنبعث منها الروائح الكريهة وتكثر الحمايات وتضعف الأبدان ولا يبقى في المدن إلا أناس قويت أجسامهم فتحملت هذه المهلكات فعاشت ، والأمم مادامت جاهلة لم يظهر فيها مفكرون ترضى بهذه الحال وتعتقد أنه لا مفر منها وأن هذه هي الحال العاتية وليس هناك خير منها فيجسوس الوباء خلال الليل فيجرف الأجيال جيلا بعد جيل والناس لا يعقلون . فأما إذا تخللت الحدائق المدن كهذه الحدائق هناك يتجدد الهواء وسط المدينة فكانت المدينة بهذا تنفست بعد أن كانت لاتنفس لها . ويباه أن الثبات بينه وبين الحيوان اشتراك فعلى في الحياة ، فالإنسان والحيوان يخرج الكربون (الفحم) من أنفاسهما ويأخذ الهواء ويوصله إلى الأشجار ، ومعلوم أن أوراقها أشبه بالرئة فتأخذ من الهواء المادة القصبية الآتية من أغصان الإنسان والحيوان وتطلى الهواء مادة الحياة التي يسمونها الأكسجين وتقول أيها الهواء خذ مادة الحياة هذه وسلمها بسلام إلى اخوتي وأخواتي الإنسان والحيوان فيحمل النسيم تلك التحية ويسير إلى أن يوصل تلك المادة وهي (الأكسجين) إلى الإنسان والحيوان فيتنفس بها أى يجنبأها من الهواء ويدخلها في المادة الدموية فتتظنها وتطعمها قوة الحياة فيكون الدم شربا يابيا بعد أن كان رويديا . فأنا إذ وقفت أمام هذه الروضة الصغيرة كنت كأني أسمع تلك الأوراق والأشجار والأرهار تحياطيني هذه ، اللغاني وتقول قل للسامين في مشارق الأرض ومغاربها ، لماذا كانت مساكنتكم في مصر ومراكش والجزائر وتونس والعراق وغيرها أقل رونقا وبهجة وتنبعث منها الروائح الكريهة ؟ أجهلتم العلوم ونبذتم العلماء أم لم تهتموا قول الله تعالى - فأنبثنا به حدائق ذات بهجة - فهذه البهجة التي تظهر في رونق الأشجار والأوراق تنبعث منها لنفوسكم بهجة وحياة فتكون هناك سعادة القلوب وانتعاش المدن وقلة الوباء وارتقاء الأمم

فها أناذا أكتب هذا للمسلمين وأقول قد بلغت اللهم فاشهد . فلما كتبت هذا حضر صديقي العالم قتال هذا كلام حسن ولكن مامني قولك « قد بلغت اللهم فاشهد » هل أنت بلغت ديننا ، وهل الحدائق ذات البهجة يجب أن تتخلل المدن الاسلامية حتى تقول لأهل بلغت اللهم فاشهد . هذه قلما النبي ﷺ في حجة الوداع ولكن قلما في أمور هامة وهو حفظ الأئفس والأموال والرفق بالصيد والنساء . أما هذا الذي تقوله فلا هو في العير ولا في النغير وإنما أنت رجل رأيت حقيقة في مكان كنت تسكن قريباته وكان مكانا مزدهجا بالسكان فذرا فأصبح مكانا جيلا فأثر في خيالك . هذا أول الأمر . وهذا آخره . قلت يا صاح اسمع . أليس ترى بعد هذا البيان أن فيه حفظ الأئفس ومحتها . قل بلى . قلت ومتى سمعت الأئفس كثرت الأموال . قال بلى . قلت أليس من هذه الأئفس النساء والصيد . قال بلى . قلت أو مصدق أنت بالقضايا العلمية التي ذكرتها لك قال نعم . قلت إذن فقد الصحة وحصول الولاء لشكر في البلدان عيت نساء وعبيدا وأطفالا ورجالا ، ولكن هذا للوت ليس بالسلاح المعروف وإنما هو سلاح آخر أرسله الله لأهل الأرض لجهلهم فيعصد الأرواح حصدا أفلاتنذكر أن هذه أبحاث فروض كفايات . قال بلى . قلت وتركها إثم على الأمة كلها . قال بلى . قلت ولذلك يم المرض ولا يخلص وكذلك الولاء . كل ذلك عقاب على ترك فرض الكفايات . قال نعم . قلت فإذا تريد بعد هذا البيان ، أليس في ترك هذا الإصلاح هلاك الأئفس التي حذر منها ﷺ قل بلى . قلت إذن وصلنا لمقصود ودخل هذا الموضوع في نفس الحديث المذكور وصر الإثم خاصا بمثل وبمثلك فإذا لم تنقح الناس اقتناعا تاما فانهم لا يسمعون ، فانهم ما قلت وفهمه الناس ، أفلا يخفى لي أن أقول (قد بلغت اللهم فاشهد) قال لقد أقمعتي بحسن بيانك (إن من البيان لسحرا) فقلت الحمد لله رب العالمين

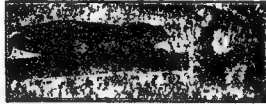
(الطليقة الثانية في بهجة الحدائق)

هذه الآيات باب تلج منه لتدخل أبواب الحدائق الغناء والحقول الخضراء والساكنين البهجة المدهمات وهذه ذكرى لما كان يدني أيام شباني . ومشرقي في أول حياتي ولوع بالأشجار والأزهار والازروع والأعشاب أجلس على حافة الأنهار وعلى شطوطها وفي المنزرع وتحت الأشجار وأسمع قريدي بطيورها وغوري أعشائها ورنين حشراتنا ، وأرى مستقرها ومستودعها ، وكنت أطرب لمراى جلالها وبيدع نظامها وتفنن أوراها وبدائع أغصانها وترنح فروعها وبهجة حسنها . ولقد كنت يخيل أني أنها مراقص فانات ومغان مرئحات ذات معان مبهجات ، وكأنما تمر بدأطيارها وغوري أعشائها ورنين حشراتنا وهي ترده في الجوائف أن الحنا ومجائب نعمتها وبدائع هزجها ورمائها جماعات من الموسيقيين الضنين يضربون على دفوفهم ويضنون على أعودهم وقد برعوا في فونهم وانتظموا في صفوفهم فأبهجوا السامعين

هذه كانت حالى أيام الشباب لاسيا إذا جرت الليل وأرخى سدوله ونظرت الراقصات الجمال والناعسات الطرف المضيات دياجي التلعات الباسيات الثغور النشارح الصدور الداميات الى جملتها أجل العقول وأكبر النفوس أن هلوا الى واقبلوا على . إن ابتسام الزهر واقتدار الثغر وبهجة ثورده وعدال القند وحرارة الخلد كلهن مشقات من سجات وبهجة أوارى ومحاسن إصدارى وإحدى هلاقتى دبا إلى ولا أقولوا إلا على . ولرفعوا النفوس الى العلا وأتم مبتهجون

هذه كانت قصة خيالى في مبدأ حياتي في الرياض المنتبكات والحقول الخضرات ، فهل كان يجيش بقلي أوعى بظاطرى مظهر الآن وبهر من علم الحشرات وغنائها وأن تلك الحدائق والحقول كان فيها تلك المعاني حقيقة لا مجازا وحسا لا خيالا ، وهل كنت أعلم إذ ذاك أن من أنواع الحشرات ما بلغ النعارين بينها مبلغا عظيما وأصبحت حشراتنا أبلغ في الحقيقة من حضارة الإنسان . إن هناك نشاما يفوق الوصف في تلك المخالقات قد قرأتهن سور كثيرة لاسيا في هذه السورة ، مثل أن العلماء راقبوا النمل فوجدوا الوحدة منها تصل شواربها

بشوارب الثانية فيحصل هناك ضجة كبيرة في تلك الجماعات ، انها متعاونات ، انها متحدات ، إن بينها تخاطبا بطريق (التلغراف الذي لاسلك له) كيف لا وقد أدهش العلماء أن رأوا جماعات منها تهمل الأيال في الليل البهيم لتتخذ حشرة وقعت أسيرة ، فمن أخبرها وأى واسطة للتبليغ غير ذلك . يظن العلماء أن لها لغات لكن لا نسمعها وقد أثبتوا أن لها مغاني وآلات طرب بفسمها وهما ذوات النفخ كالزمار وذوات القرق كالطبل . مثاله (السيكانا) وهي نوع من الذباب الكبير فان له طيلا ينقر عليه كطبل الانسان وهذه صورته (شكل ٤٠)



[شكل ٤٠ - رسم ذباب كبير له طبلية يحدث بها صوت الموسيقى]

وهكذا هناك حشرة تفرغ جذع شجر المليون أو غيره فتجعله كالطبلية فيسمع لذلك صوت مستمر . وهذه صورة الجندب وغناؤه معلوم (شكل ٤١)



(شكل ٤١ - صورة الجندب « الصرصور »)

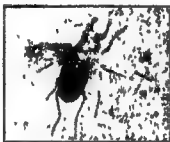
وهناك الخنفساء التي تعزف بطريق خاص بها وتشد عضلات الرجلين المقدمين والرجلين المؤخرين فيظهر بينهما غشاء رقيق مشدود تعزف عليه ويظهر لها صوت جيل مثل (النأى) أليس هذا هو عين قول الله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أعمالكم - أليس الخنفساء القبيحة للنظار التعسة لها مالنا من أنواع الموسيقى والغناء والألحان ، فها هي ذه الممالة لم تقتصر على حال دون حال بل وصلت الى الزينة وهي نوع الموسيقى التي كنت أتخيلها في الحقول وماهي بخيال بل كان الوجدان يقتطف ويختطف ذلك القرح وتلك البهجة من بين الأعشاب ويلقيها الى نفسى فأتحيل النغات وان كنت لا أسمعها وأستطرف تلك المعاني وان كنت لا أدركها

﴿ مغاني النمل ﴾

وهل كان يدور بخلد أحد من أهل العلم قبل الآن أن للنمل آلات موسيقية وانها تحتك بأجسامها في أوراق الأشجار فتحدث صوتا في بعض الغابات يسمعه على بعد ٢٠ قدما وبين كل نملة وأخرى مسافة معلومة فتحدث هناك نغمة خاصة ويكون البدء وتكون النهاية في وقت واحد ، وهذا جهاز التنفس في الحشرات والخنفساء الرقيق الذي يحدث الصوت (انظر شكل ٤٢ وشكل ٤٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٢ - جهاز التنفس في الحشرات والغشاء الرقيق الذي يحدث الصوت)



(شكل ٤٣ - رسم الخنفساء الوغلية وهي طائفة)

إن أجنحة الحشرات تتحرك بسرعة تفوق الوصف بل تصل الى (٣٥٠) مرة في الثانية في الحشرة المسماة بالزجاجة الزرقاء ، وليست موسيقى الحشرات كلها بالقرأوا الاحتكاك . كلا . بل منها ماله جهاز تنفسي كجهاز الانسان

يقول علماء الحشرات إنه ما من نوع من أنواع الحشرات إلا وله نفثات خاصة به ، واذن قوة الانسان لن تقدر أن تدرك ذلك وقد قطعوا الأمل أن يدركوا ذلك بآلات لأنهم يقولون (إن الانسان أدق غو مليون مرة من أشد الآلات العلمية إحساسا)

بهذا نفهم قوله تعالى - حدائق ذات بهجة - وقوله تعالى - وفي الأرض آيات لموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلمست أنا أيها الذكي على حق اذا قلت وأنا في تلك الحقول أيام الشباب ، ان النجوم الباسمة الثغر ليلا نقول هلموا الى لأن أرضنا فيها معان بدعية محيية قد استبهمت علينا فشوقتنا الى المعرفة العامة في الأرض وغيرها وبالمعرفة تكون السعادة ، ومتى طرأ من هذه الأرض أدركنا جلالاً أرقى ومحاسن أبهى والسلام اه

وأقول أيضا هل كان يخيل الى وأنا في حال الشباب جالسا في الحقول كما فتحت آفقا أن هناك شجرة تسمى « شجرة السامح » تقا لعن مجلة الجديد وهامى ذه (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٤ - شجرة السامح في حديقة النباتات في (جورجتون) عاصمة غيانا البريطانية وهي تحتوى دائماً على كمية كبيرة من المياه النقية الصالحة للشرب فإذا ثقب أحد الفروع يتسرب الماء من الفتحة بقوة وكل فرع به مخزن مستقل من الماء)

أم كان ينجل الى أن هناك عواطف للحب بين أنواع الحيوان والطير كما ترى من مغازلة الطاووس لأنتاه (شكل ٤٥ في الصفحة التالية) فلقد جاء في مجلة الجديد أيضاً ما نصه



(شكل ٤٥ - رسم مغازلة الطاووس لأثناء)

(مغازلات الحيوانات والطيور وهدايا العشاق)

تقدم الاستاذ (جوليان سوريل هكسلي) بجامعة أكسفورد الى الجمعية العلمية الانكليزية بأبحاث هامة أثبت فيها أن كل الطرق والاجراآت التي يتفنن في عملها الذكور والاناث من بني الانسان لاستمالة القلوب موجود مايمثلها من كل وجه بين الحيوانات والطيور فانه يكون بين الجنسين فيها المغازلات والفتاء والرقص وتقديم الهدايا الى آخر ما يصير بين المحب والمحبيب وليس ذلك قاصرا على الأنواع العليا . فالاستاذ هكسلي يثبت أن بعض الحشرات تتعطر بروائح النهار والأزهار كي تكون محبوبة ، ومن المعروف أن كثيرا من الطيور والحيوانات حتى الأنواع الزاحفة منها تعرف أغاني الحب وتكثر منها لاستمالة القلوب

(حب العنكبوت المصير)

ويرى الاستاذ (هكسلي) أن لكل نوع من الحيوان طريقة الخاصة به حسبما يتفق مع تكوينه فالعنكبوت مثلا (قبان) قسم يتجول ويصطاد فريسته ، وقسم يتخذ بيوتا من النسج الدقيق الذي يغزله ، ويرى

أن العنكبوت الأخير لا يصرف لعاشق منه طريقة غير التي يتبعها العاشق من النوع الأول ، فالعنكبوت المبتدئ الذي أبصر عنكبوتة من نوعه أخذ يدنو منها بأرشفة حركة ثم اذا صار أمامها يأخذ في الرقص حولها بكل مهارة ودقة حتى اذا وجد انه آثار ميلها اليه ألقي بجسمه أثناء رقصه فوق جسمها وقد تسببه هي باحتضانه فبرقصان معا نحوامة دورة قبل اتصالهما العنيف الجنوني

﴿ حب العنكبوت الأعمى ﴾

وأما العنكبوت الأعمى وهو الذي يتخذ البيوت الخيطية فانه يعبر عن عواطفه في الحب بطريقة أخرى غير الرقص لأنه لا تراه حيث حيث يدنو من بيت مصنوقه بكل مهارة كأنما هو روميو تحت شرفة جوليت فلا يعلم لها خيوط البيت ولكنه يمز أحد الخيوط برشاقة وينقر عليه بخفة وبطريقة خاصة تفهم منها العنكبوتة أن الطارق هو روميو لاذباة وهذه الإشارة الأولية لابد منها والا فإن المصنوقة العمياء ربما حسبت فريسة وأكلته وقد يبعث العنكبوت حاملها الى حيثه فريسة من اللحم المختل ملفوفة في خيوط من الحرير على سبيل الهدايا فان تقدم الهدايا ليس خاصا بالإنسان بل هو غريزي في بعض أنواع الحيوانات والطيور . ويوجد نوع من النباب يصنع الذكر منه (باقة) من الأزهار النقيقة ويقدها للأنثى ليشرها بحبه ، وذلك بأن يخرج إفراسا يصنعه على شكل فقايع صغيرة ويجمع قطعاً من أوراق الأزهار وياصقها عليها فلذا صنع باقة كذلك وضعها على رجله وقدمها لحبيته

﴿ حب الفراش ﴾

ومن البديهي أن تأتق الطبيعة في زخوة الفراش بأبهج الألوان الجذابة لم يحصل عبثاً فلا بد من أن تطورت الانتخاب الطبيعي لاختيار النوع الأمثل كانت على أشد حرارة بين هذه الحشرات ، وهل معنى ذلك الاشتداد الدواطف الحارة بين الذكور منها والاناث . على أن أنواع الفراش لا تنقنع باستمالة العشيقات بهيج الألوان فتجتمع الى ذلك التطور بأريج الأزهار كما هو مشاهد عند العلماء الذين يشمون عند دراسة أنواع الفراش ما تحمله أجسامها من الروائح العطرية المختلفة

﴿ غناء الحشرات ﴾

وليس الإنسان وحده الذي يرسل زفرات فؤاده بالألحان والأنغام فان أقل الحشرات تعبر عن وجدانها وتستميل عشيقاتها بالغناء ، ومنه ما تسمعه أذن الإنسان كما في الجذجد والناموس وغيره ، وقد يكون اهم سبب له اشعار الاناث بوجود الذكور أى الاعلان عن نفسها

﴿ دموع التماسح ﴾

وقد يضرب المثل بدموع التماسح دلالة على أنه بعيد عن التأثر بالعواطف الرقيقة ولكن علماء التاريخ الطبي الذين درسوا حياته في موطنه الطبيعية يرون أنه شديد التأثر بميوله وعواطفه الجنسية الى درجة الجنون فهو يثور ثورة يكاد يتفجر منها اذا أغضبت الأنثى

﴿ الحب بين الطيور ﴾

ويقرر العلماء أن حياة الطيور تكاد تكون موقوفة على مناورات الحب والاستمتاع به ولكل نوع منها إجراآت وطرق عجيبة لاجتماع الاتصال بين الذكور والاناث ، وذهب بعض العلماء الى أن أرقى مثل للزواج يوجد بين بعض أنواع الطيور حيث يجعل الذكر كل أعماله لاسعاد الأنثى وهي راجحة على يضا في العش دون أن يتألم من أية مشقة في إعالتها واعيالة أفراسها الصغار ، ويرى الدكتور (لودلو) العالم الأمريكي أن تغريد الطيور مكون من ألفاظ غزلية وسواها حسبا تشعربه من الانفعالات والبول الجنسية نحو بعضها فهو في الحقيقة لغة عواطف الطير . ويرى الاستاذ (هكسلي) أنه من الخطأ البين حتى بين رجال العلم أن تجعل كل الانفعالات

النفسية حقا مقررا للإنسان وحده وترجم ظواهر هذه الانفعالات في الحيوان والطيور من هذه الناحية وحدها في حين أن الحقيقة والأمور الطبيعية أن تعتبر هذه الانفعالات من غرائز الكائنات الحية وأن الإنسان للسلسلة منها محتفظ بنصيبه منها مثل أى كائن حى . وصفوة القول أن الصفات الحسية والعواطف المختلفة التى استأثر بها النوع البشرى حيوانية قبل أن تكون انسانية ولم تبلغ درجتها الحالية إلا بعد أن تطورت فيه وفي أسلافه من أقدم العصور حتى هذا العهد اهـ من مجلة الجديد

﴿ بهجة الابصار في أوراق الأشجار ﴾

لما كتبت هذا والمطلع بعض العلماء عليه أخذ يحادثنى قائلا ، لقد ظهر لى جبال العلم والحكمة في شجرة البرتقال وشجرة الكرم والتوقع فيهما ، ولعمرك الله لقد أنعشتى وأبهج قلبي أن أرى المخلوق في شجرة الكرم وأرى الشوك في شجرة البرتقال وأن لها مزينة ظاهرة مع ان أكثر هذا النوع الانسانى لا يعرفون من الشوك إلا انه خلق لمجرد الايداء وأن هذا المخلوق وجد اتفاقا ، فهذا القول يفتح لنا مجالا للتبصر والبهجة هذا من الجبب الجباب ، فهل تتوسع لنا في هذا الموضوع حتى اذا قمنا خلال الحدائق الغناء شرحت صدورنا بأوراقها وأزهارها وتبين أشكالها وقنن أعمارها . وهول

وعلى تقان واصفيه بحسنه • يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

وزرى في الزهر والنبات ما يراه علماء البديع في تعلم المبتدئين قول الشاعر يصف مجاهدا قتل في الحرب
تردى ثياب اللوت حرا فما أتى • لها ليل إلا وهى من سدس خضر

وهم فرحون طربون طربا لفظيا في ذكر الحمر والخضر وما يزاوونه مما يسمونه الجناس في قوله تعالى - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - من اتفاق لفظ الساعة في الموضعين واختلاف المعنيين وهكذا مما هو معروف مشهور . فقلت سئل ما بدا لك في أنواع الزهر والورق . فقال لقد انبهم على السرفيا يأتي (١) ورقة القصب والثررة والقمح (٢) ورقة البازلاء وورقة الورد (٣) ورقة الحناء (٤) ورقة الشمس مثلا (٥) وورقات الفجل والخروع (٦) وورقات العدس والترمس . هذه الورقات مختلفات اختلافا بينا ، فهل تشرحها لى شرما يشرح صدرى شرح الله صدرك كما أنشرفت وطربت لمعرفة السر في شوك البرتقال ومخلوق العنب . فقلت أذكر لك ما أعلمه في هذا المقام على مقتضى أصول علماء النبات

اعلم أن الله عز وجل قد أبدع في نظام هذه النباتات ابداعا لاحده ، وما ابداع الناس في تركيب كلامهم ولا تزويجهم لصنوف عباراتهم إلا قبسة من أنوار الجبال الأعلى ولكن أتى مستوى السابق والاضلع
• ليس التكحل في العينين كالكمحل • ففي الطبيعة التى أبرزها الله لنا من الجبال ما يهيب الابصار - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - إن ابداع عالم في أوراق النباتات وفي أزهارها وفي أعمارها والابداع في الأوراق (نوعان • النوع الأول) في قس تكوين الأوراق (النوع الثانى) في نسبة بعضها الى بعض (الكلام على النوع الأول وهو تكوين الأوراق)

اعلم أن الله عز وجل أرسل لنا من لفته (تورين) نورا حسيا ونورا معنويا عقليا وضرب النور الحسى مثلا للنور العقلى ، فكما اننا نرى الشمس واحدة وقد عم نورها الآفاق وأشرقت بها الأرض ولم تفرقنا ولا حيوانا ولا صغيرا ولا كبيرا إلا نشرت عليه ملاءة من أنوارها وهى واحدة هكذا نرى انه هو واحد وقد بث من لفته نورا عقليا وحكمة قدسية هندست خلق الأوراق والأزهار بحكمة واتقان بحيث يراعى في ذلك أن يظهر جميع للممكنات ، فكل ممكن في الوجود يبرز (وبعبارة أوضح) انه كما توقع منافع الأشجار والزرع توقع ظواهرها ، فهذه التى ذكرتها فيها الحبوب كالقمح والثررة والبازلاء والعدس وفيها الفاكهة كالقصب والشمس وفيها الخضراوات كالفجل وفيها الدواء كالخروع وفيها الزينة كلروائح العطرة في الورد والأصباغ الجبلية في الحناء

ولاجرم أن ما يحتاجه إما ضروري كالغذاء ، وإما كلى كالفاكهة والخضر ، وإما دواء كالخروع ، وإما زينة كاللحاء والورد . فهذه التي ذكرتها قد جعت نموذج ما يحتاج اليه في هذه الحياة الدنيا ، فهذا النوع الموافق لحاجتنا بالحكمة والتدبير يقابل تنوع في ظواهر الأشكال بحيث يشمل كل ما يمكن حصوله في العقل إن عقولا لا تتخيل في الورق إلا أحد هذه الصور ، أن تكون حافها مستوية لا أسنان فيها أو أن تكون فيها أسنان صغيرة أو أن تكون الأسنان كبيرة لا تبلغ نهاية الورقة أن تكون الأسنان بالغة نهاية الورقة فهذه الأنواع الأربعة كلها وجدت في هذه الأوراق التي ذكرتها ، مثال الأول ورقة الحناء (انظر شكل ٤٦) ومثال الثاني ورقة المشمش (انظر شكل ٤٧) ومثال الثالث ورق الفجل والخروع (انظر شكل ٤٨ و ٤٩) ومثال الرابع ورق العنبر وورق الترمس (انظر شكل ٥٠ و ٥١)



(شكل ٤٨)



(شكل ٤٧)



(شكل ٤٦)



(شكل ٥١)



(شكل ٥٠)



(شكل ٤٩)

ومن العجب أن النبات ذا الفلقة الواحدة كالقمح غالباً نرى ورقته لها عروق متوازية . وأما النبات ذو الفلتين كالعدس والتمس فإن ورقه غالباً يكون مشبهاً هيئة الريش كورقة العدس أو مشبهاً راحة الكف كورقة الترمس . ثم إن هذه الأوراق كلها لها أعناق وتلك الأعناق إنما خلقت لها لترفعها عن الأغصان حتى تلاقى ضوء الشمس وتمتع بالهواء ، ولولا هذه الأعناق لبقيت قائمة على أغصانها ، فهذه الأعناق الرافعة لها إنما خلقت لهذه الحكمة ولولاها لم تنخلق ، ولذلك ترى ورق القرطم لانهق له بل الورقة حينئذ يسميها علماء النبات جالسة جلوسها على مستقرها إذ لا حاجة إلى انفصالها عنه لأنها متمتعة بالهواء وبالقوة بلا حاجة إلى ما يرفعها . ثم إن هذا العنق الذي يرفع الورقة ربما احتاج إلى ما يحفظه . ومعلوم أنه لا بد منه للورقة والورقة نافعة للشجرة لأن الورقة أتت بالرياح في الحيوان بها يكون ما يشبه النفس فيه فهي بما فيها من المادة الخضراء (الكلوروفيل) تنقل غاز الكربونيك من الهواء فتحلله وتأخذ الكربون (الفحم) وتطلق الأكسوجين في الجو فيذهب للحيوان . إذن هذه الأوراق لا بد منها لحياة الشجرة ولذلك اقتضت العناية أن يرفعها ذلك

العنق فتقابل الهواء والنور ليم فعلها فتأخذ من الهواء الغاز وبقدر النور لا تقدر على عملية التنفس . وقد جاء في كلام علماء الفقه (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) فإذا وجب وجود هذا العنق ليم عمل الورقة واحتاج الى ما يحفظه فليصنع له ما صنعته النخس في حفظ رقابهم من حوادث الجو . إن الناس يضعون على رقابهم أربطة في بلادنا وفي أكثر بلاد العالم لتقيهم الحر والبرد ورقابنا لابد لنا منها فنحفظها كما ان رقاب الأوراق لابد منها لها ، تلك اقتضت الحكمة الخفية أن عنق ورقة البازلاء وعنق ورقة الورد يتخلق لهما ما يسميه علماء النبات (أذنين) وهما إما كبيرتان كما في البازلاء (انظر شكل ٥٢) وإما صغيرتان كما في الورد ترى الحماية لعنق ورقة السط بالسلام ، ثم إن العنق إما يحيط بالساق كما في القمع والقصب والذرة فهو أشبه بالعمد وإما غير محيط به بل لاضخامة فيه كالكتان فهذا جواب ما سألت عنه . إذن ظواهر هذه الأشجار قد أخذت الأشكال التي يتصورها العقل وبواطنها تنوعت الى ما تحتاج اليه في حياتنا ، فالظواهر والباطن في النبات توجب علينا دراستها لتحيا أجسامنا وترقى عقولنا . انتهى الكلام على النوع الأول في نفس تكوين الأوراق صباح يوم الجمعة ١٩ إبريل سنة ١٩٢٩



(شكل ٥٢)

(النوع الثاني نسبة الأوراق بعضها الى بعض)

وهذا تقدم شرحه مع رسم بعض الصور في (سورة الحجر) عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - فلانعيده . وأما الكلام على الأزهار فقد تقدم أيضا في أول سورة الشعراء وفي أول سورة الحجر وفي سورة الأنعام فليراجع

(ذكرى الجمال والحكمة ومخاطبة المؤلف لصانع العالم بمناسبة عجائب الأوراق المرسومة فيما سبق)
في هذا اليوم (الأحد ٢١ إبريل سنة ١٩٢٩) بعد كتابة ما تقدم أشنت نفسي تحتدتي كافي أحاطب صانع العالم قائلا (يا الله إني وجدتك لم تفر صغيرة ولا كبيرة في هذا العالم إلا دبرتها ونظمها ، أصأت شمسك وأرت قرك ونجومك وأرسلت أشعتها على الأرض ولم يغادر هذا النور المحسوس صغيرة ولا كبيرة إلا أضاءها هذه شمسك الجيلة لم يكفها إرسال النور على السيارات حولها وعلى الأرض بل شمل نفعها الفرات والخبرات كما شمل الأنعام والإنسان ، ووجدتك أت صوت بالتدبير الممالك الصغيرة والكبيرة الحيوانية والنباتية من حيث عمومها ولم تفر حشرة ولا حيوانا ذريا إلا أكلت خلقه ولا نباتا صغيرا ولا كبيرا إلا أحكمت ، ويزيدني دهنا أن أرى بعيني ورقة الورد ورقة البارلاء وورقة السط عجيات محفوظات مكفولات في كنفك ، فأعطيت

الأولى حافظا لها يقيها ، والثانية حافظا لها أقوى ، والثالثة أعتها بشوكه هبها العاديات ، حكم لا يظن لها الناس يمرون عليها وهم عنها غافلون ، من ذا الذي كان يظن أن الحكمة والعناية تسهل الى ورقة السبط الضعيفة وأختها ، من ذا الذي كان يعقل أن هذه الزوائد والروافد على البزللاء والورد وضعت لمنفعة اللهم انه لولا الحجاب المسدول بيننا وبينك لظهر نورك البديع فأشرق الأجسام والقلوب والأفئدة ، هذه النفوس الأرضية قسمة من نورك وقد حجبها في المودة الطينية فهي الآن في غفلة ولولا الغفلة لم تعش طرفة عين ولم يستقر لها قرار ، إني لأحس في نفسي بأن في هذه الأرض أناسا منا نحن قد اطلعوا على الحقائق فزأوا في كل ورقة وشجرة وزهرة وحجر ومدر وكوكب فصاخوا في النعيم الذي لانعم بوازيه ولا سعادة تضارعه وهؤلاء لو زينت لهم الحور العين وأغدقت عليهم سائر النعم وملكوا الجنات والولدان لم يأبهوا بها ولم يطربوا لها بل يرون نورك الذي بهرهم أعظم سعادة وجنات وأن احتجابه عنهم أشد العذاب أقول هذا موقنا به ، وهذه الطاقة التي صورتها تصبح اليوم في نعيم وإن كانت في هذه الدار لا تشاق الى حال أرقى عما وصلت اليه لأنها ترى رب الدار وتقول « الجار قبل الدار » ولا يرونها إلا وجهك . إن في الارض أناسا تمت سعادتهم قبل دخول الجنان - رضى الله عنهم ورضوا عنه -

أقول هذا لما شاهدته في هذه العوالم ولما عرفته أثناء هذا التفسير من ابدالك في صنك ورائتك بكل ضيف وكفالك للثمرات والحشرات وصغيرات الأوراق والأزهار والممالك لكل حي ما يصلحه والآن فهمت قولك - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقولك - ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها - وقولك في قصة قارون - إذ قال له قومى لأخرج - الخ وقولك - وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة - وقولك - وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وقولك - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - الخ فأنت لآعجب الفرحين ، وأنت لآعجب المفسدين ، ولآعجب الذين يريدون علوا في الأرض وتأمرنا بالإحسان للناس كما أحسنت اليها ، وذلك كله تجلي لي في هذه الورقات وابدالك فيها ، أنت راعيت أضعف الورق في السقوط والورد وفي البزللاء ، فهكذا أنت تراعى كل انسان من باب أولى ويصبيه الخبر والشر فم الفرح ولم الحزن اذا لم يكن هناك عمل إلا عملك أنت ولا فلاح إلا بما يعمل الانسان مستقلا ولا عمل له في الحقيقة والمقد في الأرض خالف منهجك الذي رأيته في رعايتك هذه الورقات والعلو على الناس خلاف سنك فأنت تحفظ هذه الورقة كما تحفظ الشمس والقمر والانسان وضوء شمسك لا يتكبر على الخفضاء مثلا ويختص بالانسان ، فعلى الناس أن يقتدوا بك في عملك . وهذه الزروع والأشجار قد تركت للناس عمارها فأحسنت لهم كما أنك أحسنت اليها ، أفلا يجب على أن أنشر بين الناس هذا الكتاب وغيره اقتداء بعملك وسيرا على منهجك إنك أنت الحكيم العليم

أيها الذكي هذا هو الذي قرأته في هذه الورقات فقرأه معي وأحسن كما أحسن الله اليك ، واعلم أن الله عز وجل لا يكره منا إلا حب العلو وحب الفساد . أما نفس العلو فهو أمر واجب كأن يكون الانسان حاكما أو أستاذا واليد العليا خير من اليد السفلى . ومعالم أن المعطي خير من الأخذ ولكن لا يرى أن له فضلا في ذلك بل يعلم انه الله ، واذا قهرنا أعداءنا وجب أن لا يكون ذلك نجوذا انتقاما بل يكون ذلك لاصلاح اهل الأرض كما كان ذلك دأب الصحابة في محاربة الأمم فلم يكن انتقاما بل كان عملا يراد به الاصلاح كما ان الله يزِيل نبات الصيف ويجعل عليه نبات الشتاء للاصلاح لا للافساد في الأرض . هكذا فلتكن أعمال الناس . هذا ما ذكرت عند نظر هذه الأوراق المرسومات والجد لله رب العالمين

(سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه)

هذه هي السعادة التي كنت أشهد بها بين الحقول والأشجار وعلى شواطئ الأنهار وأتأشبها في . كنت

أُنشد الحقيقة والحقيقة هي نفس السعادة ، ماهي الحقيقة التي كنت أنشدتها ؟ كنت أريد أن أعرف ماوصل اليه عقل هذا الانسان في معرفة هذا الوجود . فهاأنذا اليوم أعلن أن ورقة السطوةورقة البزلاء وورقة الورد وألأفا أمثالهافي الأرض والسما قد أعطت نفسى الايقان الذي أيقنه أفلاطون وأرسطاطاليس وقبلهماسقراط من أمة اليونان . والايقان الذي أيقنه مؤلف كتاب الفيدا بالهند . والايقان الذي أيقنه (كانت الألباني) وسبنسر الانجليزى ومثات غيرهم . هاهم أولاد كلهم قد وصلوا الى نقطة واحدة هي ماذكرته الآن في هذه الوريقات . ايقن أفلاطون . بماذا أيقن ؟ أيقن بمبدع للعالم لأجل هذا النظام . ويعد أرسطاطاليس وقبله سقراط . وتقلل مذهب أفلاطون في عقول المفكرين من أم النصرى والمثقفين من أم الاسلام وفي أم غيرهم وتقابل هذا المذهب مع مذهب الفيدا في الهند ومع آراء أم أوروبا الحالية أى العقول الراقية هناك ومع رضى جيع الأنبياء . إذن أنا الآن أعلن انى أكتب متفقاً مع أكبرالعقول في الأم قديما وحديثا ولهذا الاجال تفصيل في رسالتى للسماة (مرآة الفلسفة) وسأكتبها في هذا التفسير إن شاء الله تعالى اه ههنا ترجع للتفسيراللفظى يقول الله تعالى - وقال الذين كفروا انذا كنا ترابا وأبوابنا أننا نخرجون الخ - ههنا ذكر الله أقوالالكفاروالردة عليهم في أمر الآخرة

(١) يقول الكافرون كيف نخرج نحن وأبوابنا بعد أن أصبحت أجسادنا ترابا وكيف يصيرالتراب أجسادا
(٢) إن هذه المواعيد قد سمعها أبوابنا من قبلنا وماهى إلا أحاديث الأقدمين يتحدثون بها في سرهم ومحاوراتهم وليس لها حقيقة

(٣) أمر الله نبيه ﷺ أن يأمرهم بالنظر في الأم التي كذبت فقد كذبوا فلما كذبوا أهلكوا
(٤) وكأمرهم بذلك أمره ﷺ الأبحزن ولا يضيّق صدره من مكرهم
(٥) ذكر الله انهم يستطوّن العذاب الذي وعدهم به . ذلك انه أمرهم بالاعتبار بالأم السالفة فكأنهم قالوا وأين العذاب الواقع بنا كما وقع بهم ؟ فأجاب قائلا عسى أن يكون تبعكم ومفكم بعض ما تستجلبون منه كيوم بدر وكلصائب التي تحمل بالناس في أموالهم وأولادهم وفي مدنهم وفي منازلهم كما قل تعالى - فلا تهيك أموالهم ولأولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - والعذاب على قدر الاحساس ومادام الانسان غافلا يظن أن هذه الحياة هي كل شئ فليعلم انه يعذب بكل حادث حل به لتعلقه بهذا العالم وارتباطه به ، فبقدر الارتباط يكون العذاب فيحزن لفقد المال والولد ولكل طارىء يطرؤ لفعله فهذا هو قوله تعالى - قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستجلبون -

(٦) ذكر أن الله ذو فضل على الناس فانه غفرهم في التعمة وهم لا يشكرونها
(٧) ذكر انه يعلم مايسرون وما يعلنون ويعلم ماغاب في السموات والأرض
(٨) والقرآن أيضا من علمه تعالى فهو يقص على بنى اسرائيل أكثر ما يختلفون فيه وهو هدى ورحمة للمؤمنين ، وبعد ذلك خاطبه ﷺ بقوله - إن ربك يقضى بينهم بحكمه - الخ
(تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات)

(من قوله - وقال الذين كفروا - الى قوله - وانه لهدى ورحمة للمؤمنين -)
قال تعالى (وقل الذين كفروا انذا كنا ترابا وأبوابنا أننا نخرجون) من قبورنا أحياء والعامل في اذا مادل عليه - أننا نخرجون - وهو نخرج وتكرر اللمزة للبالغة في الانكار والرد بالخراج الخراج من الأجداث وهذه الجملة تبيان لمعهم وزدياد ضلالهم وجهالتهم (لقد وعدنا هذا نحن وأبوابنا من قبل) من قبل وعد محمد ﷺ (إن هذا إلا أساطير الأولين) أحاديثهم وأكاذيبهم الى كتبوها (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) هذا تهديد لهم على التكذيب وتخويفهم بأنه يزل بهم ماوّل بالمكذبين قبلهم

(ولا يحزن عليهم) على تكذيبهم (ولا تنك في ضيق) في حرج صدر (عما يكفرون) من مكروهم فان الله يصيبك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب للنجود (ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد (بعض التي تستجلون) حلوله وهو ما تقدم من عذاب النفوس والاعمال واخراج الأمم . كل ذلك يكون قاسيا على النفوس ملوامة مفرومة بالدين ، فلذا كانت نزاعة الى الشرف والفضيلة والعلم وحب الله خف عنها متاجدة في الدنيا وزوال عنها في الآخرة (وان ربك للوفضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) واعلم انه لا شكر للنعمة إلا بعد ادراكها وفهمها ، ومتى فهم النعمة شكر الله بقلبه واعتقاده وقام بالعمل لطاعته وأثنى على الله بلسانه ، وكيف يشكر نعمة هو يعجزها ، فلهذا لله فيها تقم والشكر له هنا بوجيان درس هذه العوالم المذكورة فيما تقدم ، وتعلم أن الامام الغزالي ألف بابا من أبواب الإحياء في شكر الله تعالى وذكر فيه درس العباد ومتى فهمت هذه السورة ومقاصدها عرفت أن شكر المسلم لن يكون الإبراسة هذه العلوم والعوالم ومجائبها هؤلاء الكافرون لجهلهم بالله فقصروا علمهم على هذه الحياتوا سكر واسوألوا . ولولاهم درسوا هذا الوجود لعرفوا انه لم يخلق سدى وأن هذه الحياة لو لم تكن هناك حياة بعدها لكان ذلك قصافى الخلق أو الحكمة فما الحكمة في خلق الناس وموتهم بلا فائدة لهم . إن ذلك قص مشين في خلق العالم وفي الحكمة . فالوقوف عند الحياة الدنيا اخلايا للعالم والشكر لله وجهل به وكفى بالجهل كفرا بنعمة الله وعصم شكره (وان ربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى ما تخفيه صدورهم وما قلته من عداوتهم له فيعاجزهم (وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) أى خافية فيهما ، وغائبة وخافية من الصفات الغالبة والتامة فيهما للبالغة كافي رواية (إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) بين لهم (أكثر التي هم فيه يختلفون) من أمر الدين وقد كان بنو اسرائيل يختلفون في التشبيه والتزبي وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وايه لهدى ورجة للؤمنين) فانهم المنتفعون به (إن ربك يقضى بينهم) بين بني اسرائيل (بتحكيم) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته (وهو العزيز) فلا بد قضاؤه (العلم) بأسوألهم فلا يخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) فتى بالله ولا تبال بمعادتهم (إنك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره فلا يصرك سواء . أما هم فطامع في مشايقتهم ومعاضدتهم لأنهم كلوثو وكالهم وكالهمى (إنك لا تسمع الموق) لأنهم لا يتفقون باستماعهم ما ينل عليهم (ولا تسمع الصم الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (إذا ولوا مديري) معرضين ولا جرم أن الأصم اذا ولم مدبرا قطع الطمع في اسماعه برفع صوت أو نحوه (وما أنت بهادى العمى عن صلاتهم) الى الهدى حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن انه من الله (فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) أى اذا وجبت الحجة عليهم أو اذا لم يرج صلاحهم بالطرق المعروفة في آخر الزمان (أخرجنا لهم دابة من الأرض) وقد ورد في الصحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « يادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والناس والنساء والنساء والنساء وخويسة أحدكم وأمر العاتية ، وورد فيه أيضا « ان أول الآيات خروبا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس مخفي وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا ، ولم يرد في الصحيح على ما أعلم ماذكر من صفاتها من أن معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلبو وجه المؤمنين وتخطم أف الكافر بالخاص حتى ان أهل الحق ليجتمعون فيقول لهذا يامؤمن وتقول لهذا يا كافر وأن اسمها الجساسة وطولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان ، ويقال لها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعلمة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعر الخ وانها تخرج من الصفا فكل ذلك لم أره في الصحيح وانما تعرف من صفاتها ما ورد في الصحيح كما تقدم فانه لم يذكر إلا من مجيئها ولم يرد في القرآن إلا قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تكلمهم من الكلام بأن

اللاس الح وعلى قراءة كسر أن يكون المعنى تكلمهم قائلة ان اللاس كانوا باياتر بنالغ ، ثم ذكر قيام الساعة فقال
(ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) أى واذا كرم يوم يجمع من كل أمة من الأمم زمرة (عن يكذب باياناً) من
التبيين ومن الأولى للتبعض (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع
الحساب والمراد بذلك كثرة عددهم وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف
الحساب (قال أ كذبت باياتر ولم تحيطوا بها هلما) الواو للحال أى أ كذبت بها بادئ الرأى من غير فكر
ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها لتعلموا بالتصديق أم التكذيب هى جديرة (أماذا كنتم تعملون) أى أى
شئ كنتم تعملون بعد ذلك وهذه الجلة تبيكت لهم إذ لا عمل لهم غير التكذيب (ووقع القول عليهم بما ظلموا)
حل بهم العذاب الموعود وهو دخولهم النار بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار
لشغلهم بالعذاب (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليستقوا فيه والنهار مبصر) أمهه ليبصروا فيه فيقول في جعل الايام
حالا من نفس النهار ، يقول الله ألم يبصروا تعاقب الليل والنهار وكيف جعلنا الظلمة والنور متعاقبين في أوقات
محددة ، أليس ذلك دليلاً على عظم قدرتنا ووجودنا ، أليس نوم اللاس في الظلمة واستيقاظهم في النور عما
يدل على أن لهم حالا بعد الموت مخالفة وذلك بالحياة ، أليس الموت كالنوم ليلا والبعث كاليقظة نهاراً ، أليس
تسهيل المصالح باليقظة دليلاً على عناية تامة بهم ، يوم يمضون فيعطى كل ما يليق له كما يفعل ذلك بعد اليقظة تماماً
(إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلائلها على الامور الثلاثة المتقدمة وحدانية بعث وعناية بالمصالح بعد البعث
كما يفعل في اليقظة (ويوم ينفخ في الصور) قيل هوجع صورة • ويقال الصور القرن فهو تمثيل لانبعاث الموتى
بأبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ، يقول الله واذا كرم يوم ينفخ في الصور (ففرع) من الهول وعبر بالماضي لتحقق
وقوعه (من في السموات ومن في الأرض) ماتوا أى يلقى عليهم الفرع الى أن يموتوا (إلا من شاء الله) أن
لا يفرع بأن ثبت قلبه • ورد في حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ينفخ في الصور
فيصقى من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فإذا
موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكلن بمن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قلى ، وهناك
أقوال فيمن استثناهم الله كلائكة الأربعة وكالشهداء والحوار والخزيرة والعلم عند الله ولا تلتق إلا بما يجىء فى
الصحيح (وكل أتوه) جاموه بعد النفخة الثانية (داخرون) صافرون (ووزى الجمال تحسبها جامدة) قائمة واقفة
(وهي تمر من السحاب) تسير سحر السحاب حتى تقع على الأرض فتسوى بها وذلك لأن الأجرام الكبار اذا
تحركت فى سمث واحد لا تكاد تبين حركتها (صنع الله) مصممو كد لنفسه وهو مصمون الجلة للمتقدمة
(الذى اتقن كل شئ) أى أحكم خلقه وسواء (إنه خير بما تعملون) علم بواطن الأفعال وظواهرها وهو
المجازى عليها (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة الى سعمائة وما فوق ذلك (وهم من فرع يومئذ آمنون)
أى من خوف عذاب يوم القيامة وان كان الرعب المتقدم عند مشاهدة الأحوال لابد منه مع أن الحسن
آمن من وهول ضرره اليه (ومن جاء بالسيرة) بالشرك (فكتب وجوههم فى النار) أى أبدانهم أى كبوا
وطرحوا جميعهم فى النار (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك أى قول لهم الخزيه ذلك
(أما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها الله) بعد أن ذكر للبداء والمعاد وشرح الدول والممالك
والقيامة والفرع والثواب والعقاب وهذا تمام الدعوة ، أمر أن يستغرق فى العبادة وتخصيص مكة بالاصافة
لتتبرئها وحرماتها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقادين أو التائبين على ملة
الاسلام (وأن أنالوا القرآن) وأن أوأطب على تلاوته لتستدنى لى حقايقه فى تلاوته شياً فشيأ (فمن اعتدى)
بإتباعه إلهى (فأما يهتدى لنفسه) فان مافيه عائدة اليه (ومن صلت) بمخالفتي (فقل إنا أنا من المنزيرين)
ولا يضرتنى ضلاله وما لى الرسول إلا البلاغ (وقل الحمد لله) على نعمة النوة والعلم والتوفيق للعمل (سيريك)

آياته) في هذه الدنيا من الوقائع التي أخبر بها القرآن كنصر النبي ﷺ وكظهور عجائب الكون وغرائب علم الأرواح والكشف الحديث في العالم التي أدهش العقول (فتعرفونها) فتعرفون أنها آيات الله ، ولقد عرف كثير من الناس في أوروبا وفي الشرق ربهم واليوم الآخر بقرامة علم الأرواح أو باستحضارها وبالاطلاع على عجائب العلم الحديث وظهور حقائق مذهلة (ومار بك بما قال عما تعملون) فإن الله عالم به غير غافل عنه فالتفقه والسهولة لا يجوزان عليه انتهى التفسير اللفظي

(لطائف هذا القسم)

- (١) في قوله تعالى - أخرجنا لهم دابة من الأرض -
- (٢) وفي قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ
- (٣) وفي قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -
- (٤) وفي أن في هذه السورة شكرين لسبلان عليه السلام وحدين لبينا ﷺ وما سر ذلك
- (٥) وفي تلخيص كتاب الشكر أجالا للامام الغزالي في الاحياء وتذكير المسلمين بهذه العلوم

(اللطيفة الأولى من كتاب الأرواح بالحرف)

ومما يدهش العقلاء أن القرآن ربما أشار بطرف خفي إلى حادثة ظهور الأرواح في هذا الزمان في آية - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - . يقول الله تعالى - وإذا وقع القول عليهم - أي شارف الوقوع وهو قرب قيام الساعة وحققت كلمة العذاب على نوع الانسان فجعلوا المعنويات وعكفوا على الماديات وكذبوا الديانات وشكوا في الآيات وأصبحوا لاشرف لهم في جبروتهم ولا أفرادهم وصرخوا على الكذب والنفاق وازدادوا بالعلمي وبالفلسفة ظلماء أخرجنا لهم من الأرض من يطرُق الموائد ويحركها ويمسك الأقلام في أيديهم ويكتب ويتراءى لهم في أشكال وأزياء مختلفة ووجوه نورية فتراه يصارهم نارة ويسمعون كلامه وطورا يبصرون أشكالا ونارة يقرؤن خطوطا وآونة يسمعون صريحا وصوتا شديدا كل رعد القاصف وقد يحسون برودة تمر عليهم ثم تتحرك الأيدي بالكتابة فكان في عمله أشبه بمن يدب على الأرض من الانسان في تعقله وعمله ومما يجري فوقها من الدواب في حركاتها وأعمالها الأخرى ، فهذا يشير له معنى قوله - أخرجنا لهم دابة من الأرض - وهذه الدابة تبين للناس حقائق وتدرس لهم حكمه وتربهم انهم غافلون جاهلون ضالون فيجلس أمامها أكبر الضالين وأعظم الفاسقين وأشد الغافلين ومن يدعى انه ملك مقاليد العلم ويرى في الحكمة المادية فيخسر ساجدا لربه خاضعا لخالفه موقنا أن روحه سبق بعد موته ، فهذا معنى - تكلمهم - الخ وقرأ ابن مسعود - تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - وهذا هو الخالص الآن بينه وهذه معجزة للقرآن وحكمة ثابتة للفرقان فان الآلاف المؤلفة من البشر اليوم في أنحاء العالم يوقنون اذا تحققت مذهب الأرواح وليس الايمان بكاف بل اليقين هو اكمل الايمان فتعجب من الآية وانظر كيف كان هذا مظهرها وهي مسألة ظهور الأرواح فالقرآن يشير إليها

قال شير محمد ، ياسيدي إن تفسيرك هذا يخالف ما جاء عن سيد البشر وكيف نترك قول النبي ونسمع مقالته ، أوليس النبي ﷺ أعلم بالكتاب منك . قلت وكيف ذلك . قال ، قال الفخر الرازي إن لهذه الدابة أربع قوائم وزغبا وريشا وجناحين * وعن ابن جويي في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرون أيل وصدر أسد ولون نمر وخامسة بقرة وذنب كبش وخف بعير وانها تخرج من المسجد الحرام وتخرج من الصفا وقيل تخرج باليمن ثم تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم . فقلت يا شير محمد اعلم أنه لا دلالة في الآية على ما روي وقد قال الرازي نفسه فان صح الخبر فيه عن رسول الله قبل والام لا يلتفت اليه وهو يريد أن الخبر غير صحيح . أقول ولقد بحثت في كتب الصحاح فلم أعتز على هذا الوصف للدابة ، على أنه لو صح فرضا

لعل على انها مخالفة لكل حيوان . فقال ولكن كيف تقصرها على مسألة الأرواح وأنى لك هذا . فقلت
يا شير محمد أنا لم أقل ان هذا هو المعنى ولكن أقول انه رمز له وإشارة ، فالآية باقية على ظاهر معناها ترمز الى
ما ذكرنا ، فالدابة باقية على المعنى الأصلي نكمل علمها الى الله تعالى وتكون رمزاً لهذا وهذا قسم من أقسام
الكتابة في علم البيان فاللفظ على حاله يشير لما اقترب منه كما وضعه الامام الفراء في تفسير قوله **وَاللَّهُ** « إن للكتابة
لا تدخل بيتاً فيه كذب ولا صورة » فقد جعلهما على حالهما ورمز بهما الى الشهوة والغضب فافهم ، فإذا فهمت
هذا فقد « قلمت جبهة قول كل خطيب » وقطع لسان كل معترض بذلك فقد سدت في وجهه أبواب الجدل
- وكفى الله المؤمنين القتال - انتهت الطليقة الأولى

﴿ الطليقة الثانية في قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ ﴾

لأين لك في هذه الطليقة حجة من عجائب القرآن وهي ان هذه الآية بدعية الوضع بحكمة الصنع فان التفسير
المتقدم يناسب المتأخرين من الأمة الاسلامية ، وإذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس والجبال بالطبع
سائرة معها وزاها الآن جامدة وهي في الحقيقة جارية جوى سريعاً جداً فان ذلك يناسب قوله - صنع الله الذي
أتقن كل شئ - فهذا هو الاتقان والا للقيامه بتخريب للعالم والاتقان يناسب هذا التفسير

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت في سورة البقرة أن سيده روسية تسمى (اللدنام لبيديف) قد جاءت الى مصر وأقول الآن ان
وزير المعارف إذ ذاك قال لما سأله عن يدرس معها علم التصوف ان الشيخ طنطاوى له إلمام بهذا العلم ثم
أنى لما اجتمعت معها في المنزل الذى نزلت به اخذت أدرس معها هذا العلم في الرسالة القشيرية نحو تسع سنين
وهي كانت بعد الفهم تفرجه الى اللغة الفرنسية ، واستمررتا في الكتاب وفي حكايات كثيرة عن الصالحين قرأنا
حكاية عن الجنيـد رحمه الله تعالى ، ذلك انه كان في مجلس ذكر وهناك قوال يفشد فطرب التلاميذ طرباً شديداً
والشيخ ساكن لا يتحرك فقال له أحد التلاميذ يلسندى أليس لك حاجة في السماع فقال - وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمرّ مرّة السحاب - فقالت مأمولة هذه الآية في الحكاية . فقلت إن للآية ﴿ معنيين ﴾ معنى
يليق بالأمر الاسلامى الذى قبلنا ، ومعنى يليق بأيماننا والقرآن يحتمل المعنيين ولكن الثانى أقرب . فقالت لها
المعنيين . قلت أما المعنى الأول فان الجبال يوم القيامة تمرّ مرّة السحاب لأجل أن تصل الى الأرض فتسوى
بها ولعظم حجمها يراها الانسان كأنها جامدة غير متحركة وهذا يناسب مساق الآية ، وأما المعنى الثانى فهو
أن الأرض تجرى سريعاً والجبال ما هي إلا من أجزائها فهي جارية تجري والأرض حول الشمس كما يمر السحاب
حول الأرض والليل عليه قوله - صنع الله الذي أتقن كل شئ - فغير بلفظ أتقن لا بلفظ خرب كل شئ لأن
القيامه بتخريب لا اتقان للصنع وفرق بين الصنع والتخريب وكأن الله أتى بالآية على هذا الشكل لتكون
موافقة للصور الأولى من حيث مساقها ولهذا الصور من حيث نهايتها ويكون فهم الناس هو الذى يخطئ
ويصيب والحقايق باقية على حالها ، وأما الشيخ الجنيـد فلم يرد هذا ولذا قال بل قال انه في سكونه أشبه بالجبل
الذى هو متحرك ويظن الناس انه ساكن يرد انه يرى ظاهره ساكناً ولكن قلبه متحرك في مشارق الأرض
ومغاربها ويجول في المعاني العلية البديعة ، فلما سمعت هذا القول فرحت فرحاً شديداً وقالت تصق القرينة
يقولون ليس في القرآن لطايف ولا نكت بدعية ، وها أنا ذا أقول لك المحاوره التى جاءت في كتابي ﴿ جواهر
العلوم ﴾ التى هو أول ما ألفته من الكتب العلمية فقد جاء فيه ما منه لانه فيه زيادة فائدة
قال تعالى - ويوم ينفخ في الصور فزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين •
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّة السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ -

معلوم بما قلتمنا في المجالس السابقة والمناكرات أن علماء الحديث ﴿ قسبان ﴾ المتكلمون وهم يوافقون

ما يظهر للنظر العلم من ثبوت الأرض ودوران الشمس والمتأخرون وتخالف هيئتهم ما يعرفه العالمة فيحكمون بدوران الأرض حول الشمس وهذا المقام قد أوضحناه سابقا بما لا مزيد عليه وقد علمنا أن هذه كلها دائرة على القطب وأن الثاني أقرب إلى الظن من الأول وأن القرآن لم يزل لتحقيق مثل هذه المسائل لأنه جاء لما هو أجل من هذا إذ هذه الأشياء أقرب شيئا إلى الصانع وقلنا أن اشكالها على نوع الإنسان دعا إلى نحو الأفكار فهو المقصود إذ هو في عالم التربة ثم قول الآن الجب كل الجب من وضع الآية التي نحن بسندها وضعا متنا على حسب ما علمنا وبيانه أن قوله - ويوم ينفض في الصور - إلى قوله - داخرين - أي صاغرين مسوقة ليوم القيامة ثم قوله بعدها - وترى الجبال تحسبها جليدة وهي تمر مرة السحاب - حلها العلماء على يوم القيامة - ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة - ولشدة عظمتها ترى كأنها واقفة ، ولا ريب أن هذا التفسير يناسب من علفت في ذهنه الهيئة القديمة من أيام نقل الفلسفة اليونانية إلى الآن فناسب ما قبل الآية وصدرها أول الأمة ، وإذا نظر إلى قوله بعدها - صنع الله الذي أتقن كل شيء - نجد أن خراب الأرض ينافي الاتقان وإنما الاتقان يناسب سير الأرض وجبالها ثم براها الإنسان مع شدة حركتها ساكنة لا تتحرك فهذا هو الاتقان العجيب وإنما لم يقل وترى الأرض لأنها على هذا الرأي لا يرى إلا متحركة مع خروج الإنسان بالمرّة عنها وهذا مستحيل في الدنيا ، أما الجبال فرؤيتها ممكنة ثم انظر كيف تسير الأرض بتلك الحركة العجيبة حول نفسها وحول الشمس ونحن نراها ساكنة لم يحس أحد بحركتها من آدم إلى الآن ، فهذا هو الاتقان وهذه هي الحكمة وهذا هو الوضع العجيب الذي جمع بين الحركة والسكون ، فيه تنبيه على أن العالم كله في حركة مستمرة مع أنه يرى في سكون بل الإنسان يرى ساكنا مع أنه لا يفت فكره لحظة لافي اليقظة ولا في المنام إذ قوته الخفية لا تفت حركتها لحظة ولا تفت إلا بالثلوث وهكذا الأمة في حركة مستمرة إمالي معدود وأما إلى هبوط وأما إلى استمرار ، فالصعود باختراع الجديد والهبوط بهم سور المدنية الحق والاستمرار في الأمور الدينية على ما عودهم الآباء بلافكر جديد ، فالعالم كالعالم كالإنسان والأمة كل في حركة مستمرة ويرى في الظاهر كأنه ساكن دائم السكون ولم يذكر هذا على أنه تفسير للآية ولكن مناسبة العالم بعنه بضا وإنما نحن في ذكر الجبال وأنها على الأرض وترى أنها ساكنة مع أنها على الهيئة الجديدة سائرة دائما معها وهذا هو غاية الاتقان ويحيى لنا أن قول - صنع الله الذي أتقن كل شيء - بعد ما ذكر هذا ما خطر ببال الآن ، وإلى لأعجب من هذا الوضع المتن في الآيات وكيف ناسب صدرها صدر هذه الأمة وعجزها متأخري أي الصغرين المعاصرين للأوروبيين فم تصادم الآية مذهب السابقين وأشارت للمذهب للتأخيرين^(١) ولعمري هذه هي الحكمة العجيبة جعل نظام كلامه كنظام ملكه ، فما أتقن الفعل وما أحسن القول ، سيلستان متناهيتان - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - وعندى أن هذا وأمثاله هو الانجاز والحكم لا التأكيد بأن ولا الجناس والطباق ولا غيرها ، ألا فليقت الله العلماء وليبينوا للناس منازل الهم ولعلمهم يتفكرون . ومن عجيب الاتقان نفس هذه الآية فكيف باتقانها واحكامها برهانها ساطعا ومبجزة لمن درس العلوم وذاق لذة

(١) فيكون ملخص المعنى سيقوم من في السموات ومن في الأرض فرعين لإيمان شاء الله وهم جميعا صاغرون ، ولا ريب أن السموات والأرض أكبر من فيهما واليه الرمز بقوله - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - وإذا كانت السموات والأرض أطلعتا حتى قال فيهما - قلنا أيننا طائفتين - فكيف لا يأتيه كل من فيهما صاغرين أذلاء ، أولايرون أن الأرض التي هم عليها وما فوقها من الجبال متقادة له مسخرة في هذه الحياة الدنيا لا يمكنها الاستمرار لحظة من الزمان - ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرة السحاب فلذا كانت الأرض التي خلقها أعظم من خلقكم أتم في الحياة الدنيا خاضعة له مع جبالها وأتم عليها فكيف بكم أتم وحكم فلا بد من إتيانكم صاغرين يوم القيامة * أطرق كرا إن النعام في القرى *

المعارف ، ولعمري لا يقل هذا إلا العالمون ، فتأمل كيف ناسب مراعاة مذهب المتقدمين سابق الكلام ومذهب المتأخرين لاحقه ، وكيف ثم كيف قال بعد أربع آيات في آخر السورة - «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - اه

﴿ الطيفة الثالثة في قوله تعالى - «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - »

لأذكركم ما كتبت في «جواهر العالم» تحت عنوان «إن القرآن والسنة يمتدعا بهما كلتا هادى الزمان» والتي أعلمه من ذلك

(١) قوله تعالى - «ويخلق ما لا تعلمون» - بعد قوله تعالى - «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - إذ لم يقل - «ويخلق ما لا تعلمون» - في القرآن كله إلا بعد ذكر ما يركب في هذه الآية وحدها إشارة إلى ما سيحدثه في المستقبل من مدهشات ما يركب ويسير بالسمائل من البخار والكهرباء والسفن الحربية والبالون والتلغراف بلاسلك أو به وكل هذه إما حاملة رسالة أو وقرا وهي تختص بالبواب عادة ، وقال أيضا - «آية لهم أنا جعلنا ذريتهم في الفلك المشحون» - وخلقنا لهم من مثله ما يركبون - وقد وضع هذا في سورة النحل أيضا تاما (٢) - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وقد سكن الظل بواسطة الفوقرافية (٣) للمرابطة في ذكر - وكل في فلك يسبحون - بعد ذكر الشمس والقمر والأرض وجعلها بعد الشمس والقمر وذلك لاجتماع الأم على حركتهما ، وأما الأرض فذكرت إنسانا لمن يعتقد كونها لوجود الفصل بالشمس والقمر ولن يعتقد دورانها بدخولها في - يسبحون -

(٤) ذكر السفن في قوله تعالى - «آية لهم أنا جعلنا ذريتهم في الفلك المشحون» - بعد الكواكب والأرض إشارة إلى أن الجميع من واد واحد ، فالسفن في البحر كالشمس والقمر والأرض في الأثير وهي المادة للمادة للفضاء ، وكان الكواكب كلها والأرض سفن في بحر الأثير - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين -

(٥) - اقتربت الساعة وانتق القمر - أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها - إشارة إلى ما قبل أن القمر اقتصل من الأرض فنقصت وانتق هونبا (٦) - أولم يأتين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - قالوا إن الشمس والأرض كانتا شيئا واحدا فافصلنا

(٧) مادة العالم الأثير وهو مائل للكون لم يعرف إلا بالعقل لبعده عن الحواس - ثم استوى إلى السماء وهي دخان -

(٨) - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اكتشف أن حواس الإنسان وأعضائه كلها تراب صوابات وحيوانات ودخل في الجسم فصله عن حواس الإنسان

(٩) - بل هم في لبس من خلق جديد - قد اكتشف أن جسم الإنسان يتجدد في كل مدة نحو ثلاث سنين فتذهب مادته ويؤتى بدله بالمواد النباتية والحيوية والمعدنية فتصير بشرا سويا منتشرا - ثم إذا أنتم بشر تنتشرون -

(١٠) - حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير - قد كشف أن الخنزير منشأ البودة الوحيدة (١١) وقد

(١) وفي الخنزير ديدان لا تؤثر فيها الحرارة في درجة من درجاتها . ولقد أخبرني أستاذنا الشيخ حزه فتح الله عن دولة القاري غنتر باشا أن جماعة أتوا بعد أن أكلوا فبحث الأطباء عن سبب موتهم فإذا هم أكلوا لحم الخنزير فأمااتهم مكروباته وهو بلامين من هذه القاعدة ، وفي مقدمة (ميزان الجواهر) فوائد في هذا أيضا فأقرأها هناك إن شئت

تقدم رسمها والكلام عليها في هذا التفسير

(١١) كراهة أكل لحم بعض البقر لأنه منشأ السل

(١٢) وجوب غسل أترالكب سبعا فقد كشف انه سم ومثله المراكا في بعض أحاديث الجامع الصغير

(١٣) المستنقعات منشأ المكروبات القتالة للإنسان وقوله عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في

الماء الدائم ولا يقتل فيه » فبالأول يزيد ضرره وبالتالي يسبب المغنسل الضرر بالمكروب

(١٤) ورد في السنة أن الطلعون من وخز الحن وقد ظهر انه حقا من الحيوانات المكروبية التي هي

قسم من أقسام الجن في الحديث الذي في كتابنا « ميزان الجواهر » نقلا عن الإحياء حيث قال فيه وصف كل هؤلاء

(١٥) الأمر بكثرة الغتسال والوضوء وهذا أعظم دواع لعدم العلوى وامتلاء السجون كما قاله العلامة

(بنام الانجليزى) مشرعهم الشهير الذى درس علوم الأمم كلها وقال « من وطئ على اغسال العين الاسلامى

لم يصلم منه ذنب ولا جرح » فالطهارة من محاسنه كما استحسن أيضا منع الخمر منعا باتا في جميع الكرة الأرضية

وصدته من محاسن هذا الدين واليه الاشارة بقوله تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين -

(١٦) ظهور الزنوج في جميع النبات - ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين - وأبنتا فيها من

كل زوج بزوج -

(١٧) - وأرسلنا الريح لواقع - قد علم بما قلناه أن الريح هي الملقحة لأكثر النبات

(١٨) ظهور الجنى في أصحاب القيل بالمكروب الذى دل عليه قوله تعالى - وأرسل عليهم طيرا أبابيل -

أى متاجمة بجمعة - ترميهم بمجارة من سجيل - أى من الطين الذى يناسك على سطح المستنقعات

(١٩) ظهر أن كل شئ له مقدار معلود بالتحليل الكيماوى - وكل شئ عنده بمقدار -

(٢٠) - يوم ينفخ في الصور - الخ تقدم قبل هذا

(٢١) اعلم أن الأرض متربة بالجبال ولولاها لاضطربت في سيرها لأن الجبال والطبقة السوائية تحفظ

الكرة التارية أن تتساعد فتختل الأرض - وألقى في الأرض رواسى أن يمد بهم -

(٢٢) قوله تعالى - حتى اذا فتحت بأجوج وأجوج - قد تقدم في سورة الكهف

(٢٣) قوله تعالى - ولتجلدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى - ومعلوم في الاصول

أن الذين اسم علم لا يخص من نزلت الآية بسببهم وظهر في كل زمان لاسيا هذا الزمان أن كثيرا منهم يدخلون

بسرعة في الاسلام بخلاف اليهود بأجاع فلاسفة الأمتين ، وفي أمريكا الحبب الحبب وكذلك في أوروبا ،

وسياق الزمان المستقبل بأجعب من هذا في الاجهاز وقال تعالى لعيسى - وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين

كفروا الى يوم القيامة -

(٢٤) تشتت اليهود في أقطار العالم وعذبهم الفرنسيون في الجزائر وضمروها وطردوهم الروس وهم مبغضون

في كل دولة - واذا تأذن ربك ليعق عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب -

(٢٥) - ويسألك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - قد أجمع علماء

اليونان والعرب وأوروبا أن علم النفس إنما يكون بعد الرياضيات والطبيعات ، وهما آخر ما وصل اليه البحث

الى وقتنا هذا من ترتيب العلوم بحيث ان المتأخر لا يفهم إلا بعد المتقدم (ا) العلوم الرياضية (ب) العلوم

الفلكية (ج) العلوم الطبيعية (د) علم الكيمياء (هـ) علم وظائف الأعضاء (و) علم النفس والمنطق (ز) علم

الاقتصاد السياسى (ح) علم تكوين الشعوب (ط) علم تمييز الجبال (ى) علم ما وراء الطبيعة ويدخله العقائد

ومعرفة الخلق والروح ، وأما علم النفس فاما هو ظواهرها لاحيققتها (ك) علم الأخلاق (ل) علم الحقوق

(م) العلوم السياسية ، فأنت أيها الذكي ترى من هذا أن علم الروح في المرتبة العاشرة مع العلم الإلهي المبرر عنه بما وراه الطبيعة أو الفلسفة الأولى أو العلم الأعلى والمخاطب بهذا هم يهود جزيرة العرب ولا ريب أنهم أبعد الناس عن هذه العلوم فلا يمكنهم فهم الرياضيات العليا فضلا عن الروح فلذلك قال - وما أوليتكم من العلم إلا قليلا - أي ولا يفهم الروح إلا من درس علوما كثيرة ، وما أعجب قوله - من أمر ربي - إذ علم الروح وعلم اللاهوتية في السرجة العاشرة

(٢٦) قال عليه الصلاة والسلام ﴿صنفان من أمي في النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات رؤوسهن كأشنة البخت لا يدخلن الجنة ولا يرجعن ربيعهن وإن ربيعهن لتوجد من مسيرة كذا وكذا﴾ أخرجه مسلم ، قوله كاسيات عاريات أي يسترن بعض أجسامهن ويكشفن بعضها أوليسن ثيابا رقيقة تصف مائعتها فمن كاسيات ظاهرا عاريات حقيقة ، وقوله مائلات أي زانقات عن طاعة الله فلا يحفظن فروجهن ، وقوله مائلات أي مائلات الرجال إلى الفتنة ، وقوله كأشنة البخت أي يكبرنها من المغانع والخر والعصام أو بصلة الشعر كأشنة البخت انتهى من تيسر الوصول لجامع الأصول . وقد ظهرت تلك السياط بعد النبوة بأزمان وهو الكراياج . أقول فأما النساء الموصوفات بذلك فقد رأيتهن في زماننا

(٢٧) ورد أن الثياب فيه داء وقد ظهر هذا بالاستكشاف

(٢٨) قال تعالى - ولئن مثل الذي عليهن بالمعروف والرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم - فتأمل علماء أوروبا بين النساء المتعلقات وبينهن حين لم يتعلمن فاستنجدوا أن المرأة لها قمتها التعليم تلحق الرجل آخرتها الحكمة الإلهية في القوة والادراك والجسم فصارت على الثلث منه في مجموع قواها ، فكما قدمن التعليم أخرتهن الحكمة على مقدار ذلك تتبع درجة الزيادة محفوظة بين الرجال والنساء والا لاختل النظام بنسوى الترتيب ولذلك قال بعدها - والله عزيز - أي غالب حكيم فيما صنع (اقرأ المرأة للسامة لصديقنا محمد أفندي فريد ويعدى فقد ذكر هذا وأنه قامت قيامة فلاسفهم الآن ينذرون قومهم الخطر

(٢٩) إن الفوقرفاد داخل في عموم - قالوا أنطقنا الذي أنطق كل شيء -

(٣٠) قوله تعالى - سنبهم أيكتافي في الآفاق وفي أنفسهم - أما آيات الآفاق فهي جميع ما استكشف في العلوم الحديثة في الأرض والسما بعد أن كانت منحصرة في كواكب معدودة من السيارات وهي (٧) مع جهل الثواب وعناصر معدودة فقد كشفت كواكب سيارة أخرى وعرف كثير من الثواب وهكذا العناصر بعد أن كانت (٤) وصلت إلى نحو (٧٠) وأما آيات الأفض فالإنسان جسما وروحا ، أما الجسم فظهرته أشعة ونسجن التي هي عبارة عن أضواء شرر الكهرباء المنحصرة في آلات تسلط على الجسم فتكشف الأعضاء من الداخل وتظهر الصورة الصغوية من وراء الجلد واللحم والقلب والعروق كأن هذه أجسام شفافة لتعجب ما وراءها مما يدهش العقل ويعرفه فكر اليب مصداقا لقوله في هذه الآية - وفي أنفسهم - ومعلوم أن في للظرفية أي الآيات المظروقة في غوس النوع البشري وللراد بها هنا ما يشمل الجسم . وأما الروح فقد ظهرت عجائبها بالتتويج الغضائيسى التي تناقلته الأفريق عن المنود . انتهى ما أردته من كتابي ﴿جواهر العلوم﴾

﴿الطيفة الرابعة . إن في هذه السورة حديق وشكرين﴾

اعلم أن سليمان عليه السلام شكر الله مرتين في هذه السورة ، شكر دخل في ضمن الدعاء إذ قال - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - الخ وشكر دخل ضمن قوله - هذا من فضل ربي ليؤتي أشكر أم أكفر - معلوم أن الله يستجيب دعاء الأنبياء في الأولى ، فأما في الثانية فلأن الأنبياء أقرب الناس إلى الشكر إذا أنهم الله عليهم بنعمة ، فأعجب كيف كان له ﴿شكران﴾ أحدهما ﴿على نعمة العلم﴾ (والثاني) ﴿على نعمة الملك﴾ فأما سيدنا محمد ﷺ فإنه أمر من الله أن يحمده وأن يسلم على الأنبياء وكل مصطفى بعد أن ذكر نعمة

سليمان بالعلم والملك ، ولما انتهت السورة أمر أن بحمده تعالى على أن أمته ستال العلم والعرفان وأن الله يطلعها على عجائب هذه الدنيا ، هما حمدان وأنت تعلم أن النبي ﷺ يبعث ربه مقبلا محمدا والمقام المحمود مقام بحمد القائم فيه وبحمده كل من عرفه فهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامته وليس خلاصا بمقام الشفاعة بل هو مقام أعم منه ولذلك قيل أيضا (أنه مقام يعطى فيه لواء الحمد) فهذا المقام أعم وعليه قول الله ﷻ لما أمر أن يحمد الله ويحيى الأنبياء في هذه السورة وأمر أن يحمد الله على أن الله يعرفنا آياته بعبده ذلك على أن هذا أيضا مقام جديد بحمده فيه العالم على رقى أمته لأنها ستعرف هذه العوالم - سيركم آياته - وستكون لها القدح الملئ في العالم الكونية وتعرف علم الأرواح كما تحتم في قصة سليمان والعالم الطبيعية من حيوان ونبات إلى آخر ما تحتم في هذه السورة وعلم تلك أيضا كما عرفت وتستصبح أمم الأمم وأحسنها نظاما

إن الحمد لا يكون إلا بعد معرفة المحمود عليه والمحمود عليه هو النعم والنعم جسمية وروحية وغيرها وجميع العلوم نعم فمن جهل شيئا فانه لا يحمد الله عليه وكيف يحمد على ما لم يعرف . إن الحمد نوع من الشكر والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فمن قال الحمد لله فهو شاكر على نعمه ويكون هذا الحمد على مقدار ما عرف من النعم الواصلة من الله إلى عباده وهذا المعنى هو الموافق لقوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وظهور رحمة للعالمين أن يكون المسلمون أرقى الأمم في جميع فروع العلوم كما يقتضيه القرآن على مقتضى ما ينال في هذا التفسير . يصبح المسلمون أقوى أهل الأرض علما وعقلا وحكمة وعدلا ويكونون رجاء بأهل الأرض آباء لهم . هذا هو المقام الذي يحمد فيه رسول الله ﷺ في الدنيا . فأما حمده في الآخرة فهو ما هو . فإذا رأينا سليمان ﷺ أوفى حكمة وعلما وملكا وحسن سياسة فليكن أتباعه ﷺ قائمين مقام سليمان في ذلك وفي غيره من عموم العلم والحكمة وليكونوا معلمين لكل الأمم مهدين لهم

إن النبي ﷺ كما تحتم أمر أن يحمد الله فهو له مقام محمود يحمد فيه ربه وبحمده كل من عرفه وأيضا له الشفاعة ، ولا جرم أن هذين يستزمان أن ترتقي الأمة الإسلامية وتكون نورا لأهل الأرض في مستقبل الزمان ، ألا ترى أن الشفاعة تكون على مقتضى ما وصل للناس من علم وكذا الحمد يكون على مقتضى نعم وأهم النعم العلم . إذن يكون لواء الحمد ومقام الشفاعة يرجعان لشئ واحد لأنه إذا حمد الله على نعمه وحده الناس عليها فلا جد إلا عن علم وإذا شفع للناس فالشفاعة على حسب مقتضى العلم والعلم فيها يقيم العمل إذن ينتج من ذلك أن هذه الأمة ستكون أمة علم أرقى من سائر الأمم فتكون محمودة لعملها وعملها وحامدة لأن الحمد على نعمة العلم والعمل . انتهت الطليقة الرابعة

(الطليقة الخامسة)

قال الله لسيدنا محمد ﷺ - فبهذا هم اقتده - وقد شكر سليمان عليه السلام على نعم العلم والملك فأنبئت في الشكر وقد أمرنا الله بالشكر فنبئت فيه لما له من الصلابة بهذه السورة وبرق الإسلام في المستقبل . وأعلم أن الشكر مطلوب قال تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - وقال - وسنجزي الشاكرين - وقال - وقليل من عبادي الشكور - وقد جعل الله الشكر مفتاح أهل الجنة وهو - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - الخ ولا نزيل بذلك الآيات والأحاديث كثيرة

ولأنكس لك بعض كلام الامام الغزالي في هذا المقام لتعرف أن أمة الاسلام الآن لم تقم بالشكر ولما لم تقم بالشكر دخلها الفرجة واحتادوا ديارنا ، فهل يعلم المسلمون أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والعمل بها هو شكر الله ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ هل يعلم المسلمون أن ما ذكر في هذه السورة من عجائب الخلق والمهددات وعجائب الصاريت والملائكة والمجائب التي عدتها كالأشجار والجبال والبحار والسماء والأرض والحدائق والأشجار ، هل يعلمون أن علم ذلك واستعماله وقبوله من خالقه هو الشكر . إن المسلمين لو علموا ذلك لكانوا

نبقوا في هذه العالم ولكن قام رجال صغار القبول صرفوهم عنها ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ فوا حسرتا على أمة قتلتها رجال سموا أنفسهم قادة ومعلم يملكون

يقول الامام الغزالي ﴿ لا بد للشكر من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل والحال هو الفرج الحاصل بالانعام والعمل القيام بما هو مقصود النعم ومحبو به ويكون العمل بالقلب واللسان والجوارح ﴾ وفي مقام العلم أخذ يشرح نعم الله عز وجل في النفس وفي البدن وفي المال وفي الأصحاب وجعل كل واحد من هذه أربعة أقسام فهي (١٩) ولا حاجة الى تفصيلها ولكن نقول اذا نظرنا الى محبة البدن وحده عرفنا أنه لا بد له من طعام والطعام لا يناله الانسان إلا بالبات والنات لا يتم إلا بالمطر والأرض واللبنر والبشس وبالطواء

ثم إن الانسان لا يتعاطى الغذاء إلا اذا أعطى أعضاء باطنة وظاهرة ، فالظاهرة للجلب والبطنة للهضم وغيره ، ولابد من الحواس الظاهرة والبطنة ، فهنا علوم التشريح وعلوم النفس وعلوم النبات وعلوم الحيوان وعلوم الكواكب لما علمت أن الحرارة منبعثة من الشمس الى الأرض ضح بدتك ، إن جيع العلوم لابد منها في معرفة نعمة الله تعالى . فحي عرف الانسان هذه العلوم التي هي مرتبطة ارتباطا لا انفكاك له فقد عرف العمة ومعرفة النعمة ليست شكر الله بل هي ركن واحد من أركان الشكر ﴿ الركن الثاني ﴾ الفرج بالنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ، فاذا رأيت جلال الله في السموات والأرض وأدركت بعض العلوم أحسست بيسروره ، ولكن يجب أن يكون السرور بمن خلق هذا الجلال ﴿ الركن الثالث ﴾ العمل بموجب هذا الفرج وهذا العمل إنما يكون بالقلب وانسان والجوارح ، فأما قلبه فيصدا لغير بلجج الناس ، وأما بلسانه فليكن شاكر الله به دائما ، وأما الجوارح فليصرفها كلها في فعل الخير ، فالعين مثلا لا تنظر الى محرم بل تنظر نظرا اعتبارا

أنا لا أهمل عليك ما ذكره الامام الغزالي فاني لو ذكرته وشرحته لاحتاج الى مجلد ولكن الذي يهمني في هذه السورة أن تنظر أيها الذكر ، انظر وأجب من أمة الاسلام ، انظر كيف يقول سليمان عليه السلام - ليلاوني اشكر أم أكفر - ويقول - رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي - ولما بحثنا عن الشكر وجدنا مبداء العلم بالنعمة ، ولما بحثنا عن العلم بالنعمة وجدناه دراسة هذه العلوم المذكورة في هذه السورة وفي غيرها علوم الحيوان من طير وحشرات وغيرها وعلوم النبات وعلوم الكواكب وعلوم التشريح والطب وغيرها ، يارب عجا لأمة هذا دينها وهؤلاء علمواها . ألهذا الحد يجهل للمسلمون . ألهذا الخد ينامون . يذكر الله الشكر ويقول عالم الاسلام الشكر يعلم والعلم شمل سائر العلوم التي فازت بها أوروبا علينا وغلبتنا والمسلمون نائمون ، ألم يقرأ أحد منهم كتب السابقين ، ألم يقرأوا القرآن ، أيها القارئ الذي بالله أيقظ هذه الأمة واخبرها أن الله أمرنا بالشكر وأن الشكر مبدؤ العلم سائر العلوم التي جاءت في هذه السورة من الأرض والسماء والأشجار والبحار والحيوان وكل ما أمكن معرفته والمسلم اذا لم يعرف هذا وهو قادر فهو غير شاكر ومتى عرف فانه يفرح بالنعم نفسه لاعتالة ومتى فرح به وجب عليه أن يحب الناس كلهم ويشكر الله بلسانه ويعمل الخير لسائر الناس فليشكر علم تام واخلاص عام وعمل نافع بجميع الجوارح

المسلمون غير شاكرين ما لم يفتحوا مدارس ابتدائية ومدارس ثانوية ويذيعوا تعاليم جميع الأمم من فلك وطبيعة وكيمياء وحيوان ونبات وانسان وطبقات الأرض ، هذا التعليم لا بد منه لسائر الطبقة المتوسطة أما الطبقة العليا فهم المختصون بعلوم خاصة كالطب والهندسة وغيرها ، كيف يجزئ المسلمين أن ينأوا أجيالا وأجيالا كيف يجهلون شكر النعمة ، كيف تركوا علم النبات وعلم الحيوان وعلم التشريح وعلم النفس وعلم الفلك ، كيف تركوها والله أمرهم بالشكر والشكر علم وحال وعمل ، شكر سلبان وشكر ﴿ الله ﴾ فهذا هو شكرهما لقد نظر رسول الله ﷺ الى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقا عذاب النار - ثم قال ﷺ ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بهاسبته ومعناه أن يقرأها ويترك التأمل ويقصر عن فهم ملكوت

السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قطع منه معرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته ، ففقه في ملكوت السموات والآفاق والأفئس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحيرون فقه تعالى فإن من أحب علما فانه لا يزال مشغوقا يطلب تصانيفه ليزداد بتزديد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأمر في عجائب لمسح الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده ، فإن تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر للمصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسلطه وتعرفه اهـ

فهذا عرفت معنى الشكر المذكور في قول سليمان عليه السلام وأن ملخصه معرفة جميع العلوم والفرح بالتم وإخبار الخبير للناس قلابة وانطلاق اللسان بالشكر والجوارح بالعمل الصالحة . وأمر الله النبي ﷺ بالحمد على أن الله سيرنا آياته اشارة الى أن هذه العلوم ستذاع في الأمة الاسلامية وهو اخبار بما سيق لاحالة من سعادة هذه الأمة ورقيا حتى أمر نبيه أن يحمده الله على معرفتنا ومعرفتنا لا بد أن تشمل كل العلوم ونظام المدن المذكور في هذه السورة ومعرفة العوالم الروحية من ملك وجن باتساع علم تخصير الأرواح وفهم العوالم كلها وانتظام بحالكنها كما نظم ملك سليمان والافلاذا قال له بعد تلك القصص - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - ذلك اشارة الى أننا سننسخ على منوالهم ونحفظ مدتنا ورتقى علوانا ونشكر ربنا حتى حمد الله نبينا على معرفتنا والمعرفة بقبحها العمل والحمد لله رب العالمين

(جوهره في مقال عام في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ)

هذا المقال قد وصفت به فيما تقدم ، ووعدت أيضا بأن أكتب هنا في تفسير هذه الآية (رسالة امرأة الفيلسفة) ولكن وجدت المقام لابسح هاتين الرسالتين فأسجل الرسالة الأولى في سورة فاطر عند قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - وأجل (امرأة الفيلسفة) في سورة القتال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - الخ والعلم بذلك للأنبيا وهي ولكن لما كسبي ، ورسالة الفيلسفة فيها ملخص آراء الأمم قديما وحديثا وبها يفهم المكشرون قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريك آياته فترفونها - وملخص الرسالة أن الموجود الحقيقي الكامل هو الله ومسواه هالك ، وهذا الذي سينتبه هالكه نوع من الوجود بحيث يكون كله آيات دالة على جلال الله تعالى وهذه الآيات تتجدد وقتا فوقتا ، ولأجزم أن (رسالة امرأة الفيلسفة) فيها ملخص أصول الحكمة العامة في هذه الدنيا بحيث يطلع الأذكياء قراء هذا التفسير على ما استبان من نظام هذه العوالم بطريق العقل

(١) فمن نظريات جعلت مقبلة لرسالة بحيث نين أن النفوس الانسانية ليست من عوالم الأرض بأدلة عقلية وانها باقية بالبراهين الحسية التي توافق عقول جميع الأمم فهي أشبه بمقدمات علم الهندسة التي قبلها جميع العقول وتكون لها نتائج فيها اليقين الذي لا شك فيه ، وهذه الأدلة والحدثة لم تكن إلا في هذه الرسالة يعلم المسلمون قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريك آياته - الخ فهذه البراهين من آيات الله المتجددة في زماننا فليفرح بذلك عقلاء الأمم مقبلا

(٢) ومن آراء لأقدم الفلاسفة وكيف كانوا في بحثهم متدربين من ملذتين ودهريين وسوفسطائيين وعلماء الهين من طاليس ومن بعده الى فيثاغورس الذي يقول (أصل العالم الممد) الى أنبذوقلس الذي يقول (أصل العالم المحبة والعداوة) الى ألكساندروس الذي يقول (للعالم إله ولكنه تركه كما يترك الانسان الساعية تجرى وحدها) الى سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الذين يقولون إله صانع للعالم منظم له مصلح لصغيره وكبيره الى من بعده هؤلاء من المشائين والروافين وعلماء الاسكندرية ثم انتقل العلم من الاسكندرية الى أم الاسلام أليم الفارابي ومن بعده ثم انتقل العلم الى أم أوروبا ، وكيف ترى هناك أن علماء أوروبا

الحاليين يقولون بأرفى حجة وأجلى بيان ﴿ أهم في معرفة الله والنفس ومبدأ العالم لم يصلوا الى عشر معشار سقراط وأفلاطون ونحوهما وأن المذاهب المنتشرة اليوم في أوروبا لم تخرج عن كونها تنكرار المذاهب اليونانيين فمن زعم أن العالم مادي ولا إله فذلك هو عين مذهب طاليس قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، ومن زعم أن الحقائق لا تعرف وهوشاك فهو أشبه بالسوفسطائية بأقسامهم الثلاثة التي سترها وهم (العندية والعنادية واللاادرية) وإذا رأيت قوما من أوروبا ينغوا في ذلك وأدركوا بعض سر التنكوير مثل الفيلسوف (كنت) الألماني الذي تتبعه اليوم الأمم الألمانية ، وتبعم في قراءة كتبه أمة إيطاليا فأعلم أن هذا المذهب عينه هو مذهب سقراط وأفلاطون الذي سترأ فيه الحكمة البديعة بحيث أنك حين تطلع على ما نقله عنهما بنصه وضه مما لم تنقله أسلافنا بنصه تهش إذ ترى أن القرآن حقا وصداً غرض آراء هؤلاء الفلاسفة الذين خلقتهم الله قبل أن ينزل القرآن ، أما أنا فاني اعتراني البهش ولزدد تعجبى من صنع الحكيم العليم الذي أنزل حكمته على قلوب عباده قبل نزول القرآن بنحو (٩) قرون وجعلها أشبه بتفسير للقرآن المنزل على عبد من عباده في جزيرة قاحلة ، وستقرأ في الرسالة المذكورة كيف جاء حب الله على لسان الفلسفة وكيف يكون ازدياد هذا الوجود للتغير الناقص وكيف يجب علينا في هذا الوجود أن ننظم دوله فلا نفكر الدنيا الناقصة ولكن ننظمها وتتبعه أثناء تنظيمها الى مبدعها . كل ذلك ستراه في ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وستجب أنت كما عجبت أنا من تقاني هؤلاء الفلاسفة في حب الله والاخلاص له وهذا هو لب القرآن . أوليس هذا هو معنى قوله تعالى - فأعلم أنه لا إله إلا الله - وقوله تعالى - وقد أمددته سيركم آياته فترفونها - ومتى قرأت هذه الرسالة أيها الذي ستقول كما قلت سواء بسواء ، لقد رأينا أياكنا يا الله في هذه العوالم كما رأيناها ظهرت على قلوب الحكماء من الأمم اذ تجلت قبل نزول القرآن وخبئت في الكتب وظهرت اليوم فوجدناها مفسرة للقرآن بحجة للحقيقة موضحة لحقيقة العقل والنفس بل فوق ذلك ترى ما كان من الخلاف بين أفلاطون وأرسطاطاليس من قول الثاني للأول ﴿ ان تعاليمك الفلسفية لم يظهر فيها المناسبة والارتباط بين عالم المثال التي نتيجته وبين هذه العوالم المشاهدة إذ أنك اعتبرت أن العلم لا يبنى إلا على أمر ثابت ولا يثبت لعالم المادة من سموات وأرضين والثابت في نظرك هو عالم المثال ، وقد قلت ان ما يظهر للناس في الأرض والسماوات إنما هو على مقتضى عالم المثال وهو على صورته أو نسخته من نسخته ﴾ فهذان العالمان المادي والمعنوي لم نعرف المناسبة بينهما ثم قال (أرسطاطاليس) بعد ذلك ﴿ أنا أرى أن العلم لا يحتاج إلا الى المادة والصورة والمادة لا توجد إلا بهذه الصور التي نراها في الأرض والسماوات الخ ﴾

وقد جاء المشكوك بعد (أرسطاطاليس) أيضا وقتلوا رأيهم واعترضوا عليه وقالوا ﴿ اتنا لم نعرف المناسبة بين المادة والصورة وبين الله الذي صنع العالم وأنت برهنت على وجوده ، وأنت لم تبين المناسبة بينهما كما لم تبين أستاذك المناسبة بين عالم المثال وعالم المادة ﴾

هناك أخذت الأمم بسدسهم قرأ هذه الآراء وتبين اتحادها تارة واختلافها تارة أخرى ، فهذه المجادلات التي سترها في الرسالة المذكورة ونقصها هنا لا يكون لها أثر بعد المقدمات والمجمل التي سترها بمقتضى ما ظهر للناس اليوم في العالم من العلوم في ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ إذ ترى أن البراهين القينية التي ذكرتها في أولها لا يرد عليها ماورد على أفلاطون وأرسطاطاليس ، وستقرأ هناك أن خلق العالم يتضح بما يراه الانسان في نفسه من العوالم العقلية ، وسترى شرح ذلك وتعلم أن هذا هو قوله تعالى - فأعلم أنه لا إله إلا الله - فهذا هو العلم بانفراد الله بالالوهية لأنه أتى بملخص عقول الأمم قديما وحديثا وهذا يفهمنا قوله تعالى - سيرهم أيتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - وقوله تعالى - وقد أمددته سيركم آياته فترفونها - فهذه الرسالة ظهر فيها كيف كان علم النفس هو المفتاح الذي به فتح ما أغلق على الناس أيام سقراط وأفلاطون ومن

بمدهما وبه زال الاشكال الذى ورد على طريقتيهما في تبيان أصل العالم وصلة العالم المادى بالعالم العقلى وصلتهما بخالقهما ، فهذا الاشكال كله ستره قد حلّ في هذه الرسالة . ومن أعجب العجب انها لم تظهر للناس إلا في تفسير القرآن عند آية ، فاعلم أنه لا إله إلا الله . وقد انطبقت على هاتين الآيتين اللتين ختمت بهما هاتان السورتان الدالتان على أن للمادة باطله وأن العوالم للمشاهدة آيات لله والله سيرها لنا ، وهاتين أولاه قد رأيناها في كلام العلماء والحكماء وفي العوالم المشاهدة ، ومن أهم الآيات التي أراها الله لنا إيضاح لعده تقسيم العلوم ، وهذه سنختم بها ﴿ رسالة امرأة الفلسفة ﴾ بحيث يطالع الأذكىاء من المسلمين على آثار عقول الأمم البائدة ومراكزه لنا من العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وتهذيب الأفراد وتدريب المنزل وتدريب المدينة والأخير هو علم السياسة وهناك تقسم هذه العلوم الى (١٧) علما وهذه العلوم فروع تبلغ أصولها مع تلك الفروع نحو (٦٠) علما وصناعة ، وهناك ترى أن الصناعات كالطب وكالزراعة وأمثالها وهكذا التجارة والحدادة ماهي إلا فروع لتلك العلوم . هذه هي الآيات التي وعدنا أن يريها لنا وهي آيات العلوم الحكيمية المنقولة عن الأمم الخالية الموافقة للقرآن حقا وصدا وآيات هي أقسام العلوم وما يناسبها من الصناعات التي لا بد منها للأمم . هذه هي ﴿ رسالة امرأة الفلسفة ﴾ التي وعدت بها فيما تقدم والتي ستطلع عليها أيها الذكرى في (سورة القتال) عند قوله تعالى ، فاعلم أنه لا إله إلا الله . وقد تضمنت أيضا الآية في آخر هذه السورة ونظيرها آية - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - والاية التي في آخر سورة القصص وهي - كل شئ هالك إلا وجهه -

أما المقال العام الذى وعدت أن أكتبه هنا فيما تقدم وسأذكره في سورة طاهر عند قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - لأن الحال اقتضت ذلك فهناك ملخصه إيضاح بما وعدت ومقدمة لقد كررها هناك ففى

(١) أولان اشراق العوالم التي تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر واشراق باطن ، فالأول ما تدركه الحواس والثاني ما تدركه العقول ، وهذا الأخير مرآة وراء مرآة ولن فصل لمرتبة إلا بعد وصولنا الى مرتبة قبلها والحمد في الآية تابع لاستكناه الحقائق وظهور المعلومات فلا تكون المعلقة اللاحقة إلا بعد السابقة

(٢) المسلمون في القرون المتأخرة نظروا العوالم الظاهرة فلم يزيدها في معرفتها عن العامة مع انهم يقرؤن في القرآن قصة سليمان إذ سخرت له الريح وهذه القصة تدلهم أن هناك منافع غير التي عرفها العامة في هذه المخلوقات المحيطة بنا

(٣) مثل ان الهواء مركب من نيتروجين وأوزون واكسوجين ومن مواد أخرى وهذه للمادة وهي النيتروجين أو الأوزون وجئت مركبة مع مواد أخرى في جزيرة (شيلي) لجعلها الناس سعادا لأن النيتروجين من مركبات السعاد المعروف من الحواب في القرى وبلاد الفلاحين في مزابلهم

(٤) وقد استخدم العالم الألماني (فرترهاير) الكهرباء في استخراج النيتروجين من الهواء بدل الانكسار على ما يستحضره الناس من (جزيرة شيلي) وحل ما يأخذونه من سعاد الحيوان وضع في الهواء بالكهرباء ما يصنع الناس في الماء من تبريده وجعله لتلجأ فالتاس جميعا يجلدون طريقة لجعل الماء السائل جسما صلبا وهو الثلج هكذا العالم (فرترهاير) جعل النيتروجين بالكهرباء جسما صلبا بعد أن كان جسما غازيا كالبنجار في الهواء ، فالبنجار يكون سائلا ثم صلبا وهكذا الغاز الذي هو جزء من الهواء يرجع سائلا فصلبا ويكون سعادا وهو المطلوب وذلك بواسطة (القرن الكهربي) الآتي شرحه في سورة طاهر في المقالة العالقة هناك

(٥) كان عند الألمان مصانع كبيرة زمن الحرب يستخرج بها النيتروجين من الهواء فيه تكون المواد للمهلكة ثم حوّل هذا كله بعد الحرب الى سعاد

(٦) المسلمون يأكلون الملح ولا يعلم أكثرهم أن علماء أوروبا استخرجوا بالكهرباء من محلوله في ماء

البهار مواد مثل الكاور والصودا الكاوية والهيدروجين ، والكورال المذكور المستخرج من الملح ينفع في تطهير ماء الشرب من الجراثيم فيمنع انتشار الجلي التيفودية وينفع في جعل الورق أبيض ، وينفع في أحداث التخدير للربض عند العملية الجراحية ، ويكون سبباً للأعداء في الحرب إذ يرسل في الهواء ، ويكون في المفرقات القاتلات للأعداء ، ويكون قاتلاً للحشرات ، إذن ملح الطعام يأكله المسلم ولا يعلم أنه أصبح مطهراً لشرابنا قاتلاً للحيوونات القترية التي تنفك بالناس في الوباء مبيهاً لورقنا مزبلاً للآلام جرحانا مهلكاً للأعدائنا

(٧) إن المسلمين الذين جهلوا هذه العلوم التي عرقتها الأمم في الأرض يعاقبون في الدنيا والآخرة لأنها فروع كفايات ، فإذا أمر الله بقطع يد السارق لأجل ربع دينار أقلب معناه أنه يحافظ على المال النافع لنا ، وإذا أمر بقتل القاتل فمعناه أنه يحافظ على نفسه ، إذن هذه العلوم تحفظ أنفسنا وتحفظ أموالنا فكيف يسوغ للمسلمين تركها

(٨) وهناك فوائد كثيرة للكورال وعذيره من عناصر الملح وصلت إلى (١٢) فائدة كلها نافعة في الحياة فكيف يجهلها المسلمون وهي فرض كفاية

(٩) وهناك معدن يسمى (الالومنيوم) وله فوائد عظيمة ستذكر لاحقاً لاطالة الكلام عليها هنا مثل أنه إذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس ، ومثل أنه يجعل صفائح للتضيض ، ومثل أنه يركب مع العاص فيكون شبيهاً بالذهب ، فكيف يترك معرفة هذا للمسلمون وهم من فروع الكفايات (١٠) إلى أنظر الأمم الإسلامية بأنهم إذا أهملوا العمل بما في كتابي هذا فإن هذا القرن يكون آخر قرونهم في الأرض

(١١) أقلابنظرون كيف اخترع (الستربال) زجاجاً ساه (زجاج بلاس) وهو زجاج لا ينكسر ومنه تدخل الأشعة فوق البنفسجية من الشمس لتتغنى في الصحة بخلاف زجاجنا المعروف وهو مصنوع من مواد أرخص من المواد التي صنع منها زجاجنا ، ويسمح من هذا الزجاج ألواح بيوت قعر السلحفاة وأقلام لن تنكسر وهكذا

(١٢) فيأبها المسلمون ، عليكم أن تجتروا في الأعمال حتى تلحقوا الأمم ثم تكون هناك أجيال بعدنا إسلامية متحدة مع الأمم في رفق أهل الأرض . انتهى الكلام على ملخص المقال العام الذي سيكتب في سورة طاهر كما خست قبل ذلك (مرآة الفلسفة) التي سكتب في سورة القتال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اهـ

(جوهر في بعض سر الطاء والسين في قوله تعالى - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى -)
هنا السين في - وسلام - والصاد والطاء في - اصطفى - والحرفان الأخيران من واد واحد لأنهما من حروف الإطباق وهي الصاد والضاد والطاء والقاف ، سلام مبتدأ بالسين واصطفي مبتدأ بحرفين من واد واحد وهما الصاد والطاء المذكورة في - طس - في أول السورة ولا عبرة بالهمزة لأنها زائدة للتوصل للنطق بالساكن وهذا تذكرة بالسلام للصفتين وقنع باب فهم ما سأسمعه لك

إن الإنسان على الأرض دائماً في اضطراب مادام جاهلاً بنظام هذا العالم وما مبدؤه وما مبدعه وماتياته ونهاية الأرواح وأكثره يشك في مستقبل هذه النفوس الإنسانية ويسمع بالزلازل وبالوباء وبالحوادث وبقتل الحيوونات القترية في الإنسان ، ويرى هذا العالم كله اختلاطاً واختلاطاً ولا ينظم فيه ولا أمان غاية الأمر أن المؤمنين بالحيوانات يسلمون تسلياً ولا يفكرون والمفكرون منهم يقومون في هذه المآزق فإذا فكروا في هذا نشأت لهم وساوس وأحسا بالآلم النفسي وزلازلهم السلام والأمان فنفسهم في وحشة وإن ظهروا مستأنسين وقلوبهم في غم وإن كانوا في ظاهراً أسمرهم فرحين ، وهؤلاء متى عرفوا الحقائق والباطنات ففهمهم اليها وركنوا

لها أحسوا بالسلمة والامان وأيقنوا بأن من يسوسهم في الدارين رحمن رحيم لا يجرى عليهم إلا ما هو خير لهم عاجلا أو آجلا ويرون الموت والمرض والفقر وأشباهاها أعراضا زائلة كما يسترى الأرض حقول ورقط فاذا نزل عليها الماء اهتزت وربت ، فهؤلاء هم المصطفون الأخيار الذين تسلم قوسهم من قاتك المهلك في هذه الحياة وغيرها ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم - لا يميزنهم الفزع الأكبر - الخ وقال فيهم - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم - الخ وقال فيهم - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار - والقرآن يفسر ببضه بضاً ، فهذه الجلة جاءت فيها السنين والطاء المصاحبة للصاد والسين والطاء ذكرتا في أول السورة لتوقظنا لآيات الأخرى . ولما ذكر السلام والامضاء أعقبه بالبروس التي يدرسها أولئك المصطفون فذكر السموات والأرض والطر والحدائق والأشجار والأنهار والجبال والبحار والبراكين بينها واجابة دعاء المضطر والمهدية في البر والبحر وارسال الريلح ، فهذه الطاقة التي أنعمت عقولها بهذه العلوم والحكم تكون مصطفاة وأفضها تعيش في سلام وتوت في سلام كما قال تعالى في عيسى عليه السلام - وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا - وهذا السلام هو الذي يقوله المسلم في التشهد فيسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى الصالحين من الأمم ، ومثل هذه النفوس المصطفيت هي التي اذا صلت وقرأت - اهدانا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم - لاتفهم معنى الغضب كقضى قهقهة في غضب الناس لأن غضب الناس افعال ورجسهم افعال ولكن غضب الله ورجحه لا افعال فيها بل الله منزّه عن ذلك وانما هذم شؤون الظلم والتدبير والاحكام في الخلق - حيث رجة في حال وغضبا في حال بحسب مراتب الموجودات لاغير ويفهمون ذلك من تيسيرهم في حال الركوع والسجود فالمسلم يقول (سبحان ربّي العظيم) ويقول (سبحان ربّي الأعلى) ويفهم من ذلك المصطفون انه منزّه عن الغضب الانفعالي وعن الرجة الانفعالية عند قراءتهما الفاتحة (فيها ذكر الرجة وفيها ذكر الغضب وفيها تقديم الرجة على الغضب للإشارة الى قوله تعالى - ورجحي وسعت كل شيء - والى ماورد في الحديث (ان الرجة سبقت الغضب) لأن هذا تقص في المباد والله كامل عكم التدبير منظم الشؤون ، وهذه الطاقة حين تعرف هذا توقن بأن نفس الصلاة فيها رموز وعلوم وسك وكما لرتقي الانسان فيها زاد علما كما قال تعالى - وقال رب زدني علما -

فالمسلم وهو قرا الفاتحة يفهم معنى الرجة والغضب اجمالا فاذا ركع وسجد فهم ان الله منزّه عن صفات العباد بالتسبيح . ومن أعجب العجب أن يقول في هذه الآية - وقال الحمد لله وسلام - الخ ثم يقول في آخر السورة - وقال الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - فهنا أمره بالحمد وجعله مصحوبا بالسلام وأردفه بالبروس التي يتلقاها المصطفون وفي آخر السورة أمره بالحمد وأنبه بنفس البروس اجمالا وهي انه سبريهم آياته وانهم يعرفونها . ولاجرم أن البروس التي جاءت في هذه الآيات هنا بعض البروس المهمة في آخر السورة الله أكبر . تبين هنا أن السلام بعد الحمد ولاجد لإعلى نعمة والنعمة المذكورة في هذه الآيات هنا مفصلة وفي آخر السورة جملة وهذا قوله تعالى في سورة أخرى - دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام * وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - واعلم أن الحمد مصحوب بالسلام المتبوع بالألاه والنعم فيها نحن بصلته وبعد الحمد الذي في آخر السورة وقد يتناهما الآن كأنهما تطبيق أوثيجة لما جاء في قصة سليمان في أول السورة إذ حمد الله هو وداد على نعمة العلم وأن الله فضلها على كثير من عباده المؤمنين ، فهما حمد الله على نعمة العلم وهما أمرنا بهي أن يحمد الله مراتين وذكر بعد الحمد المعلومات فاعجب لأسوار القرآن ، فتبين أن السلام يذكر مع الحمد والحمد لا يكون لإعلى علم بالمحمود عليه حتى يذعن القلب ويفرح بالنعم . إذن فليعلم المسلمون أن دينا دين حمد ولا معنى للحمد إلا على نعمة ولا تعرف النعمة إلا بالتعليم ، فليعلم المسلمون كل علم وليزبدوا على الأمم والأظهير حلالا من هذه الأرض لأنهم لأمان لهم في الدنيا لأنهم بجعلهم

نواميس الوجود لا يقننون على مقاومة الألم وهكذا يكون عقلاؤهم مضطربى الآراء فى الوجود وفى الأنفس الإنسانية ونهاية هذه الدنيا . هذا ما فتح الله به يوم الجمعة ٣١ مايو سنة ١٩٢٩

(المستنبطات التى وجدت بين سنة ١٧٠٠ وستة ١٨٠٠ ترجع الى الأدوات والآلات الميكانيكية)

(فأمام مستنبطات العصر الحاضر فأكثرها كهربائى أوكيائى معدنى)

كتب كاتب أمريكى فى مقتطف أكتوبر سنة ١٩٢٨ يقول ما نصه

- (١) فى الولايات المتحدة خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقبلة
- (٢) ألفت فيها شركات لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف السلكى واللاسلكى
- (٣) وقرب الوقت الذى تنق فيه اذاعة الصور للتحركة كما قذاع الخطب والأغاني والقصص وتستقبل
- (٤) وقرب الوقت الذى يمكن فيه توزيع القوى الكهربائية فتلتقطها البواصر فى عرض البلم والطائرات

علاقة فى الفضاء

(٥) والأشعة التى فوق البنفسجية قد كمن فى أمواجها فوائد محبة جزيئة ، وقد ألفت شركات لتوزيعها بعد اتقان آلاتها فضاء بها المصاييح فى البور والمكاتب والمعامل والمدارس فتعطى الناس قوى حيوية جديدة

(٦) ويسبغ الناس زرعهم من الأسمدة المستكنة فى الهواء بسبب الكيمياء

(٧) ويسخنون جوارب حريرية وأدهانها مختلفة من الأشجار

(٨) والمادة التى تصبغ بها السيارات تصنع منها الجوارب الحريرية والمفرقات والجلد الصناعي وهكذا

(٩) ثبت أن (معدن الكروم) اذا أضيف الى الصلب صار الصلب قاسيا جدا لا يصدأ فاستعمله يوفى

على الناس ملايين بخسرونها بسبب الصدأ

(١٠) والنقط يستخرج الآن من الفحم الحجري ومن القار بأصواب كياوى ، وذلك فى ألمانيا بأسواب

(برجيس)

(١١) وقطران الفحم الحجري يستخرج منه الآن أصباغ عجيبة تفوق التصور ، فهذه ملابس السيدات

الزاهية الألوان تصبغ بأصباغ تستخرج من الفحم الحجري وفى المستقبل عجائب أكثر فى هذه الألوان

(١٢) « مستقبل الطيران » - إن الطيران سيوصل الناس الى أخصب بقاع الدنيا وإلى حراج غياه

لا يقم الناس لها وزنا وستزيدهم ثروات طائلة بسبب الطيران

(١٣) النور الآن متحد مع الحرارة فنحو ٩٩ فى المائة من القوة يذهب فى الحرارة وفى المائة يعطى

ضوا ويمكن الناس من قلب الوضع فتكون ٩٩ لقضاء وفى للحرارة واذن تنال المنازل بجزء من عشرين

جزء عما نستعمله الآن من الكهرباء ويتم ذلك بعد مائة سنة ، وفى ذلك الوقت تولد الكهرباء بآلية من ضوء

الشمس وأسال من الفحم الحجري ولان الماء المنحدر أو من قوة المد والجزر أو من حرارة باطن الأرض

(١٤) فى كثير من البلاد ينابيع حارة ، فى هذه الأماكن تنصب هناك مدن عظيمة لأن حرارة باطن

الأرض تستخدم حيث تولد الكهرباء والكهرباء هى سر الصناعة الحديثة

(١٥) وفوق هذا وذلك قوة الشمس ولا يوزها إلا آلة تنصص الحرارة ولا تنصها ولم يوفق الناس الى الآن

لاختراع آلة تنصص الحرارة ولا تنصها ومتى وفق الناس لها أصبحت هذه مصدرا هائلا للقوة الهائلة الرخيصة الثمن

(١٦) إن المستنبطين الى الآن لم يكتفوا على استخدام المد والجزر فى توليد القوى بحد وعزرة

(١٧) قد استحدثت الناس آلة لاستحداث أصناف جديدة من النبات والخضروات والأعما والأزهار

والاستاذ (برنك) أكبر مستنبط فى هذا الميدان كما ان (ديسن) أكبر مستنبط فى الكهرباء

(١٨) استنبط (برنك) مئات من الأنواع الجديدة من الأعما والأزهار وأدخل فيها صفات لم تعرف من

قبل مثل البرقوق (خوخ) لاقترة قاسية قوته ، ومثل اللبن الشوك الذى لاشوك فى أغصانه ، وعنده أن الاستبلاط هنا فوق ما يستنبط (اديسن) و (ماركوفى) و (بل) و (فورد) وغيرهم (١٩) وسيطلع الناس وسائل تقير الحق قيصه ، والحا لأحوال زرعهم بإدارة زر كهوائى ولما منع يمنع علماء الزراعة من أن تكون أعمار القروله مجتمعا كجسم البطاطس وحجم الكرز والبرقوق (المخوخ) والتفاح كجسم رؤس الكروم

(٢٠) وعند المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث فى الفضاء أمواجاً صوتية خاصة فتفجر مقداراً من الديناميت على بعد (٢٠) ميلاً أو (٣٠) بشرط أن يكون فى الديناميت آلة تهبل هذه الأصوات ، وأمثال هذا الجهاز يستعمل فى البعث عن المعادن بحيث تكون الأرض التى لامعادن فيها لا تهوق الأصوات المذكورة فتصل فى الوقت المعين لها وإن أطلأت دل ذلك على رواسب للمعادن التى أخت هذه الأصوات

(٢١) وسيفوز الإنسان بالطعام للركب تركيا كباويا . قال وفى السنة الماضية أدب أحد أصدقائى مأدبة لجمهور من معارفه وجميع طعامها مرتبة فى العمل الكبارى مثل (الاوردوفر) و (البين والقشده) و (العموم) و (الخضراوات المختلفة) و (الشورية) وهكذا الأثمار والمثلجات وأصناف الحلوى ولم يكن للفلاح ولا للبستاني أثر فى هذه المأدبة

(٢٢) إن فى الجوهر القرد قوة هائلة مدخرة . ويقال إن الميسروجين فى الماء الذى يعلأ ملقعة شأى واحدة يولد مائة ألف كيلومن الكهر بائية وتساوى قوتها ١٣٣ ألف حصان فلذا أطلقت هذه القوة واستخدمت استغنى الناس عن الفحم استغناء تاماً وحينئذ تخطر القوة اللازمة لإدارة معمل كبير كما تخطر القطرة فى العين (٢٣) إن الفرد فى الأجسام لها علاقة بالحياة والصحة وبالخواص والصفات الأدبية كالشجاعة والمضاء ولا بد أن يصلوا إلى إطالة الحياة وربما يكون الرجل فى نشاطه الجسدى وعقله الحكى حيناً يبلغ المائة من العمر انتهى ما أردته من مجلة المقتطف وبه تم تفسير سورة الفل والجد لله رب العالمين

► ثم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

ويليه الجزء الرابع عشر • وأوله تفسير سورة القصص ◀



(اخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشيء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
نوحى	نوحى	٢٢	١١١	البن	البكن	٢٢	١٠
ازدانت	ازدان	٦	١١٣	وثانيا ليدل	وليدل	٢٤	١٧
جماعات	فجميعوع	١١	١٢٣	كشفا	اكتشفها	١٧	٢٦
المطالوب وهناك	للمطالوب	٢٩	١٢٧	هز	هز	٢٢	٢٨
فهو	وهو	٢٩	١٢٧	جاء بعض غلط في كتاب المختار في كشف الأسرار ، في النسخة التي نقل المؤلف منها فتركناها بحالها من صفحة (٣٧) الى صفحة (٣٩)			
أن ينال	ينال	٣٠	١٣٠				
وداخلها	ودخلها	٣	١٣٧				
دروب	ضروب	١٧	١٣٧				
ما	في ما	١٥	١٤٦	فأخرجها	أخرجها	٢٦	٣٧
كنش	كناشا	١٦	١٥٨	لم يسقط	سقط	٢٠	٤١
مع	من	١٠	١٧٥	حصن	حصون	٤	٤٩
وكثرت	وقرت	٦	١٨٣	قبل	بين	١٢	٤٩
والرؤساء	أول الرؤساء	١٩	١٨٩	مشابها	مشابه	٦	٥٠
نها	نها	٤	١٩٣	مرتبطان	مرتبط	٢٧	٥٢
والجباية	والجباية	٦	١٩٣	استمرت	استمرت	٦	٥٧
غيرهم	غيره	٢٢	١٩٦	سد	صد	٢٠	٥٨
١٦٢٩	١٨٢٩	١٩	١٩٧	أيها الفقراء	أيها الأغنياء	٥	٧٧
الفرض أحسن	الفرض	٣٣	١٩٧	قسما	قسم	١٥	٧٧
الله	الله الله	١٢	٢٠٨	ليخرج	ليستخرج	٢٦	٧٩
ليحذوا	ليحذو	٦	٢١١	انخفضت	انخفضت	٣	٩٠
طريق	طريقة	١٦	٢١١	فهذا	وهذا	٣٤	٩٥
تمره	تمره	١٨	٢١٥	منسأته	منسأته	٧	١٠٧
يقتلونها	يقتلها	٣٤	٢١٥	سكت	سألت	١٣	١٠٧
يرون	لا يرون	٢٠	٢١٨	وتم	وتم	١٣	١٠٧
طرا	طرا	١٤	٢٢٣	اقتوا	اقتوا	٣٣	١٠٧
جديرة	حديرة	٦	٢٣٣	الشمس	الشمس	١٢	١١٠
قدمهن	قدمن	١٧	٢٣٩	وما قيا	وما قيا	٦	١١١
				لعمرك	لعمرك	٢٠	١١١

(تم)

فهرست

الجزء الثالث عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسم سورة الشعراء الى (سبعة أقسام) ذكر القسم الأول مشكلا الى - وان ريك هو العزيز الرحيم -
- ٣ التفسير اللفظي لهذا القسم
- (الطيفة) في معنى - طس - ومعنى - كيهص - كاف زكريا وهاء هزى وياه يحيى وعين عيسى وماد صديقا وطاء لأقطع وألمع وميم الرحيم
- ٦ (الآيات في النبات (الآية الأولى) تنفس النبات ، الانسان والحيوان يخرجان بالتنفس الكربون (القمح) وهذا يفسد الهواء والنبات يصلحه لأنه بتنفسه يعطيه مادة الحياة (الأكسوجين) ولولا ذلك لمات كل حيوان على الأرض بالاختناق (الآية الثانية) ان النبات كما يخرج بالتنفس الأكسوجين بالنهار يخرج حامض الكربونيك بالليل (الآية الثالثة) أن النبات يتصاعد منه بخار كما يصعد من البحار وكما كثرت الشجر في بلد زاد المطر فيه ، إن الندى الذى على سطوح الورق ليس من السماء بل هو من البخار المتصاعد من نفس النبات ومن النبات ما يتصاعد منه مضاعف وزنه بالليل والنهار . نبات الأباريق يشرب الناس منه الماء (الآية الرابعة) ادرس الأشكال الأربعة في صفحة ٧ والشكل الخامس في صفحة ٨ فبها اوضح مسألة الالتحاق فوق ما تقدم فى الأنعام والجحر وغيرها وبيان أعضاء التدكير والتأنيث الأسدية والملاقات وقد يكون القسيان في زهرة وقد تكون الاسدية على زهرة والمدة على أخرى في نباته واحدة كالخيار وقد يكون أحدهما على شجرة وتانيهما على أخرى كالصنوبر . بيان الزهرة الكاملة القانونية المنتظمة .
- وبان زهر العليق والخجazy . جال العلم والحكمة (الآية الخامسة) اهتزاز النبات عند التلفيح
- ١٠ النبات يحس ويتحرك . النبات يحس بالسموم وبالأفيون فيموت بالأول وينام نوما عميقا بالثاني وحامض (البروسيك) يسم الثبات . النبات الحساس ينكمش اذا لامسته وورق الخس اذا هيجت أطرافه درت بعض حصاراتها (الآية السادسة) نبات (دسموديا) بالهند تتحرك فيه ورقتان متى أشرقت الشمس عليه فيكونان كقرب الساعة ، والنبات المسمى مصيدة الفار اذا وقعت عليه ذبابة انطبقت أهدابه عليه (الآية السابعة والثامنة) ان عضوى التدكير والتأنيث يقترب أحدهما من الآخر زمن الالتحاق وهما بهتان وقد ينطف أحدهما دون الآخر ، وبعض الأزهار المائية تطفونهارا على سطح الماء وتغوص بالليل ، وقد يكون للطلع أجنته أو أهداب يسبح بها أو يطير في الهواء (الآية التاسعة) شجر المسافرين في (مداغشكر) لواحدة (٢٤) ورقة وتحت كل ورقة مايشب (القارورة) فيشقها المسافر ويشرب ماءها وأيضاً شجرة اللبن يستخرج منها مايشب القشدة وفيها كثير من شمع كشمع العسل وتحو في (فنزولا) حيث يقل المطر وهو كالقشدة الحلاة وقد يتجمد كالجلين ، ومن النبات ما يستخرج منه مايشب سنّ القيل

بيان أن هذا هو المقصود من آية - أول يروا إلى الأرض كم أنبت فيها - الخ
 ١٢ الزهر إما ذو مسكن وإما ذو مسكنين وإما كثير المساكن والنبات (٢٤) رتبة إحدى أعضائها التذكير ثانياً
 ثلاثها إلى عتارها وهكذا . إذن الزهرة أنبج بحروف الهجاء فقد تنوعت باختلاف أعضائها على مقتضى
 تنوع النبات البالغ (٣٢٠) ألف نبات فهي كغم الإنسان جمع (٢٨) حوفاً أو أقل أو أكثر فبعت عن
 كل الموجودات

(القسم الثاني) مكتوب شكلاً من قوله تعالى - واذا نادى ربك موسى - إلى - وإن ربك هو العزيز
 الرحيم - . التفسير للفظي لهذا القسم

١٦ نبينا ﷺ يقول في القرآن طريق الوسي يا أيها الناس اعبسوا وبكم الخ . يلتفت العقول إلى الجانب
 الكونية وموسى عليه السلام يذكر لفرعون خلق السموات والأرض وخلق الآباء الأولين الخ . ولما لم
 يفهموا عجائب الكون رجع كلاهما إلى المجزآت ، فالتى ﷺ رجع إلى البلاغة فقال الله - وإن كنتم
 في ريب - الخ . وموسى هرع إلى إبطال السحر بالعصا الخ
 ١٧ تفسير قوله تعالى - قال لئلا حوله - إلى قوله - وإن ربك هو العزيز الرحيم -

١٩ جوهر في قصص القرآن من كلام الأمام الشافعي وأن التمكن درجة الأنبياء بعد المحنة ولا بد لها من
 العسر . ويان أن العالم إنما هو من يتمكن في علم واحد ثم يتعرض لسائر العلوم . وجاء في الحديث
 الصحيح أن النبي ﷺ وصاحبه ذهب إلى أبي الهيثم فأطعمهم لحم الشاة وخبز الشعير وشربوا ماء فقال
 ﷺ - لتسألن يومئذ عن النعم - وأن حال الصحابة في الفقر خيراً من حالهم إذا سرت يوتهم كالكمبة
 وغدوا في حلة وراحوا في أخرى . ويان أن لفرقا بس وكتاب الكوخ الهندي ينحون هذا النحو
 ٢٠ أقوال علماء العصر الحاضر في التاريخ ، ويان أن التاريخ وإن كان في ظاهره لا يأتى بدرهم ولا دينار
 لاهو ولا علم الشعر والأدب ، هو في الحقيقة متى كان منتظماً يثير القوى من مكانها ويدفع الشعوب للرقى
 بمقاييس الحاضر الغائب ، فقارئ التاريخ كالطائر في أعلى طبقات الجو ومقارنة الزمان الحاضر بالماضي
 يفيدنا رقياً واعتباراً . وقال فون سيل (إن من يعرف من أين لا بد أن يعرف (إلى أين) والسياسي
 الذي يجعل الماضي يتجه الخطأ التي يجعل تاتجها) وتنبأ جندي بنى (أمبراطور ألمانيا) إذا خسر
 الحرب قياساً على نفي نابليون والفضل في ذلك للتاريخ ومعرفة التاريخ تعيين الأفراد على معالجة شؤونهم
 ومن يؤس من النتائج خيبة آمال غيره فهو جاهل بالتاريخ ، فالأحوال مختلفة ودراسة التاريخ تبحث فيها
 الهمم لأداء الواجب . إن سيرة (الاسبرتين) في مضيق (ترمبولي) تهيج الشجعان لحفظ الأوطان
 وتفوق ابرومانيين على يدي هينبال يلهب الحاسة فينا . التاريخ فلسفة تعل بضرب الأمثال فهو علم جليل
 ٢٢ (السحر عند الفراعنة) لقد كان للسحر عندهم منزلة وهناك قصة منقولة عن الورق البردى عن الأسرة
 التاسعة عشرة وهي ان فتاة أحد الملوك طلب أبوها من رمسيس الثاني أن يرسل له العبود (خنسو)
 فأرسله وأخرج العفريت من الفتاة وشرط انصرف أن يصنعوا له مهرجاناً لوداعه فأجابوه ثم رجع المعبود
 إلى مصر بحيلة ، وعندهم عزائم يتلوها الأطباء لشفاء من المرض وهناك عزيمة تتلى إذا كان الدواء من
 الباطن يقال (هلمى أيها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبي ومن أعصابي الخ) وهناك عزائم لأبعاد
 الطوارق وللمحبة والقبول ويمثلون شخصاً على هيئة العنوت ويقتلونه ويأتون العزيمة فيحصل للمدعو ما حصل
 للصورة في زعمهم

٢٣ ثلاث محادثات بين الملك (خوفو) بابي الهرم وبين أولاده الثلاثة إذ قال ابنه الأول ان أكبر علماء السحر

في زمن الملك نيقا عشقت زوجته رجلا وأهدته هدايا وخلا بها في بستان زوجها فلما علم الساحر بذلك صنع صورة تمساح من الشمع وسحره فألقى الخادم على الزاني بزوجة الساحر صورة التمساح الشمعية حين أتى لغسل فالتقم التمساح الزاني وغاص به في ماء البركة ثم طلب الملك من الكاهن أن يريه عجيبة فأطلعه على هذا الرجل فغضب فأخبره الخبر فأمره بإرجاع الزاني في بطن التمساح وإسواق المرأة وقص ابنه الثاني خبير الفلاح المصري الساحر الذي عاش (١١٠) ويرد رأس الانسان بعد قطعه فهو يحيى الموتى ويخضع له الأسد ويعرف حساب (ابت) وفيه سر المعبود (توت) فأرسل لاحضاره فقطعوا رأس أوزة وفرت بينها وبين الحجة وبالغزيرة رجعت الرأس إلى الجسد وصاحت الأوزة * ثم قص ابنه الثالث قصة الملك (سنفرو) إذ ركب في سفينة بالبركة يبحف بها (٢٠) فتاة بمجاذيف من خشب الأبنوس المحلى بالنهب ومن صفان بناية الجبال والمحلى والحلل ولكل صف قائدة فوقه قص (حجر المهنج) من فرط إحدى العائدين فقرأ الساحر الفريضة فاطلق الماء وظهر الحجر ورجع إليها ثم رجع الماء لحالته

٢٦ قدس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين . ويان أن الفراعنة كانوا يجالون السحرة وهم يفسرون لهم الأحلام ولا ينفخ الساحر إلا بهن المران الطويل وحسن السيرة ومقاومة الشهوات والتمسك بالفضيلة والعفاف وترك أكل اللحم والسك والاعتكاف في الخلوة واذا كانوا يأتون بالأمور الخارقة للعادة وتجبرون بعض المنيبات هكذا جاء في (أدب الدنيا والدين) عند قدماء المصريين

٢٧ جبال العلم ووجهة الحكمة في كتابين اطلع عليهما المؤلف ، فأولهما كتاب (السحر الحلال) وفيه فوائد (١) مثل جعل رأس عجل مطبوخ يبع على المائدة كأنه حي بواسطة الضفدعة إذ توضع في الرأس المطبوخة (٢) ومثل عمل ورق في حجرة بالرق مع الكافور (٣) ومثل أحداث قوس قزح ينفخ الماء (٤) ومثل جعل الورق غير قابل للاحتراق بغمسه بماء الشب (٥) ومثل تكيف شراب حتى يضيء في الظلام وذلك بادخال الفوسفور في القنينة (٦) وحفظ الزهر حتى يظهر في غير أوانه (٧) وغليان حامض النتريك بدون نار (٨) وتغيير لون الماء (٩) وتغيير عذبة جاعة في مكان (١٠) وتغيير لون طائر أو تويج زهرة (١١) وجعل صينية القهوة تدور من نفسها ظاهرا على الجالس (١٢) وكيفية وضع شيء في العين وإخراجه من الدم كما يفعل المنعوذون (١٣) وتحويل نصل سكين من القولاذ إلى نحاس أصفر (١٤) وكيف يكون القولاذ كأنه سائل (١٥) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف (١٦) سر خاص في عدد ٣٧ فانه يضرب في ٣ و ٩ والنج فيخرج حاصل الضرب هكذا ١١١ و ٢٢٢ و ٣٣٣ وهكذا (١٧) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي (١٨) طريقة لأجل الكتابة بالاحبر (١٩) كيفية منديل يدل على المطر أو منديل غير قابل للاحتراق ، وكيفية مسك النار ، وكيف تطير الببسة ، ويان عمل الحبر السري ، والحبر الذي ينظريلا فقط ، وكيف يترجم الحبر من الثياب ، وكيف يكون اهلاك البراغيث والصراصير وطرد الفل ، وكيف يكون ضوء الفوسفور . هذا هو ملخص كتاب (السحر الحلال)

٣٧ والكتاب الثاني هو (التحار في كشف الأسرار) وفيه كشف أسرار من ادعى النبوة مثل اسحق الأخرس الذي قام بأصفهان أيام السلاجق وملك البصرة وعمان ثم قتل وهذا كان ذكيا وقلم العلوم ثم ادعى الخرس ونزل بأصفهان الخ

٣٨ ومثل (سنان) وهو من الاسماعيلية وقد حكم بمسياط وتحويل على الناس بأن تظهر بأنه قتل رجلا ثم أحضر الناس في مجلسه وأظهر رأس هذا الرجل وهو لا يزال حيا وحوطها دم وهو محجوب في الأرض جميعه إلا رقبته فاستلطة فأخذ يقول أنت المقرب لله الخ ثم لما قام الناس قتله ثلثا يضي سره فهذه وأمناتها

جعلت القوم طامعين له بحيث يمتثلون أن يفعلوا من فوق الجبل على رؤس الأسته متى أمرهم لأنه يدخلهم الجنة متى أمرهم . ومثل (قرن بن يحيى) القى ظهره في مصر بناحية (تليس) وادعى أنه كيسي عليه السلام يرى الأبرص والأجنم والأعمى وكان يطلع قدمه بحب القتا مع ماخرج من الأذى مع دهن الياسمين الخ ويمشي في الماء فيأتي السمك إليه

٣٥ الكلام على الشيوخ الكاذبين الذين ليسوا من أمثال الجنيد وهوفي الدرجة الأولى ولا من أمثال الشيخ أبي العباس وهوفي الدرجة الثانية من أصحاب الأسياء بل هم من الدرجة الثالثة المنمومة مثل أولئك الشيوخ الذين يتزولون في التنوير وهو مقتدرنا فيغيث الواحد منهم ساعة ثم يخرج منه معه طابحن سمك مقلو أو دجاج محشو أو خروف منبوس الخ وذلك بأن يكون فيه صاج في داخل متسع من الحائط الخ فيدهش القوم ، أولئك الشيوخ الذين يدخلون النار وقد ادعوا بدهن الضفدع مع البارود التلجى فلا يحسسون بالنار ، أولئك الشيوخ الذين يأخذون الأبريق القلغ فيملؤنه ماء بحيث يفرغون الماء فيه سرا من معرران غم مدبوغ غداً تحت القميص من السم إلى السم ، أولئك الذين يوقدون الأصابع العشرة فتكون كالشمع وذلك بدهنها بدهن زول التنوير ثم بالنفط ثم يشعلونها ، أولئك الذين يحضرون لكل جالس ما يطلبه من الطعام إذ يدخل أحدهم الخلاء ويدعو الله فيحضر ذلك وما أحضره إلا الحمام الذي يرسله معه البطاقة ترسل للجوزي للترذل ، أولئك الذين كرامتهم أكل الحيات وأالنار ، أولئك الذين يفسون التنديل في الحردل فإذا وقف على المنبر ووسط مسح وجهه بالتنديل فعملت الفموج ، وهكذا الرهبان يأكلون أموال النصارى بتنديل في الكنيسة بيت المقدس وقد عرف ذلك ابن الملك العادل يوم صبت النور

٣٦ عمل أهل الكيمياء وبيان حيلة الرجل الجهمي على السلطان نور الدين بن زنكي إذ جعل الجهم ألف دينار في بندق ووضعها في خلاة وباعها من عطار يهرامه معدودة ثم ظاهره بالعلم والصلاح حتى عرفه الملك وقد اشتهر الرجل بأنه يستخرج الذهب لأجل محاربة النصارى بأمر الملك فأحضره الملك وخلاه وظاهره الذهب في البنادق المتقدة على النار فستقه وأرسله ليحضر مثلها بزعجه من بلاد الجهم وأعطاه مالا جزئيا فأخذته ولم يرجع

٣٧ بيان السبب في ذكر ما هو كالمخرفات هنا وذلك (خسة أسباب) وذكري خواص النفس الانسانية في قوة الارادة ، وذكر خوارق العادات على يد الصوفية وعلى يد أهل الطلسمات الذين قابلهم ابن خلدون إذ يبهجون الغم والذين يأكلون الشاة بغير ذبح ، وبيان أن هذه الآية نزلت لتعلم الناس أن القائمين بالحق لا يضلهم غلب ، وبيان أن الخيال تأثيرا عظيما وهذه لها اتصال بنظرية (اينشتين) التي أعلنتها سنة ١٩١٥ وهي أن هذا الكون كله لا جسم فيه البتة ولا شمس ولا أرض وإنما هناك حركات في الأثير ظهرت آثارها في حواسنا الخمس ، أنها أجسام اختلفت آثارها باختلاف تلك الحركات لاغير ، وما العوالم إلا الطول والعرض والعمق والزمان لاغير . خطاب للأئم الاسلامية لبيان أن هذه هي التي أخذها المسلمون سلما لاستعباد المسلمين فأبقوهم جاهلين . ذكر (سديو لقرنسي) أن آثر رؤساء الكرمانية كان يتصرف تصرفا مطلقا في أتباعه ثم تبعه في ذلك حسن بن الصباح وأتباعه هنا لا يزالون في الهند إلى الآن ، وقد ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي وملك عدة قلاع واستوطن قلعة الموت قرب قزوين وأمر قومه بشرب الحشيش فهم الحشائشون ، ومعلوم أن أنا نمون بالهند في زماننا من أتباعه . فرقة الراوندية عبدوا المنصور فخار بهم لذلك وحاربوه ، فعلى المسلمين قراءة التاريخ (القسم الثالث والرابع) من قوله - وأتل عليهم نبأ إبراهيم - إلى قوله - وإن ربك هو العزيز الرحيم -

التفسير اللفظي

- ٤٥ جوهرة في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - أصل الطب لا يعلو (ثلاثة أحوال) التجربة الإلهام المصادقة والاتفاق ، وحكاية المرأة التي احتبس حيضها فأكلت الراس فشفيت ، وحكاية الرجل الذي وضع الكبد على ورق نبات فسالت فأرشد الناس إليها فقتله الملك فبمع الضرر بنزف الدم بيان النبات الذي يشبه الناس فيكون الرعاف (الحال الثانية) الإلهام بالرويا المصادقة
- ٤٦ رؤيا جالينوس إذا أمر بصد العرق الضارب فقصده فشفي وهكذا الرجل الذي انتفخ لسانه فأمر في الرويا أن يمسك عصارة الخس في فمه فبرأ ، ورؤيا الرجل الذي كان في مناته شجر عظيم فأمر في المنام بتعطلي رماد طائر ففعل ذلك فخرج الحجر مفتا ، وبعض خلفاء المغرب رأى النبي ﷺ يأمره بالأكل والادهان بزيت الزيتون ففعل فشفي ومنه رؤيا عبد الملك بن زهر إذا أمر أن يكتحل بشراب الورد ففعل فشفيت عينه
- ٤٧ (الحال الثالثة) الاتفاق والمصادقة وأن ذلك أقد أن كل سم الحيوان يمنع ضرره نفس له ، وأيضا هذا السم يشفي كل مرض من كلهم الحيات إذ تشفى البرص والجذام . وهناك (حال رابعة) مثل مسألة الخطاف إذا أصيب فرواه بالبرقان يحضر حجر أبيض في عشه فيأخذه الناس للبرقان ، وهكذا العقاب يحضر حجرا يعرف بالقلقل لأناه يسهل على أثنائه يبيضها ، ونبات الرازيانج ترمه الحيات على عيونها إذا أظلمت بسبب اختفائها في الشتاء فانتفع الناس بذلك والطائر (أيض) علم الناس الحزن
- ٤٨ البازي يتداوى بأكل كبد طائر معلوم ، والسنابر تأكل الحشيش فإذا أمرضها أكلت الخوص فشفيت بالتقيؤ ، وإذا نالها أذى بالسوم عمدت إلى السرج ، والذئب تضر بالبهائم فترعى حشيشة أخرى فشفي . والمعزى البرية وميت بالنبل فأكلت نباتا خاصا ففساقلت الرماح عنها والقلق يأتي بحشيشة خاصة في عشه يشمها أعداؤه فتعشى . وليت القنافذ منافذ يسدها إذا هبت الرياح . والحبارى تألت الأفى وكما انهزمت تناولت من نبات خاص فشفي فلما قلع النبات مات الحبارى . ابن عروس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب . والسنبل تأكله السكلاب إذا دودت بطونها . والصقر يتداوى جرح اللقلق
- ٤٩ مخطوطات هيروغليفية منقولة عن البردي تاريخها ١٥٥٠ (ق.م) وهي بغير خاصة تبنت في الوجه القبلي تدارى التهاب القرنية مع عقاقير أخرى فيها (شكل ٦) الصورة الفوتوغرافية وتوجتها بالبرية وعندهم (قسيان) أطباء وصيادلة مثل ما في وقتنا الحاضر
- ٥٠ آية - التي خلقتني فهو يهدني - فيها ستة أحوال الخلق الهداية الخ
- ٥١ الهداية على (قسمين) فطرية كالعطش وتعليمية بتدري في الحيوان كالغراب يعلم صفاره الطيران خارج عشه وكالإنسان يعلم الصناعات الخ
- ٥٢ الهداية التعليمية في الطب (نوعان) حفظ الصحة ومداواة المرض . حفظ الصحة (نوعان) نوع يختص بالطعام والشراب والهواء . ونوع متم له كالنظافة واستعمال الصابون النقي وهذه (١٢) نوعا مثل غسل الأنف وتنظيف الأذن والعين الخ
- ٥٣ السواك ومجائب النبوة وأن النبي ﷺ أمر بالسواك عند كل وضوء وبيان أيضا في كتب الفقه
- ٥٤ بيان مصداق النبوة في العلم الحديث وأن الرمد ومرض الجهاز الهضمي والقلم والخنصرة والمعدة وسرطان القلم واللسان ونوازل المعدة للزمنة وقبح الأعور وانتهايات المعلقة البودية والانبياا المخيطة ومرض القلب والرومازم والحمول وارقاق درجة الحرارة والضعف وبعض الأمراض العقلية والتدبرن الروي (السل) كل هذه تحصل بسبب مرض الأسنان أو عدم نظافتها والسواك يمنع ذلك إذن هذه مجزة لتبيننا ﷺ

- ٥٥ الكلام على التعليم الذى يختص بمعرفة الأطباء وفيه (مسألتان • الأولى) ان للانسان أعداء في داخل جسمه ويصطدم هناك (فريقان) جنود معدة لحياى وهى الكرات البيضاء والحمراء ، وجنود تدخل عليها ويصطدم الفريقان أمد الحياة كلها لأجل (المسألة الثانية) إن قساة المصريين حرموا لحم الخنزير ، وظهر اليوم بالتصوير أن البودة الوحيدة فيه
- ٥٦ (الوقاية أفضل من العلاج) المكروبات تصل من المريض الى السليم بالهواء والماء والحشرات والطعام وبالملاسة وجميع المراض بالمكروبات ولكل مرض نوع من المكروبات وهى تكثر في المواضع المزدحمة والبرك والمنخفضة وتقل في الأمكنة المرتفعة الخ ويكون في التراب والأقنار والماء الراكد وعلى جلد الانسان وفيه . الجسم مركب من أعضاء كل منها له نوع استقلال يعمل للجسم ، فيجب غسل اليدين قبل الأكل وغسل الوجه والقدم وبهذا تدفع الأخطار وتساعد جنودك الحمراء والبيضاء تقطع العدو . كل هذا بفصل يديك وفك قبل الطعام وبعده . إن ٧٠ في المائة من الفلاحين بمصر مصابون بداء الرهقان والسبب ديدان تدخل الجسم من القمح مع الماء أو الطعام
- ٥٨ حكاية الرجل المصرى الذى دخل المسمار في رجله واخرجه وثار على ٤٤ غمامى ١٥ يوما حتى أحس ببس في فكه وعنته ثم سار جسده ثم مات وكل ذلك لأنه استغفر الأمر جهلا
- ٥٩ تحريم لحم الخنزير . أسطورة الخنزير الأسود . ذلك أن (حورس) و (ست) خصمان بينهما الحرب سجل فاحتال (ست) بأن جعل نفسه بهيمة خنزير أسود وفتح على (حورس) نارا أصابت في عينه فلذلك لعن (روح) الخنزير وقال (ليكن الخنزير نجسا ومكروها لحورس) وهذا موافق للطب الحديث (فانظر شكل ٧) وفيه عضلات من لحم الخنزير محتوية على أكياس البودة الوحيدة (وشكل ٩) وفيه ديدان لحم الخنزير ٦٠ يان اشراق النور الإلهي في هذا التفسير إذ قالني بعد ما كتبت هذا صديقي وأخبرني بأن علماء ألمانيا يقولون إن قوله ﷺ (فر من الجحوم فرارك من الأسد) جملهم يعثون فوجدوا أن الثرات التي في جسم الجحوم مخلوقة على هيئة الأسد
- ٦١ اعتراف المؤلف بنعمة الله واغترافه منها وشكره وبيان أن هذا الزمان هو زمان ظهور الحقائق الإسلامية الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثاني من تفسير قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين -
- ٦٢ (العلاج بالهواء) الهواء النقي كأنه يحفظ الصحة تعالج به المرضى فللصاب بالقرص يسالج بالبخار الساخن فيعرق وتلين أعصابه وهو (الاستحمام التركي) ومن يشكو حي شديدة فليجرد من ملابسه ويلقى في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة ومتى أحس بالبرد يلف في ثوب فيعرق حالا
- (العلاج بالماء) البخار يستعمل في الحيات والصداع الشديد ، والروماتيزم اذا تبعه الاستحمام بالماء البارد ويستعمل في السمائل والقروح ويغيد في التعب الشديد وفي منع الأرق والماء الدافئ يقوم مقام البخار في جميع ذلك ، ووجع البطن تستعمل فيه القينينة المملوءة ماء دافئا لتدفي البطن وشربه يقوي ويمنع الاسهالك اذا شرب وقت النوم الخ
- ٦٣ (جوردن سبرنج) نسب محته لشرب كوب من الماء الساخن يوميا قبل النوم . كيفية الاستحمام البخارى الماء البارد يقوم مقام الماء الساخن . التلقف بالثوب المبلول بالماء البارد نافع في الحمى والجمرى والأمراض الجلدية والجنون والدوار يتفبان ثوب مبلول في ثلج يلف على الرأس وإذا لف على البطن منع الاسهالك ويمنع ذلك كثرة الأحلام ونزف الدم من أى عضو يمنعه ذلك وكذا الرعاف بسبب الماء البارد على الرأس وأمراض الأنف والزكام والصداع تعالج باستنشاق الماء البارد بهيمة خاصة والحقنة نافعة جدا للروماتيزم

وسوء الهضم والأوجاع في الأحشاء وأحداث شهوة الطعام والبرقان والحقنة بالماء البارد يجب استعمالها عند التكرار . يقول الدكتور (هويس) الألماني (إن العلاج المائي نافع في جميع الأمراض) ويقول الدكتور (كيوهن) (منى داوينا البطن ذهبت عنا أمراض كثيرة كالروماتيزم والبثور والقروح والحجى فهو وحده سببها ويؤثر مرضه بفسله هو ومحاولة من الأعضاء بالماء البارد وهذا يؤثر البواسير المزمنة وكثرة البصاق والضعف والنفخ والتهرب السوى والسرطان ، والحامل باستعمال هذا الاستحمام تسهل ولادتها) وهناك نوع آخر من الاستحمام وهو طريقة (ويت . شيت . باك) وكل هذا بأغذية خاصة وشروط

٦٥ (الصالح بالتراب) ينفع في جميع الأمراض والسعال الشعبان واللامساك والموسنطاريا ووجع المفاصل والعين ويغنى عن الشرب والأدوية مثل ملح القواكه

٦٦ بيان شروط التراب الذى يستعمل لبخنة وكيفية العمل . لعلاج الحجى يجمع المريض يوماً أو يومين وليستحم كل يوم مرتين على الأقل بطريقة (كيوهن) المتقدمة وتجعل لبخنة الطين على بطنه ويعطى عصير الليمون مغزولاً بماء بارد أو حار ولاسكرمه ثم يعطى نصف موزة مع زيت الزيتون . استعمال اللبن أليم الحجى قليل الثمرة

٦٧ الاسساك والموسنطاريا والمغص والبواسير يطبخ كلها بعلاج واحد لاتحاد أصلها لأنها كلها بسبب أن المعدة انضغلت بفناء غير مهضوم . إن جميع الأدوية المشهورة مقشرة جداً بالناس فليجوع المريض (٣٧) ساعة ثم توضع البخنة الطينية على البطن أثناء النوم ويستحم بالتراب مرتين على طريقة (كيوهن) ويمشى المريض ساعتين كل يوم والصاب بالمغص لها كل شئ غير عصير الليمون في ماء حار . إن الثمار كالبرقوق والزبيب الخ نافعة في الاسساك الخ

٦٨ (فوائد محمية من كتاب ويلكوكس) حسن المضغ يمنع البواسير الخ وهى (١١) فائدة ومن أعجبها أن عصير البرتقال إذا شرب يوماً يمنع الجرب وأن أكل القواكه بقشرها متى أمكن أفضل

٦٩ جدول لأدوية طبيعية مثل أن أكل البقلونس ينفع السكبة ، ومثل أن أكل البرتقال والليمون يورث الشجاعة . لطيفة في إزالة سوء الهضم الخ وبيان أن هذا الكتاب وإن لم يكن كتاب طب قد جاء فيه ما هو أعجب إذ يدهش الأذكاء إذ يرون الخس ينفع أهصابنا وأن البرتقال يمنع عنا الخوف وأن الجير الذى في الكرب يشفى الجروح والمغسوم الذى يمنع الفتق يكون في السبانخ والخس والخيار الخ فهذه عجائب الحكمة الإلهية وشفاء الأجسام الانسانية . إذن هى تليق للتفسير

٧٠ بيان أن أكل التفاح والجوز ينفع لقوة التفكير . الليمون أعظم الثمار كلها وله فوائد كثيرة . وههنا ذكر تعجب المؤلف من هذه الدنيا وما مناسبة هذه النباتات الى أعضاءنا الباهظة والتفاح ، ولعمري أى مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب . إن هذه العلوم المذكورة في هذا التفسير تجعل في العاقل رغبة أن يدرس هذا الوجود وأن ينظر لما هو أعلى منه ، وبيان أن الاسانيين لما رأوا أهل أمريكا يشمون النخاع منعوم أولاً ثم شموه هم ثم ملأ الدنيا كلها . إذن الناس أشبه بجسم واحد وكل أمة عضو منه

٧٢ محاورات طباطوس الحكيم مع سقراط يقول (العالم حادث . هو نسخة لما هو أجل منه . صنعه الله لأنه جواد . المادة كانت مضطربة فأنظمها . العالم أشبه بحيوان . وفي العالم عقل عام ونفس ومادة . هناك كان الزمان الماضى والحال والاستقبال . الكواكب منتظمة يقول تدبرها . أرواح الناس مشاكسة لتلك العقول . الكواكب ومدبراتها حدثت بعد العلم . جمع الله أرواح الأولين والآخرين وبين لها نظام

العالم وأن لها هي شهوات فمن اتبعها رجع بعد الموت الى أسوأ حال ومن نبذها رجع الى حال أرق في مقعد صدق . خلق البصر لتعرف الليل والنهار وتجه للحكمة . العناصر بحسب أيامهم أربعة . المادة مثلثات مركبات في الأجسام هيئة هندسية وبها كان الخشن واللين والحر والبارد وهناك تحصل اللذة والألم ونحوهما باختلاف تلك الأشكال وقال إن الجسم الانساني صنعه الملائكة بأمر الله ووضعوا النفس الأزلية مع المادة . النفس الفضيحة في أعلى الصدر والشهوانية في أسفل البطن . وبين منافع أجزاء البدن كلها

٧٣ بيان ان الأمراض النفسية تكون بافراط اللذة والألم للمؤثر في التفكير ، أو بافراط المرارة ونحوها فيكون سوء الخلق والتهور الخ والشر عند غير اختياري إما بفساد المزاج ولما يسوء التأديب فالتشرير لكل مرض يستحق الاشتاق عليه وحفظ النفس والبدن يكون بالمعادلة بينهما فالنفس القوية في بدن ديف تحمضه والبدن اذا كان أقوى من النفس يجعلها بليدة فيجب رياضة الجسم بالحركات البدنية ورياضة النفس بالموسيقى وبإعطاء النفس العقلية والفنية والشهوانية ما يناسبها . يقول المؤلف إن هذه تذكرة ماجربته في حياتي من الأعمال الطيبة لما مرضت في شبلي منعت شراب الماء على الطعام وعقبه وقلت الطعام ولما بلغت الستين تركت اللحم وكان يجب أن أتركه مدة الحياة فنقص مرض الروماتيزم ولكن بقيت بقية قليلة لأنني كنت آكل الخضار مطبوخة باللحم . ولما قرأت كتاب غاندي أكلت الخبز من غير أن يخل مع زيت الزيتون والفواكه مثل القر والتفاح والليمون وربما أكلت الطماطم من غير طبخ . بهذا زال الروماتيزم ، أنام ليلا والشبابيك مفتحة ونجرتني مضت لها بضعة شهور وقد أصبحت فأعلتها الناس

٧٥ بيان جهل هذا الانسان وكيف يشرب الناس القهوة والشاي ويتعاطون السنان والطب منع ذلك كله . وبيان أن قرية المؤلف سارعت الى عمل الخبز المذكور لما علمت به فساعدت المؤلف ، وتذكروا ما قاله ابن خلدون أن الصعابة ما تخالو العتيق زهدا فظهر انه نافع في الصحة أيضا ، وقصة عمر مع الربيع بن زياد في زهده هي عين الطب الحديث . وبيان معنى قول سقراط من طلب اللذة هرب من الله ، ويحمد المؤلف الله إذ كان يتعاطى زيت الخروع عند ارتباك المعدة ويحصل له ضعف ولما ارتبكت المعدة حديثا امتنع عن الطعام يومين ولم يبق إلا عصير البرتقال فشي . ذكر الاستشفاء بنور الشمس وأن الزارع الفقير لجهله بنعمة ربه لا يحمد الله على انه أرغمه على الوقوف في الشمس طول النهار وعلى الحركة وكلامها لصحت وهو لا يعلم ويظن صاحب الأرض انه ببقائه في منزله طول النهار سعيد مع انه شقي لحرقانه من الرياضة البدنية والشمس والهواء النقي . كل هذا لجهل الانسان . إذن كثرة الفقراء نعمة والأغنياء الجهلاء فداء لهم معرضون للأمراض . كل هذا في حال جهل الأم فلما ظهر العلم أخفوا يستشفون بنور الشمس ضحى (انظر شكل ١٠) في صفحة (٧٧)

٧٨ علمني الله أثناء تأليف هذا التفسير كما يعامل الزارع الجاهل سبطا على رجلا يناوئني في المزرعة في أمور تافهة فكان سببا في توجهي الى الغلاء في الهواء النقي وحرارة الشمس ففعلت أن ذلك لا كمال الرياضة البدنية التي أقوم بها إذ كنت أمشي كل يوم نحو (٦) كيلومترات . ولقد فضل الله مع الأم ما ضل مع الأفراد إذ كان الغرب والشرق جميعا في خمول نخرج من عمان أساطيل اسلامية لفتح الهندستان ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى ففتحوا ما بقي من بلاد الحجاز ثم ملكوا السند الخ كل ذلك لإثارة الغرائز وأنشأ الانسان كما ينتعش الفلاح بالهواء والشمس والعمل في الحقل . الاحساس بالجوع أفاد الفلاح طعاما ورياضة وهواء نقي ، واحساس المسلمين اليوم باحتلال الفرنجة يفيدهم تعلم العلوم وتعلم

الصناعات والتعاون العام ، فهذه فوائد ثلاثة تحصل بإذلال الفرنجة كالثلاث التي يجنيها الفلاح بسبب ألم الجوع

٨٠ فكرتى في خلق هذا الانسان . إن أله هو الموقظ له . لولا ألم الانسان والحيوان لم يعيشا وهذا من معنى التسبيح في الركوع والسجود ، فالسبح الحقيقي هو الذى يدرك سر هذا الوجود والألم المدكور داخل كالعطش الخ وخارجى كالحراج إذن هنا هيكل يحفظه ألم داخلى وألم خارجى

٨١ المنة تلزم الألم بل الذى فقد ألم الجوع ناقص وما ألم المرض إلا إحساس يطلب كمال الجسم بإدخال الدواء فيه . إذن التسبيح يفيد هذه المعاني

٨٢ ابتاع الكلام على الذات ، وبيان أن الخير والشر مقروبان في قرن

٨٣ الابداع في هذا الوجود وأن هذا الوجود كما أنه (غذاء ودواء وفاكهة وشراب) هو لوح يدرسه الناس وأن أهل الشرق وأهل الغرب متعاونون وإن لم يعلموا

٨٤ اعتراض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني وجوابه بأن التسبيح اللفظي له أثر في النفس كما يؤثر التوهم المضطربى

٨٥ (القسم الخامس) - كذبت عاد المرسلين - الى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - كتب مشكلا والتفسير اللفظي

٨٦ (القسم السادس) - كذبت قوم لوط - الى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - وتفسيره اللفظي لطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام

٨٨ قصة سدوم وعمورة وأحدث الآراء في ذلك وبيان ما قاله الدكتور (أولبرايم) أن القصة الواردة في الكتب المنزلة ليست خرافة ولا رمزية وقد حصلت حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد لإدعاء إبراهيم ولوط الى تلك البلاد قبل اليوم بأربعة آلاف سنة وكانت هناك حضارة وهذه المدن الخمس ظهرت آثار تدل على أنها كانت موجودة بجوار بحيرة لوط المسماة أيضا بالبحر الميت والبحيرة المسماة الخ

٩٢ التفسير اللفظي لقوله تعالى - كذب أصحاب الأيكة المرسلين - الخ

(القسم السابع) - وأنه لتنزىل رب العالمين - قد كتب مشكلا الى آخر السورة ثم تفسيره اللفظي جوهرية في قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون - الخ وبيان أن ما كتبه الآن للمسلمين

سبرقع من مهمهم كما رفع الكتاب بأوروبا هم أهمهم فقويت كما اتفق لعالم نصح الشبان بإيراد تاريخ الرومان إذ تبرجت النساء تبرجا أدى الى فساد الأخلاق فذهبت الدولة فانقطع بذلك الشبان

٩٥ الكلام على انحطاط ديانة قسما المصريين . كانوا يقولون « إن خالق الكون لا يصح النطق باسمه إعظاما له بل لا يعرف اسمه » ثم عرفوا صفاته وقدموا عباد الكواكب والنحولات الأرضية رمزا لعبادة الله ثم انحطت مصر من سنة ١٦٠٠ (ق م) الى سنة ٣٤٠ (ق م) بسبب الثورات التي قامت فيها واستمرت الى العصر الرومانى والحيوانات التي كانت رمزا لله عند القدماء جعلوها فوق الهياكل بل عبدوا الطير والسمك والنحاس والحية ولما أكل أهل مديرية سمكا تصيده مديرية أخرى عاقبوهم بأكل كلب وهو معبودهم ، وبيان نبوة الفيلسوف (هرمس) والنبي (ابورد) وقول الثانى « إن مصر ستقع في الهلاك » هذا ما كان من أمر خراب مصر وأخبار أنبيائها به تفسيراً لقوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى -

٩٧ (الفصل الثالث) فياحل بالأندلس من احتجاب الخلفاء وشيوع الزحف الخ وبيان أن الأندلس صارت

(٢٠) دولة بعد ذهب دولة بنى علم وصار هؤلاء يحارب بعضهم بعضا ويحاربون البرتقال والأسبان ويستظهر الابن على أبيه والأخ على أخيه يملوك النصرانية وكان أولئك الأمراء يستظهرون بالسيد قبطور المسيحي بل استعان به الأمراء بعضهم على بعض في الاسلام وقد توقع العقلاء خراب الأدلس قبل حصوله إذ قال أحد شعراء الأدلس

حنوار حالك يا أهل أدلس * فما المقام بها إلا من الغلط الخ

وبيان أن هذا مجزأة لثبوت بالحجج إذ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتتح عليكم الخ » ثم أبان أن اتباع اللذات يهلك الأمم

١٠٠ تفسير - وما نزلت به الشياطين - . الأرواح (قسان) شريرة وبلاهة سواء أكانت في أجسامها كالأدمنين أم مجردة ولن يعيش البار ولا القاجومنها في غير ما استعده وروح الشرير المتجسدة لا تليها إلا أرواح مثله وهكذا البلاهة . كل ذلك في (كتاب الأرواح) فترى الأنبياء يخبرون بما هو مناسب لللائكة الضعفاء ، والأشرار يخبرون بالأمور النافهة تبعاً للأرواح المناسبة لهم . تفسير قوله تعالى - وما يستطيعون - الخ

١٠٢ ذكر أربع أسئلة للأرواح والاجابة عليها ببيان ما يجلب الأرواح الصالحة ويبعد الخبيثة ، وأن أهل الأرض لا بكل عندهم ووجوب ترك الكبر والتعرد من الذات . تفسير قوله تعالى - فلا تدع مع افقه - الى قوله - انه هو السميع العليم - . أحديث البخارى في انذار بنى هاشم . تفسير قوله تعالى - هل أتيتكم - الخ ٢٦٠ سؤالاً وجهت الى الأرواح واجابتها عليها مثل هل تجيب الأرواح عن كل سؤال وهل الخبيرة الروسية تجعل باباً لله الخ

١٠٧ إيضاح لهذا المقام وتطبيق على الدين الاسلامى . بيان مداخلة الأرواح في أعمال الناس في القرآن وفي العلم الحديث

١٠٩ الكلام على الشعراء . التفسير اللفظى لقوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاويون - الى آخر السورة . الكلام على وزير مصرى كان يباهى بأنه أمر بشرح ديوان ابن الرومى وعلى شاعر كبير مصرى حدثه في ذلك . مقالة نقلتها من كتابى (نهضة الامة وحياتها) في الشعر والتاريخ ، وأن أبا الطيب المتنبي مدح سيف النبوة وذمه ومنح كافوراً وذمه . يقول * نجوز عليها المحسنين الخ * ثم يقول * لانتشر العبد الخ * هذا معنى - والشعراء يتبعهم - الخ ذكر حكم الشعر المملوكة

١١٣ بيان أن المسلمين في الأدلس بالقوا في الشعر وركوا المواهب العقلية والأسان كانوا يكسهم قهروهم وطردوهم من البلاد وكانوا يضيعون الزمن في محاسن الورد ووصف الطر والمناظرة بينهم . ملخص الحكم المودعة في القصص الخمسة . كيف يعلم الشعر في الاسلام . تعليم الشعر

١١٥ تفسير سورة النمل وهى (أربعة أقسام * القسم الأول) من أواملى - كيف كان عاقبة المفسدين - التفسير اللفظى لهذا القسم . بهجة الطمى في بعض أسرار - طس - وبيان أن الطاء في أوّل الطير والسبعين في أوّل سليمان تنبران الى حديث سليمان والطير والنمل ويدخل في أمر الطير مسألة بقيقس وعرشها وذلك يدعو الى إرثاء النظام السياسى ، وعلى أن صالحا الطير به قومه فوكل أمره الى الله فنصر وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه ثم وصف الله بجمال خلقه الخ

١٢٠ الطيور وسائر الحيوانات مملات للانسان في كل زمان ، وإذا كان (سبنسر) يوجب القراءة قبل الكتابة على مقتضى تاريخ الانسانية في ذلك ، فهكذا يقرأ الناس علم النبات والحيوان قبل علم جسم الانسان

ذكر الله الجراد والمنقذ والمم الخ وقال انها آيات مفصلات وهكذا جعل الشمس والقمر آيات فلا بد من دراسة ذلك كله ، هكذا فعلت الأمم . هذه المزعجات موقفات للأفراد ليصلوا ويفكروا وكل أمة كثر ازعاجها ارتقت كأمة اليابان كثيرة البراكين ، أما مصر فهي في أمن فلذلك تأخر تقاؤها عن اليابان قصة بلقيس تذكرة للعرب وتقرع لهم ولأهل اليمن خصوصا لأنهم ورثوا بلادا مدينتها في جاهليتها أرقى من مدينتها في الاسلام

١٢٢ سر من أسرار النبوة قد ظهر في الطاء والسين وأن النمل له شبه بالانسان في حربه وأسراه الخ أكبر الجماعات في الكائنات الحية جاءت النمل (٥٠٠) مليون وأقل منها أهل الهند وأهل الصين والمملكة الانجليزية . هذه السورة يستفاد منها اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل والانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا فيها

١٢٤ (التسم الثاني) - ولقد آتينا دلود وسليان علما - الى - وأسلفت مع سليمان لله رب العالمين - مكتوب مشكلا . التفسير اللفظي لهذا القمم

١٢٧ عجائب النمل . الأروقة والبهاليز والمنطقات والتلون بين الجماعات . قياس نظام الأمة على نظام النمل . دقة النمل في عمله وحرمه . موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدينة . حكاية عن النمل الذي جعل له ما يشبه القنطرة في الحركة وصعد على الشجر . يقطع النمل حبة القمح نصفين وحبة الكزبرة أربع قطع ساكن النمل لها أعمدة وبيوت وحجر صغيرات ولها بيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار الخ ومنها بيوت ترتفع (١٥) قلما ولها سراديب تحت الأرض . أحواله المبهشة وزراعاته وتربية ما يشبه وحبه وأسراه وطرقه الزراعية وبقرة القنبي يشرب لبنه وأغذاه والبيض والعناية به واقلاب البيض دودا وغزله حريرا كدودة القز ونسجه ونومه في برزخه أيلما وملاحظة الأمهات للأبناء والمساعدة في الخروج من الأربطة وغسل العيون والوجوه وإزالة التراب عنها

١٣٠ حكاية عن نخلة قورنت في عملها بانسان

١٣١ الجمهوريات في الحيوانات من كلام اللورد أفيري إذ ذكر الفيل والقيطس والقربان ونحوها ثم فضل عليها كلها النحل في نظامها ثم جعل النمل أفضل من النحل وذكر ملكه وأن الفلات تستمر الرجات من الملكة . الفلات يعرفن نمل قريتهن ويبنن سواء . السادة لا يأكلون إلا بخدمة العبيد

١٣٣ حوب بين قبيلتين من النمل ، وكيف تسقط الصفوف ، وكيف يرسلون الكشافه ، وكيف يحصلون خنادق ومتاريس الخ

١٣٥ مسامرة من كتاب (علم الدين) على النمل . النمل وأسراه ولا يكون الأسر إلا ليلا بعد الغزو . النمل يحسن ليرضى بالزق والأرقاء عليهم جميع الأعمال وهذا يجعل السادة ضعافا فتدور عليهم الدائرة ارتفاع المساكن الفلجية تبلغ عشرين قصا والشكل هرمي فهي أشبه بكفر من الكفور ولا يمكن كسرهما ولو بنى الانسان كما بنى النمل لارتفعت مساكننا قمر قمتنا (٥٠٠) مرة وقدر هرم الجيزة (٤) مرات أو أكثر . من النمل من له سراديب تحت الأرض فيأكل الخشب في منازل الناس ويسقط البيوت . وكما أنفك النمل من بلاد عامرة حتى هاجوا أهلها ، وقد فرأ أهل محل من محلات بغداد من النمل وبعض بلاد فرنسا سنة ١٧٨٠ م خربت بسبب نوعين من النمل

١٣٨ متفرقات عن النمل ، النمل يعرف عدد بيضه ، النمل يفعل مع صغاره ما تفعله الأم الراقية في التغذية والرباطة ، النمل أقوى من الانسان (٣٠٠٠) مرة ، النمل فلاح ، بقرا النمل ، النمل جواسع ، للنمل مقبرة

الخل الغزى

١٣٩ ﴿رسالة عين النملة﴾ حديث بين المؤلف وبين المترجمين أيام الامتحان في سراى درب الجاميز وأن بعضهم كلف في عين النملة فقال انها مقسمة الى مائتي عين فحدث ضجة فأحضر المؤلف نص علماء

الألمان والنمساويين بواسطة أكبر عالم في الزراعة بمصر فناء قوله مطابقا لما قرأه المؤلف في الكتب الانجليزية

١٤٢ عجائب عين النملة ، لها خمسة عيون ، ثلاثة منها أمامية لكل عين منها عدسة محدبة وشبكة وليفية عصبية وخلايا اضافية ملونة بالسواد ، ومنها ما تكون قرنية . هذه هي العيون البسيطة . وعينان مركبتان كل منهما من نحو مائتي عين صغيرة لكل عين قرنية فأهدب تكتفها وعقروا وعدسة يابرة وشبكة العين ومنطقة ملونة بالسواد خارجة ومنطقة داخلة وأعصاب بصرية وليف عصبي ونسيج أساسي الحشرات ترى الأشباح بسرعة غريبة

١٤٥ ﴿الحمل بعد الحمل﴾ يقال ان ملكة التحمل لها ١٤٠٠ عدسة صغيرة

١٤٦ ﴿التفراف الالاسكي وتبادل الخواطر﴾ تبادل الأفكار قد يحصل في أوقات شاذة بين الناس ولكنه يكثر بين الحيوانات ويعرف هذا صائدو الطيور والحيوانات وفي أدنى مراتب الحيوانات ويظهر في جميع الطيور — ﴿الحشرات والحمل﴾ للحشرات رأس ، صندوق . بطن . لها أدوار أربعة (بيضة . دودة . فيلحة . حشرة تامة) لها ستة أرجل

١٤٨ رسم منزوعة التحمل وهو الأرز الغلى

١٥٠ رسم مساكن الحمل (شكل ١٣) رسم مستعمرة الحمل (شكل ١٤)

١٥١ رسم قرنية الحمل وطبقاتها (شكل ١٥)

١٥٣ التفسير اللفظي لقوله تعالى — وتفقد الطير — الى قوله — وأسلفت مع سليمان فقه رب العالمين —

١٥٧ ﴿اللطيفة الأولى﴾ في الهدى الذى أحاط علما بعلوم عظمته تعالى مع ذكر بعض أنواع الطيور وأن هذه تشمل عجائب الأسرار فى — طس —

١٥٨ نام المسلمون (٩٠٠) سنة وقد أيقظ الله الأمم حولهم فى أوروبا والشرق الأقصى فأراد اليوم إيقاظهم (أولا) بالكوارث والمدافع (وثانيا) بالنبوءات المبشرات ومنها هذا التفسير فأقول انى مأمور أن أتفقد

كل شئ كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ الكواكب ليلا والأشجار نهرا فى الحديث المشهور وأشارت لك بالطاء والسين هنا . طاء الطائر وسين سليمان مفتاحان لجميع العلوم — هاؤم اقرأ كتابيه —

فها أنا ذا أتفقد الطير فأعرف أعضائها الداخلة وأحشائها والطيور الساجية (شكل ١٦) مثل الجمل والطيور ذات الأرجل الكفية مثل الایسر (شكل ١٧) والطيور الناطقة مثل الكنزوار (شكل ١٨)

والطيور النسلقة مثل قنار الخشب (شكل ١٩) والطيور النورية مثل القنبر (شكل ٢٠) والطيور الجارحة مثل الحدأة (شكل ٢١)

١٦٣ الكلام على الحيوانات التنديدية ذات الأيدي الخناحية مثل الخفاش (شكل ٢٢) والكلام على فن الطيران وتجربة العلماء فى طير الازرق الرافى واختلاف أشكاله فى طيراته (شكل ٢٣ و ٢٤)

١٦٤ (شكل ٢٥ وشكل ٢٦ وشكل ٢٧ وشكل ٢٨ وشكل ٢٩ وشكل ٣٠ وشكل ٣١) ومن تفقدى الطير الحرف والفنون والسناعات عند الطيور

١٦٥ هجرة القبان من انجلترا بقيادة فأر أعجمى . سر من أسرار الطاء والسين . إن أمر النملة والهدى مع سليمان أشبه بالتطبيق على آية — وما لمن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا إلهم أمثالكم — وهذه

التالية تراعى هنا . إن دراستها وإجسة كدراسة الأمم حولنا . نحن لانعيش إلا بقراءة هذه العلوم وجهلنا بها معناه موتنا (اقرأ ماكتبتم في سورة يوسف) فقد ظهراته بموت أبي قردان وأمثاله ملتزوع بلادنا ، ولما حافظ الناس على الطيور في بلادنا بعد ما كتبت عن ذلك في الجرائد ارهت الزراعة ، هكذا جهل المسلمين بالأم حولهم أيام قلب أرسلان وأيام دخول الفرنسيين مصر وأورثهم النكال

١٦٦ صورة المهدد (شكل ٣٣) صورة أبي قردان (شكل ٣٣) صورة الكروان (شكل ٣٤) وهذا من سر الطاء والسين وهذه الطيور حياتنا وموتها موتنا والمسلمون لا يعلمون

١٦٨ صورة الزقراق البلدى (شكل ٣٥) كل ذلك من الطيور الآكلات السود التى أنا أقول بتحريم صيدها بالبرهان لأن موتها موت لنا والمسلمون يجب أن يتعلموا

١٦٩ الكلام على المهدد تفصيلا وعلى فن الطيران فى عصرنا الحاضر وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبحار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولقاعدة (أرشميس) السلطان الأعظم هنا والكلام على عوم السمك وغوصه بهذه القاعدة ومتفاحه الهوائى وحفظه تارة ونفقه تارة أخرى والكلام على الوزن النجوى وأن البالون جاء على هذه القاعدة ، أما طيران الطير فى الهواء فعلى قاعدة أخرى ولم يقدر الانسان على تقليد الطير بل أخذ يتخيل الطيران كالطير فى الشعرواخيال لاغير وفى قصة حسن البصرى ، وفى القرن السادس عشر حاول رجل ايطالى الطيران وألمانى فى السابع عشر وآخر فى الثامن عشر ثم درس الطيور وحركاتها (بورلى) فى القرن الثامن عشر ويئس من الطيران ولكن (بلياتال) قال « متى قهر الانسان أن يسعد فى الحق بقوة رافعة وأخذ يحوم فتح له باب الطيران ، فنجح فى ذلك الشابان الأمريكان سنة ١٩٠٥ واشترت الولايات المتحدة طيارتهما ثم احتفل بهما سنة ١٩٢٨ بمضى ٢٥ سنة على تجربتهما . فن سنة ١٩٠٣ ابتداء عصر جديد للطيران ، وفى سنة ١٩٣٩ يكون الطيران شائعاً

١٧١ جوهره فى قوله تعالى - الله لا إله إلا هو رب العظيم - وجوابى على سؤال سائل فى معنى - رب - العرش العظيم - و - رب العرش الكريم - وأن عظمة الملك لا تقتضى الكرم ، فكم من ملك عظم ملكه ولكنه لا يقدر أن يراسى كل ضعيف ومسكين بل اتساع الملك يقعده عن ذلك ولكننا نرى الله لا يشغل تدبير الانسان عن تدبير حشرة أبى دقيق والزناير بل هو بكل شئ بصير فهذا هو الكرم ومثل هذا الكلام فى - تعالى الله الملك الحق - لأن ملك أهل الأرض مجازى ، فله مع كل مخلوق كالشمس مع كل نسمة ومن هذا قول لا بد من بقاء الأئس بعد الموت وهذا قوله - أغضبتم أعما خلقنا كم عبثاً - الخ

١٧٢ قول بلقيس - ما كنت قطعاً أمراً - الخ هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى فى الوثنية وقد نسبها المسلمون كاعظم من حادثة على بن الحسين التى أبى أن يجيز لو قد الهند السفرالى مكة وأن تحكم البلاد بالشورى

١٧٣ قوله تعالى - فما آتاني الله خير مما آتاكم - هذه الآية تدل على أن نعمة العلم هى كل شئ جوهره فى قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية - الخ مع قوله - فذلك بيوتهم غلوة بما ظلموا - وبيان أصل هنا الانسان فى الأرض فهو من عناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم والمعادن فيها قوة تحكم العناصر والتبث له نفس تضبطها والحيوان كثير الاختلاف ، والنفس حوت تلك الأحوال الى عواطف والانسان حوتها الى عواطف أعلى ، ثم آراء الفلاسفة كالفارابى وأفلاطون ، ثم محال الأمم

المغالبة والغلبة ، الانسان في هذه الأعمال لم يرتق عن الحيوان

١٧٤ تفصيل هذا الاجال بشرح أمثال الصودا والجير والمغنيسيا والسليكا والكور وأوكسيد الحديد و بيان أن الانسان اذا استحضر أمامه من كل واحد من هذه قطعة فقد أحضر كل نبات وحيوان . إذن كل نبات وكل حيوان ترجع كلها الى هذه المواد المحرقة وغيرها و بعض هذه القطع التي أمامك قد دخل بمقادير مختلفة في البارود عندفرنسا وألمانيا وانكلترا مثل ملح البارود والكبريت والفحم فهذه يمينها دخلت في النبات ، النباتات إذن فيها مواد محرقة كالبارود

١٧٧ فما الذي حفظ تلك المواد حتى صارت بهذه جيلة في النبات ؟ الذي فعل ذلك أمر آخر أت من عالم آخر نسميه نفسا نباتية ، ثم هذا كله داخل في عالم الحيوان لأن الحيوان مبنى جسمه من النبات . إذن هذه المواد المحرقة التي ضبطها النبات دخلت في الحيوان ومثله الانسان ، ولاجرم أن لهذا الانسان أمرا من عالم غير عالمنا ضبط هذه العناصر المحرقة فاقبلت صفاتها فيه الى عواطف وأخلاق وآراء بعد أن كانت بارودا قبل أن تغذية وسموما وأودية ، وعلى مقتضى هذه العناصر المركبة وتنظيم النفس لها تكون سياسة الأم التي نحن بسدد الكلام عليها في الآيه ، ومن الناس من قالوا إنما الحياة لذات ومن قالوا هي الكرامة ومن قالوا هي المغالبة ومن قالوا هومدنى بالطبع والمدينة فاضلة وقاسقة والفاسقة تعظم الأمم بالعصية أو اللعة أو الوطن أو الدين أو المصاهرة أو الاستبداد أو بالملك الجامع . هذه هي آراء المدينة الفاضلة للفارابي وليس من هذا التسوق اجتماع المسلمين الذي في العصور الأولى لأنه نظام عام ، العالم الأرضي كأنه جهنم مصرى لأن المغالبة والظلم أعماجا أعين أصل العناصر الثارية ولولا تهذيب النفس النورية العالوية لهذه العناصر وتكميلها ما حصل اجتماع أهل الأرض ، فالظلم في الأمم هو عين مآزاه في الكبريت والفوسفور والعدل هو عين مآزاه في الظلم السيلوى من حيث انتظام حركات الشمس والقمر وغيرها وفوسنا في الأرض تشبه تلك النفوس للمدبرات للكواكب فهي نظمته هذه الأجسام الانسانية وكلما زادت نظما زادت قريبا من تلك العوالم العليا ويشهد لذلك التشهد (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وخبر أحوال أهل الأرض أن يكون السلام بينهم جميعا كالسلام بين الكواكب في نظامها ١٨١ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ، يرى مشاركة النساء للرجال في الحرب والوظائف وليس يفرق الموجود الحقيقي إلا الفيلسوف وعلى الحكم أن يجتروا على العلم والعمل والصبر ، وهذا حكاية المعارة التي تخيلها وأن فيها قوما لم يروا النور عمرأوه تدريجا يمثل تعلم العلوم وأنه بالتدريج وأن هذه السموات والأرضين ليس وجودها حقيقيا بل الوجود الحقيقي عالم المثال - والله من ورائهم محيط - ثم بيان حكومة الأشراف والحكومة العسكرية وحكومة الأغنياء وحكومة الجمهورية وحكومة الفرد المطلق وأن كل واحدة أحسن مما قبلها ، وبيان بعض نضائح للأمم مثل الحجر على الشعراء والمصورين الذين يثيرون الشهوات في الشعب

١٨٥ التعاليم الاسلامية ، ماذا أصاب أعما الاسلامية من الأحوال السياسية ، وبيان أن هذه التعاليم الفلسفية التي ذكرناها قد أتزلها الله على قلوب الأمم قبل نزول القرآن ليفهم المسلم معنى كون القرآن ذكرا فهو قد ذكر الانسان بالعلوم التي كانت مخبوءة في كتب الأمم من قبل نزوله وبه فهم معنى - بل هو آيات ينزل في صدور الذين أوتوا العلم - والحبب كل الحبب أن آراء أفلاطون في تدهور المدينة في درجاتها السابقة هي يمينها التي جاء بمصاها حديث البخارى (إن أخوف ما أخاف عليكم الخ) إذ جعل التهافت على اللذات مهلكا للأمم وهذا هو الذى بكى رسول الله ﷺ وصاحبا وقت أن

حلت الفناء يوم بدر هذا عجب محجوب

فلسفة قديمة ثم ينزل وحى وتكون هي شرعا له وهذا أعظم معجزة

١٨٧ الكلام على تخريب الفاتحين للمالك وكيف يجازون بزوال ملكهم من ابن خلدون مصداقا للآية .

خلافة بنى أمية . ثم خلافة بنى العباس ، ثم قيلم بنى هاشم بالثورات مثل آل الحسن وآل الحسين ، عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بالأندلس ، خروج المهدي محمد بن عبد الله (النفوس الزكية) وفرار أخيه ادريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى وإجارة البربر له ثم اقراض العولة بعد حين وقام على أقطافها السعيدون ثم ملك نفس العبارة ورجع العرب إلى الشرق

١٨٨ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ، العالم كله جسم واحد ، لما أخذت دولة الرومان في الانحلال أيقظ الله أمة بدوية في الصحراء بنى أرسله وأحل له الفناء وجعلهم خلفاء الأرض فلما جعلوا المال وسيلة لاصلاح الأمم بقيت دولتهم ولما جاهدوا لشهواتهم وصاروا ملوكا لا خلفاء أزال الله ملكهم ولم يزل إلا بعد ما مكن الاسلام في الأرض وهو عدل يجعل لكل أمة دولة يستخرج مواهبها ثم يوقظ أمة أخرى

١٨٩ نبذة من أسباب زهاب دولة العرب مصداقا للآيات والأحداث ، زواج أمراءهم بالأجانب في الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأرملة لزيق ملك القوط ، محمد بن عبد الله تزوج باسبانية تسمى (ماريه) وابنها عبد الرحمن الناصر وهكذا غيرهم بالأندلس ، وهكذا فشا الزواج والتسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم وهكذا سرى في العاتمة كما سرى في الأمراء ، وهكذا هذا التلقيح أثر في البربر ففرق أخلاقهم ولتلك انحلت الأمة واقتسمت إلى (٢٠) دولة

١٩٠ كيف يحصل الفساد والخراب في الأمم المغلوبة على أمرها ، وبيان أن من عوائق الملك حصول المثلة للقبيل واهيادهم لسواهم

١٩١ بيان أن بني اسرائيل لما أنسوا بالذلل في مصر لم يجلوا من أنفسهم قنوة على دخول أريحا بالشأم فكان من الحكمة أن يبقوا في القرى بجهة سيناء (٤٠) سنة حتى يفتى هذا الجيل ويخرج جيل عزيز الجانب حر

١٩٢ بيان أن الأمة اذا صارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ، وأن الانسلاف خلق سيدا فاذا ذل هلك والحيوانات المفترسة لا تتناسل اذا حبست في أقفاصها ، وبيان أن أمة العرب (اذا تركت دينها) وغلبت أمة أسرع إليها الفساد وأنهم لا يبالون إلا بالجلبية ويتركون الناس فوضى

١٩٣ بيان أنهم أبعد الأمم عن السياسة (اذا تركوا الدين) وذكرا ما قاله رستم لما جاع عمر المسلمين للصلاة وقوله (عمر يمل الكلاب الآداب)

١٩٤ الظلم مؤذن بخراب العمران وأن الأمم الظالمة تقع في سوء أعمالها وأن من عوائق الملك حصول الترف والتمتع ذلك لأن الجيل الذي يتشكل على غيره في أمور يصبح عاجزا وهذا كله موافق للأحاديث والآيات ١٩٥ بيان أن الأمم العربية لما انصهرت خلق الله أمما أخرى لهامة أرض منهم دولة انكشروا وأول ظهورهم كان سنة ٥٥ (ق م) ودولة الفرنجيين وابتداء ملكهم سنة ٤٢٠ (ب م) ودولة هولانده واستقلوا سنة ٩٨٧ هجرية

١٩٦ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم

١٩٧ تلخيص ما تقدم . حفلة جامعة لعلماء الشرق وأوروبا في طرابلس يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ من أحد زكي باشا وظهر في هذه الحفلة كيف أصبح أبناء العرب في هذا الزمان يرجون علماء أوروبا أن

يكونوا واسطة في أن أوروبا تعاملنا معاملة الاخوان لامعاملة الأذلاء وذلك بالامتيازات الأجنبية في مصر التي زالت من جميع الأرض إلا من مصر ، فلينظر سادة الأمم قديما كيف ذلوا لها حديثا وذلك بالأسباب المتقدمة

١٩٨ رأى المؤلف في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل وذلك أن يكون الاجتماع بالعلم والدين بعد أن فشل الاجتماع بالعصية ، فليم التعليم بلاد الاسلام

٢٠٠ عبرة تاريخية في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - أول افساد الجماعات يكون بالصومسية ثم تقوى فتصير جعرا كما حصل من السلطان سليم الثاني خرب مصر ، فالتى حارب السليبيون المسلمين فما عذر السلطان سليم المسلم ، ذلك التي أخذ رجال الصناعة من مصر وأهلكهم كما قيل وهم نحو ألفين فصارت البلاد زراعية ضيقة لايهمها سوى المال حتى ان بها اليوم ٦٠ ويراكل منهم يتناول ١٥٠٠ جنيه في العام ، كل ذلك من تأسيس الترك - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

٢٠١ (الطيفة الثالثة) في قل عرش بقرس ونحوه ، هنا نحو ٢١ سؤالا أقيمت للأرواح في نحو هذا المقام والاجابة عليها بأجوبة جيدة بديعة لاتصلح إلا عن أهل الحكمة العالية مثل السؤال عن السيل العام هل هو عنصر الأشياء والاجابة عليه بأن كل مافي الكون مركب منه ، ومثل السؤال عن المناسبة بين وبين السيل الكهر بائي والاجابة عليه بأن ذلك مركب منه ، وهكذا الكلام على الأرواح ونحوها فالحمد بذلك السيل العام والسيل الخاص في الوسيط الخ ومثل تفصيل الأرواح الكلام على تلك الزهور البديعة التي حضرت في المجلس بواسطة الأنسة (نيشول) والحجرة مقفلة زمن الشتاء وكيف حضرت وهل هي من أرضنا أم من أرض أخرى والاجابة بأنه لا يمكن أن يحضر من غير أرضنا وهكذا

٢٠٦ (القسم الثالث) - ولقد أرسلنا الى ثمود - الى - فساء مطر المنبرين - كتب مشكلا وتفسيره اللفظي ٢٠٨ جوهره في قوله تعالى أيضا - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله - فلك يونس خاوية بما علموا -

(طيفة) في رأى فيلسوف الصين (كوفوسوس) في دولية العالم وفي منح (كيتن كنتنج) في شجرة لأمرء الشرق قديما وحديثا مع انه رجل انجليزى وأن النوع الانساني فيه عواطف يمكن انماؤها للعبة العلة

٢٠٩ (القسم الرابع) - قل الحمد لله وسلام على عباده - الى آخر السورة قد كتب مشكلا

٢١٠ تفسيره اللفظي

٢١٢ طيفة في الموازنة بين هذه للذ كورات السبع عشرة التي أولها خلق السموات والأرض وآخرها تكامل علمهم في الآخرة بالجميع وهم عموما وبين الحمد في الفاتحة والتحيات لله والسلام على النبي ﷺ والصلحين والحمد لله السموات والأرض

٢١٤ جوهره في قوله تعالى - أتمن خلق السموات والأرض - الى قوله - أن تنبتوا شجرها - والكلام على المطلب الأول في الحمد التي ذات البهجة وأن الناس يعيشون مسعورين بحواسهم إذ يرون الماء والهواء والمعادن كالخديد والكبريت ونحوها اذا هي جوامد ولكن هذه الجوامد هي أعينها الشعور والقمع وانتم شخصاء والجيز وهي أنفسها الجندر والساق والجندر تنبع صفات والساق بضع صفات وكل منهما متجه الى جهة ما فاحدهما للأعلى والآخر للأسفل ولكل منهما عمل ، والنتيجة منافع ذات بال للحيوان والانسان وهذه المنافع تابعة للواد المتقاة المنصة بتلك الجذور مقفلة بمقدار المنافع على حسب

الأنابيب الشعرية المختلفة فتحتلها باختلاف تلك المنافع من غذاء ودواء وفاكهة ولباس وغيرها ويساعد على ذلك الخضرة المختلفة الأشكال الناجمة من مادة الكلوروفيل المنبتة في جميع الأشجار المدخلة الكربون المتحررة الأكسوجين المرسل منها إلى الحيوان والإنسان وهكذا دواليك مع اختلاف الجذور من وتدى وليفي ودرفي (شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)

٢١٦ بيان أن هذا معنى قول العزالي (إن المشعوذ النارع لن يفعل مثل ما نراه في الطبيعة) وبيان أن الساق زاحقة وقائمة ومنسلسلة كالقنأه والقرع وكالقطن والنخل والبلابل وأن الكرمة والبالزاء والبرقال لها إما محالقي محورة عن الفصول أو عن الأوراق ولما شوك محول عن أغصان لمنافع خاصة (شكل ٣٩) صورة محالقي الكرمة ودكر الإشارة إلى العلوم الربانية في النبات وبيان معنى ما كان لكم أن تبتروا شجرها - وبيان حدائق البحار التي كشفها (المسترويليام) في مياه جزائر (البولينيز) وشاهد نباتها الجبل وحيوانها المختلف الأشكال وهو تحت البحر في آلة اخترعها حديثا تمنع الفرق ولا تمنع رؤية الأشياء ولا تصويرها

٢١٨ تطبيق المذاهب الفلسفية على مناظر هذا النبات وأن طاليس اليوناني الذي يشبه السنخ في الهند طبقة أقل من علماء اليونانيين في الهند ومن سقراط وأفلاطون إلخ أولئك الذين وقفوا على الحقيقة مفهولة للطلب الثاني والثالث في قوله تعالى - آمن جعل الأرض قرارا - والرابع في قوله - وجعل خلاها أنهارا - والخامس في قوله تعالى - آمن يجيب للمطر - إلخ

٢٢٠ (البهجة في الحدائق ذات البهجة) وبيان أن الروضة التي أنشئت حديثا عند جامع ابن طولون بمصر ذكرتني بوحلة هذا المكان سابقا وبجمل أكثر المسلمين التاركين القاذورات فتفك بهم فتسكا ذريعا وهم فاقمون ، وبيان أن نبات أمثال هذه الحديقة يرسل في الهواء مادة الحياة إلى الحيوان كما كشفه العلم حديثا وبالعكس

٢٢١ (اللطيفة الثانية) في بهجة الحدائق وبيان أن أيام شباني كنت أجلس في الحقول والبساتين ويخيل إلى أن بالبساتين طريا وما كان ليصور بخلدني أن هناك ذبابا كبيرا له طبل (شكل ٤٠) ولأن للنمل أصواتا غنائية بحية ولأن للحشرات جهاز تنفس ولأن بعض الخنافس تطير (شكل ٤٣) ولأن هناك شجرة يشرب منها السامحون ماء صافيا (شكل ٤٤) ولأن الطاووس يغازل أتناه (شكل ٤٥) ولأن للعنكبوت بصيرا وأعمى نوعا من الغزل بطرق مختلفة وهكذا

٢٢٧ (بهجة الاصار في أوراق الأشجار) والكلام على تنوع الأوراق تنوعا عجيبا كتنوع الأطعمة والأغذية والأدوية والزينة ، فإذا رأينا ورقة الحناء مستوية لا أسنان فيها وورقة المشمش لها أسنان صغيرة وورقة الفجل أسنانها أغور في الورقة وورقة المدس أسنانها بلفت النهاية فأصبحت الورقة الواحدة أوراقا فمكذبا نوع مقاصدها من زينة للأولى وفاكهة للثانية وخضراوات للثالثة وحبوا للرابطة وهذه أشكالها الحناء (شكل ٤٦) المشمش (شكل ٤٧) والفجل والخروع ٤٨ و٤٩ والعنيس والقرميس ٥٠ و٥١ كل هذا في صفحة ٢٢٨ ثم الكلام على ورق النبات ذي العلاقة الواحدة إذ تكون متوازية وهي في ذي الفلتين إما كالريش وإما كالراحة ثم إن عرق الورقة له ما يشبه في الإنسان رباط الرقبة لحفظه كورقة البرلاء (شكل ٥٢)

٢٢٩ الكلام على نسبة الأوراق بعضها لبعض وعلى الأرها وأن الكلام على ذلك قد تقدم فلانعيده
٢٣٠ ذكرى الجبال والحكمة ومخطة المؤلف لصانع العالم وطهور دهنه من أن يرى ورقة الورد والارلاء

والسنة عجائب بما يقبها عادات الدهر واعتقاده أنه لولا الحجاب المسدول على عقولنا وإتانا لم نشاهد صانع العالم لذات هذه النفوس من بهجة الجبال ولكن من الحكمة هذا الحجاب . سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه إذ يقول إن هذه هي السعادة التي كان ينشدها لما كان في إذ كان يحب أن يقف على ما وصل اليه عقل الانسان من المباحث وهذا هو اليقين الذي أيقنه المؤلف بمشاهدة أمثال ورقة السنط والبازلاء الخ كيقان أفلاطون الخ من أمة اليونان وإيقان (كنت) الألمانى و(سينسر) الانجليزى والنقطة للجميع واحدة وأن هذه الآراء سيتم شرحها في (رسالة مرآة الفلسفة) وذلك من حيث العلم لا غير

٢٣٢ تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات . التفسير اللفظي لآيات - ولا تحزن عليهم - الى قوله - لا يوقنون -

٢٣٣ تفسير الآيات من قوله تعالى - ويوم نحشر من كل أمة - الى آخر السورة

٢٣٤ (الطيفة الأولى من كتاب الأرواح) في أن الدابة التي تكلم الناس هي رمز لعلم الأرواح الذي ظهر في أمريكا وأوروبا ، وبه عرف كثير من الناس ربهم ، والرمز نوع من أنواع الكتابة مع بقاء اللفظ على حاله

٢٣٥ (الطيفة الثانية) - وترى الجبال تحسبها جامدة - وحكاية المؤلف مع المدام (ليبيديف) الروسية وتفسيره لكلام الجنيذ إذ عبر عن نفسه وهو ساكت والقول ينشد بقوله - وترى الجبال - الخ فقال المؤلف إن الآية تتفق في ظاهرها مع أقوال القدماء في الفلك وفي حقيقتها مع علماء العصر الحاضر فيه وأن كلام الجنيذ يريد به انه يرى ساكنا وقلبه متهرك كالأرض وما عليها وقالت (لقد كذب الفرنجة إذ يقولون لا بدائع في القرآن)

٢٣٦ وهنا نقل المؤلف من كتابه جواهر العلوم في هذا المعنى مع إيضاح

٢٣٧ (الطيفة الثالثة) في قوله تعالى - وقل الحمد لله سير يكم آياته فتعرفونها - وهذا نقل المؤلف من كتابه «جواهر العلوم» (٣٠) معجزة كشفها العلم الحديث ، المركبات الحديثة والتصوير الشمسي وانشقاق القمر من الشمس وكون السماء دخانا (الأثير) ومثل كراهة أكل لحم البقر ومثل غسل أثر الكلب وهكذا المكروبات ومثل كثرة الاغتسال في الدين الاسلامي وهكذا والقاح الأشجار ومثل يأجوج ومأجوج ، ومثل ظهور الكبراج في الاسلام ، ومثل النساء المتبرجات ، ومثل ان الشباب داء ، ومثل ان النساء تؤخرهن الطبيعة كلما أردن التفوق على الرجال والقونعرف وكل هذا على مقتضى الآيات والحديث الشريف

٢٣٨ (الطيفة الرابعة) إن في هذه السورة حديثين وشكرين . حمدان للنبي ﷺ وشكران لسلطان أحدهما لنعمة العلم والثاني لنعمة الملك . والحمدان من نبينا ﷺ أحدهما هو مقامه المحمود والثاني ما حمد الله على انه سيعلم هذه الأمة ويجعلها - خير أمة أخرجت للناس -

٢٤٠ (الطيفة الخامسة) في تلخيص كلام الغزالي ليظهر منه أن الأمة الاسلامية اليوم لم تقم بالشكر فلذلك احتلت بعض بلادها الفرنجة

٢٤١ تفصيل الكلام على الشكر وانه علم وحال وعمل من كلام الامام الغزالي ، ويان أن المسلمين اليوم غير شاكرين غالبا

٢٤٢ جوهره في مقال عام في آية سريهم آياتنا - الخ ويان ما يخص النظريات التي ستذكر في رسالة (مرآة الفلسفة) واسها قد خلصت من الاعتراضات التي وردت على أفلاطون وأرسطاطاليس في الكلام على نظام الدنيا ومأصل العالم وما منزلة المادة وهكذا ويان ما في هذه الرسالة من آراء العلماء قديما وحديثا

٢٤٤ بيان أن هذه الرحالة سيكون في آخرها تقسيم جميع العلوم وهي (١٧) ولها فروع عدة صناعات

٢٤٥ انذار المؤمنين للأثم الاسلامية اذا تركوا هذه العلوم

٢٤٥ جوهره في بعض سر الطاء والسين في آية - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وأن الانسان

مضطرب مادام جاهلا بنظام الدنيا

٢٤٦ متى عرفت الحقائق أحسست بالسالم ، سلام عيسى في مواطنه الثلاثة وسلام المسلم في التشهد الخ والمسلم

إذ ذاك يفهم معنى الرحمة ومعنى الغضب في سورة الفاتحة وأن الله منزّه عن الرحمة والغضب اللذين يتصف

بهما نوع الانسان بل رحمة وغضبه يرجعان لنظام الوجود ولتراتب المخلوقات وذلك يعرفه المسلم في

التسبيح في ركوعه وسجوده

٢٤٧ المستنبطات التي وجدت في هذا العصر مثل الصور التوتوغرافية ومثل الأشعة التي فوق النفسجية التي كانت

فيها قوى عظيمة محيية نافعة ، ومثل تسميد الزرع من قس الهواء وهكذا وهي ٣٣ آية من آيات الله تعالى

التي وعد بها إذ أمر بالحمد عليها فقال - وقل الحمد سيبريك آياته فتعترفونها - وأثرها الفسدد لاطالة

الحياة وصحة العقول والخواطف

(تمت)



